



المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
الأمانة العامة

مجلة البحر والدراسات القرآنية

مجلة علمية محكمة متخصصة بالقرآن الكريم وعلموه
تصدر مرتين سنوياً

العدد الثالث عشر - السنة التاسعة
المحرم ١٤٣٥هـ / نوفمبر ٢٠١٤م

مَجْمَعُ الْمَلِكِ فَهْدٍ لِطَبَاعَةِ الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ في شُطْر

الافتتاح: نظراً لازدياد حاجة العالم الإسلامي إلى المصحف الشريف، واضطلاعاً من المملكة العربية السعودية بدورها الرائد في خدمة الإسلام والمسلمين، واستشعاراً من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - رحمه الله - لأهمية خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، من خلال جهاز متخصص ومتفرغ لهذا العمل الجليل، قام بوضع حجر الأساس لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة في السادس عشر من المحرم عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٢م)، وافتتحه رحمه الله في السادس من صفر عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٤م). وكان له عند وضع حجر أساس هذا الصرح المبارك كلمة ضافية جاء فيها:

”بسم الله الرحمن الرحيم، وعلى بركة الله العلي القدير... إننا نرجو أن يكون هذا المشروع خيراً وبركة لخدمة القرآن الكريم أولاً، ولخدمة الإسلام والمسلمين ثانياً، راجياً من الله العلي القدير العون والتوفيق في أمورنا الدينية والدنيوية وأن يوفق هذا المشروع الكبير لخدمة ما أنشئ من أجله وهو القرآن الكريم، لينتفع به المسلمون وليتدبروا معانيه“

أهم أهداف المجمع: طباعة المصحف الشريف وتسجيل تلاواته بالروايات المشهورة في العالم الإسلامي، وترجمة معانيه وتفسيره، والعناية بعلومه، وبالسنة والسيرة النبوية، وبالبحوث والدراسات الإسلامية، والوفاء باحتياجات المسلمين داخل المملكة وخارجها من إصدارات المجمع المختلفة، ونشرها على الشبكة العالمية.

الإشراف على المجمع: تتولى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الإشراف على المجمع، ومعالي الشيخ صالح ابن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد هو المشرف العام على المجمع ورئيس هيئته العليا. ويتابع تنفيذ سياسات المجمع وتحقيق أهدافه أمانة عامة، يضطلع بمسؤوليتها الأمين العام للمجمع الأستاذ الدكتور محمد سالم بن شديد العوفي.

الهيئة العليا للمجمع: تختص الهيئة العليا للمجمع بعدد من المهام، منها: رسم الخطط والأهداف العامة للمجمع وسياسات تطبيقها، والإشراف على تنفيذها، وإقرار اللوائح والأنظمة التي يحتاج إليها المجمع.

المجلس العلمي للمجمع: تتضح مهامه واختصاصاته في دراسة الشؤون العلمية وفقاً لأهداف المجمع، واقتراح ما يؤدي إلى تطويرها، ودراسة القضايا والبحوث ذات الصبغة العلمية، والنظر في التقارير المرفوعة من المراكز المختصة.

إحصاءات وإنجازات:

- يضم المجمع الجهات العلمية التي تقوم على إعداد إصداراته وإخراجها، كما تتوافر فيه أحدث التجهيزات في مجال الطباعة، والتسجيل على الأشرطة والأقراص الصوتية.
- ينفرد المجمع بنظام رقابي متطور، يطبق في جميع مراحل إنتاج العمل منذ الخطوات الأولى في إعداد، مروراً بمراحل الطباعة المختلفة، وتضم إدارة مراقبة الإنتاج بالمجمع نحو (٧٠٠) موظف، وذلك لضمان سلامة النصوص، وإخراج إصدارات المجمع خالية من العيوب والأخطاء.
- تجاوز عدد ما أصدره المجمع (٣٠٠) من الإصدارات الهامة، في شق العلوم التي يعنى بها المجمع، ومنها نحو (٦٢) ترجمة لمعاني القرآن الكريم بلغات العالم المختلفة، ولا يزال العمل جارياً لإخراج المزيد من الإصدارات المفيدة بعون الله تعالى.
- زاد إنتاج المجمع السنوي لصل إلى (١٣) مليون نسخة، وزاد مجموع إنتاجه منذ إنشائه على (٢٨٦) مليون نسخة.
- وزع المجمع عشرات الملايين من إصداراته في مختلف قارات العالم هدية من المملكة العربية السعودية، منها نحو مليوني نسخة سنوياً هدية من خادم الحرمين الشريفين للحجاج.

دعم المجمع: يلقى المجمع دعماً متواصلاً ورعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وصاحب السمو الملكي ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع الأمير سلمان بن عبدالعزيز، وصاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبد العزيز ولي ولي العهد حفظهم الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

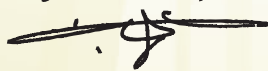
حُرُوفٌ مُضَيَّنَةٌ

كَلِمَةُ خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ
لِلْمَلِكِ فَهْدِ بْنِ عَبْدِ أَدْنِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ
لَدَى أَفْتِي تَاجِ الْمُجَمَّعِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ سَنِيَّتِهِ فِي هَذَا الْمَطْلَعِ لَوْضَعِ الْحَجَرِ الْبَاسِي
كُنْزِ الْمَشْرِعِ الْعَظِيمِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ الَّتِي كَانَتْ
أَعْلَمَ مَدِينَةٍ فَرَحُوا أَهْلَهَا بِقُدُومِ رَسُولِ الْمَوْطِنِ
فَرَحُونَهُ لَهُ فِي شِدَائِدِ الْأَمْرِ وَأُتْلِقَتْ فِيهِ الدَّعْوَةُ
دَعْوَةُ الْإِخْوَانِ وَالْبَرَكَةِ لِلْعَالَمِ أَجْمَعِ وَفِي هَذَا الْيَوْمِ
أَجْدَدُهُ مَا كَانَ حَلْمًا سَيُحَقِّقُ عَلَى أَفْضَلِ مَسَدٍ وَلِذَلِكَ
يَجِبُ عَلَى كُلِّ عَوَاطِلِهِ فِي الْمَلِكِ الْعَرَبِيِّ السُّعُودِيِّ
يَسْكُنُهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَةِ الْكُبْرَى وَارْجُوهُ يَوْفَقُنِي الْم.
أَنَّهُ أَقْوَمُ بِخِدْمَةِ وَبَنِي تَمِّ وَهَنِي وَجَمِيعِ الْمَسْجِدِ
وَارْجُوهُ الْمَوْفِيقَ

فَهْدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ السُّعُودِي



١٤٠٥/٤/٦

كَلِمَةُ خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ لِلْمَلِكِ عِزِّكَ الْإِلَهِيِّ عِزِّكَ الْإِلَهِيِّ لَدَى أَفْتِيَاكِ الْمُجْتَمَعِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين .

أحمد الله الذي يسر على يد أخي صاحب الدولة ، فهد بن عبد العزيز هذا العمل الجليل
وأكرمه به فإله العمل الخالد هو الذي يبتغي وهو الذي يلقني دائماً وعلى مر الأجيال
بقلوب المسلمين في شتى أنحاء العالم ، وليس في يقيني أجل وأعظم من هذه
المشاريع الخالدة والتي لن تكون إله شاء الله سبحانه صيف ولكنة ستظل الرمز
العظيم لعهد يبنى ويعطي أسمى العطاء في أظرف بقعة في أكرم مدينة ، منذ انطلقت
الرسالة السماوية إلى العالم أجمع تحمل الإبراهيمية وتبشر الطريق للحضارة والمطهرين على وجه
الارض ، رسالة أكرمت الإنسان وظللت شاملة مشاملة ما بيني زمان ومكان
لم تخون رقيبته إلى الأبد ولم تقطع أملة من حياة خالدة وتقول لشيء غير هذه الدنيا الفانية
وإذ كانت الريح هذه المدينة العزيزة على نفوسنا محل اهتمام الدولة وعلى رأسهم صاحب الدولة
فهذا حقاً وهذا واجب لا عذر فيه لنا جميعاً ، أقول هذا وأؤكد من صميم قلبي ومن إيماني
بمجد هذه المدينة العزيزة .

وبهذه المناسبة الجليلة أودعوني من أن أترجم على شهداء الإسم من أنصار وموالمجرين
أعطوا دمه ومالهم وكل ما يملكون وأنه كان بهم خصاصة فأولئك الذين به يعز كل
مسلم يجب أن تذكره وتستحضره دائماً في عود النوا لؤلؤ تلك الرجال العظام
وقوه الله كل من هم أرسيا هم في هذا العمل الإلهي سواسية عليهم ورحمة

١٤٠٥ / ٩ / ١١ هـ

عبدالله بن عبد العزيز آل سعود

حُرُوفٌ مُضِيَّةٌ

كَلَامَةٌ وَلِيٍّ الْعَهْدِ صَاحِبِ السُّمُوِّ الْمَلِكِي
الْإِمَامِيِّ سَيِّدِ الْمَنَانِ عِبَادِ الْعِزِّ
لَدَى زِيَارَتِهِ الْمُجْمَعِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يعون من الله وتوفيقه تمكن جولة امك
فهد بن عبد العزيز من إقامة مجمع امك للطباعة
المصحف الشريف والذات زينة اليوم السبت ١٤/٤/١٤٠٤
وقد بدأت مساهدت في الصلوة والسنن عن الكبر
لكنني عارضة اليوم يفوق كل التصور إذ بعد كنهها
يظل ضالها في السابغ سنونا انقصر من إقامته هو
خبرته تكب الله وما يحمله من هاية لبتريه جمعه ووجود
هذه الرقعة في هذه الرقعة الطاهرة يحيد النفس
قصر بالفضله والرضا.

(۱) رسول الله عز وجل أن يوفق الله له لعل محمد
 فيض نفعه في سلامه من الله وأن يوفق المسلمين
 فيه ما يحب ويرضاه والله على الشئ قدير

الحاج بن عبد الله بن السعيد

 12/10/2020

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى تنشيط البحث العلمي، وللإسهام في نشر الدراسات والبحوث المعنية بالقرآن الكريم وعلموه، مما يثري مكتبة الدراسات القرآنية، ويدعو إلى التوصل إلى العلي بين المختصين في هذا التخصص.

وتحقيقاً لهذا الغرض، فإن مجال النشر في المجلة يشمل: الدراسات والبحوث، وتحقيق المخطوطات، وقضايا مرتبطة معاني القرآن الكريم.

تَكُونُ الْمُرَاسِلَاتُ بِاسْمِ رَئِيسِ التَّحْرِيرِ عَلَى الْعُنْوَانِ السَّالِي :

مَجَلَّةُ الْبَحْثِ وَالدرَّاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

مَجْمَعُ الْمَلِكِ فَهْدٍ لِطَبَاعَةِ الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ

الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ ٤١٤٤٢ هـ . ص . ب : ٦٢٦٢

لِلْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ

هَاتف و ناسُخ : ٠٠٩٦٦-١٤-٨٦١٥٦٠٠

تَحْوِيلَةٌ : ١٨١٠

journal@qurancomplex.org

مجلة البحوث والدراسات القرآنية

العدد الثالث عشر - السنة التاسعة

المحرم ١٤٣٥هـ / نوفمبر ٢٠١٤م

هيئة التحرير

المشرف العام

معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المشرف العام على المجمع

رئيس التحرير

أ.د. محمد سالم بن شديّد العوفي
الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

نائب رئيس التحرير

أ.د. علي بن محمد بن ناصر فقيهي
مدير إدارة الشؤون العلمية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

مدير التحرير

د. عبد الغفور عبد الحق البلوشي

الأعضاء

أ.د. أحمد بن محمد الخراط أ.د. عماد بن زهير حافظ
د. حازم بن سعيد حيدر د. مصطفى بن عثمان حلي

رقم الإيداع ٦٢٢٢ / ١٤٢٦ ردمد ٢٦٢٤ - ١٦٥٨

جميعُ حقوقِ الطَّبْعِ محفوظة
لمَجْمَعِ الْمَلِكِ فَهْدٍ لَطِبَاعَةِ الْمُصَحَّفِ الشَّرِيفِ

المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

قواعد النشر

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

- أن تسهم في تحقيق أهداف المجلة.
- ألا تكون منشورة، أو مقدمة للنشر في جهة أخرى.
- ألا تكون جزءاً من بحث منشور للباحث، أو من رسالة نال بها درجة علمية.
- أن يراعي الباحث قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجه، وأصول تحقيق التراث الإسلامي.
- أن تكون متميزة من حيث الابتكار، والإضافة العلمية، وسلامة المنهج.
- أن يُشار إلى الدراسات السابقة حول الموضوع، والجديد الذي أضافه البحث.
- أن تصدّر بملخص باللغتين العربية والإنجليزية لا يزيد على صفحة، يتضمن أهم محاور البحث ونتائجه.
- ألا تزيد صفحاتها على خمسين صفحة، ولا تقل عن عشر صفحات.
- أن يقدم الباحث تعريفاً موجزاً لسيرته العلمية، وعناوين الاتصال به، وعنوان بريده الإلكتروني إن وُجد.
- أن يقدم الباحث خمس نسخ مطبوعة من مشاركته، وأن تصاحبها نسخة إلكترونية مدخلة بواسطة برنامج ميكروسوفت وورد (الإصدار ٢٠٠٣)، أو ما يتوافق معه.
- لا تعاد المادة إلى صاحبها، سواء أُنشرت أم لم تنشر.
- يُمنح صاحب كل بحث مكافأة مالية، ويعطى خمس نسخ من العدد المنشور فيه بحته، وعشرين مستلة خاصة ببحته.
- لا يحق للباحث إعادة نشر بحته إلا بإذن خطي من رئيس تحرير المجلة.
- يتم ترتيب المشاركات في المجلة على أساس حروف المعجم لعناوين البحوث في الموضوع الواحد.

منهج التوثيق

- إلحاق نماذج واضحة من المخطوطات التي اعتمدها الباحث.
- التوثيق في الحواشي لا المتن.
- إثبات حواشي كل صفحة في الصفحة نفسها، ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلاً.
- اختصار الحواشي التعليقية ما أمكن.

- ألا يشار في الحواشي إلى بيانات طباعة المرجع المحال عليه، إلا عند اعتماد الباحث أكثر من طبعة.
- ضبط المشكل من الأعلام، والأمكنة، والكلمات.
- مراعاة الابتداء بالتاريخ الهجري في كل ما يؤرخ.
- استخدام علامات الترقيم.
- أن تضمّن قائمة المراجع جميع الأعمال التي تمت الإشارة إليها في البحث.
- يكون ترتيب المراجع في الفهرس الخاص بها ترتيباً هجائياً بحسب عنوان الكتاب، مع استيفاء بيانات الطبع.
- ترتّب المراجع في قائمة واحدة، مهما كانت طبيعتها ومجال تخصصها.
- أفراد قائمة للمراجع الأجنبية، مستوفية بيانات الطبع، مع ذكر اللغة التي كتبت بها.

مواصفات النشر

- مقاس الكتابة الداخلية: ١٢ سم × ١٨ سم.
- نوع الخط: Traditional Arabic.
- العناوين الرئيسية: الحجم ٢٠ مُسَوِّدًا.
- العناوين الفرعية: الحجم ١٨ مُسَوِّدًا.
- المتن: الحجم ١٧ غير مُسَوِّدٍ، إلا الأبيات الشعرية، فتكتب بخط مُسَوِّدٍ.
- الآيات القرآنية: الحجم ١٨ مُسَوِّدًا، وتكتب على النحو التالي: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].
- تكتب القراءات الشاذة والأحاديث النبوية والآثار بين قوسين عاديين هكذا: ()، بحجم ١٨ مُسَوِّدًا.
- تكتب النقول بين علامتي تنصيص « ».
- الحواشي السفلية بحجم ١٢ غير مُسَوِّدَةٍ، وتوضع أرقام الحواشي بين قوسين.

مجلة البحوث الإسلامية القرآنية

فهرس المحتويات

١٣	 كلمة معالي المشرف العام على المجلة
١٥	 كلمة فضيلة رئيس التحرير
	تعامل اللغويين الإيجابي مع القراءات القرآنية
١٩	 د. مبروك بن حمود الشايع
	حكم الألفات التي سكت عنها الإمام الداني في كتابه «المقنع»: دراسة منهجية
٤٩	 د. محمد شفاعت رباني
	موجبات دخول النار في ضوء القرآن الكريم
١٠٣	 د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الهوساوي
	وقف البيان في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية
١٥٩	 د. محمود بن عبد الجليل روزن
	ذخيرة الإخوان المختصر من كتاب الاستغناء بالقرآن
٢٧٧	 د. حسن سالم هبشان
٣٥٦	 أخبار المجمع
٣٦٦	 من إصدارات المجمع



كَلَامَةٌ مَعَ أَلِيِّ الشَّيْخِ عَلِيٍّ عَلَى الْمَجَلَّةِ

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فهذا هو العدد الثالث عشر من مجلة البحوث والدراسات القرآنية التي تصدر عن هذا الصرح الشامخ: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة. وقد حققت المجلة - والله الحمد - رصيذاً طيباً من القبول لدى الأوساط الأكاديمية في المملكة وخارجها، ومضت تُعَدُّ السير قُدماً في نقل المعارف القرآنية الموثقة، كما حافظت على سمتها الجادّ فيما يُعرف بشروط النشر حتى غدت وعاء معرفياً ذا مصداقية ووزن في آفاق العالم الإسلامي وجامعاته، ومراكزه البحثية. حتى إن زائري موقع المجلة الإلكتروني بلغ عددهم - والله الحمد - رقماً كبيراً من الرواد الذين ينهلون مما تحتزنه من أبحاث، وما سَطَّر فيها من دراسات.

وإذا كانت المجلة قد أثبتت رسوخ قدمها، والإدلاء بدلوها في رحاب ما يتصل بمعارف الوحي الكريم، فإن ذلك يعود لأسباب متعددة، لعل في مقدمتها حرصها على الجدية في التعامل مع ما يَرِدُها من مواد علمية يؤدُّ أصحابها المشاركة في تحرير أعدادها المتتالية. وواضحٌ من استعراض كُتَّابها وفهارسها أن المجلة قد صَحَّ عزمها على التناول الأصيل، والانتقاء الهادف من مجموع المشاركات التي تصل إليها، وما يعقب ذلك من التقويم الذي يتم اختياره من واقع التخصص والخبرة الطويلة، ويتلو ذلك سيرٌ حثيث مع المقال محفوفٌ بالمراجعات، إلى أن يُدفع إلى أرقى المطابع التقنية التي يعمل عليها المجمع. والفضل لله سبحانه الذي هيا لهذا الصرح الشامخ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف؛ ليسهر على معارف كتاب الله بخدمتها وصيانتها وتوثيقها، ثم لأولي الأمر في

بلادنا المباركة، وفي مقدمتهم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وولي عهده الأمين نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، وصاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز ولي ولي العهد، حفظهم الله جميعاً وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

وَرَبِّ السَّوْمِ وَالْإِسْلَامِ وَالْأَوْقَافِ وَالْدَّعْوَةِ وَالْإِسْنَاءِ

الشرف العام على جميع المليك ذنب لبطانة المحقق الشريف

كَلِمَاتُ رَئِيسِ التَّحْقِيقِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين،
وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب لا ينضب من كثرة وارديه والناهلين منه، أحاطه الله بالرعاية والحفظ، فهو عزيز يعزاز الله إياه، وتكفله بحفظه من التغير والتبدل، فليس فيه ارتياب لمن أبصر الحق وعرفه، لا يأتيه الباطل من أي ناحية من نواحيه، فهو مصون من أن ينقص منه، أو أن يزداد فيه، خصه الله بهذه المزية؛ رفعة له وتشريفاً وتكريماً، ليكون كتاب الله الخاتم إلى الأمم جميعاً: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقد اقتضت حكمة الله أن يكون اتباع القرآن سبباً للفوز والنجاة، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَصِلْ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

وها هي مجلة البحوث والدراسات القرآنية تسهم في نشر هدى الله؛ إذ ضم هذا العدد مجموعة من البحوث الرصينة، يأتي أولها بعنوان: (تعامل اللغويين الإيجابي مع القراءات القرآنية) للدكتور مبروك بن حمود الشايع، الذي يتحدث عما بذله علماء العربية قديماً وحديثاً تجاه القراءات القرآنية، وإبراز الصلة الوثيقة بين علوم العربية والقراءات، وإيضاح التواصل المعرفي بين القدامى والمحدثين تجاه القراءات.

ويأتي ثاني البحوث بعنوان: (حكم الألفات التي سكت عنها الإمام الداني في كتابه «المقنع»: دراسة منهجية) للدكتور محمد شفاعت رباني، الذي درس فيه موضوعاً في علم رسم المصاحف متعلقاً ببيان مذهب أبي عمرو الداني - رَحِمَهُ اللهُ - في الألفات التي سكت عن التصريح بحكمها من حيث الحذف أو الإثبات.

ويأتي ثالثها بعنوان: (موجبات دخول النار في ضوء القرآن الكريم) للدكتور عبدالرحمن عبد الجبار هوساوي، وهو دراسة قرآنية للأسباب التي استحق بها عموم الكفار دخول النار، وفيها الردُّ على الشبهات المثارة حول استشكل استحقاقهم النار، مع أثرهم الإيجابي في حياة الناس الدنيوية.

ويأتي رابعها بعنوان: (وقف البيان في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية) للدكتور محمود بن عبد الجليل روزن، الذي تناول فيه تحرير هذا المصطلح من علم الوقف والابتداء، وتوضيح علاقته بغيره من أنواع الوقوف، مقترحاً إضافة عدة مصطلحات تثري الموضوع، وتعيد رسم حدوده نظرياً وتطبيقياً.

ويأتي خامسها بعنوان: (ذخيرة الإخوان المختصر من كتاب الاستغناء بالقرآن) للعلامة محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي، دراسة وتحقيق: الدكتور حسن سالم هبشان، والكتاب تلخيص لمصنّف الحافظ ابن رجب الدمشقي - رحمه الله - المسمّى «الاستغناء بالقرآن في تحصيل العلم والإيمان»، الذي اعتنى بإبراز مكانة القرآن الكريم، وأن على المرء أن يهتمّ بما يُعين على فهم معانيه من التفسير، والحديث، والأثر، وعلى استنباط علومه ومعارفه.

ويسرني بمناسبة إصدار هذا العدد أن أشكر للإخوة أعضاء هيئة التحرير ما بذلوه من جهد في تدقيق البحوث ومراجعتها؛ مما أوصلها إلى المستوى العلمي اللائق بها. والشكر موصول لمعالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المشرف العام على المجمع الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ الذي يرفع هذه المؤسسة المباركة ويسعى إلى رفعتها وازدهارها.

ولا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والعرفان لقادة هذه البلاد على ما يولون المجمع من رعاية ودعم ومتابعة، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، وولي عهده الأمين نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع صاحب السمو

الملك الأمير سلمان بن عبد العزيز، وصاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبد العزيز
ولي ولي العهد حفظهم الله جميعاً.
وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، والحمد لله رب العالمين.

الأمين العام
لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
أ.د. محمد سالم بن سدير العوفي



تَعَامُلُ اللُّغَوِيِّينَ الْإِيجَابِيِّ مَعَ الْقُرْءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

د. مبروك محمود شاذلي الشاذلي (*)

مُلَخَّصُ الْبَحْثِ

يتحدث البحث عما بذله علماء العربية قديما وحديثا تجاه القراءات القرآنية، مع إبراز الصلة الوثيقة بين علوم العربية والقراءات القرآنية، وتوضيح التواصل المعرفي بين القدامى والمحدثين تجاه القراءات.

وينقسم البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: تعامل اللغويين القدامى ويشمل:

١. الاحتكام إلى القراءات القرآنية في مواطن الخلاف النحوي.
٢. تضمين القراءات القرآنية والاستشهاد بها منذ بداية التأليف في علم العربية.
٣. تخصيص مصنفات لتوجيه القراءات متواترها وشاذها.
٤. الحرص على تتبع الأوجه الإعرابية المحتملة في كل قراءة من القراءات.

المبحث الثاني: التعامل مع القراءات عند المحدثين، ويشمل:

١. دراسة القراءات القرآنية صوتيا.
٢. الفرع إليها لإثبات نظريات لغوية.
٣. وضع المعاجم الخاصة للقراءات القرآنية.
٤. التوجيه للقراءات عبر الشبكات التفاعلية.

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها:

- أن اتهام النحويين البصريين بأنهم ينكرون كثيراً من القراءات، اتهام باطل.
- أن أكثر علماء العربية المتقدمين منهم والمتأخرين احترمو القراءات القرآنية وخدموها.

(*) أستاذ مشارك بجامعة حائل.

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على سيد الأنام نبينا محمد وعلى آله وصحبه الكرام.

أما بعد: فهذا بحث يتناول تعامل اللغويين من قدامى ومُحدثين مع القراءات القرآنية، والمقصود بالتعامل هنا التعامل البناء الإيجابي الذي يحترم القراءات ويجعلها منطلقاً لتفصيل القواعد.

ونعني بالقدامى المؤلفين السابقين: ابتداءً من البدايات الأولى للتأليف في علوم العربية وانتهاءً بالعصر الحديث مع ظهور المطابع في العالم العربي في حدود سنة ١٨٢٠م. ويتضح في هذا البحث ما للقراءات من مكانةٍ عالية لدى أهل اللغة من نحويين وغيرهم، فقد حوت كتبهم عدداً كبيراً من القراءات، وزخرت مصنفاتهم بتوجيهاتٍ للقراءات القرآنية المختلفة، وعلى رأسهم إمام النحويين (سيبويه) الذي أُلصقت به تهمةٌ زائفة تتمثل في أنه يُنكر القراءات التي تخالف قواعد النحو، والأمر على عكس ذلك. كما سيتبين ذلك من خلال طيات هذا البحث.

وإذا كان القدماء احتفوا بالقراءات وعرفوا منزلتها وقدرها، فإن اللغويين المحدثين لم يجيّدوا عن هذا النهج، فدرسوا القراءات واستشهدوا بها وصنفوا المعاجم لأجلها، وكلُّ هذا يشهد بأن القراءات تتبوأ منزلة رفيعة ورتبة سنية في نفوس علماء العربية.

وهذا البحث يقع في مبحثين رئيسيين: أولهما: تعامل اللغويين القدامى مع القراءات، وثانيهما: تعامل اللغويين المحدثين مع القراءات.

وقد حاولَ البحث أن يبرز تلك العناية بالقراءات من لدن المتقدمين والمتأخرين.

الدراسات السابقة:

لم أجد مَنْ أفرد هذا الموضوع ببحث مستقل، لكن هناك بعض الدراسات التي

أشارت إلى جهود علماء اللغة السابقين في خدمة القراءات القرآنية، وأودحت الاتهامات الموجهة لعلماء اللغة السابقين بأنهم كانوا ينكرون القراءات، فمن تلك الدراسات:

- ما تضمنه الفصل الثاني في كتاب (أثر القراءات في الدراسات النحوية) للدكتور عبد العال مكرم حيث ذكر ما للقراءات من مكانة عالية في نفوس علماء النحو القدامى، ومما قاله في هذا المقام: «شغلت القراءات أذهان النحاة منذ نشأة النحو؛ ذلك لأن النحاة الأول الذين نشأ النحو على أيديهم كانوا قراء كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي ويونس والخليل، ولعل اهتمامهم بهذه القراءات وجَّههم إلى الدراسة النحوية؛ ليلانتموا بين القراءات والعربية»^(١).

ثم ذكر جملة من القراءات التي قعد عليها النحويون قواعد نحوية خاصة عند الكوفيين.

- بحث الدكتور أحمد الخراط تحت عنوان (عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم) فقد عَنَوَ للمبحث الخامس بـ (عناية المسلمين بتوجيه القراءات في ضوء العربية خدمة للقرآن الكريم)، ومما قاله بهذا الصدد: «وقد بذل النحاة جهداً فائقاً لخدمة القرآن بمختلف قراءاته المتواترة والشاذة، فوجَّهوها بالتعليل المستند إلى الأصول المعتمدة عندهم، واستشهدوا على ذلك بالشواهد الفصيحة التي جمعوها من البوادي عبر رحلاتهم العلمية المديدة، وقد استندوا إلى هذه القراءات في تأصيل قواعدهم، وإرساء معالم الصناعة النحوية والصرفية»^(٢).

وتحدث الدكتور بشكل عام عن تلك الجهود وعن أنواع المصنفات في توجيه القراءات.

- بحث (موقف النحاة المعاصرين من القراءات الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة نموذجاً) للدكتور سليمان العايد، وقد استعرض فيه التهم التي وجَّهها الشيخ محمد عزيمة لبعض النحويين، وذكر العايد أن في ذلك مبالغة بعد استعراضه أقوال الشيخ

(١) أثر القراءات في الدراسات النحوية: ٥٥.

(٢) عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم: ٤٤.

عضيمة محاولاً الردَّ على كل تهمة، ثم ختم بحته بقوله: «إن التشنيع على النحاة في تناولهم للقراءات، أمر يقع في العلوم الأخرى... أمّا أن يكون الهجوم على طائفة برمتها... فهذا لم يكن فيما مضى، وقد صار نازلة في عصرنا، ومن هذا ما يقوم به بعض من يحمل همّ الدِّفاع عن القرآن، وقراءاته، وقراءه، وما يفهمونه من عباراتٍ تصدر من بعض النحاة يظنونها هجومًا على القراء وتعدّيًا على القراءات، ولم يكن علماؤنا فيما مضى يفهمونها على هذا النحو، ولا يحملونها ما تُحمّله في هذا العصر»^(١).

وبحثنا هذا يختلف عما سبق في كونه يتتبع جهود اللغويين القدامى والمحدثين في خدمتهم للقراءات القرآنية على نحوٍ مفصل فيه تبيين لتلك الجهود وضرب الأمثلة عليها واستعراض لأبرز المؤلفات التي ألفها اللغويون قديما وحديثا في خدمة القراءات القرآنية مع حديث عن الجديد في العصر الحاضر.

(١) موقف النحاة المعاصرين من القراءات الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة نموذجًا) بحث منشور في الشبكة العالمية (الإنترنت) ضمن بحوث المؤتمر العالمي الأول للقراءات / المغرب / ١٤٣٤هـ انظر موقع

www.voiceofarabic.ne و www.addani. ma

المبحث الأول

١- تعامل اللغويين القدامى مع القراءات

يتحدث هذا المبحث عن نظرة اللغويين القدامى بشكل عام إلى القراءات القرآنية ومدى احترامهم لها، واستنباط القواعد النحوية منها، وإيرادهم لها في بطون مصنفاتهم، ومحاولة توجيه تلك القراءات وذكر نظيرها من كلام العرب العرباء، وتوضح معالم ذلك من خلال العناصر الآتية:

١- الاحتكام إلى القراءات القرآنية في مواطن الخلاف النحوي.

عندما يقع خلاف نحوي بين النحويين فإن كل فريق يحاول أن يأتي بحجة دامغة وبرهان ساطع، ولا شك أن القرآن الكريم بقراءاته هو أصدق الأدلة وأوضح البراهين؛ لذلك فزع كثير من النحويين للقراءات لإثبات رأي أو تعزيز حجة؛ لأن «كل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء كان متواتراً، أم آحاداً، أم شاذاً، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً؛ بل ولو خالفته يُحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه»^(١).

وما قيل عن البصريين بأنهم ينكرون القراءات إذا خالفت قواعدهم أو أنهم لا يستدلون بها هو أمر فيه تجنٍّ ومبالغة؛ ولم يُعْهَد عن أوائل البصريين أنهم كانوا ينكرون القراءات، بل الأمر على عكس ذلك، فقد «كان القرآن الكريم وقراءاته مدداً لا ينضب لقواعدهم، وتوقف نفر منهم إزاء أحرف قليلة في القراءات لا تكاد تتجاوز أصابع اليد الواحدة، وجدوها لا تطرد مع قواعدهم... مع أنه لا يوجد في كتاب سيبويه نصوص صريحة مختلفة تشهد لهذه التهمة الكبيرة. وسرى الأخفش الأوسط يسبق الكوفيين المتأخرين إلى التمسك بشواذ القراءات، والاستدلال عليها من كلام العرب وأشعارهم. وفي الحق، إن بصري القرن الثالث هم الذين طعنوا في بعض القراءات، وهي أمثلة قليلة لا يصح أن تتخذ منها ظاهرة»^(٢).

(١) الاقتراح: ٧٥-٧٦.

(٢) المدارس النحوية: ١٩.

وهذا الاتهام الموجّه للبصريين في موقفهم من القراءات وعدم احتجاجهم بها - على فرضية صحته -

«ليس موقفا مستمرا على الدوام لا يفارقهم أجمعين ولا يفارقونه في جميع أحوالهم، فقد رأينا لبعض أئمة البصريين كسيبويه والأخفش مواقف من القراءات - وغيرها - تتسم بالاعتدال والحرص على الاستفادة منها أيّا كانت درجتها وعدم إهدار واحدة منها، فهُمَا - وقد حذا حذوهما أيضا كثيرٌ من البصريين - قد أكثرا من الاحتجاج بالقراءات القرآنية في كتبهما، كما كثرَ عندهما توجيهُ ما لا يجري من القراءات على مقاييس قومهما وقوانينهم توجيهًا رقيقًا لا قسرفيه أو عنتًا أو غلوًا ولا تنافر فيه أو إخلالًا أو إبعادًا. ولا يغض من هذا ما حدث أحيانًا منهما أو من غيرهما من نحة مدينتهما، فهو قليل من كثير، لا يغير من حقيقة الحكم عليهما وصوابه فيهما وفيمن تشبه في مسلكه بهما من سائر البصريين»^(١).

وفي كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) عدد كبير من القراءات التي جيء بها للاحتجاج على صحة مذهب من المذاهب النحوية، فما احتج به البصريون قراءة ﴿وَأَن كَلَّا لَمَّا يُؤفَتْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [هود: ١١١] بتخفيف (إن)، وهي قراءة نافع وابن كثير^(٢)، مستدلين بذلك على جواز إعمال (إن) المخففة، ومنع ذلك الكوفيون^(٣).

وأما الكوفيون فاستدلوا بقراءات كثيرة أوردها ابن الأنباري، وهم في هذا المجال أكثر استشهادًا من البصريين، فمن ذلك:

قراءة ﴿أَوْ جَاءُكُمْ حَصْرَةً صُدُّوهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] وهي قراءة الحسن البصري ويعقوب الحَضْرِيّ والمفضل عن عاصم^(٤)، مستدلين بذلك على أن ﴿حَصْرَتْ﴾ في قراءة الجمهور

(١) (الأخفش الأوسط أمقلد هو أم مجدد) د. عبد الكريم بن محمد الأسعد، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٣٨، ص: ٢٩٦.

(٢) انظر: النشر: ٢٩٠/٢.

(٣) الإنصاف: ١٥٩/١.

(٤) انظر: النشر: ٢٥١/٢.

﴿أَوَجَاءَكُمْ حَصْرَتٌ صُدُورُهُمْ﴾ هو فعل ماضٍ وقع موقع الحال وتقديره: حَصْرَةٌ صدورهم بدليل القراءة السابقة، ومنع ذلك البصريون^(١).

قراءة حمزة^(٢) ﴿وَأَنقَضُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] بجر ﴿الأرحام﴾، احتج بها الكوفيون على جواز العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار، ومنعه البصريون^(٣).
قراءة عبد الله بن مسعود^(٤): ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣]، احتجوا بذلك على أن (أن) المصدرية تعمل وهي محذوفة؛ إذ التقدير أن لا تعبدوا إلا الله، فحذف «أن» وأعملها مع الحذف، فدل على أنها تعمل النصب مع الحذف، وهذا لا يرضيه البصريون^(٥).

قراءة ابن عامر^(٦) ﴿فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩] بتخفيف نون (تتبعان) على أنها نون التوكيد الخفيفة، فاستدل بها الكوفيون على جواز مجيء نون التوكيد الخفيفة بعد ألف الاثنين، ومنع ذلك البصريون^(٧).

من هنا يظهر أن الاحتجاج بالقراءات حاضراً لدى أي خلاف نحوي، وإن كان الكوفيون أكثر احتجاجاً، وأكثر تمسكاً بظاهر القراءات من البصريين، وهذا يدل بالمقابل على أن البصريين يقدسون القراءات ويحترمونها؛ لأنهم لو لم يكونوا كذلك لما احتج الكوفيون عليهم بالقراءات التي يعرفون أن لها منزلة ومكانة لدى البصريين وغيرهم من النحويين.

٢- إيراد القراءات القرآنية والاستشهاد بها.

لا يكاد يخلو كتاب نحوي من كتب المتقدمين من ذكر القراءات والإشارة إليها، مما

(١) الإنصاف: ٢٠٥/١.

(٢) النشر: ٢٤٧/٢.

(٣) الإنصاف: ٤٥٦/٢.

(٤) انظر البحر المحيط: ٢٨٢/١.

(٥) الإنصاف: ٤٥٦/٢.

(٦) النشر: ٢٨٦/٢.

(٧) الإنصاف: ٥٣٦/٢.

يدل على قناعتهم التامة بأهمية القراءات وأنها مصدر أصيل من مصادر النحو العربي، وهي أسس ممكن في تقعيد القواعد، ولو توقفنا قليلاً عند الكتاب لسيبويه الذي يُعدّ من أوائل كتب العربية لوجدناه يورد قراءات عديدة، وقد قال في الصفحات الأولى من كتابه: «إِلَّا أَنَّ الْقِرَاءَةَ لَا تُخَالَفُ؛ لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ السُّنَّةُ»^(١).

فلو كان سيبويه ممن ينكر القراءات لقال: إذا خالفت القراءات القواعد أو خالفت الأرجح فلا يُنظر إليها، لكنه قرر بصيغة التأكيد (أَنَّ الْقِرَاءَةَ لَا تُخَالَفُ).

وهو يتأدب مع القراءات حتى وإن كان الوجه الأقوى نحوياً على خلافها، من مثل قوله: «وقد قرأ أناس^(٢): ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: ٣٨] و﴿وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾»^(٣) وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة، ولكن أبَت العامة إلا القراءة بالرفع». فلم يقل: إنَّ قراءة الرفع خلاف الأولى، بل ذكر أنها قراءة عامة القراء.

لقد «غني سيبويه في كتابه بتوجيه كثير من القراءات المتواترة والشاذة، وبيّن معناها وما تؤول إليه في ضوء ما اختاره لها من استدلال، واستشهد على اختياره بطائفة من الشواهد الفصيحة؛ كالقرآن والشعر وأقوال العرب»^(٤). وسيبويه في استعراضه للقراءات على أحوال ثلاثة تقريباً:

الحال الأولى: أنه يذكر القراءة مستشهداً بها وموجّهاً لها، من ذلك: أقواله الآتية: «وبلغنا أن بعضهم قرأ^(٥) هذا الحرف نصباً: ﴿وَأَمْرًا لَهُ حَمَالَةَ الْحَطْبِ﴾ [المسد: ٤]، لم يجعل الحماله خبراً للمرأة، ولكنه كأنه قال: أذكرُ حَمَالَةَ الحطب، شتماً لها، وإن كان فعلاً لا يُستعمل إظهاره»^(٦).

(١) الكتاب: ١٤٨/١.

(٢) هي قراءة عيسى بن عمر وابن محيصن، انظر البحر المحيط: ٤٧٦/٣.

(٣) النور: ٢. وقراءة النصب هي لأبي جعفر وعيسى بن عمر، انظر البحر المحيط: ٤٢٧/٦.

(٤) جهود سيبويه في التفسير (مقال للدكتور: أحمد الخراط) مجلة البحوث والدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف العدد الأول.

(٥) هي قراءة عاصم، انظر النشر: ٤٠٤/٢.

(٦) الكتاب: ٧٠/٢.

«وقد بلغنا أن بعض القراء^(١) قرأ: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦] وذلك لأنه حمل الفعل على موضع الكلام؛ لأن هذا الكلام في موضع يكون جواباً؛ لأن أصل الجزاء الفعل، وفيه تعمل حروف الجزاء؛ ولكنهم قد يضعون في موضع الجزاء غيره»^(٢).

«اعلم أنه لا يجيء في كلامهم على بناء: حاميم وباسين، وإن أردت في هذا الحكاية تركته وقفاً على حاله، وقد قرأ بعضهم^(٣): ﴿يَاسِينَ * وَالْقُرْآنِ﴾ [يس: ١-٢]... فمن قال هذا فكأنه جعله اسماً أعجمياً، ثم قال: أذكرُ ياسين»^(٤).

الحال الثانية: أنه يذكر أن القراءة جاءت على وجه من العربية ربما غيره أكثر منه أو أجود، من ذلك:

«وزعموا أن بعضهم قرأ^(٥): ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣] وهي قليلة، كما قال بعضهم في قول سعد بن مالك القيسي:

مَنْ قَرَّرَ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَاخُ
جعلها بمنزلة (ليس)، فهي بمنزلة لات في هذا الموضع في الرفع»^(٦).

«وقد قرأ بعضهم^(٧): ﴿وَأَمَّا تُمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت: ١٧]. وأنشدوا هذا البيت على وجهين: على النصب والرفع، قال بشر بن أبي حازم:

فَأَمَّا تَمِيمٌ تَمِيمٌ بَنُ مُرٍّ فَأَلْفَاهُمْ الْقَوْمُ رَوْبَى نِيَامَا
فالنصب عربي كثير، والرفع أجود»^(٨).

(١) هي قراءة حمزة والكسائي بتسكين الراء من (يذرهم)، انظر النشر: ٢٧٣/٢.

(٢) الكتاب: ٩٠-٩١/٣.

(٣) هي قراءة عيسى بن عمر، انظر البحر المحيط: ٣٢٣/٧.

(٤) الكتاب: ٢٥٨/٣.

(٥) هو أبو السمال، انظر: البحر المحيط: ٣٨٤/٧.

(٦) الكتاب: ٥٨/١.

(٧) هي قراءة الحسن والأعمش وعيسى بن عمر، انظر البحر المحيط: ٤٩١/٧.

(٨) الكتاب: ٨٢/١.

الحال الثالثة: أنه يذكر القراءة في سياقٍ يُفهِمُ أنه متردد في صحة القراءة؛ لأن في عهد سيبويه لم تجمع القراءات في كتابٍ يوضح أسانيدَها وصحتَها وشذوذَها، إلا أنه مع هذا فإن سيبويه لا ينكر القراءة، ولا يصرح بتضعيفها، مما يدل على تحرزه الشديد تجاه الحكم على القراءات، فمن ذلك قوله: «واعلم أن (كفى بنا فضلاً على مَنْ عَيْرُنَا) أجود وفيه ضعفٌ، إلا أن يكون فيه (هو)؛ لأن (هو) من بعض الصلة، وهو نحو: مررت بأبيهم أفضل، وكما قرأ بعض الناس^(١) هذه الآية: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٤]...»^(٢).

ومهما يكن من أمر فإن سيبويه - رَحِمَهُ اللَّهُ - فتح الباب واسعاً لإيراد القراءات والاستئناس بها وذكر وجوهها في العربية، وهكذا سارت المؤلفات النحوية بعده، وإن كان بعضها لا يتورع في إنكار القراءة التي لا توافق القاعدة النحوية. لكن في نهاية المطاف تُورد تلك المؤلفات القراءات القرآنية وتعلق عليها.

وعلى خطأ سيبويه سار المؤلفون في العربية على نهجه في ذكر القراءات، بغض النظر عن الشطط الذي ارتكبه بعضهم في إنكار بعض القراءات أو توهينها؛ لأنه لو لم تكن للقراءات مكانة رابية عند أولئك النحويين لأعرضوا عن ذكرها ولتنكبوا الطرق المؤدية إليها، بيد أنهم ذكروها وأسهبوا في الحديث عنها، مما يدل على حرصهم عليها وعلى الاستشهاد بها، بين مُقلِّ منهم ومُكثر.

وإذا ما تركنا عصر سيبويه، وانتقلنا إلى العصور المتأخرة، وبجئنا عن أنموذج من النحويين يهتم بالقراءات ويستشهد بها كثيراً، أَلْفَيْنَا ابن مالك الجبالي (ت: ٦٧٢هـ)، فقد عرَّج على كثير من القراءات في كتبه المختلفة، بل وجعلها منطلقاً لتقعيد قاعدة ما، وأثبت ذلك نظماً في منظومته (الكافية الشافية) وذلك في تجويزه الفصل بين المتضايين بغير الظرف والجار والمجرور، إذ قال:

(١) هي قراءة يحيى بن معمر وابن أبي إسحاق، انظر البحر المحيط: ٢٥٥/٤.

(٢) الكتاب: ١٠٧/٢-١٠٨.

وَعُمْدَتِي قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ وَكَمْ لَهَا مِنْ عَاضِدٍ وَنَاصِرٍ

ثم قال في شرحه: «عُلِمَ بهذا أن قراءة ابن عامر^(١) - رَحِمَهُ اللَّهُ - غيرُ منافية لقياس العربية. على أنها لو كانت منافية له لوجب قبولها لصحة نقلها، كما قُبِلَتْ أشياء تنافي القياس بالنقل، وإن لم تُساوِ صحتها صحة القراءة المذكورة ولا قاربَتها، كقولهم: (استحوذ) وقياسه: استحاذ. وكقولهم: (بنات ألبه) وقياسه: ألبه. وكقولهم: (هذا جُحْرٌ ضَبٌّ خَرِبٌ) وقياسه: خَرِبٌ. وكقولهم: (لَدُنْ غَدُوَّةٌ) بالنصب وقياسه: الجر وأمثال ذلك كثيرة»^(٢).

وعلى الرغم من أن إمام المفسرين الطبري (ت: ٣١٠هـ) أنكر قراءة ابن عامر^(٣) إلا أن ابن مالك لا يسير مع ذلك، أو يلين جانبه، بل يدَّعِي كُلَّ قولٍ يخالف القراءة الصحيحة جانباً، ويقعّد على تلك القراءة؛ لذا قال ابن الجزري: «وَأَوَّلُ مَنْ نَعَلِمَهُ أَنْكَرَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ، وَغَيَّرَهَا مِنَ الْقِرَاءَةِ الصَّحِيحَةِ وَرَكِبَ هَذَا الْمَحْذُورَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ بَعْدَ الثَلَاثِمِائَةِ، وَقَدْ عُدَّ ذَلِكَ مِنْ سَقَطَاتِ ابْنِ جَرِيرٍ... وَلِلَّهِ دَرُّ إِمَامِ الثُّحَاةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حَيْثُ قَالَ فِي كَافِيَّتِهِ الشَّافِيَّةِ:

وَحُجَّتِي قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ فَكَمْ لَهَا مِنْ عَاضِدٍ وَنَاصِرٍ»^(٤)

وعلى الرغم من أن كتب ابن مالك جميعها تزخر بالقراءات القرآنية، لكن لعل أكثرها ذكراً للقراءات هو كتابه (شرح شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح)، فلا يكاد يخلو موضوع فيها من ذكر عدد من القراءات^(٥).

(١) يقصد الآية رقم ١٣٧ من سورة «الأنعام» وهي: «وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلُوا آلَآدَهُمْ شُرَكَائِهِمْ».

بإضافة (قتل) إلى (شركاء) والفصل بينهما بمفعول المصدر (أولاد) انظر: النشر: ٢٦٣/٢.

(٢) شرح الكافية الشافية: ٩٨١/٢ - ٩٨٢.

(٣) انظر تفسير الطبري: ١٣٧/١٢ وفيه قوله: «والقراءة التي لا أستجيز غيرها: «وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلُوا آلَآدَهُمْ شُرَكَائِهِمْ».

فَقَتَلُوا آلَآدَهُمْ شُرَكَائِهِمْ» بفتح الزاي من «زين»، ونصب «القتل» بوقوع «زين» عليه، وخفض «وَأُولَآدَهُمْ» [الأنعام: ١٣٧] بإضافة «القتل» إليهم، ورفع «الشركاء» بفعلهم، لأنهم هم الذين زينوا للمشركين قتل أولادهم.

(٤) النشر في القراءات العشر: ٢٦٤/٢.

(٥) يُنظر: الاحتجاج بالقراءات في شواهد التوضيح: ١.

٣- توجيه القراءات وتتبع أوجه الإعراب المحتملة فيها.

كما ظهر سلفاً أن قدامى اللغويين اهتموا بالقراءات، وأولّوها عنايتهم، وأوردوها في كتبهم منذ بزوغ شمس التأليف في علوم العربية، إلا أن النحويين لم يكتفوا بذلك، فأرادوا أن يضعوا كتباً متخصصة في فن توجيه القراءات، ذاك الفن الذي يُعنى بذكر وجه القراءة في لغة العرب والتماس الدليل لقراءة كل قارئ «إما بالاستناد إلى قاعدة مشهورة في العربية، أو بالتماس علّة خفية بعيدة الإدراك... أو بالاعتماد على القياس وحشد النظائر»^(١).

إن كتب توجيه القراءات خدّمت القراءات من جهة، وخدمت العربية من جهة أخرى فهي «تَمْرُجُ مستويات الدرس اللُّغَوِيَّ الأربعة ببعض: الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي، وتعدُّ من أرقى الدراسات التطبيقية في اللغة العربية، وهي تمثّل اللُّحمة القويّة بين علوم العربيّة وعلوم القرآن، وتصورُ التآخي بينهما في أعلى مراتبه، وأسمى درجاته؛ لأنّها تتخذ النّصّ المقدّس مجالاً للدّرس، وترومُ خدمته، ورفع ما يحيق بفهمه من حواجز، وتيسير ذلك الفهم من خلال تناوُل لغويّ ميسّر يعتمد التحليل، والإعراب، وذكر النظائر، والاستئناس بالرأي أو الآراء الأخرى، وتخريج ما في القراءة على كلام العرب، أو آراء العلماء ومذاهبهم»^(٢).

ومن أبرز كتب توجيه القراءات المتخصصة التي وصلتنا سالمةً عبر رحلة القرون:

معاني القراءات لأبي منصور الأزهري (ت: ٣٧٠هـ).

الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ).

الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي (ت: ٣٧٧هـ).

المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني (ت: ٣٩٢هـ)

(١) مقدمة تحقيق كتاب حجة القراءات للفارسي: ١٥/١.

(٢) عناية المسلمين بالعربية خدمة للقرآن الكريم: ٦٠.

حجة القراءات لأبي زرعة (ت: ٤٠٣هـ).

الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ).

كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات، لنور

الدين الباقر، الملقب بجامع العلوم النحوي (ت: ٥٤٣هـ).

الموضح في وجوه القراءات وعللها لنصر بن علي الشيرازي المعروف بابن أبي

مريم (ت: ٥٦٥هـ).

إعراب القراءات الشاذة لأبي البقاء العكبري (ت: ٦٦١هـ).

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ).

اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي (ت: ٨٨٠هـ) وإن كان خلطه

بال تفسير.

إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للدمياطي (ت: ١١١٧هـ)، وإن كان

الكتاب عن القراءات لكن يوجه كثيراً منها.

وتلك المؤلفات إما أن توجه القراءات السبع وتقتصر على ذلك كما في كتاب

(الكشف عن وجوه القراءات السبع)، أو أنها تزيد على ذلك فتوجه القراءات العشر

كما في (الموضح في وجوه القراءات وعللها)، أو تقتصر على القراءات الشاذة كما في

(المحتسب)، أو أنها توجه القراءات جميعها متواترها وشاذها كما في (الدر المصون)،

وهي في ذلك بين المقتضب الذي يشير إشارات سريعة دون تفصيل، والمُسهب الذي

يستقصي الوجوه ويحشد الأدلة ويجمع الأقوال ويناقش الآراء، وبعضها متوسط بين هذا

وذاك، فمن الكتب التي جرت على الاختصار والاقتضاب: معاني القراءات لأبي منصور

الأزهري، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه، والمحتسب لابن جني، فهذه الكتب

تكاد تقتصر على الوجه والوجهين في توجيه القراءة، ويكون للمؤلف رأيه المحدد دون

ذكر لآراء أخرى، ومن الكتب التي توسطت بين الإسهاب والاقتضاب وذكرت عدداً من

الأقوال والآراء: الكشف لمكي الذي وصف منهجه بقوله: «واختصرنا الكلام في العلل

غاية ما قدرنا من غير أن نكون قد أخللنا بعله، أو تركنا حجة مشهورة، وأوجزنا العلل خوف التطويل»^(١).

أما الكتب التي أسهبت وتوسعت في ذكر الأقوال فيأتي في صدارتها الحجة لأبي علي الفارسي الذي قال فيه تلميذه ابن جني: «فإن أبا علي - رَحِمَهُ اللَّهُ - عمل كتاب الحجة في القراءات، فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يحفو عنه كثير من العلماء»^(٢).

وقال محققو الكتاب عن منهج أبي علي: «وهو في أثناء ذلك غزير متدفق، يشقق المسائل، ويقلّب النظر فيها من كل جانب، ويشرح فيطيل، ويستطرد فيمعن في الاستطرد»^(٣).

ولا يعني هذا التطويل أنه غير مفيد، أو أنه حشو كلام، إنما هو أسلوب في التأليف يعتمد على الاستطرد ليثري القارئ بأمور لها علاقة بالقراءات، وتكون مناسبة الحديث عنها مواتية في ذاك الموضع.

ومما سار على نهج التفصيل وذكر الأقوال والأوجه المتعددة كتاب «الدر المصون» للسمين الحلبي الذي حاول جاهداً أن يحصر القراءات متواترها وشاذها، ويذكر كل ما قيل في توجيه تلك القراءات، وأن يتعقب من سبقه ويستدرك عليه «ومن النادر أن يُغفل السمين قراءَةً ما شاذةً أو متواترةً، وقد نجد في هذا الكتاب أكثر من عشرين قراءَةً لكلمة قرآنية، ونجد إلى جانبها آراء العلماء وتوجيهها»^(٤).

ومن هنا يظهر جلياً أن النحويين مُتَنَوِّعُو الطرح، مُخْتَلِفُو المنهج في استعراضهم للقراءات وتوجيهها، وذلك أمر يتيح فرصةً للقارئ ليختار ما يناسب حصيلته العلمية، وينتقي الأسلوب الذي يرضيه؛ إذ هو غير محصور بلون واحد من التأليف أو نهج متحد في الثقيف، بل أمامه أفنان مختلفة بيّد أنها في الهدف متفقة، وهو خدمة القراءات القرآنية، وإثراء الدرس اللغوي المبني على القراءات.

(١) الكشف: ٣٩٣/٢.

(٢) المحتسب: ١٠٦/١.

(٣) مقدمة التحقيق لكتاب الحجة: ص: ٣٠ - ٣١ (تحقيق علي النجدي ناصف و زملاؤه).

(٤) مقدمة تحقيق الدر المصون: ص: ٣٢.

ولم يكتف المتقدمون عند توجيههم للقراءات بذكر وجهٍ أو وجهين، بل حاول كثير منهم استقصاء الأوجه الإعرابية المحتملة في كل قراءة، خاصة المتأخرين منهم كأبي حيان الأندلسي والسمين الحلبي.

ومحاولة الاستقصاء وتتبع الأوجه الإعرابية ينتج عنها فهمٌ أكثر لمعاني الآيات، وتفتيقُّ للأذهان في تمعن الدلالات، وبما أن الإعراب فرع عن المعنى في كثير من الأحيان، فلا غرور ولا عجب أن يجتهد أصحاب التوجيه في تتبع تلك الأوجه الإعرابية واستدراك ما فات السابقين، فهذا ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) في المحتسب ذكر أنه بسط القول في توجيه القراءات التي اكتفى السابقون بالتعريض على شيء مما فيها، فقال: «وكان مَنْ مضى من أصحابنا لم يضعوا للحجاج كتاباً فيه [أي في الشاذ]، ولا أولوه طرفاً من القول عليه، وإنما ذكروه مروباً مسلماً مجموعاً أو متفرقاً... فحسن بل وجب التوجه إليه، والتشاغل بعمله، وبسط القول في غامضه ومشكله»^(١).

ولو بحثنا عن مثال آخر بعد عهد ابن جني بفترة لألفينا ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٦هـ) مثلاً واضحاً للحرص على التقصي، وذلك في (المحرر الوجيز) وهو كتاب في التفسير إلا أنه اعتنى بتوجيه القراءات، وأبان عن منهجه بقوله: «وقصدت تتبّع الألفاظ حتى لا يقع ظفرٌ كما في كثير من كتب المفسرين... وقصدت إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذها، واعتمدت تبين المعاني وجميع محتملات الألفاظ، كل ذلك بحسب جهدي وما انتهى إليه علمي»^(٢).

فقد ذكر أن بعض السابقين قفّر بعض الدلالات الألفاظ ومعانيها ومن ضمن ذلك معاني القراءات التي أشار إلى عنايته بها وإيراده لكل وجه محتمل فيها.

لكن أصدق مثال على تقصي الأوجه الإعرابية موجود عند أبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) وتلميذه السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، فقد أوضح كل منهما أنه عمد إلى ذلك، فأبو حيان في البحر المحيط ظهر مهتماً بـ«القراءات شاذها ومستعملها، ذاكرة توجيه

(١) المحتسب: ١/ ١٠٥.

(٢) المحرر الوجيز: ١/ ٣٤.

ذلك في علم العربية، ناقلاً أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها، متكماً على جليها وخفيها^(١).

والسمين الحلبي جعل كتابه (الدر المصون) خاصاً بإعراب القرآن الكريم وتوجيه القراءات القرآنية، وأمضى عقوداً في ذلك يتتبع ويتقصى ويستدرك، وهذا ما يشير إليه قوله: «ولم أَلْ جهداً في استيفاء الكلام على مسائل هذا الكتاب، فإني تعرضت للقراءات المشهورة والشاذة وما ذكر الناس في توجيهها ولم أترك وجهاً غريباً من الإعراب وإن كان واهياً... وهذا التصنيف - في الحقيقة - نتيجة عمري وذخيرة دهري، فإنه لب كلام أهل هذه العلوم»^(٢).

إن هذا الحرص الشديد على الاستقصاء وذكر الآراء ينبئ عن العناية الشديدة بالقراءات القرآنية واستقاء الفوائد اللغوية منها، وهذا ما لا نجده - مثلاً - في الشعر الذي يُكتفى في إعرابه بوجه أو وجهين، وهذا يدل دلالة ساطعة على أن علماء العربية الأوائل أدركوا ما للقراءات من أهمية، وما لتوجيهها من مزية، فما تركوا شاردة ولا واردة إلا ذكروها، كل حسب علمه وطاقته.

إن محاولة الاستقصاء والتحري عن وجوه جديدة لم تذكر من قَبْل هي التي جعلت علم توجيه القراءات يمتد طوال هذه القرون، وتتوالى مواكبه لتتغير في عصرنا كواكبه.

(١) البحر المحيط: ١ / ٤.

(٢) مقدمة الدر المصون ص: ٥-٦.

المبحث الثاني

التعامل مع القراءات عند المحدثين

عُني اللغويون المحدثون بالقراءات كما عُني الأقدمون بذلك، إلا أنه في العصر الحديث اتجهت الأنظار صوب المعامل الصوتية، وأجهزة قياس الصوت بجزء من الثانية، وهذه المعطيات أسهمت في إعادة النظر فيما قاله الأقدمون، ولسنا بصدد الحكم على المحدثين من حيث الخطأ والصواب فتلك مسألة أخرى، وإنما المقصود أن المحدثين ولا سيما المتخصصين في (علم اللغة) اهتموا بالقراءات القرآنية، ودرسوها واستنبطوا أحكاماً لغوية من خلالها، مُقَرَّرِينَ «أنَّ قراءات القرآن هي الوثيقة التاريخية التي نطمئن إليها في فقه اللغة الفصحى من جميع نواحيها، الوثيقة التي تنتقل إلينا بالصورة والصوت معاً، يتوارثها القراء جيلاً بعد جيل ... إذ إنَّ هذه القراءات على اختلاف رواياتها سَجَلٌ دقيق لما كان يجري في كلام العرب من تصرفات صوتية ولغوية»^(١).

وهذا ما سنتبينه في العناصر الآتية:

١- دراسة القراءات القرآنية وفق علم اللغة الحديث:

مهّد علماء اللغة القدامى الطريق لدراسة القراءات صوتياً، بعد أن تركوا «مصنفات شتى في القراءات السبع والقراءات العشر وغيرها؛ ضمت بين جنباتها الثر الوفير من علوم اللغة العربية، ولا سيما علم الأصوات اللغوية، الذي أدهش ... علماء الغرب في الدراسات الألسنية المعاصرة. والحق الذي لا مرأى فيه، أن دارس العربية إن لم يطلع على القراءات القرآنية وما فيها من الظواهر الصوتية والنحوية غاب عنه الكثير من أسرار هذه اللغة المعطاء»^(٢).

ومما لا شك فيه أن القراءات القرآنية «هي الأساس في أية دراسة صوتية؛

(١) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: ص: ٩.

(٢) مقدمة التحقيق لكتاب الكنز في القراءات العشر ١/٧.

لمحافظتها على النطق العربي الأصيل وتمثيلها لجميع لهجات العرب»^(١).

وتشمل تلك الدراسات المقاطع الصوتية في القراءات التي يشيع فيها ثلاثة مقاطع: مقطع صغير (ص ح)، مقطع متوسط مفتوح (ص ح ح)، مقطع متوسط مقفل (ص ح ص)^(٢).

كما تشمل تلك الدراسات المظاهر الصوتية في القراءات، كالإدغام والإمالة وتخفيف الهمز ... إضافة إلى أن القراءات القرآنية «أصل المصادر جميعاً في معرفة لهجات العربية؛ لأن منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كل الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر، بل يختلف عن طرق نقل الحديث»^(٣).

إن هذه الأهمية للقراءات صوتياً حداً ببعض كليات اللغة العربية لإقرار مادة (اللهجات والقراءات القرآنية)^(٤)، إضافة للرسائل العلمية (ماجستير، دكتوراه) في دراسة القراءات صوتياً.

ومن أمثلة تلك الرسائل^(٥):

منهج أبي حيان الأندلسي في اختياراته من القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة المعاصر (دكتوراه) - جامعة عين شمس، ١٩٨٩، للباحث: يحيى عطية القاسم.

التحليل النطقي والإكوستيكي للظواهر الصوتية في القراءات الشاذة، (دكتوراه) - جامعة اليرموك، ٢٠٠٣، للباحثة: عبير نواف بني مصطفى.

الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النحو: دراسة صوتية، (دكتوراه) - الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤، الطاهر محمد المدني علي.

(١) البنية المقطعية وأثرها الدلالي في القراءات القرآنية (بحث للدكتور محمد إسماعيل محمد، مجلة آداب الراغبين، العدد ٥٤)

(٢) السابق.

(٣) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ٨٣-٨٤.

(٤) انظر على سبيل المثال موقع جامعة أم القرى الإلكتروني (توصيف مقررات قسم اللغة العربية) وموقع جامعة

المنوفية بمصر / كلية الآداب www.menofia.edu.eg/faculty_generalInfo.asp

(٥) انظر على سبيل المثال الموقع الإلكتروني (مركز الإمام أبي عمرو الداني) www.Addani.ma.

الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، (دكتوراه) - جامعة حلب، ٢٠٠٥ للباحث: عبد البديع النيرباني.

القراءات العشر في ضوء الدرس الصربي (دكتوراه) - جامعة دمشق ٢٠٠٦ للباحث: محمود ناصر نصار.

التوجيه اللغوي للقراءات التي تفرد بها أبو جعفر، (ماجستير) - جامعة اليرموك، ١٩٩٢ للباحث: يوسف عبد الله خليل العقيل.

المبرد والقراءات القرآنية: دراسة لغوية، (ماجستير) - جامعة اليرموك، ١٩٩٣ للباحث: أحمد عبد الكريم سالم كليب.

توجيهات مكي للقراءات القرآنية من وجهة نظر نحوية في ضوء علم اللغة الحديث، (ماجستير) - جامعة مؤتة، ١٩٩٥ للباحث: منصور عبد الكريم الكفاوين.

معايير الشذوذ في القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث (ماجستير) - جامعة مؤتة، ١٩٩٥ للباحث: شاهر إسماعيل العريبي.

الجوانب الصوتية الوظيفية في توجيه القراءات الشاذة، (ماجستير) - جامعة اليرموك، ١٩٩٨ للباحث: فاتنة جمال مفلح.

معايير التوجيه الفونولوجي للقراءات السبع عند أبي زنجلة في حجة القراءات، (ماجستير) - جامعة مؤتة، ٢٠٠١ للباحثة: رانية السقرات.

ما انفرد به أبو عمرو بن العلاء من القراءات: دراسة لغوية تحليلية، (ماجستير) - جامعة مؤتة، ٢٠٠٢، للباحث: نايف محمد سليمان النجادات.

كتاب (معاني القراءات) لأبي منصور الأزهري دراسة لغوية (ماجستير) - جامعة الموصل ٢٠٠٥ للباحثة: ربي ذنون يونس الملا ذنون.

التوجيه الصوتي للقراءات الشاذة في كتاب مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ماجستير) - جامعة مؤتة ٢٠٠٦ للباحث: عثمان الدراوشة.

٢- الفرع إلى القراءات لإثبات نظرية لغوية أو رأي محدد.

يبي المحدثون ما للقراءات من قداسة ومكانة؛ لذا حاول الكثير منهم أن يستشهد بالقراءات لإثبات آرائه ونظراته اللغوية، ليضفي على رأيه قداسة ووجاهة، فعلى سبيل المثال جنح إبراهيم أنيس في نظريته (قصة الإعراب)^(١) للقراءات ليثبت أن الأصل في الكلمات تسكين الآخر، ولسنا بصدد الرد عليه أو ذكر من ردوا عليه، لكن ما يعيننا هنا أن المعنيين بالدراسات الصوتية حاولوا أن يوظفوا القراءات في درسهم الصوتي، ويوجهوها وفق نظرياتهم الخاصة، وهذا ما نجده واضحاً عند إبراهيم أنيس، ولا يختلف تلميذه الدكتور عبد الصبور شاهين عنه كثيراً في توظيفه للقراءات والاستنتاج بها لإثبات ما يراه، كما في كتابه (أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي)، فما قاله في هذا الصدد «نخالف سيبويه ومن تبعه في جعله الإسكان في الإدغام ناشئاً عن تلاقي أصوات ذات صفات معينة، ونذهب إلى أنه نظام مقطعي التزمته لهجات القبائل... كما جاز أن تُقرأ به نصوص القرآن في جملة قراءات مروية، وفي مقدمتها قراءة أبي عمرو بن العلاء»^(٢).

إذن هو يخالف إمام النحويين مستدلاً على أن هناك مقطعا صوتيا ورد كثيراً في القراءات ومن ضمنها قراءة أبي عمرو، وهو ناتج عن اختلاف لهجي وليس كما علل سيبويه.

وحاول الدكتور شاهين أن يثبت أن تخفيف عين الكلمة -إذا كانت حركتها الفتحة- سائغٌ، معتمداً على قراءة أبي عمرو، وأن النحويين أخطأوا عندما منعوا ذلك، فما قال في هذا المقام: «إن ظاهرة إسكان عين الكلمة تميمية وأن اختيار أبي عمرو لرواية الإسكان في غالب هذا الباب قد يكون ناشئاً عن اعتزازه بلهجة قومه... كما وضح أن هذا الإسكان جارٍ في عين الكلمة مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة، بخلاف ما قرره النحاة من اقتصاره على المضموم والمكسور دون المفتوح»^(٣).

وعلى هذا النحو سار في كتابه.

(١) انظر: من أسرار اللغة، الفصل الثالث: ص: ١٧٠ وما بعدها.

(٢) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٣٩٠.

(٣) السابق: ٣٣٦.

٣- وضع فهرست أو معاجم للقراءات القرآنية.

اهتم بعض المختصين باللغة العربية بتتبع ألفاظ القرآن الكريم بقراءاته المختلفة، ووضعوا ما يشبه الفهرست لتلك القراءات، ومن أصدق الأمثلة على ذلك كتاب (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) للشيخ محمد عبد الحالح عزيمة، الذي قال في مقدمته: «استهدفْتُ أن أصنع للقرآن الكريم معجماً نحوياً صرفياً، يكون مرجعاً لدارس النحو، فيستطيع أن يعرف متى أراد أَوْقَعَ مثل هذا الأسلوب في القرآن أم لا ؟ وإذا كان في القرآن فهل ورد كثيراً أو قليلاً، وفي قراءات متواترة أو شاذة؟»^(١).

وقد أوضح عزيمة - رَحِمَهُ اللهُ - الدافع لوضع هذه الفهرست لألفاظ القرآن الكريم بقراءاته المختلفة، قائلاً: «وكان تعويل النحويين على الشعر ثغرةً نفذ منها الطاعنون عليهم؛ لأن الشعر رُوي بروايات مختلفة؛ كما أنه موضعُ ضرورة. لهذا مسَّت الحاجة إلى إنشاء دراسة شاملة لأسلوب القرآن الكريم في جميع رواياته؛ إذ في هذه القراءات ثروة لغوية ونحوية جديرة بالدرس، وفيها دفاعٌ عن النحو، تعضد قواعده، وتدعم شواهده»^(٢). وجاء ترتيبه للقراءات وفقاً للأداة النحوية، أو الموضوع الصرفي أو النحوي، وتلك أقسام كتابه الثلاثة (الأدوات، الصرف، النحو)، فهو لا يرتب القراءات حسب لفظة القراءة، وإنما حسب الموضوع، ثم يرتب القراءات - غالباً - حسب ترتيب السور. وهناك كتب معجمية اختصت بألفاظ القراءات، ووضَّعها متخصصون في اللغة من أشهرها:

١- معجم القراءات القرآنية من إعداد د. أحمد مختار عمر، ود. عبد العال سالم مكرم، وقد أودعا في هذا الكتاب مجموعة ضخمة من القراءات المتواترة والشاذة مع إشارة إلى مصادر كل قراءة، وقد رَجَعَا إلى عشرين مرجعاً أصلياً منها ما هو مختص بالقراءات كالتيشير للداني والنشر لابن الجزري، ومنها ما هو مختص بتوجيه القراءات، كاللحجة لأبي زرة والكشف لمكي، ومنها ما هو من كتب التفسير كتفسير الطبري وتفسير

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم (المقدمة) القسم الأول، الجزء الأول، ص: ١.

(٢) السابق ص: ٢.

القرطبي^(١).

والمعجم مرتب حسب السور، ابتداء من سورة الفاتحة وانتهاء بسورة الناس، ففي كل سورة يُذكر ما فيها من قراءات مع ذكر للقراء والمصادر التي وردت القراءة فيها، وتُكتب القراءة بلفظها وضبطها، وهذه من ميزات الكتاب فهو لا يجري على ما سار عليه الأقدمون من ذكر توصيف للقراءة، دون ذكرٍ للفظها، فمثلاً في هذا المعجم ذكروا ألفاظ القراءات في (عليهم)^(٢). وهي: عَلَيْهِمْ، عَلَيْهِمْ، عَلَيْهِمْ، عَلَيْهِمْ، عَلَيْهِمْ، عَلَيْهِمْ، عَلَيْهِمْ.

وجاء المعجم على شكل جداول، كل جدول من ستة أعمدة (مسلسل، رقم الآية، النص المصحفي، أوجه القراءة، القارئ، المصدر)، وهذه الأعمدة أخذت حيزاً كبيراً؛ لأن رقم الآية مثلاً يكون تحته فراغ مستمر لعدة صفحات، مما ضخم حجم الكتاب، وربما لو دُمجت بعض الأعمدة مع بعض، أو استغني عن طريقة الجدولة لكان ذلك أحسن. وعلى أية حال فالكتاب مرجع مهم في ألفاظ القراءات القرآنية المتواتر منها والشاذ.

٢- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته من إعداد د. أحمد مختار عمر مع فريق عمل علمي، وكان القسم الثالث منه مخصصاً للقراءات.

ومن ضمن أهداف هذا المعجم: «إفادة المتخصصين في حقل الدراسات اللغوية والقرآنية من خلال تزويدهم بالمعلومات اللغوية الرئيسة عن كل كلمة من ناحية، وفتح مجالات البحث من ناحية أخرى ... وإعادة النظر في بعض المسائل النحوية والصرفية من خلال الاستفادة من أكبر مادة لغوية موثقة ضمت ألفاظ القرآن الكريم وقراءاته في مكان واحد»^(٣).

وهذه ميزة تسجل لهذا المعجم أنه جمع ألفاظ القرآن والقراءات في مكان واحد

(١) انظر ثبت المراجع الأصلية ورموزها التي في مقدمة معجم القراءات القرآنية، صفحة: ع.

(٢) معجم القراءات القرآنية، ١٢-١٣.

(٣) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته: ص: ١١

يسهل الرجوع إليها، والتنقل بينها، إضافةً إلى توافر نسخة إلكترونية مصاحبة للكتاب الأصلي تُسهّل البحث وتخدم الأصل.

وقد بلغ عدد القراءات الواردة في المعجم (٦١٣٧) قراءة، وبلغ عدد جذور القراءات في المعجم (١٢٥٣) جذراً^(١)، وكان الترميز لمصادر القراءات بستة أرقام:

الرقم (١) للقراءات في كتب القراءات السبع.

الرقم (٢) للقراءات في كتب القراءات العشر.

الرقم (٣) للقراءات في كتب القراءات الأربع عشرة.

الرقم (٤) للقراءات في كتب شواذ القراءات.

الرقم (٥) للقراءات في المصادر العامة.

الرقم (٦) للقراءات في كتاب معجم القراءات القرآنية.

إن هذا المعجم أفاد من التقنية الحديثة بحصر الكلمات والألفاظ وفهرستها وتصنيفها، وهو عمل نتج عن تكاتف الجهود من فريق عمل متكامل، إلا أنه يؤخذ على الكتاب صغر الخط وتزاحم الأسطر وكثرة الرموز الاصطلاحيات التي لا تُفهم إلا بعد طول تأمل، مع حشر ذلك في مجلد واحد فقط، وكان من المتوقع أن يكون في عدة مجلدات، إلا أن هذا لا يقلل من هذا العمل الضخم والجهد الجبار الذي خدم علوم القرآن وعلوم العربية.

٣- معجم القراءات القرآنية للدكتور: عبد اللطيف محمد الخطيب، وهو معجم ضخم، بلغ أحد عشر مجلداً ضخماً، وذكر مؤلفه أنه عمل في تجميع مادته مدة خمس وعشرين سنة، وأوضح أهميته بأن من «أراد علماً قرآنياً له تاريخه ورجاله فدونه ما في هذا المعجم، فهو الغاية، ومن أراد نحواً وصرفاً ولغةً يصدر فيها عن كتاب الله ويمتاع فيها من مَعِينِهِ فليُنظر فيما سقته إليه، فإن فيه من الخير والفضل ما لا تجده مجموعاً في مؤلفات النحو والصرف إلا نُتَقاً وتفريقاً، إنه نحو الفطرة الذي وقته نصيبه القراءَةُ

(١) السابق: ص: ٣٤

القرآنية متواترها وشاذها»^(١).

ومن المزايا لهذا المعجم: أن مصنف المعجم كان حاضراً في كل معالجة نحوية أو صرفية للقراءات، وكان حرصه ظاهراً في إيراد ما اتصل بلغات العرب فأعطى تصوراً عن التوزيع الجغرافي للهجات إلى غير ذلك من مزايا الكتاب^(٢).

والكتاب لا يكتفي بذكر القراءة وقرائها، بل يتعداه إلى ذكر بعض الأقوال والتوجيهات للقراءات التي تحتاج لذلك.

وفي نظري لو أن الكتاب قُسم قسمين: أحدهما للقراءات المتواترة، والآخر للقراءات الشاذة، لكان ذلك أدعى للفهم، وأبعد عن السأم، وأخف للقارئ، وأكثر تخصصية، على الرغم مما ينتج عنه من تكرار للمواضع لكنه تكرر تقتضيه حاجة التقسيم والتبويب.

٤- إيراد القراءات وتوجيهها عبر المواقع الإلكترونية:

تزخر الشبكة النّتيّة بعدد كبير من المواقع المتخصصة باللغة العربية، منها المتعمق، ومنها المتوسط، ومنها المتواضع في طرحه، لكن في خضم هذا البحر المتلاطم من الصفحات الإلكترونية، تجد مواقع متميزة ورصينة وتفاعلية، تتناول القراءات القرآنية إما بالاستشهاد أو توجيه لبعض منها، أو إجابة عن أسئلة واردة حول قراءة من القراءات، أو ذكر لبعض كتب توجيه القراءات، وهذا الحراك العلمي الإلكتروني يسهم في نشر القراءات، ومعرفة بعض أوجهها في العربية، على الرغم من أن تلك المواقع ما زالت في البدايات، وتحتاج إلى وقت لينضج ما يعرض فيها، لكنها أسهمت إسهاماً ملحوظاً في هذا المجال، ومن أمثلة تلك المواقع:

مجمع اللغة العربية الأردني www.majma.org.jo:

مجمع اللغة العربية بالقاهرة: www.arabicacademy.org

موقع الفصيح: www.alfaseeh.com/v

(١) معجم القراءات للخطيب: ١/ ٢٤.

(٢) انظر: تقريظ الدكتور سعد مصلوح في بداية الكتاب: ١/ ١٨.

منتدى اللسانيات: (www.lissaniat.net)

مجلة اللسان العربي: www.arabization.org.ma

شبكة صوت العربية: www.voiceofarabic.com

إن هذه المواقع وسيلة حديثة للتعرف على القراءات المختلفة ومعرفة توجيهاتها، ونشر كتب الأقدمين من خلالها، وذاك جهد مشكور، وعمل غير منكور.

الخاتمة

عُني هذا البحث بالجهود التي بذلها علماء اللغة الأوائل وكذا الأواخر في سبيل خدمة القراءات القرآنية، وقد تنوعت مظاهر تلك الخدمة، من توجيهٍ للقراءات واستقصاءٍ لأوجهها في العربية كما هو الحال عند الأقدمين، إلى قيام دراساتٍ لغويةٍ حول القراءات القرآنية كما هو الحال في وقتنا الحاضر، وهذه الجهود تدل دلالة واضحة على اهتمام المتخصصين في علم العربية بالقراءات القرآنية، وأن لها مكانة عظمى لديهم، ولا غَرَوَ ولا عَجَبَ في ذلك، فتلك القراءات منطلقة من القرآن الكريم المعجز ببلاغته وفصاحته، وهو المصدر الأول لعلوم العربية.

إن هذه الجهود تدحض ما أشيع من عدم احترام النحويين للقراءات، وإنما حدث لَبَسٌ عند بعضهم، فتوهمَ عدمَ صحة بعض القراءات فأنكرها، ولو علم بثبوتها وتيقنَ لما حاد عنها قيد أنملة، هذا بشكل عام، لكن لا يعني أنه لا يوجد بعض اللغويين الذين حادوا عن الصواب وتمادوا في إنكار بعض القراءات اتباعاً لمنهج عقدي كالفارسي وابن جني، أو لتوهم أن القراءة لا تصح إذا خالفت القواعد العامة للنحو العربي كما هو عند عدد من النحويين واللغويين.

وكان للمُحدِّثين جهود مثمرة وأعمال مشرقة في الاهتمام بالقراءات القرآنية والاحتفاء بها، من دراسة لها ووضع معاجم خاصة بها إلى غير ذلك.

المراجع

١. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د/ عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
٢. أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية، د/ عبد العال سالم مكرم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
٣. الاحتجاج بالقراءات القرآنية في شواهد كتاب شواهد التوضيح والتصحيح، د: إبراهيم الأركي، د. عثمان الأركي، مجلة ديالى، العدد الخامس والعشرون ٢٠٠٧م.
٤. الأخفش الأوسط أمقلد هو أم مجود (مقال) د. عبد الكريم بن محمد الأسعد، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٣٨، لسنة ١٤١٣هـ / ١٤١٤هـ.
٥. الاقتراح للسيوطي، تعليق: د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.
٦. البحر المحيط لأبي حيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
٧. البنية المقطعية وأثرها الدلالي في القراءات القرآنية (بحث للدكتور محمد إسماعيل محمد، مجلة آداب الرافدين، العدد ٥٤).
٨. جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٩. الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي، تحقيق: أ.د / عبد الفتاح شلبي، د/ عبد الحليم النجار، علي النجدي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م. بـ تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجاني، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
١٠. الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، تحقيق: د / عبد العال مكرم، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ.

١١. حجة القراءات، لأبي زرعة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
١٢. جهود سيبويه في التفسير (مقال للدكتور: أحمد الخراط) مجلة البحوث والدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، العدد الأول.
١٣. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحقيق: د/ أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
١٤. شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق: د/ عبد المنعم هريدي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
١٥. عناية المسلمين باللغة العربية خدمةً للقرآن الكريم: د. أحمد الخراط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
١٦. عناية المسلمين باللغة العربية خدمةً للقرآن الكريم: د. سليمان بن إبراهيم العايد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
١٧. قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني، د. محمد حسن عواد، بحث منشور في المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، المجلد السابع ١٤٣٣هـ / ٢٠١١م.
١٨. الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
١٩. الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د/ محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
٢٠. الكنز في القراءات العشر لابن المبارك التاجر الواسطي، تحقيق: د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
٢١. اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٢٢. المحتسب لابن جني، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٢٣. المحرر الوجيز لابن عطية، تحقيق: د/ عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٢٤. المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة السابعة.
٢٥. معاني القراءات لأبي منصور الأزهري، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٢٦. معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق: د/ عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٢٧. معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
٢٨. معجم القراءات القرآنية، إعداد: د. أحمد عمر مختار ود. عبد العال سالم مكرم، جامعة الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٢٩. من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٣م.
٣٠. موقف اللغويين من القراءات الشاذة، محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
٣١. موقف النحاة المعاصرين من القراءات القرآنية (الشيخ محمد عضيمة نموذجاً) د. سليمان العايد، بحث منشور على الشبكة العالمية (الإنترنت).
٣٢. النشر في القراءات العشر لابن الجزري، تصحيح: علي محمد الضباع، دار الفكر.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١٩	مُلَخَّصُ الْبَحْثِ
٢٠	المقدمة
٢٣	المبحث الأول: تعامل اللغويين القدامى مع القراءات
٢٣	١- الاحتكام إلى القراءات القرآنية في مواطن الخلاف النحوي
٢٥	٢- إيراد القراءات القرآنية والاستشهاد بها
٣٠	٣- توجيه القراءات وتتبع أوجه الإعراب المحتملة فيها
٣٥	المبحث الثاني: التعامل مع القراءات عند المُحْدِثِينَ
٣٥	١- دراسة القراءات القرآنية وفق علم اللغة الحديث
٣٨	٢- الفرع إلى القراءات لإثبات نظرية لغوية أو رأي محدد
٣٩	٣- وضع فهرست أو معاجم للقراءات القرآنية
٤٤	الخاتمة
٤٥	المراجع
٤٨	فهرس الموضوعات

حُكْمُ الْأَلِفَاتِ الَّتِي سَكَتَ عَنْهَا الْإِمَامُ الدَّانِي فِي كِتَابِهِ: (الْمُقْنَعُ)

دِرَاسَةٌ مُرْجِيَّةٌ

د. محمد شفاعت رباني (*)

مُلَخَّصُ الْبَحْثِ

تناول البحث موضوعاً من موضوعات علم الرسم العثماني، وأجاب فيه عن التساؤل المتعلق بحقيقة مذهب الداني في الألفات التي سكت عن التصريح بحكمها، وخلص البحث فيها إلى نتيجة واضحة.

قدم البحث في التمهيد تعريفاً موجزاً بالإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (٣٧١هـ - ٤٤٤هـ)، وتعريفاً موجزاً بكتابه: (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار)، الذي يُعدُّ من أهم الكتب المؤلفة في علم الرسم وأشهرها.

ثم قدّم البحث في المبحث الأول إحصائية تقريبية لجميع الكلمات القرآنية التي جاءت على الأوزان السبعة: (فَعَالٌ، فَعَالٌ، فاعِلٌ، فُعْلَانٌ، مَفْعَالٌ) التي نصّ الداني على إثبات الألف فيها، مع الالتزام بذكر الكلمات التي استثنّاها الداني منها، وجملة ما جاء منها على هذه الأوزان نحو: (٢٥٠٠) كلمة، وفي المبحث الثاني شواهد من: كتاب المقنع، ومن مصادر أصيلة أخرى تنصُّ على إثبات الألف للداني في الكلمات التي سكت عنها في كتابه: (المقنع)، وهي: الوسيلة للسخاوي، والجميلة للجعبري، وتلخيص الفوائد لابن القاصح، الثلاثة من شروح (العقيلة) للشاطبي (ت: ٥٩٠هـ)، والبيان لابن آجط الصنهاجي، وتنبيه العطشان لأبي علي الرجراجي، ودليل الحيران لأبي إسحاق المارغني، الثلاثة من شروح (مورد الظمان) للخزّاز (ت: ٧١٨هـ)، بالإضافة إلى: إرشاد القراء للمخللاتي، وسمير الطالبين للضَّبَّاع، ومن كتب المعاصرين: «الميسر في علم رسم المصحف» للدكتور غانم قدوري الحمد.

وفي الخاتمة أهم النتائج التي خلص اليها.

(*) باحث علمي في مركز الدراسات القرآنية بجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن مظاهر عناية المسلمين بالقرآن الكريم لا تنتهي، وإن جهودهم لخدمة هذا الكتاب الخالد مستمرة تصديقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وإن من أجل ما اعتنوا به وصرفوا إليه همهم هو علم رسم المصحف الشريف، وهو علم من أقدم علوم القرآن، إذ إن مادته ترجع إلى زمن النبي ﷺ عندما أمر أصحابه بتدوينه فيما تيسر من أدوات الكتابة من عُسْبٍ وعظام، وحجارة وِرْقَاع، ثم جمعهو بأمر الخليفة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في الصحف مرتب الآيات، خوفاً من ضياعه، ثم نسخوه بأمر الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المصاحف العثمانية التي أرسلت إلى الأمصار إطفاء للفتنة، وإلغاء للاختلاف، ومن هنا اشتهرت تسميته بـ «الرسم العثماني»، وصار ذلك الرسم أساساً لحفظ النص القرآني وارتبطت به قراءات القرآن الكريم، فصارت موافقته ركناً من أركان القراءة الصحيحة، لذا أُلِّفَتْ في هذا العلم مؤلفات مستقلة من أوائل القرن الثاني الهجري، فكان أول كتاب أُلِّفَ فيه - كما جاء في فهرست ابن النديم^(١) - هو كتاب ابن عامر الشامي المقرئ (ت: ١١٨هـ) بعنوان: (كتاب في اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق).

ومن أشهر المؤلفات وأجلّها في علم مرسوم المصاحف، هو كتاب: (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار) للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤هـ) الذي هو علمٌ بارز من أعلام الدراسات القرآنية عموماً، ومن أعلام علوم القراءات خصوصاً، واشتهر اسمه في علم مرسوم المصاحف، وكيفية ضَبْطِهَا ونَقْطِهَا، وآرائه ومروياته محلُّ اهتمام وعناية من كبار علماء الرسم قديماً وحديثاً، وكتابه (المقنع) من المصادر الأساسية لجميع المؤلفات التي أُلِّفَتْ بعده، وثُعِدَتْ مادة كتابه أساساً لكتاب تلميذه أبي داود سليمان

(١) الفهرست لابن النديم، ص: ٥٦.

ابن نجاح الأموي (ت: ٤٩٦هـ) المطبوع بعنوان: (مختصر التبيين لهجاء التنزيل).
ومما تقرر وشاع بحق عند كثير من علماء الرسم أن منهج الدائي في (المقنع) في
الكلمات التي سكت عنها في باب حذف الألفات وإثباتها هو: الإثبات، لأنه الأصل، وإن
كان أبدى عليه بعض المعاصرين من تحفظات، بحجة: أن السكوت من شيخ لا يقتضي
حكماً^(١)، سواء كان ذلك المسكوت عنه للدائي في (المقنع)، أم لتلميذه أبي داود بن نجاح
في كتابه: (مختصر التبيين).

تكوّنت الفكرة عندي لدراسة هذه الجزئية بشيء من التفصيل، مع رصد لأكبر
عدد ممكن من أقوال علماء الرسم من: شراح (العقيلة) و(المورد)، وغيرهم^(٢) التي تؤيد
ذلك، وتقديمها للدارسين والمهتمين راجياً منهم الاستفادة والإصلاح حول منهج الدائي
المذكور، والتأمل في أن الدائي هل أَلَفَ (المقنع) على منهج واضح، أو أَلَفَ الكتاب ولم تزل
معالم منهجه مبهمة، وعليه يبقى كاتب المصحف متحيراً أمام كلمات لا يعرف فيها رأي
الدائي من خلال كتابه (المقنع)، أيرسمها على الإثبات، أم على الحذف، أو يتوقف؟
ويلزم من هذا الإبهام أن كتاب (المقنع) لم يستطع أن يُقنع كاتب المصحف بمنهج
واضح المعالم في رسم كلمات المصحف جميعها حذفاً وإثباتاً، بل فشل في إقناع العلماء
والكُتّاب الذين أَلَفَ الدائي الكتاب من أجلهم.

(١) مختصر التبيين - قسم الدراسة - ٣٤٧/١.

(٢) وشمل الجرد المظان في أكثر من عشرة كتب: ثلاثة منها من شروح: (عقيلة أتراب المقاصد) للإمام أبي محمد
القاسم الشاطبي (ت: ٥٩٠هـ)، وهي: الوسيلة إلى كشف العقيلة، لأبي الحسن علم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)،
وجميلة أرباب المراسد، لأبي إسحاق إبراهيم الجعبري (ت: ٧٣٢هـ)، وتلخيص الفوائد وتقريب المتباعد، لأبي
البقاء علي بن القاصح (ت: ٨٠١هـ)، وثلاثة منها من شروح: (مورد الظمان في رسم أحرف القرآن)، للإمام أبي
عبد الله محمد الخراز (ت: ٧١٨هـ)، وهي: التبيان، لابن آجظ الصنهاجي (ت: ٧٥٠هـ)، وتنبية العطشان، لأبي علي
الحسين الرجراجي (ت: ٨٩٩هـ)، ودليل الحيران، لأبي إسحاق إبراهيم المارغني التونسي (ت: ١٣٤٩هـ)، بالإضافة
إلى الكتاتين: إرشاد القراء والكتاتين، لأبي عيد رضوان بن محمد المخللاتي (ت: ١٣١١هـ)، وسمير الطالبين في
رسم وضبط الكتاب المبين، للشيخ علي بن محمد الضباع (ت: ١٣٨٠هـ)، ومن كتب المعاصرين: الميسر في علم
رسم المصحف، للدكتور غانم قدوري الحمد، وحواشي مختصر التبيين، والتوجيه السديد، ومخالفات النسخ،
الثلاثة للدكتور أحمد شرشال، وحواشي سمير الطالبين باسم: سفير العالمين، للدكتور محمد أشرف طلعت.

فَتَحَوَّلَتْ هَذِهِ الْفِكْرَةُ عِنْدِي إِلَى بَحْثٍ مُتَوَاضِعٍ، عُنَوَانُهُ: حُكْمُ الْأَلْفَاتِ الَّتِي سَكَتَ عَنْهَا الْإِمَامُ الدَّانِي فِي كِتَابِهِ: (الْمَقْنَعُ)، وَدَرَسْتُ ذَلِكَ فِي مُقَدِّمَةِ وَتَمْهِيدٍ وَمُبْحَثِينَ وَخَاتَمَةٍ: فَاَلْمُقَدِّمَةِ: فِيهَا أَهْمِيَّةُ الْبَحْثِ

وَالْتَمْهِيدِ: فِيهِ تَعْرِيفٌ مُوجِزٌ بِالْإِمَامِ الدَّانِي، وَكِتَابِهِ: (الْمَقْنَعُ) وَالْمُبْحَثَانِ هُمَا:

الْمُبْحَثُ الْأَوَّلُ: ذِكْرُ مَا نَصَّ عَلَى إِثْبَاتِ الْأَلْفِ فِيهِ
وَالْمُبْحَثُ الثَّانِي: ذِكْرُ مَنْهَجِهِ فِيمَا سَكَتَ عَنْهُ
وَالْخَاتَمَةُ: فِيهَا أَهَمُ النَّتَائِجِ

وَفِي الْخَتَامِ أَحْمَدُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِجَمِيعِ مُحَامِدِهِ عَلَى أَنْ وَقَّعَنِي لِلْكِتَابَةِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، وَأَنْ مَنْ عَلَيَّ بِإِكْمَالِهِ، وَأَشْكُرُ كُلَّ مَنْ مَدَّ لِي يَدَ الْعَوْنِ لِإِنْجَاذِهِ، وَأَخْصُ مِنْهُمْ كَلًّا مِنْ: فَضِيلَةِ الدُّكْتُورِ عَبْدِ الْغَفُورِ الْبُلُوشِيِّ حَفَظَهُ اللَّهُ، - مَدِيرَ مَجْلَةِ الْبَحْثِ وَالدراساتِ الْقُرْآنِيَّةِ - الَّذِي شَجَّعَنِي لِكِتَابَةِ هَذَا الْبَحْثِ، وَفَضِيلَةِ الدُّكْتُورِ عَبْدِ الْقِيُومِ السَّنْدِيِّ وَفَقَهُ اللَّهِ، الَّذِي وَقَّرَ لِي مَجْمُوعَةً مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي اسْتَفَدْتُ مِنْهَا فِي تَوْثِيقِ مَادَةِ الْبَحْثِ، فَجَزَى اللَّهُ الْجَمِيعَ خَيْرًا، لِلتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَتَقَبَّلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تَنْتُمُ نِعْمَةً إِلَّا بِفَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ.

التمهيد

التعريف بالإمام الدائي وكتابه: (المقنع)

وفيه فقرتان:

تعريف موجز بالإمام الدائي

تعريف موجز بكتابه: (المقنع)

تعريف موجز بالإمام الدائي:

هو عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الأموي مولاهم، القرطبي ولادة ونشأة، والدائي وطناً، وعُرف في زمانه بـ «ابن الصيرفي» من أجل مهنة والده^(١).
وُلِدَ في (٣٧١هـ) على المشهور^(٢)، وقيل: سنة (٣٧٢هـ)^(٣)، وتربَّى وترعرع في بيئة علمية تفخر بالعلم والأدب، وأوساطٍ ملتزمة بالدين في أسرته، وأسرة والديه^(٤).
وابتداً بطلب العلم سنة (٣٨٥هـ)، وهو ابن أربع عشرة سنة^(٥)، واجتهد في الأخذ عن العلماء وملازمة الشيوخ، فطاف بالبلاد وجال، فرحل إلى كلٍّ من: قرطبة، وإسبجة، وبجّانة، وسرقسطة، وأندة، وغيرها من مدن الأندلس، ثم سافر سنة (٣٩٧هـ) إلى القيروان في تونس، ثم إلى مصر، ثم إلى مكة المكرمة، وحج سنة (٣٩٨هـ)، وعاد إلى الأندلس سنة (٣٩٩هـ)، ونزل بـ (دانية) منها سنة (٤١٧هـ)، وبها تُوفيَّ يوم الاثنين منتصف شوال سنة (٤٤٤هـ)، ودُفِنَ ليوميه بعد العصر، ومشي سلطان دانية أمام نعشه^(٦)، وشيَّعه خلق عظيم^(٧). تغمَّده الله برحمته، وأسكنه فسيح جناته.

(١) انظر: جذوة المقتبس ص: ٣٠٥، ومعرفة القراء ٤٠٦/١.

(٢) وعليه أغلب من ترجم له.

(٣) انفرد به الحموي في معجم الأدباء في ١٢/١٢٥.

(٤) انظر: الصلة ١٢٤/١، ونفح الطيب ٢٢٠/١، ٥٥٨، ومعرفة القراء ٣٨٨/١، وغاية النهاية ٢/٢٨٧.

(٥) انظر: الصلة ١٢٤/١، ونفح الطيب ٢٢٠/١، ٥٥٨.

(٦) وهو إقبال الدولة بن مجاهد العامري.

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء ٨٣/١٨، ومعرفة القراء ٤٠٨/١، وغاية النهاية ١/٥٠٥.

عاش الدائي رَحِمَهُ اللَّهُ فترة زمنية وهي: الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، والنصف الأول من القرن الخامس الهجري، وهي فترة شهدت قلاقل واضطراباتٍ سياسية هزّت العالم الإسلامي من مشرق الأرض إلى مغربها، وفي الوقت نفسه تُعدُّ فترة ذهبية للحركة العلمية والفكرية، ظهر فيها كبار العلماء، بل جهاذتهم، وأساطين المفكرين، بل صناديدهم وأئمتهم، فقد أكمل الله بهم ضَعْفَ الخلفاء ونَقَصَ الحُكَّام في تربية الشعوب وتثقيف الأمم^(١).

وكان حاكم (دانية) في هذه الفترة أبا الجيش مجاهد العامري (ت: ٤٣٦هـ)، وكان ممن يوقّر العلماء ويُجّجّ لهم، وكان لأبي عمرو الدائي صلة قوية به^(٢).

ولقد تتلمذ الدائي على طائفة من أعلام عصره، وروى عن جمع من مشاهير دهره، قد توافرت لديهم كل الخصائص العلمية، واجتمعت فيهم كل المواهب الفكرية، وكانوا أئمة في تخصصاتهم، فبعضهم كانوا أئمة في الحديث وعلومه، وبعضهم كانوا أساتذة في اللغة والنحو والأدب، وبعضهم كانوا مبرزين في التفسير والقراءات، وبعضهم كانوا متفوقين في مسائل الفقه وفروع العبادات، وذكر في أرجوزته أنه أخذ العلم من (٩٠) شيخاً^(٣)، فكثرة الشيوخ تدل على كثرة العلم، والرغبة الصادقة لدى المؤلّف في سبيل طلب العلم.

بلغ الدائي مكانة علمية مرموقة في التفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه واللغة والنحو، إلا أن العلم الذي اشتهر به، وبرز فيه، بل أصبح إمامه بلا منازع فيه، هو علم القراءات وما يتعلق به من العلوم من: الوقف والابتداء، والتجويد والأداء، ورسم المصاحف وضبطها، وما إلى ذلك، وصل فيها إلى منزلة رفيعة جعلته يحتل مكان الصدارة، عن استحقاق وجدارة من بين علماء عصره، لا يتقدم عليه أحد، وقد وُضِعَ له القبول في

(١) انظر: الموضح لمذاهب القراء، لأبي عمرو الدائي، (قسم الدراسة) ص: ٥١-٥٦.

(٢) انظر: معجم البلدان ٤/٣٤٤، ودائرة المعارف الإسلامية ٩/١١٦-١١٨ (الدائي للكاتب محمد بن شنب).

(٣) الأرجوزة المنبهة ص: ٨١-٨٢، وألّف د. عبد الهادي حميتو (معجم شيوخ الحافظ أبي عمرو الدائي)، أوصل فيه شيوخه إلى (٨٧) شيخاً.

الأرض من مغربها إلى مشرقها، وأثنى عليه كل من ترجم له من العلماء^(١)، واشتهر عنه قوله^(٢): «ما رأيت شيئاً قط إلا كتبتُه، ولا كتبتُه إلا حفظتُه، ولا حفظتُه فَنسيْتُه».

واشتهر قول الذهبي عنه^(٣): «الْقُرَّاء خاضعون لتصانيفه، واثقون بنقله في: القراءات، والرسم، والتجويد، والوقف والابتداء، وغير ذلك»، وقال^(٤): «إليه المنتهى في تحرير علم القراءات، وعلم المصاحف مع البراعة في علم الحديث والتفسير والنحو، وغير ذلك».

رحل الإمام الداني من الدنيا، وقد أفنى حياته في طلب العلم والقراءات، وظهر في الأندلس في فترة كان الناس فيها بحاجة إلى إمام في القراءات وعلومها، وذلك لأن اعتناء أهلها بالقراءات كان قليلاً إلى أواخر المائة الرابعة كما يقول أبو حيان الأندلسي^(٥)، فنبغ في هذه الفترة الداني نبوغاً لا يضاهيه أحد في عصره، ولا يتقدم عليه أحد من أقرانه، فأصبح «شيخ زمانه وعلامة أوانه، وصدر عصره ومكانه»^(٦)، عن جدارة واستحقاق إذ تفرغ لها تفرغاً كاملاً، وتحمل المشاق في طلبها وجمعها، ثم في نشرها وإشاعتها، وتصدر حلقات تدريسها وإقراءها، وتجتشم لتنقيح طرقها وتهذيب رواياتها، وألّف فيها «تأليف حساناً مفيدة»^(٧)، وكتباً متقنة مشهورة، انتشرت في

(١) انظر: جذوة المقتبس للحميدي ص: ٣٠٥، والصلة لابن بشكوال ٤٠٦/٢، وإنباه الرواة للقفطي ٣٤١/٢، ومعجم البلدان للحموي ٤٣٤/٢، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٨٠/١٨، والديباج المذهب لابن فرحون ٨٤/٢، ومقدمة ابن خلدون ص: ٢٧٨، وغاية النهاية لابن الجزري ٥٠٣/١، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٥٦/٥، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص: ٤٢٨-٤٢٩، ونفح الطيب للتلمساني ١٣٥/٢-١٣٦، وشذرات الذهب لابن العماد ٢٧٢/٣، وشجرة النور الزكية لمخلوف ١١٥/١، وغيرها.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٨٠/١٨.

(٣) تذكرة الحفاظ ١١٢٠/٣.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٨٠/١٨.

(٥) انظر: منجد المقرئين ص: ٤٥.

(٦) انظر: إنباه الرواة ٣٤١/٢.

(٧) انظر: جذوة المقتبس ص: ٣٠٥.

شرق الأرض كانتشارها في غربها، واعتمد الناس عليها وعدلوا عن غيرها^(١)، فذاع صيته، واشتهر أمره، فَلُقِّبَ فيما بعد بـ «أستاذ الأستاذين، وشيخ مشايخ المقرئين»^(٢)، بل حجتهم وإمامهم، ولم ينازعه أحد في ذلك، لا في عصره ولا بعد عصره، بل الناس عيال عليه في فقه القراءات وعلومها^(٣)، وقد انتفع بعلمه طلاب وعلماء كثيرون.

وهناك دراسات مستقلة ومؤلفات عديدة ألفت خصيصاً للكشف عن: جهود الدائي في علوم القراءات^(٤)، وعن شيوخه التسعين^(٥)، وعن أوهام المؤلفين والمحققين في أسمائهم وتراجمهم^(٦)، وعن مصنفاته في مختلف العلوم^(٧).

تعريف موجز بكتابه (المقنع):

مخطوطاته:

توجد لهذا الكتاب نُسخ خطية كثيرة في العالم، ودُكِرت في الفهرس الشامل^(٨) نسخة في (٢٩) مكتبة في أنحاء العالم^(٩)، عدا النُسخ التي تحتفظ بها مكتبات خاصة، ولم تُقهرس، مما يدل على أهمية هذا الكتاب وانتشاره.

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون ص: ٢٧٨.

(٢) انظر: غاية النهاية ٥٠٣/١.

(٣) انظر: الموضح لمذاهب القراء، لأبي عمرو الدائي - قسم الدراسة - ص: ٨٤.

(٤) انظر: رسالة دكتوراه بعنوان: جهود أبي عمرو الدائي في القراءات - جمعاً ودراسة، أعدها د. حسين العواجي بالجامعة الإسلامية، ونوقشت بتاريخ: ١٤٢٢/٠٢/٢٩ هـ.

(٥) وهو معجم شيوخ الحافظ أبي عمرو الدائي، للدكتور عبد الهادي حميتو، جمع ونقد لما وقع في تراجمهم من أخطاء المؤلفين والمحققين.

(٦) وهو معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الدائي، للدكتور عبد الهادي حميتو، أوصل فيه مؤلفاته إلى (١٧٠) مؤلفاً، ونُبه في آخره على كُتبٍ نُسبت إليه وليست له. وأُنشئ مركز مستقل باسم: (مركز الإمام أبي عمرو الدائي للدراسات والبحوث القرآنية المتخصصة) في مدينة مراكش الحمراء بالملكة المغربية، مما يدل على احتفاء الأمة برجالها.

(٧) انظر: الفهرس الشامل - قسم المصاحف والرسم - ص: ٤٧٣-٤٧٥.

طبعاته:

أول من نشر هذا الكتاب^(١) هو المستشرق الألماني أوتو برتزل بإستانبول عام ١٩٣٢م^(٢)، وأعاد نشره محمد أحمد دهمان بدمشق عام ١٩٤٠م^(٣)، على طبعته المذكورة، مع الرجوع إلى ثلاث مخطوطات في المكتبة الظاهرية، ثم ظهرت طبعة محمد صادق قمحاوي، طبعة دمشق وطبعة الكليات الأزهرية بمصر بلا تاريخ^(٤)، ثم طبعة حسن سري التي صدرت بمصر سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م^(٥)، وطبعة جمال السيد رفاعي التي صدرت بمصر سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، وطبعة فرغلي سيد عرباوي التي صدرت سنة ٢٠٠٨م، ثم طبعة دار التدمرية بالرياض بتحقيق نورة بنت حسن الحميد سنة ١٤٣١هـ، واعتمدت فيها على ثلاث نُسخ خطية، اختارَتها من بين عشرين نسخة اطلعت عليها^(٦)، ثم طبعة د. حاتم صالح الضامن التي نشرتها دار البشائر الإسلامية سنة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م في بيروت، واعتمد فيها على ست عشرة مخطوطة^(٧).

(١) كان كتاب تلميذه ابن نجاح: (مختصر التبيين لهجاء التنزيل) أوفر حظاً من (المقنع)، إذ انتبه له فضيلة الدكتور أحمد شرشال بالجامعة الإسلامية سنة ١٤١٣هـ، فاختار دراسته وتحقيقه من أوله إلى آخره في أطروحته للدكتوراه، فكان موفقاً في اختياره وخدمته، مع الرجوع إلى مصادر كثيرة من أمات الكتب في علم الرسم، المخطوطة منها والمطبوعة، ومن حسن حظّه أن تبني طباعته (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية) بعناية فائقة وبألوان عديدة، فانتشر الكتاب في أنحاء العالم، فكان للمحقق والمجمع النصيب الأكبر في خدمة هذا الكتاب العظيم ونشره، وانتفع به الطلاب والعلماء على حدّ سواء، وكان للمحقق وفقه الله دورٌ كبيرٌ في نشر الثقافة المتعلقة بعلم الرسم، فاستفاد منه الكثيرون، ولا سيما المشتغلون بتحقيق التراث المتعلق بعلم الرسم، فجزاه الله خيراً، وجعل ذلك في ميزان حسناته، وأتمنى من المحقق أن يراجع الكتاب من جديد من أوله إلى آخره في طبعاته اللاحقة، فربما تكون مراجعته أنفع له ولكتابه ولطلابه.

(٢) انظر: المقنع بتحقيق محمد أحمد دهمان: ص: ١.

(٣) انظر: المصدر المذكور: ص: ٣-٤.

(٤) انظر: المصدر المذكور بتحقيق قمحاوي: ص ١-٧.

(٥) انظر: المصدر المذكور بتحقيق د. حاتم الضامن: ص: ١٧.

(٦) انظر: المقنع بتحقيقها: ص ٩٣-٩٨.

(٧) انظر: المصدر المذكور بتحقيق د. حاتم الضامن: ص: ٥-٦، و٦٧.

منهجه العام^(١):

إن كتاب (المقنع) لم يتتبع ظواهر الرسم في المصحف سورة سورة، وآية آية من أول المصحف إلى آخره، مثل كتاب: (مختصر التبيين لهجاء التنزيل) لابن نجاح (ت: ٤٩٦هـ)، و(نثر المرجان) لمحمد غوث الأركاقي الهندي (ت: ١٢٣٨هـ)، بل سلك فيه مسلك الإيجاز والاختصار بذكر حكم الكلمات الماثلة في مكان واحد مع ذكر أمثلة منها، على شكل أبواب وفصول، مثل كتاب أبي العباس المهدوي (ت بعد: ٤٣٠هـ): (هجاء مصاحف الأمصار)، معتمداً على المصاحف العثمانية أو المنتسخة منها، وعلى الروايات التي يرويها بأسانيده المتصلة إلى أصحابها من: نافع بن أبي نعيم القاري (ت: ١٦٩هـ)، والقاسم بن سَلام (ت: ٢٢٤هـ)، ونُصير بن يوسف (ت: ٢٤٠هـ)، وغيرهم مع تمحيصها وتدقيقها، وعلى كتب علماء الرسم ممن سبقه كالغازي بن قيس (ت: ١٩٩هـ)، ومحمد بن عيسى الأصبهاني (ت: ٢٥٣هـ)، وأبي بكر بن الأنباري (٣٢٨هـ).

ويتميّز (المقنع) ببيان شامل لرسم جميع مصاحف الأمصار، ولم يقتصر على مصر بعينه، ونظمه الشاطبي (ت: ٥٩٠هـ) في (العقيلة)، واتفق العلماء على أهميته، وأنوا عليه^(٢)، وقد اعتمد عليه وعلى مروياته مَنْ جاء بعده، وأشهرهم تلميذه أبو داود بن نجاح في كتابه الشهير: (مختصر التبيين)^(٣)، وقد صرَّح باسم الكتاب في سورة الأنعام^(٤)، والفرق بين كتاب الداني وكتاب ابن نجاح أن الداني في (المقنع) ذكر مروياته عن المصاحف بتحديد كلمات بقيودها في سورها، وسكت عما عداها، إشارة إلى بقائها على الأصل الذي هو الإثبات والموافق للقياس، وقد صرَّح باختياره القياس في كتابه^(٥)، أما أبو داود فمن

(١) انظر: ما كتبه د. أحمد شرشال في مختصر التبيين - قسم الدراسة - ٣٢٨/١، وما بعدها، وما جاء في المقنع بتحقيق نورة، قسم الدراسة ص: ٦٦، وما بعدها.

(٢) انظر: الوسيلة ص: ١١، والجميلة ص: ٢٤٩، ومورد الظمان ص: ٨.

(٣) انظر: مختصر التبيين - قسم الدراسة - ٢٩٩/١، ٣٢٨.

(٤) انظر: مختصر التبيين ٤٩١/٣، وانظر أيضاً ٢٧٦/٢.

(٥) انظر: المقنع (دهمان): ص ٢٥-٢٦.

منهجه ضمُّ النظير إلى مثله في الحكم، تقليلاً للخلاف وطرذاً للباب^(١)، وذلك راجع إلى روايته عن شيوخه، أو معانيته في المصاحف المظنون بها الصحة، أو الاجتهاد والقياس، وصرَّح بالأخير في مواضع من كتابه:

منها ما قال في سورة غافر (٥٦) في قوله: ﴿يَسْلِفِيهِ﴾^(٢):

«بغير ألف، وكذا رسمه عطاء، ورؤينا عن نافع^(٣)، في قوله في المائدة: ﴿بَلَعَ الْكَبَّةَ﴾ [٩٥] بغير ألف، وأحسبه اكتفى بذكر ذلك هنالك عن هذا، ولم يذكره».

ومنها ما قاله في سورة آل عمران عطفاً على حذف الألف^(٤):

«وبين الكاف والراء من: ﴿وَالْأَبْكَرِ﴾ [آل عمران: ٤١]، كذا رسمه الغازي بن قيس هنا، ولم يذكر الذي في غافر [٥٥]، وأحسبه اكتفى بذكر هذا عن ذلك».

فما ذكره أبو عمرو الداني في (المقنع) من منهج الرسم يمثِّل مدرسةً مستقلةً^(٥)، وما ذكره تلميذه ابن نجاح في (مختصر التبيين) يمثِّل مدرسةً ثانيةً مستقلةً عنها^(٦)، وافق فيها شيخه في أشياء وخالفه في أشياء، وكذلك ما يرويه أبو الحسن البلنسي (ت بعد: ٥٦٧هـ) يمثِّل مدرسةً ثالثةً^(٧) وافق فيها أبا داود في أشياء وخالفه في أشياء، وكذلك الشاطبي عندما نَظَّمَ كتاب الداني (المقنع)، فزاد في منظومته (العقيلة) أشياء على الأصل، فهو بذلك يمثِّل

(١) قال د. شرشال في مختصر التبيين ٢٩٠/١ عن منهج أبي داود: «وإذا عِدِمَ الرواية تأمَّلَ المصاحف العتيقة، ولم يلجأ إلى القياس إلا إذا كان له سندٌ يَقْوِيهِ من نحو قراءة، أو نظير يُحْمَلُ عليه»، وقال في ٢٨٦/٢ بالحاشية (٦): «إن أبا داود لا يرتضي التفريق بين المتناظرين إلا برواية صحيحة».

(٢) مختصر التبيين: ١٠٧٧/٤.

(٣) وهي روايته عن أبي عمرو الداني في المقنع: ص: ١١.

(٤) مختصر التبيين: ٣٤٤/٢.

(٥) وعليها المصحف الليبي المطبوع برواية قالون.

(٦) وعليها المصحف الأميري ومصحف المدينة النبوية برواية حفص - في الغالب -، وعامة المصاحف المطبوعة المعاصرة في البلاد العربية.

(٧) وعليها المصاحف المطبوعة برواية ورش عن نافع في المغرب والسعودية وغيرها.

مدرسةً رابعةً باختياراته وزياداته^(١)، وهذه المدارس الأربع كلها موافقةً للرسم العثماني. وإلى مثل هذا المعنى أشار ابن آجط الصنهاجي (ت: ٧٥٠هـ) في التبيان في شرح البيتين: (١٢٢-١٢٣)^(٢):

وَعَيْرَ أَوَّلٍ بَتَنْزِيلٍ أَتَيْنُ كَلًّا وَالْأَعْنََابُ بِغَيْرِ الْأَوَّلَيْنِ
لَكِنْ عِظَامُهُ لَهْ بِالْأَلِفِ وَكُلُّ ذَلِكَ يَحْذِفُ الْمُنْصِفُ

«فخرج من هذا أنَّ لفظ ﴿الْعِظَامِ﴾، و﴿أَعْنَابٍ﴾ لهؤلاء الشيوخ، أعني: أبا عمرو، وأبا داود، وصاحب (المنصف)، يختلف فيها على حسب مذاهبهم فيها، ورواياتهم لها عن المصاحف وعن أئمتهم»، ثم ذكر لصاحب (المنصف) حذف الألف من الكلمتين مطلقاً، ولأبي عمرو الداني إثباتها فيهما مطلقاً إلا موضعين من ﴿الْعِظَامِ﴾، وهما في الآية [١٤] من المؤمنون، فإنه ذكرهما ضمن محذوفاته، وذكر لأبي داود حذف الألف أيضاً من الكلمتين، لكن باستثناء موضعين لكل منهما^(٣).

وقد صرح ابن آجط في كلامه المذكور بأن اختلاف هؤلاء الأئمة يرجع حسب مذاهبهم إلى مروياتهم عن المصاحف، وإلى مروياتهم عن شيوخهم وأئمتهم.

(١) وعليها المصاحف المطبوعة في باكستان والبلاد المجاورة، ولم يُعدل فيها عن اختيار الإمامين - الداني والشاطبي - إلا في كلمات فيها قراءات متواترة، فاختر فيها الحذف رعاية للقراءتين. انظر للباحث: «رسم مصحف مطبوعة تاج دراسة نقدية مقارنة» ضمن بحوث «ندوة طباعة القرآن ونشره بين الواقع والمأمول» بجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

(٢) علماً بأن المصاحف العثمانية ستة على التحقيق كما في: الوسيلة إلى كشف العقيلة ص: ٧٥، والإعلان (مع المورد) ص: ٤٩، وإرشاد القراء ١٨٥/١، ومناهل العرفان ٤٠٣/١، وسمير الطالبين (مع السفير) ٣١/١، وانظر أيضاً: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٢٩١-٢٩٣، انظر اختلاف العلماء في عدد المصاحف في: المقنع ص: ٩، والإبانة ص: ٦٥، والعقيلة ص: ٤، والإتقان ٣٩٣/٢، والنشر ٧/١.

(٣) انظر ص: ٧٨ من البحث.

المبحث الأول

ذِكْرُ مَا نَصَّ عَلَى إِثْبَاتِ الْأَلْفِ فِيهِ

نَصَّ الإمام الدانيُّ في كتابه (المقنع) على إثبات الألف في سبعة أوزان عموماً^(٤)، وجميع ما جاء في القرآن على هذه الأوزان نحو: (٢٥٠٠) كلمة، استثنى منها أحرفاً مخصوصة ضمن أبواب الكتاب المختلفة وفاقاً أو خلافاً، وهذه الأوزان هي:

١. (فَعَال)، وجملة ما جاء منه نحو: (٧٦٠) مثلاً، ومنها ما تكرر، وهي نحو: (٧٤٠) مثلاً^(٥)، نحو: ﴿يَبْنِئًا﴾ [الأعراف: ٤، وغيرها]، و﴿جَوَابَ﴾ [الأعراف: ٨٢، وغيرها]، و﴿الْحَرَامَ﴾ [البقرة: ١٤٤، وغيرها]^(٦)، و﴿خَلَقَ﴾ [البقرة: ١٠٢، وغيرها]، و﴿أَطْلَقَ﴾ [البقرة: ٢٢٧، وغيرها]، و﴿وَالسَّحَابِ﴾ [البقرة: ١٦٤، وغيرها]، و﴿سَرَابًا﴾ [النبا: ٢٠، وغيرها]، و﴿شَرَابٌ﴾ [الأنعام: ٧٠، وغيرها]، و﴿الْعَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧، وغيرها]، و﴿كَلَّمَ﴾ [البقرة: ٧٥، وغيرها]^(٧)، و﴿مَنَعَ﴾ [الرعد: ١٧، وغيرها].

(٤) انظر: المقنع ص: ٤٤، وذكرها المهدوي أيضاً في هجاء الأمصار (ص: ٨٤)، سوى (مُفْعَال)، علماً بأنه جاءت عشر كلمات بإثبات الألف في المصحف حيث وقعت كما في المقنع: ص: ٤٤، ومختصر التبيين ٨٩/٢-٩٠، وقد جمعها الرجرجي - في تنبيه العطشان في شرح البيت: (٨٠)، في ص: ٣٠٨ - في ثلاثة أبيات من نظمه، وهي:

وَأَلِفُ السَّاعَةِ وَالْعَقَابِ وَأَلِفُ الْعَذَابِ وَالْحِسَابِ
وَأَلِفُ النَّهَارِ وَالْجَبَّارِ وَأَلِفُ الْبَيَّانِ وَالْفَجَّارِ
وَأَلِفُ النَّارِ مَعَ الْأَنْصَارِ ثَبَّتَ فِي الْحَقِّ لَدَى الْأَخْيَارِ

وهي في دليل الحيران (ص: ٦٣) من غير عزو.

(٥) نقلت الآيات القرآنية في الأمثلة الآتية من مصحف المدينة لتوفره، ولم أنقل من المصحف الليبي - برواية قالون - المطبوع على اختيار الداني لعدم توفره.

(٦) وهو في (٢٦) موضعاً برواية حفص عن عاصم، واستثنى من ذلك موضع الأنبياء [٩٥]: ﴿وَحَرَّامٌ﴾، كما ذكره في المقنع (ص: ١٢) يسنده إلى قالون عن نافع بحذف ألفه، وبإسناده أيضاً إلى محمد بن عيسى عن نصير في (ص: ٨٧)، ومثله في مختصر التبيين ٨٦٦/٢، وذلك ليحتمل رسمه القراءتين الواردين فيه. انظر: النشر: ٣٢٤/٢.

(٧) وهو في (٤) مواضع، وذكر الضَّبَّاع في سمر الطالبين (مع السفيّر) ١٩٨/١ حذف الألف منه للداني في موضع الفتح [١٥] فقط، ولم أجده في المقنع المطبوع، وإن كان الأولى في الفتح [١٥] هو حذف الألف، ليحتمل الرسم القراءتين الواردين فيه، انظر: مختصر التبيين ١٦٤/٢، ١١٢٨/٤، وانظر: النشر ٣٧٥/٢، لكن جاءت هذه الكلمة بإثبات الألف في مواضعها الأربعة في المصحف الليبي برواية قالون عن نافع، لأنها على وزن (فَعَال) مما يثبته، ولم يستثن من هذه الكلمة شيئاً في (المقنع).

ومنها ما لم يتكرر، وهي نحو: (٢٠) كلمة، وهي: ﴿وَأَذِّنْ﴾ [التوبة: ٣]، و﴿أَتَمَّا﴾ [الفرقان: ٦٨]، و﴿أَمَلَهُ﴾ [القيامة: ٥]، و﴿لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠]، و﴿تَمَامًا﴾ [الأنعام: ١٥٤]، و﴿الْجَلَاءَ﴾ [الحشر: ٣]، و﴿جَمَالٌ﴾ [النحل: ٦]، و﴿وَحَنَانًا﴾ [مريم: ١٣]، و﴿حَرَابَهَا﴾ [البقرة: ١١٤]، و﴿فَخَرَّاجٌ﴾ [المؤمنون: ٧٢]، و﴿ذَهَابٍ﴾ [المؤمنون: ١٨]، و﴿كَرَمَادٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، و﴿وَرَوَّاحُهَا﴾ [سبأ: ١٢]، و﴿صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨]، و﴿غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، و﴿كَالْفَرَّاشِ﴾ [القارعة: ٤]، و﴿فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥]، و﴿وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

واستثنى من هذا الوزن ما جاء الألف فيه بعد لام في: ﴿أَبْلَغٌ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وغيرها، و﴿سَلَمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وغيرها، وما وقعت بين لامين^(١)، وذلك في: ﴿الْجَلَلِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، و﴿حَلَلٌ﴾ [النحل: ١١٦]، وغيرها، و﴿ضَلَّلٍ﴾ [إبراهيم: ٣]، وغيرها، واستثنى كذلك ﴿وَحَرَامٌ﴾ [الأنبياء: ٩٥]^(٢).

٢. (فِعَال)، وجملة ما جاء منه نحو: (٩٤٦) مثلاً، ومنها ما تكرر، وهي نحو: (٩٢٠) مثلاً، نحو: ﴿إِنْتَأَى﴾ [الإسراء: ٤٠]، وغيرها^(٣)، و﴿إِلَهَ﴾ [البقرة: ١٦٣]، و﴿أَلْبَدَ﴾ [آل عمران: ١٩٦]، وغيرها، و﴿يَثَابٌ﴾ [الحج: ١٩]، وغيرها، و﴿جِدَارًا﴾ [الكهف: ٧٧]، وغيرها^(٤)، و﴿جِدَالَ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وغيرها، و﴿وَجِهَادٍ﴾ [التوبة: ٤٤]، وغيرها، و﴿حِجَابٌ﴾ [الأعراف: ٤٦]، وغيرها، و﴿حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وغيرها، و﴿خِلَلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]، وغيرها، و﴿خَلِيفٌ﴾

(١) انظر: المقنع ص: ١٧-١٨، حيث قال «وكذلك حذفوا الألف بعد اللام... إلى أن قال: «وكذلك الضلال»..... وشبهه مما فيه لaman حيث وقع»، قال الشاطبي في العقيلة- البيت: (١٣٣)-:

سَلَالَةٍ وَعُلَامٍ وَالظَّلَالُ وَفِي مَا بَيْنَ لَامَيْنِ هَذَا الْحَذْفُ قَدْ عُمِرَا
ومثله في مختصر التبيين ٩٨/٢، وقال الخراز في موره (ص: ١٦):

فَلِإِنْ يَكُنْ مَا بَيْنَ لَامَيْنِ فَقَدْ حُذِفَ عَنْ جَمِيعِهِمْ حَيْثُ وَرَدَ
انظر ص: ٦١ الحاشية (٣).

(٣) وهو في (٦) مواضع، واستثنى من ذلك موضع النساء [١١٧]، كما في المقنع ص: ٨٤، ومثله في مختصر التبيين ٤١٩/٢.

(٤) وهو في موضعين، أما الموضع الثالث، ففي الحشر [١٤] على قراءة ابن كثير وأبي عمرو، فذكر الضَّبَاعَ حذف الألف منه للداني، وهو الأولى، لكنني لم أجده في المقنع المطبوع، انظر: سمير الطالبين مع (السفير) ١٣٣/٨، والنشر ٣٨٦/٢.

[المائدة: ٣٣، وغيرها^(١)]، و﴿الذِّيَارَ﴾ [الإسراء: ٥، وغيرها] كيف وقع^(٢)، و﴿وَسِرَاجًا﴾ [الأحزاب: ٤٦، وغيرها^(٣)]، و﴿شَهَابٌ﴾ [الحجر: ١٨، وغيرها]، و﴿صِرَاطٌ﴾ [البقرة: ١٤٢، وغيرها]، و﴿ظِلَالٌ﴾ [يس: ٥٦، وغيرها]، و﴿الْعَبَادُ﴾ [يس: ٣٠، وغيرها^(٤)]، و﴿عَجَافٌ﴾ [يوسف: ٤٣، وغيرها]، و﴿الْعِظَامِ﴾ [البقرة: ٢٥٩، وغيرها^(٥)]، و﴿الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦، وغيرها] كيف جاء، و﴿فِرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، و﴿فَصَالًا﴾ [البقرة: ٢٣٣، وغيرها^(٦)]، و﴿قِيَمًا﴾ [آل عمران: ١٩١، وغيرها] كيف جاء^(٧)، و﴿الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦، وغيرها^(٨)].

ومنهما ما لم يتكرر، وهي نحو: (٢٦) كلمة، وهي: ﴿وَأَمَّا يَكُنَّ﴾ [النور: ٣٢]، و﴿وَيَدَارًا﴾ [النساء: ٦]، و﴿بِسَاطًا﴾ [نوح: ١٩]، و﴿جِبَاهُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥]، و﴿جَهَارًا﴾ [نوح: ٨]، و﴿خَتَمُهُ﴾ [المطففين: ٢٦]، و﴿خَفَافًا﴾ [التوبة: ٤١]، و﴿الْحَيَاطُ﴾ [الأعراف: ٤٠]، و﴿الْحَيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، و﴿كَالِدِهَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٧]، و﴿رَبَّاطٌ﴾ [الأنفال: ٦٠]، و﴿الرِّعَاءُ﴾ [القصص: ٢٣]، و﴿رُكَابٍ﴾ [الحشر: ٦]، و﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ [المائدة: ٩٤]، و﴿فَرِهْنٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]،

(١) وهو في (٩) مواضع، واستثنى من ذلك موضع التوبة [٨١]، كما في المقنع ص: ١١، ونسب الضَّبَاعَ حذف الألف من موضع الإسراء [٧٦] أيضاً للداني، إلا أنني لم أجده في المقنع المطبوع، انظر: سمير الطالبي مع (السفير) ١٩٦/١.

(٢) وهو في (١٧) موضعاً، وافقه ابن نجاح في موضع الإسراء [٥]، انظر: مختصر التبيين ٧٨٥/٣.

(٣) وهو في (٤) مواضع، واستثنى من ذلك موضع الفرقان: [٦١]، فذكر في المقنع ص: ٩٦، ١٢٤ اختلاف المصاحف فيه، ومثله في مختصر التبيين ٩١٦-٩١٧، والعمل فيه على الحذف، وذلك ليحتمل الرسم القراءتين، انظر: النشر ٣٣٤/٢.

(٤) وهو في (١٠٦) مواضع، واستثنى منها موضعين: موضع الفجر [٢٩] باتفاق، وموضع الزمر [٣٦] باختلاف، انظر: المقنع ص: ٩٧، ١٤، ومثله في مختصر التبيين ١٠٥٩/٤، و١٢٩٦/٥.

(٥) وهو في (١٣) موضعاً، واستثنى منها موضعين: وهما في الآية [١٤] من سورة المؤمنون، ومثله في مختصر التبيين ٨٨٧/٤، وذلك ليحتمل الرسم القراءتين، انظر: النشر ٣٢٨/٢.

(٦) وهو في (٣) مواضع، واستثنى منها في المقنع (ص: ١٣) موضع لقمان [١٤]، ومثله في مختصر التبيين ٩٩٢/٤.

(٧) وهو في (٥) مواضع، واستثنى منها ما في المائدة [٩٧] في المقنع ص: ١١، ومثله في مختصر التبيين: ٣٩٢/٢، وذلك ليحتمل الرسم القراءتين، انظر: النشر ٢٤٧/٢.

(٨) وهو في (٧) مواضع، واستثنى منها ﴿مِهْدًا﴾ المنصوب في: سورة النبأ [٦]، وكذا في سورة طه [٥٣]، والزخرف [١٠] على قراءة غير الكوفيين، انظر: المقنع ص: ١٢، مختصر التبيين ١٠٩٨/٤، والنشر ٣٢٠/٢.

و﴿ضَعَفًا﴾ [النساء: ٩]، و﴿الْعَمَادُ﴾ [الفجر: ٧]، و﴿غَلَاظُ﴾ [التحریم: ٦]، و﴿فَرَشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، و﴿كَهَنًا﴾ [المرسلات: ٢٥]، و﴿لَوَادًا﴾ [النور: ٦٣]، و﴿الْمَحَالُ﴾ [الرعد: ١٣]، و﴿مِدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، و﴿مِرَاءً﴾ [الكهف: ٢٢]، و﴿نَعَاجَةً﴾ [ص: ٢٤].
واستثنى من هذا الوزن (فَعَال) كلمات، وهي: ﴿إِلَّا أَنْتَا﴾ [النساء: ١١٧]، ﴿إِلَهَ﴾ [البقرة: ١٦٣، وغيرها]، و﴿خَلَّلُ﴾ [إبراهيم: ٣١، وغيرها]، و﴿ظَلِيلُ﴾ [يس: ٥٦، وغيرها]^(١)، و﴿فِرْهَنُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]^(٢)، و﴿الرَّيْحُ﴾ [البقرة: ١٦٤، وغيرها]^(٣)، و﴿فِيهَا سِرَجًا﴾ [الفرقان: ٦١]، و﴿ضَعَفًا﴾ [النساء: ٩]^(٤)، و﴿فِي عِبْدِي﴾ [الفجر: ٢٩]، و﴿يَدُهُ عِبَادَةٌ﴾ [الزمر: ١٦]^(٥)، و﴿عَظَمًا فَكَسَوْنَا الْعِظَمَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، و﴿وَفَضَّلَهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، و﴿فِيَمَّا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]^(٦)، و﴿الْكُتَبِ﴾ [آل عمران: ٦٤، وغيرها] كيف جاء، سوى أربعة مواضع^(٧)، وهي: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ في الرعد [٣٨]، و﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ في الحجر [٤٠]، و﴿مِنْ كِتَابٍ رَيْكٌ﴾ في الكهف: [٢٧]، و﴿كِتَابٌ مُبِينٌ﴾ في النمل: [١].

٣. (فَعَّال)، وجملة الوارد منه نحو: (٧٦) مثلاً، ومنها ما تكرر، وهي: نحو: (٦٠) مثلاً، نحو: ﴿أَفَاكُ﴾ [الشعراء: ٢٢٢، وغيرها]، و﴿أَوَابُ﴾ [ص: ١٧، وغيرها]، و﴿تَوَابُ﴾ [النور: ١٠، وغيرها]، و﴿جَبَّارُ﴾ [هود: ٥٩، وغيرها]، و﴿الْخَلْقُ﴾ [الحجر: ٨٦، وغيرها]، و﴿خَوَانُ﴾ [الحج: ٣٨، وغيرها]، و﴿صَبَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥، وغيرها]، و﴿يُظْلَمُ﴾ [ق: ٢٩، وغيرها]، و﴿عَلَمُ﴾ [سبأ: ٤٨، وغيرها]، و﴿وَعَسَّاقُ﴾ [ص: ٥٧، وغيرها]، و﴿الْعَفْرُ﴾ [ص: ٦٦، وغيرها]، و﴿فَعَّالُ﴾ [هود: ١٧].

(١) لوقوع الألف في الثلاثة بعد اللام، انظر: المقنع ص: ١٧.

(٢) انظر: المقنع ص: ١٠٠، ومثله مختصر التبيين ٣٢٢/٢.

(٣) وهو في (١٠) مواضع، بخلف في بعضها، انظر: المقنع ص: ١٠٠-١٣، ٨٧، ٩٤-٩٥.

(٤) انظر: المقنع ص: ١١.

(٥) تقدم في ص: ٦٣ حاشية (٤).

(٦) تقدمت الكلمات الثلاث في ص: ٦٣ الحواشي: (٥، ٦، ٧).

(٧) انظر: المقنع ص: ٢٠٠، ومثله في مختصر التبيين ٦١/٢-٦٢، وقال الخراز في موره (ص: ١٢):

وَعَنْهُمَا الْكِتَابُ غَيْرَ الْحُمْرِ وَالْكَهْفُ فِي ثَانِيهِمَا عَنْ خُبَرٍ
وَمَعَ لَفْظِ أَجَلٍ فِي الرَّعْدِ وَأَوَّلُ التَّمْلِيلِ تَمَامُ الْعُدِّ

١٠٧، وغيرها، و﴿الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩، وغيرها]، و﴿كَفَّارٍ﴾ [ق: ٢٤، وغيرها]، و﴿الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨، وغيرها].

ومنها ما لم يتكرر، وهي نحو: (١٤) كلمة، وهي: ﴿أَوَّهٌ﴾ [هود: ٧٥]، و﴿تَجَاجَا﴾ [النبا: ١٤]، و﴿حَتَّارٍ﴾ [لقمان: ٣٢]، و﴿الْحَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]، و﴿دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، و﴿الزَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، و﴿سَحَّارٍ﴾ [الشعراء: ٣٧]، و﴿وَعَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧]، و﴿الْفَتَّاحُ﴾ [سبأ: ٢٦]، و﴿كَالْفَحَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، و﴿مَسَّاءٍ﴾ [القلم: ١١]، و﴿هَمَّازٍ﴾ [القلم: ١١]، و﴿وَهَّاجًا﴾ [النبا: ١٣]. واستثنى منها ﴿الْخَالِقُ﴾^(١).

٤. (فَاعِلٌ)، وجملة ما جاء من هذا الوزن نحو: (٤٢٥) مثلاً، ومنها ما تكرر، وهي نحو: (٣٧٠) مثلاً، نحو ﴿بَنَجْعُ﴾ [الكهف: ٦، وغيرها]، و﴿بَلِيسُطُ﴾ [الكهف: ١٨، وغيرها]، و﴿الْبَاطِلُ﴾ [محمد: ٣، وغيرها]، و﴿بَلَعُ﴾ [المائدة: ٩٥، وغيرها]، و﴿جَاعِلٌ﴾ [البقرة: ٣٠، وغيرها]، و﴿حَقِظًا﴾ [يوسف: ٦٤، وغيرها]، و﴿خَالِقُ﴾ [الأنعام: ١٠٢، وغيرها]، و﴿خَالِدٌ﴾ [محمد: ١٥، وغيرها] كيف جاء، و﴿سَجِرٍ﴾ [الأعراف: ١١٢، وغيرها]، و﴿صَلِیحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠، وغيرها]، و﴿صَاحِبُهُ﴾ [الكهف: ٣٧، وغيرها] كيف جاء، و﴿طَلِيرٍ﴾ [الأنعام: ٣٨، وغيرها] كيف جاء، و﴿طَائِفٌ﴾ [القلم: ١٩، وغيرها]، و﴿وَالظَّاهِرُ﴾ [الحديد: ٣، وغيرها] كيف جاء، و﴿عَلِيَّهَا﴾ [هود: ٨٢، وغيرها]، و﴿عَامِلٌ﴾ [الأنعام: ١٣٥، وغيرها]، و﴿عَاصِرٍ﴾ [يونس: ٢٧، وغيرها]، و﴿عَلِمٌ﴾ [الأنعام: ٧٣، وغيرها]، و﴿بَغْفِلٍ﴾ [البقرة: ٧٤، وغيرها]، و﴿قَالِقُ﴾ [الأنعام: ٩٥، وغيرها]، و﴿يَقْدِرُ﴾ [يس: ٨١، وغيرها]، و﴿كَاتِبٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢، وغيرها]، و﴿كَذِبٌ﴾ [هود: ٩٣، وغيرها]، و﴿الْكَافِرُ﴾ [الفرقان: ٥٥، وغيرها]، و﴿مَلَائِكُ﴾ [الفاتحة: ٤، وغيرها]، و﴿يَهْدِي﴾ [النمل: ٨١، وغيرها]، و﴿وَاحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١، وغيرها]، و﴿وَالِدٌ﴾ [لقمان: ٣٣].

ومنها ما لم يتكرر، وهي نحو (٥٢) كلمة، وهي: ﴿ءَاسِنٌ﴾ [محمد: ١٥]، و﴿ءَافِقٌ﴾ [محمد: ١٦]، و﴿بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، و﴿تَارِكٌ﴾ [هود: ١٢]، و﴿ثَابِتٌ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، و﴿ثَاوِيًا﴾ [القصص: ٤٥]، و﴿أَلْجَاهِلُ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، و﴿حَاجِزًا﴾ [النمل: ٦١]، و﴿خَدِغُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]،

(١) لوقوع الألف فيها بعد اللام، انظر: المقنع ص: ١٧.

و﴿حَشِيعًا﴾ [الحشر: ٢١]، و﴿ذَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]، و﴿ذَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، و﴿ذَائِعٌ﴾ [الرعد: ٣٥]، و﴿ذَاهِبٌ﴾ [الصفات: ٩٩]، و﴿أَزَاجِبٌ﴾ [مريم: ٤٦]، و﴿زَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٧]، و﴿زَاكَا﴾ [ص: ٢٤]، و﴿زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، و﴿سَاجِدًا﴾ [الزمر: ٩]، و﴿وَسَارِبٌ﴾ [الرعد: ١٠]، و﴿وَلَسَّارِقٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، و﴿سَافِطًا﴾ [الطور: ٤٤]، و﴿سَاكِكًا﴾ [الفرقان: ٤٥]، و﴿سَمِيرًا﴾ [المؤمنون: ٦٧]، و﴿صَالٍ﴾ [الصفات: ١٦٣]، و﴿صَاحِكًا﴾ [النمل: ١٩]، و﴿بِضَارَهُمُ﴾ [المجادلة: ١٠]، و﴿صَلَّالًا﴾ [الضحى: ٧]، و﴿وَصَابِقٌ﴾ [هود: ١٢]، و﴿طَاعِمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، و﴿أَطَّلَبٌ﴾ [الحج: ٧٣]، و﴿عَابِدٌ﴾ [الكافرون: ٤]، و﴿غَافِرٍ﴾ [غافر: ٣]، و﴿فَاجِرًا﴾ [نوح: ٢٧]، و﴿فَارِضٌ﴾ [البقرة: ٦٨]، و﴿فَرِغًا﴾ [القصاص: ١٠]، و﴿فَاعِلٌ﴾ [الكهف: ٢٣]، و﴿فَافِعٌ﴾ [البقرة: ٦٩]، و﴿فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، و﴿وَقَابِلٍ﴾ [غافر: ٣]، و﴿قَاصِدًا﴾ [التوبة: ٤٢]، و﴿قَاصِفًا﴾ [الإسراء: ٦٩]، و﴿قَاعِدًا﴾ [يونس: ١٢]، و﴿أَلْقَانِعٌ﴾ [الحج: ٣٦]، و﴿كَادِحٌ﴾ [الانشقاق: ٦]، و﴿يَكَاغِفٌ﴾ [الزمر: ٣٦]، و﴿مَارِجٌ﴾ [الرحمن: ١٥]، و﴿نَادِيكُمُ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، و﴿نَاصِحٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]، و﴿أَوَارِثٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، و﴿وَاصِبًا﴾ [النحل: ٥٢]، و﴿يَايِسٌ﴾ [الأنعام: ٥٩].

واستثنى منها (١٩) كلمة، فصلها الجرجاني في تنبيه العطشان في شرح البيت:

(٢٥٤) (١)

وَوَزَنُ (فَعَالٍ) وَ(فَاعِلٍ) ثَبَتْ فِي مُقْنِعٍ إِلَّا الَّتِي تَقَدَّمَتْ

فقال: "... يعني: أن أبا عمرو الداني صرح بإثبات الألف في وزن: (فَعَالٍ)، ووزن:

(فَاعِلٍ) إلا ما تقدم لأبي عمرو بالحذف، إما وفاقاً، وإما خلافاً، وهي عشرون لفظاً^(٢):

الأول والثاني والثالث: ﴿صَلِّحٌ﴾، و﴿خَلِّدٌ﴾، و﴿مَلِكٌ﴾، نبّه عليه بقوله: (وصالح وخالد ومالك)، والرابع: لفظ ﴿أَبْطَلٌ﴾ في الموضعين، نبّه عليه بقوله: (وضمن الداني...)، والخامس: لفظ ﴿الْحَلَقُ﴾^(٣)، ونبّه عليه بقوله: (وفي غلامين وفي الخلائق).

(١) انظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (٢٥٤) في ص: ٥٤٢-٥٤٥.

(٢) كلها مستثناة من وزن (فاعل)، إلا كلمة ﴿الْحَلَقُ﴾، فمن وزن (فَعَالٍ).

(٣) وهو استثناء من وزن (فَعَالٍ).

والسادس: لفظ ﴿كَائِبٌ﴾، نبّه عليه بالخلاف في قوله: (وكتبا وهو الأخير عنهما) البيت، والسابع: لفظ ﴿طَلَبٌ﴾، نبّه عليه بقوله: (ومثله في الموضعين طائرا) إلى آخره، والثامن: ﴿بَلَغَ الْكَعْبَةَ﴾، نبّه عليه بقوله: (وبالغ الكعبة قل والأنبياء)، والتاسع والعاشر: «جاعل الليل»^(١)، و﴿فَالِقُ الْخَيْ﴾، نبّه عليهما بالخلاف في قوله: (وجاعل الليل وأولى فالق).

والحادي عشر: ﴿عَلِمُ الْقَيْبِ﴾، نبّه عليه بقوله: (وعالم الغيب لكل بسبأ)، والثاني عشر والثالث عشر: ﴿كَذِبٌ﴾ في الزمر: [٣]، و«الكافر»^(٢) في الرعد: [٤٢]، والرابع عشر: ﴿طَلِيفٌ﴾^(٣) في الأعراف: [٢٠١]، نبّه عليه بالخلاف في قوله: (وفي الأعراف قد جاء طائف على خلاف)، والخامس عشر: لفظ ﴿سَجَرٍ﴾، نبّه عليه بقوله: (وعنهما في ساحر في النكر)، والسادس عشر: ﴿سَمِرَاتَهُجْرُونَ﴾، نبّه عليه بقوله: (تساقط احذف سامراً وباعد).

والسابع عشر: لفظ ﴿بَهْدَى﴾ في الموضعين [النمل: ٨١، الروم: ٥٣]، نبّه عليه بالخلاف في قوله (فناظرة ثم معاً بهادي)، والثامن عشر: لفظ ﴿يَقْدِرُ﴾ في الأولين [يس: ٨١، الأحقاف: ٣٣]، نبّه عليه بقوله: (وفي بقادر في الأولين الحذف مع تصاعر)، التاسع عشر: لفظ ﴿فَرِغًا﴾، نبّه عليه بقوله (وعنهما في فارغا واداركا)، والموفي عشرين: لفظ ﴿عَلِيْمٌ﴾، نبّه عليه بقوله: (وعنهما عاليهم بالحذف).
فهذه عشرون لفظاً، وإلى هذه الألفاظ أشار الناظم بقوله: (إلا التي تقدّمت)، أي الألفاظ التي تقدّمت لأبي عمرو الداني بالحذف أو بالخلاف.
ثم ذكر بيتين من رجزه نظم فيه الأوزان الستة، فقال^(٤):

(١) على قراءة غير الكوفيين، انظر: النشر: ٢٦٠/٤.

(٢) على قراءة المدنيّين - نافع وأبي جعفر - وابن كثير وأبي عمرو، انظر: النشر: ٢٩٨/٤.

(٣) على قراءة من قرأه على وزن (فاعِل)، وهم ماعدا البصريّين - أبي عمرو ويعقوب -، وابن كثير والكسائي. انظر النشر: ٢٧٥/٢.

(٤) انظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (٢٥٤) في ص: ٥٤٢-٥٤٥.

وَأُثِبَتِ الدَانِيُّ فَعَالًا وَفَعَالٌ فُعْلَانٌ وَفِعْلَانٌ فَاعِلًا وَفَعَّالٌ
إِلَّا الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي الْكُلِّ مِنْ هَذِهِ السِّتَةِ فَافْهَمْ قَوْلِي

٥. (فُعْلَانُ)، وجميع الوارد منه نحو: (٢٠٠) مثلاً، ومعظمها مما تكرر نحو: ﴿بُرْهَنٌ﴾ [النساء: ١٧٤، وغيرها]، و﴿بُيُتْنٌ﴾ [الصف: ٤، وغيرها]، و﴿بُهْتَنٌ﴾ [النور: ١٦، وغيرها]، و﴿نُعْبَانٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧، وغيرها]، و﴿حُسْبَانًا﴾ [الأنعام: ٩٦، وغيرها]، و﴿أَخْشَرَانُ﴾ [الزمر: ١٥، وغيرها]، و﴿الذُّكْرَانُ﴾ [الشعراء: ١٦٥، وغيرها]، و﴿وَرُهْبَانًا﴾ [المائدة: ٨٢، وغيرها]، و﴿وَسُبْحَنَ﴾ [يوسف: ١٠٨، وغيرها]، و﴿سُلْطَنٍ﴾ [الأعراف: ٧١، وغيرها]، و﴿عُدُونُ﴾ [البقرة: ١٩٣، وغيرها]، و﴿طُعَيْنِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٧٥، وغيرها]، و﴿أَطْلُوفَانُ﴾ [الأعراف: ١٣٣، وغيرها]، و﴿الْفَرْقَانُ﴾ [البقرة: ٥٣، وغيرها]، و﴿الْفَرْعَانُ﴾ [المائدة: ١٠١، وغيرها].

ولم يأت ما لم يتكرر منه إلا: ﴿كُفْرَانُ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

واستثنى من هذا الوزن ثلاث كلمات^(١): ﴿سُلْطَنٍ﴾ [الأعراف: ٧١، وغيرها] مطلقاً، و﴿وَسُبْحَنَ﴾ [يوسف: ١٠٨، وغيرها]، سوى موضع الإسراء [٩٣] بخلف عنه، و﴿الْفَرْعَانُ﴾ [المائدة: ١٠١، وغيرها]، سوى موضعين منه، وهما في: يوسف [٢]، والزخرف [٣].

٦. (فُعْلَانُ)، وجميع ما جاء منه نحو: (١٨) مثلاً، ومعظمها مما تكرر نحو: ﴿رِضْوَانُ﴾ [آل عمران: ١٦٢، وغيرها]، و﴿صِنَوَانٌ﴾ [الرعد: ٤]، و﴿وَالْوِلْدَانُ﴾ [النساء: ٧٥، وغيرها].

ولم يأت في القرآن ما لم يتكرر منه إلا ﴿تَبَيَّنَا﴾ [النحل: ٨٩]، و﴿قَنَوَانٌ﴾ [الأنعام: ٩٩].

٧. (مِفْعَالُ)^(٢)، ومجموع ما جاء منه نحو: (٦٦) مثلاً، ومعظمها مما تكرر، نحو: ﴿مِثْقَالُ﴾ [النساء: ٤٠، وغيرها]، و﴿الْمِحْرَابُ﴾ [آل عمران: ٣٧، وغيرها]، و﴿الْمَكِّيَالُ﴾ [هود: ٨٤، وغيرها]، و﴿مِثْقَلُ﴾ [البقرة: ٨٣، وغيرها]، و﴿مِيرَاتُ﴾ [آل عمران: ١٨٠، وغيرها]، و﴿الْمِيزَانُ﴾

(١) انظر: المقنع ص: ١٧، ١٨، ١٩، وانظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (٢١٧) في ص: ٤٩٣-٤٩٤.

(٢) ذكر الجعبري هذا الوزن (مِفْعَال) مع بقية الأوزان في نقله عن أبي عمرو الداني، وقد أشار المؤلف إلى هذا الوزن في المقنع المطبوع (ص: ٤٤) بذكر أمثلة منه. انظر: الجميلة ص: ٥١٢، وسمير الطالبين (مع السفير) ١٠٧/١.

[الأنعام: ١٥٢، وغيرها]، و﴿الْمَيْعَادَ﴾ [آل عمران: ٩، وغيرها]^(١)، و﴿مِيقَاتٍ﴾ [الواقعة: ٥٠، وغيرها].

ولم يأت مالم يتكرر منه إلا ﴿وَمِنْهَا جَاءَ﴾ [المائدة: ٤٨].

ثم قال^(٢): «وكذلك ما أشبهه مما ألفه زائدة للبناء، وكذلك إن كانت منقلبة من ياء أو من واو حيث وقع»^(٣).

(١) وهو في خمسة مواضع، واستثنى منها موضع الأنفال [٤٦]، انظر: المقنع ص: ١٩.

(٢) انظر: المقنع ص: ٤٤.

(٣) وذلك في نحو: ﴿جَاءَ﴾، و﴿قَالَ﴾ وما أشبههما، إلا ما استثنى من ذلك.

المبحث الثاني

ذِكْرُ مَنْهَجِهِ فِي مَا سَكَتَ عَنْهُ

وهو ما يتعلق بالكلمات التي هي ليست من الأوزان السبعة التي ذُكِرَتْ في المبحث السابق، إنما هي أحرف مخصوصة في سور معلومة، ذكرها الداني في كتابه بحذف ألفاتها، وسكت عن أحرف أخرى مماثلة لها، فهل سكوته عنها يدل على أنها بالإثبات، لأنه الأصل، أو السكوت هنا ليس له حكم، فيبقى حكم الكلمات المسكوت عنها في (المقنع) مجهولاً؟

أولاً: منهجه من خلال كتابه: (المقنع):

نرجع إلى كلام الداني في كتابه (المقنع)، للجواب عن هذا السؤال، ثم إلى أقوال علماء الرسم الذين جاؤوا بعده، لنرى صحة هذه المقولة، فأقول: إن الداني في كتابه (المقنع) لم يذكر كلمات المصحف كلمة كلمة من أوله إلى آخره، كما ذكرها أبو داود في كتابه (مختصر التبيين)، إلا أن الداني حاول في (المقنع) بأسلوبه الخاص الإحاطة بكلمات المصحف كلها على الرغم من صغر حجم الكتاب، وشدة اختصاره، لأنه أَلَفَ هذا الكتاب لطلاب القراءات وکُتِّبَ المصاحف، كما صرَّح بذلك في مقدمة كتابه، فقال^(١): «.... هذا كتابٌ أذكر فيه - إن شاء الله - ما سمعته من مشيخي ورويته عن أئمتي من مرسوم خطوط مصاحف أهل الأمصار.... مختلفاً فيه، ومتفقاً عليه»، ثم قال: «وأخليه من بسط العلل وشرح المعاني، لكي يقرب حفظه، ويخفف متناوله على من التمس معرفته من طالبي القراءة، وكاتب المصاحف وغيرهم....»

ولذلك جعل كتابه في النَّقْطِ ذِيلاً لكتابته (المقنع)، وقال في مقدمته^(٢):

«لما أتيتُ في كتابي هذا - يعني (المقنع) - ما ضمنتُ ذِكرَه في أوله من مرسوم المصاحف، رأيتُ أن أصِلَ ذلك بذكر أصول كافية، ونكت مقنعة في معرفة نُقْطِ المصاحف وكيفية

(١) المقنع ص: ٣.

(٢) كتاب النقط (المطبوع بآخر المقنع) ص: ١٢٤.

ضبطها على ألفاظ التلاوة ومذاهب القراءة، لكي يحصل للناظر في هذا الكتاب جميع ما يحتاج إليه من: علم مرسوم الخط، وأحكام النقط، فتكمل بذلك درايتة، وتحقق به معرفته - إن شاء الله -، وبالله التوفيق».

أكد الداني في هذا الكلام أنه ألّف هذا الكتاب لسدّ ثغرة كبيرة تتعلق بكتابة المصاحف على الروايات والقراءات، وأراد فيه إرشاد كتّاب المصاحف ونقاطها في كلّ صغيرة وكبيرة، وأشار إلى ذلك بقوله: «لكي يحصل للناظر في هذا الكتاب جميع ما يحتاج إليه من: علم مرسوم الخط، وأحكام النقط، فتكمل بذلك درايتة، وتحقق به معرفته»، وهذا يكفي للردّ على القول: إن كتاب (المقنع) بمجرد لا يصلح أن يكون مرشداً لكتّاب المصاحف، لأن فيه كلمات مجهولة الحكم، وهي التي سكت عنها الداني^(١)، فلا يُعلم حكمها إلا بالرجوع إلى المؤلفات المطولة في علم الرسم سواء أُلّفَت في عصره أو بعد عصره.

لو تأمل صاحب هذا القول وتدبّر في (المقنع)، ومنهجه في بيان الرسم لَعَلِمَ أن الداني لم يترك كاتب المصحف - الذي ألّف الكتاب من أجله - حيران أمام كلمات قرآنية سكت عنها، حتى يظنّ ظاناً أن هذه الكلمات لا يَعْرِفُ الداني حكم كتابتها، هل هي محذوفة الألف أم ثابتة الألف؟، وليست عنده رواية ولا رؤية تقضي على هذا الشك، فيبقى الكاتب متردداً فيها وفي كيفية كتابتها؟ لم يكن ذلك هو مقصود الداني من تأليف هذا الكتاب (المقنع)، بل كان الهدف الرئيس منه هو إرشاد الكتّاب في رسم المصاحف ونقطها.

إذن ما حكم هذه الكلمات القرآنية التي سكت الداني عن ذكر حكمها حذفاً أو إثباتاً في (المقنع)، سنرى ذلك في ضوء منهج الداني من خلال كتابه (المقنع)، ثم نوّكد ذلك المنهج بأقوال علماء الرسم التي جمعناها من مؤلفاتهم التي أُلّفَت بعد عصر الداني.

أقول وبالله التوفيق: إن الداني عَنَوْنَ الباب الثاني من كتابه بقوله: «باب ذكر ما رُسِم في المصاحف بالحذف والإثبات»، فهذا العنوان يتضمّن ذكر شيئين: أولهما ما رُسِم

(١) انظر: مختصر التبيين - قسم الدراسة - ٣٣٨/١ - ٣٣٩.

بالحذف في المصاحف، وثانيهما ذُكر ما رُسم فيها بالإثبات، إلا أن الباب انتهى بذكر المحذوفات التي رواها الدائي بأسانيده إلى قالون عن نافع بن أبي نعيم القاري، ولم يأت ذُكر ما رُسم منها بالإثبات، فلو تساءل سائل هنا: أين الكلمات التي رُسمت بإثبات الألف في المصاحف أو المصحف الذي روى عنه الدائي حذفها في كلمات مخصوصة؟ أثار السؤال نفسه المارغني صاحب دليل الحيران^(١) على عنوان صاحب مورد الظمان في قوله: - البيت: (٤٤):-

بَابُ اتَّفَاقِهِمْ وَالِإِضْطِرَابِ فِي الْحَذْفِ مِنْ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ

ثم أجاب عنه بقوله: «وإنما اقتصر في الترجمة على الحذف، لأنه هو المخالف لقاعدة الرسم القياسي، وأما الإثبات، فلا حاجة إلى التنصيص عليه لجريانه على القياس، ولذا لم يترجم له، ولم يتعرض لشيء منه استقلاً».

فنعيد كلام المارغني نفسه للإجابة عن هذا السؤال هنا^(٢)، ولهذا جاء الشاطبي في عقيلته، فعكس العنوان المذكور بقوله: «باب الإثبات والحذف وغيرهما...»، فقدّم الإثبات على الحذف إشارة إلى ذلك، ولأنه هو الأصل، وقال الجعبري في الجميلة^(٣): «وقدّم الإثبات، خلافاً للأصل، ويروى بالعكس^(٤) وفاقاً له لعقد الباب له».

ويلاحظ أن الشاطبي لم يذكر في (العقيلة) - التي نظم فيها (المقنع) - الأوزان السبعة التي نصّ الدائي في كتابه على إثبات الألف فيها، ولعلّ ذلك للدلالة على أن كلّ ما سكت عنه، فهو على الأصل الذي هو الإثبات، وهو مما يُستأنس به في تحديد منهج الدائي بأن ما سكت عنه الدائي ضمن محذوفاته، فهو على الإثبات، لأنه الأصل، والموافق للرسم

(١) دليل الحيران ص: ٤٠-٤١.

(٢) ذكر فضيلة الدكتور أحمد شرشال في مختصر التبيين، قسم الدراسة ٢٧٨/١ - وهو يتحدث عن منهج أبي داود ابن نجاح -، ما يؤكّد ذلك، إذ قال: «ترجم أبو داود للحذف، إذ هو المخالف لقاعدة الرسم القياسي المحتاج إلى البيان، أما الإثبات فلا حاجة إلى التنصيص عليه لمعرفته من قاعدة الخطّ، وتصوير الكلمة بحروف هجائها، بتقدير الابتداء بها، والوقف عليها، ولذلك لم يتعرّض لشيء منه استقلاً، بل لادّاعٍ وأمرٍ يقتضي ذلك...».

(٣) الجميلة ص: ٢٥٠.

(٤) كما في الوسيلة ص: ٨٧.

القياسي، وقد اكتفى معظم علماء الرسم بذكر المحذوفات فقط، لأنها هي التي جاءت مخالفة للرسم القياسي.

ومما يدل على أن منهجه فيما سكت عنه ضمن محذوفاته هو الإثبات، ما ذكره بإسناده عن محمد بن عيسى^(١): «وكذلك حُذِفَت الألف بعد الراء في قوله: ﴿تُرَبَّا﴾ في ثلاثة مواضع، وأثبتوها فيما عداها: أولها في الرعد: ﴿إِذَا كُنَّا تُرَبَّا﴾ [٥]، وفي النمل: ﴿إِذَا كُنَّا تُرَبَّا﴾ [٦٧]، وفي عم يتساءلون: ﴿بَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَبَّا﴾ [٤٠]».

فنصّ الداني على حذف الألف من ﴿تُرَبَّا﴾ من كلمات مخصوصة وفي سورها المعلومة، فيفهم من هذا الحصر أن غيرها ثابت، وقد أكد ذلك بقوله الآتي: «وأثبتوها فيما عداها»، وأكد ذلك الجعبري في الجميلة في شرح البيت: (١٤١)^(٢):

وَاحْفَظْ فِي الْأَنْقَالِ فِي الْمِعَادِ مُتَّبِعًا تُرَابَ رَعْدٍ وَنَمْلٍ وَالتَّبَأَ عَطِرًا

فقال: «ويُفهم من حصر الناظم ثلاثة الحذف قول الأصل: وأثبتوها فيما عداها، فهو فيه تأكيد».

ثم ذكر الداني مثلاً آخر منه في الفصل المذكور بقوله: (٣)^(٣) «وكذلك حُذِفَت الألف بعد الهمزة في قوله: ﴿قُرْءَنَّا﴾ في مكانين في: يوسف ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [٢]، وفي الزخرف ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [٣]».

ومفهوم ذلك أن الألف ثابتة في غير هذين الموضعين، وجاءت في (المقنع)^(٤) - طبعة حاتم الضامن - زيادة: «وأثبتوها بعد ذلك في سائر القرآن»، فهو تأكيد لما هو مفهوم من كلام الداني، وأكدّه الجعبري في الجميلة في شرح البيت: (١٤٥)^(٥):

فِي يُوسُفٍ خُصَّ قُرْآنًا وَرُخْرِفِهِ أُولَاهُمَا وَبِإِثْبَاتِ الْعِرَاقِ يُرَى

(١) المقنع ص: ١٧.

(٢) الجميلة ص: ٤٤٧.

(٣) المقنع ص: ١٩.

(٤) المقنع ص: ١٤٠.

(٥) الجميلة ص: ٤٥٥-٤٥٦.

فقال: «.....وَعُلِمَ مِنْ حَصَرِهَا أَنَّ مَا عَدا هُمَا عَلَى أَصْلِ الْإِثْبَاتِ....».

وسبق في كلام الداني أن وزن (فُعْلان) مما نَصَّ على إثبات الألف فيه إلا ما استثناه منه، فموضعا يوسف والزخرف المذكوران استثناهما من هذا الوزن.

ثم ذكر الداني مثالا ثالثا في الفصل المذكور بقوله^(١): «وكذلك حُذِفَتِ الْأَلْفُ بَعْدَ الْعَيْنِ فِي قَوْلِهِ فِي الْأَنْفَالِ ﴿فِي الْيَعْنِدِ﴾ [٤٢]، فِي هَذَا الْمَوْضِعِ خَاصَةً، وَسَائِرِ الْمَوَاضِعِ بِالْأَلْفِ».

قال الجعبري في الجميلة في شرح كلام الداني المذكور^(٢): «...وَكَذَلِكَ حُذِفَتِ الْأَلْفُ... ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: فِي هَذَا الْمَوْضِعِ خَاصَةً، وَيُفْهَمُ مِنْ تَعْيِينِ النَّازِمِ الْأَنْفَالِ، قَوْلُهُ: وَسَائِرِ الْمَوَاضِعِ بِالْأَلْفِ».

معناه أن الداني لو سكت عن هذه التكملة: «وسائر المواضع بالألف»، لكان الحكم لما سكت عنه هو الإثبات، وهذا هو الحال في كثير من الكلمات التي روى فيها الداني عن نافع الحذف في كلمات مخصوصة وفي سور مخصوصة، وسكت عن أحرف مماثلة لها، فتحديد الكلمة بقيودها وبسورها ضمن محذوفاته يُغْنِي عن أن يقول: إن ما عداها على الإثبات، لأنه هو الأصل والموافق لقاعدة الرسم القياسي، وإلا فيبقى كاتب المصحف متحيراً في كتابتها، إن قلنا إن حكمها لم يزل مجهولاً حسب منهج الداني، وإلى هذا أشار السخاوي عند ما قال في شرح البيت: (٥٣)^(٣):

يُضَاعَفُ الْخُلْفُ فِيهِ كَيْفَ جَا وَكَيْتَا بِهِ وَنَافِعُ فِي التَّحْرِيمِ ذَاكَ أَرَى
«.....وَأَمَّا مَا فِي هُودٍ وَالْأَحْزَابِ، فَلَوْ كَانَ يَعْلَمُ فِيهِ خِلَافاً لَذَكَرَهُ، لِأَنَّهُ أورد في الباب ما اختلف فيه المصاحف....»

وهناك أمثلة أخرى من هذا النوع في (المقنع)^(٤).

(١) المقنع ص: ١٩.

(٢) الجميلة ص: ٤٤٨.

(٣) الوسيلة ص: ١١٢.

(٤) المقنع ص: ٢٠-٢١.

ثانياً: منهجه من خلال أقوال علماء الرسم:

نرجع إلى أقوال علماء الرسم في تحديد منهج الداني في كتابه (المقنع) في أن السكوت عن كلمات فيه يدل على بقائها على الأصل الذي هو الإثبات، ونذكر فيما يلي أقوال العلماء في ذلك:^(١)

نصوص من شروح (العقيلة):

قال أبو الحسن علي بن محمد السخاوي (ت: ٦٤٣هـ) في الوسيلة إلى شرح العقيلة عند شرح البيت: (١٢١)^(٢):

وفى أرىت اللذى أرىتمُ اختَلَفُوا وقُل: مِهَاداً جميعاً نافعٌ حَشَرا
وقد ذكر الشاطبي فيه حذف الألف من ﴿مِهَاداً﴾ المنصوب عن نافع وسكت عن غيره-، فقال عنه السخاوي: «وأما ﴿مِهَادٌ﴾ في الأعراف [٤١]، و﴿أَلْمِهَادُ﴾ في ص: [٥٦]، فهو في المصاحف بالألف».

وهذه كلمات سكت عنها الداني، ونصّ السخاوي على إثبات الألف فيها.
وقال إبراهيم بن عمر الجعبري (ت: ٧٣٢هـ) في (جميلة أرباب المراسد في شرح عقيلة أتراب القصائد)^(٣) قريباً مما قاله السخاوي، وقال في شرح البيت: (٥٣)^(٤):

يُضَاعَفُ الخُلْفُ فيه كيف جا وكتا بهِ ونافعٌ في التَّحْريمِ ذاكَ أَرَى
«فحصل الخلاف في أربعة: البقرة، والحديد من نصّ نُصِير، ويُفهم من حصره

(١) تتبعت ذلك باستقصاء في الكتب التالية: الوسيلة، للسخاوي، والجميلة، للجعبري، وتلخيص الفوائد وتقريب المتباعد، لابن القاصح، من شروح (العقيلة)، للشاطبي (ت: ٥٩٠هـ)، والتبيان، لابن آجط الصنهاجي (ت: ٧٥٠هـ)، وتنبيه العطشان، لأبي علي الحسين الرجراجي (ت: ٨٩٩هـ)، ودليل الحيران، لأبي إسحاق المارغني (ت: ١٣٤٩هـ) من شروح (مورد الظمان في رسم أحرف القرآن)، لأبي عبد الله محمد الخراز (ت: ٧١٨هـ)، وارشاد القراء، لأبي عبيد المخللاتي (ت: ١٣١١هـ)، وسمير الطالبين، لنور الدين الضَّبَّاع (ت: ١٣٨٠هـ)، مع رصد لما قال عنه المهتمون والدارسون من المعاصرين.

(٢) الوسيلة ص: ٢٤٦-٢٤٩.

(٣) الجميلة ص: ٤٠٢-٤٠٣.

(٤) الجميلة ص: ٢٧٠.

الأربعة أن ما عداها على أصل الإثبات....»، وهذا دليل آخر من أن الجعبري يرى الإثبات فيما سكت عنه الدائي.

وقال في شرح البيت: (٦٧) ^(١):

وَفَالِقُ الْحَبِّ عَنْ خُلْفٍ وَجَاعِلٌ، وَالْكَوْفِيُّ أَنْجَيْنَا فِي تَائِهِ اخْتَصَرَا

«فخرج عنه ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ الأنعام [٩٦]، ومقتضاه الإثبات».

وقال السخاوي عند شرح البيت: (١٣٩) ^(٢):

حَتَّى يُلَاقُوا مُلَاقُوهُ مَبَارَكًا أَحْ فَظُهُ مُلَاقِيهِ بَارَكْنَا وَكُنْ حَذِرَا

«و﴿مُبَارَكًا﴾ أيضاً كيف ما وقع، كذلك محذوف الألف....، و﴿بَرَكْنَا فِيهَا﴾ كذلك»، ثم قال: وقوله: وكن حذراً، نبّه به على قوله تعالى: ﴿وَبَرَكْنَا فِيهَا﴾، فإنه كُتِبَ بالألف باتفاق، فحذرك أن تقيسه على ﴿بَرَكْنَا﴾.

وقال الجعبري في شرح البيت المذكور ^(٣): «ثم إنه نصّ على ﴿بَرَكْنَا﴾، كالأصل، خاف أن تفعل فيه ما فعلت في نظيره، فقال أجمد على لفظ ﴿بَرَكْنَا﴾ المتصل بالضمير، واحذر أن تقيس عليه ﴿وَبَرَكْنَا فِيهَا﴾ [فصلت: ١٠]، لأنه متفق الإثبات».

وذكر مثل ذلك ابن القاصح (ت: ٨٠١هـ) في تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد (شرح العقيلة) ^(٤)، فنصّ هؤلاء الشُّرَاحُ على إثبات الألف فيما سكت عنه الدائي في (المقنع).

نصوص من شروح (مورد الظمان):

وقال ابن آجط الصنهاجي (ت: ٧٥٠هـ) في التبيان في شرح البيتين:

(٦٥-٦٦) ^(٥):

وَالْحَذْفُ عَنْهُمَا بِ: أَكْأَلُونَ وَعَنْ أَبِي دَاوُدَ: فَعَالُونَ

(١) الجميلة ص: ٢٩٥-٢٩٦.

(٢) الوسيلة ص: ٢٨٠-٢٨١.

(٣) الجميلة ص: ٤٤٤، وقال نحواً منه في ص: ٤٤٨، وفي ص: ٤٥٦.

(٤) انظر: تلخيص الفوائد ص: ٩٧، ومثله في لطائف الإشارات ٢/٥٦٠ و٥٦٤.

(٥) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ١٩٤-١٩٦.

كَيْفَ أَتَى وَوَزُنُ (فَعَالِيْنَ) كَلَّا وَعَنْهُ ثَبْتُ جَبَّارِيْنَ

«يريد أن الشَّيْخَيْنِ أبا عمرو وأبا داود جاء الحذف عنهما في ألف ﴿أَكَلَوْتَ﴾ اتفاقاً منهما؛ وهو قوله تعالى: ﴿أَكَلَوْتَ لِلشُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]، وإنما ذكر الناظم ﴿أَكَلَوْتَ﴾، وأفرده بالذكر وإن كان جمعاً، وهو داخل في عموم الجمع المتقدم الذي حُذِفَت الألف منه، لما وقع في هذا الوزن من الاختلاف بين الشَّيْخَيْنِ كما ذكر، فلم يحذف الحافظ (رَحِمَهُ اللهُ) من هذا الوزن إلا: ﴿أَكَلَوْتَ﴾، كما قال: (وَالْحَذْفُ عَنْهُمَا بِأَكَلَوْنَ)».

وقال أبو علي الحسين الجرجاني (ت: ٨٩٩هـ) في تنبيه العطشان في شرح البيتَيْن المذكورين^(١): «وإنما ذكر هذين الوزنين هاهنا بالحذف... لأجل الاختلاف الواقع بين الشَّيْخَيْنِ في هذين الوزنين، لأن أبا عمرو لم يحذف من هذين الوزنين إلا حرفاً واحداً، وهو قوله تعالى: ﴿أَكَلَوْتَ لِلشُّحْتِ﴾، كما قال الناظم، وما بقي من هذين الوزنين ثابت عنده، وإنما قلنا ثابت عنده لسكوته عنه، ولا يصح أن يقال الباقي من هذا الوزن محذوف عنده، لأنه لو كان محذوفاً عنده لما ذكر ﴿أَكَلَوْتَ﴾ بالحذف دون غيره».

وقال ابن آجط الصنهاجي في شرح البيت: (١٠٧)^(٢):

مَعَ شَعَائِرٍ وَجَاءَ حَذْفُ دَيْنٍ فِي نَصِّ تَنْزِيلٍ بِغَيْرِ الْأَوَّلَيْنِ

«فوق الاتفاق من أبي داود وصاحب (المنصف) على ما في التنزيل على حذف ألف ﴿وَالْإِحْسَنِ﴾ [النحل: ٩٠]، و﴿شَعَائِرٍ﴾ [المائدة: ٢] حيث وردا، واختلفا في الأولين منهما، فحذفهما (المنصف)، أي: صاحب (المنصف)، وأثبتهما أبو داود، فالكاتب إذن مَحْيَرٌ فيهما، إن شاء أثبتهما على ما في (التنزيل)، وإن شاء حذفهما على ما في (المنصف)، وإن شاء^(٣) أثبت جميع ذلك على مذهب الداني، لأنه لم يتعرض لذكر لفظةٍ منهما، فهي عنده ثابتة»، وقال في شرح البيتَيْن (١١٤-١١٥)^(٤):

(١) انظر: تنبيه العطشان في شرح مورد الظمان ص: ٢٨٠.

(٢) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٢٦٥-٢٦٦.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٢٧٥-٢٦٦.

تَجَارَةً أَمَانَتَهُ مَنَافِعُ غِشَاوَةً شَفَاعَةً وَوَاسِعُ
شَهَادَةً فَعَلُ الْجِهَادِ غَافِلُ ثُمَّ مَنَاسِكَكُمْ وَ الْبَاطِلُ
«كل ما ذكر في هذين البيتين هو لأبي داود، دون أبي عمرو، لأنَّ أبا عمرو لم يذكر من
هذه الألفاظ في (المقنع) لفظاً واحداً إلا اللفظين من لفظ «الباطل»، كما قال:

وَضَمَّنَ الدَّانِي مِنْهُ الْمُقْنِعَا وَبَاطِلٌ مِنْ قَبْلِ مَا كَانُوا مَعَا
وقال بعد شرح البيتين: (١٢٢-١٢٣)^(١):

وَعَبْرٌ أَوَّلٍ بِتَنْزِيلٍ أَتَيْنُ كَلًّا وَالْأَعْنََابُ بِغَيْرِ الْأَوَّلَيْنِ
لَكِنْ عِظَامُهُ لَهُ بِالْأَلِفِ وَكُلُّ ذَلِكَ يَحْذِفُ الْمُنْصِفُ
«فخرج من هذا أنَّ لفظ ﴿الْعِظَامِ﴾، و﴿أَعْنَبٍ﴾ لهؤلاء الشيوخ، أعني: أبا عمرو،
وأبا داود، وصاحب (المنصف)، مختلف فيها على حسب مذاهبهم فيها، ورواياتهم لها عن
المصاحف وعن أئمتهم»، ثم ذكر لصاحب (المنصف) حذف الألف من الكلمتين مطلقاً،
ولأبي عمرو الداني إثباتها فيهما مطلقاً إلا موضعين من ﴿الْعِظَامِ﴾، وهما في الآية [١٤] من
المؤمنون، فإنه ذكرهما ضمن محذوفاته، وذكر لأبي داود حذف الألف أيضاً من الكلمتين،
لكن باستثناء موضعين لكل منهما.

وقال الرجراجي في شرح البيتين المذكورين^(٢):

«.....فالخارج مما تقدّم: أن ألفاظ ﴿الْعِظَامِ﴾ و﴿أَعْنَبٍ﴾ عند صاحب (المنصف)
محذوفة مطلقاً، واستثنى أبو داود لفظين من ﴿الْعِظَامِ﴾، ولفظين من ﴿أَعْنَبٍ﴾، وأثبت
أبو عمرو ﴿أَعْنَبٍ﴾ كله، وكذلك ﴿الْعِظَامِ﴾ إلا الأولين في سورة المؤمنين فحذفهما».
وقال ابن آجط الصنهاجي في شرح البيت: (١٤٣)^(٣):

كَيْفَ ثَلَاثُونَ ثَلَاثَةً ثَلَاثُ سَلْسِلٍ، وَفِي النِّسَاءِ: وَثَلَاثُ

(١) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٢٩١-٢٩٣.

(٢) انظر: تنبيه العطشان ص: ٣٧٠-٣٧١.

(٣) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٣١٩-٣٢١.

«وقوله: وفي النساء ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ﴾ [٣]، أراد قوله تعالى: ﴿مَثْنَى وَثِلَتَ﴾ [النساء: ٣]، ذكر هذا في (المقنع) في سورة النساء فيما روى قالون عن نافع، فأدخله النّاطم فيما ذكر أبو عمرو بعد ذلك عن المصاحف، ولم يذكر الذي في سورة فاطر ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ﴾ [١٦]، لأنّ أبا عمرو لم يذكره في (المقنع) لا في الباب المذكور، ولا فيما ذكره عن المصاحف، فقول النّاطم: (وفي النساء وثلاث) احتراز مما في سورة فاطر».

وقال الجرجاني في شرح البيت المذكور^(١): «وقوله: (وفي النساء وثلاث) ... قيده بالسورة احترازاً من الذي وقع في سورة فاطر: ﴿أُولَئِكَ أَجْنَحَةُ مَثْنَى وَثِلَتَ وَرُبْعَ﴾ [١٦]، فإنه محمول على الإثبات عند أبي عمرو، لأنه سكت عنه».

وقال ابن آجط الصنهاجي في شرح البيت: (١٤٤)^(٢):

ثُمَّ خِلَافَ بَعْدَ مَقْعَدِهِمْ لَكِنْ، أُولَئِكَ وَقُلْ: لَا مَسْئَمَ

«قوله: (ثُمَّ خِلَافَ بَعْدَ مَقْعَدِهِمْ) أراد به قوله تعالى في سورة التوبة ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [٨١]، وقيده بقوله: ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ لأنّ الدّاني لم يحذف إلا هذا، فاحتز به النّاطم مما شابهه من لفظه، مثل ما في سورة المائدة ﴿مَنْ خَلَفَ﴾ [٣٣]، و﴿... مَنْ خَلَفَ﴾ في الأعراف [١٢٤]، وطه [٧١]، والشعراء [٤٩]، هذا كلّه محذوف في (التنزيل) وفي (المنصف)، وثابت في (المقنع)، لأنّه لم يذكر إلا ما في التوبة كما قدّمنا ذكره في الباب المروي عن نافع».

وقال الجرجاني نحواً من ذلك في شرح هذا البيت المذكور^(٣).

وقال ابن آجط الصنهاجي في شرح البيت: (١٤٥)^(٤):

وَفِي الْمُلَاقَاةِ سِوَى التَّلَاقِ وَفِي غُلَامَيْنِ وَفِي الْخَلَاقِ

«قوله (وَفِي الْمُلَاقَاةِ)، يريد وفي (المقنع) حذف الألف بعد اللام في (الملاقاة)

(١) انظر: تنبيه العطشان ص: ٤٠١.

(٢) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٣٢١-٣٢٢.

(٣) انظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (١٤٤) في ص: ٤٠٢.

(٤) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٣٢٢-٣٢٣.

أي: في هذه الكلمة، ثم استثنى منها كلمة (التلاق) لأنَّ الحافظ لم يذكرها، قال في (المقنع): وحذفوا الألف بعد اللام في قوله: ﴿مُلْقُوا﴾ [البقرة: ٤٦، وغيرها]، و﴿مُلْقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، و﴿فَمَلَقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، و﴿يُلْقُوا﴾ [الزخرف: ٨٣، وغيرها] حيث وقع، وسكت عن ذكر ﴿التَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]، فلم يذكره، ولذلك استثناه النَّاطِمَ له، واستثناه أيضاً قبل هذا فيما استثناه الشَّيْخُ أَبُو دَاوُدَ، فلم يُبْقِ حذف: ﴿التَّلَاقِ﴾ إلا صاحب (المنصف).

وقال الرجراجي في شرح البيت المذكور^(١): «وقوله: (سوى التلاق)، أي إلا قوله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]، فإنه سكت عنه في (المقنع)، فهو عنده ثابت لسكوته عنه، وهو أيضاً ثابت عند أبي داود، ولم يَبْقَ حذفه إلا لصاحب (المنصف)». فاستثناء صاحب المورد كلمة ﴿التَّلَاقِ﴾ من الحذف للداني دليل آخر على أن الخِرَازِيَّرى الإثبات أيضاً فيما سكت عنه الداني، والأمثلة على ذلك كثيرة في منظومته: (مورد الظمآن).

وقال ابن آجَطَا الصنهاجي في شرح البيت: (١٦١)^(٢):

وَالْحَذْفُ فِي الْمُقْنِعِ فِي ضِعَافًا وَعَنْ أَبِي دَاوُدَ جَا أَضْعَافًا

«ذكر في هذا البيت كلمتين، كلمة ﴿ضِعْفًا﴾، وخَصَّ حكمها بالحذف لصاحب (المقنع)، وفي الشَّطْر الثاني كلمة ﴿أَضْعَفًا﴾، وخَصَّ حكمها بالحذف لصاحب (التنزيل)، فقال: (وَالْحَذْفُ فِي الْمُقْنِعِ فِي ضِعَافًا) أي: الحذف لصاحب (المقنع) في ألف هذه الكلمة التي هي ﴿ضِعْفًا﴾»، إلى أن قال: «فذكر أبو عمرو ﴿ضِعْفًا﴾ [النساء: ٩]، وسكت عن ذكر ﴿أَضْعَفًا﴾ [آل عمران: ١٣٠]، كما ذكر أبو داود ﴿أَضْعَفًا﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وسكت عن ذكر ﴿ضِعْفًا﴾ [النساء: ٩]، فسكوت كل واحد منهما عن ذكر ما ذكره الآخر دليل على أَنَّ المسكوت عنه لكل منهما ثابت الألف».

وقال الرجراجي في شرح هذا البيت^(٣):

(١) انظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (١٤٥) في ص: ٤٠٣.

(٢) انظر: التبيان في شرح مورد الظمآن ص: ٣٤١-٣٤٢.

(٣) انظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (١٦١) في ص: ٤٢٩.

«ذكر في هذا البيت: أن أبا عمرو الداني ذكر الحذف في ألف ﴿ضَعَفًا﴾، وأراد قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَفًا﴾، وسكت أبو عمرو على ﴿أَضْعَفًا﴾، فهو عنده ثابت، كما سكت أبو داود عن ﴿ضَعَفًا﴾، فهو عنده ثابت، فكل واحد من الشيخين سكت عما ذكره الآخر، وأن أبا داود ذكر الحذف في ألف ﴿أَضْعَفًا﴾، وأراد قوله تعالى في آل عمران: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الَّتِي بَنَيْتُمُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تِلْكَ الَّتِي هِيَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ [١٣٠]، ولا يندرج ها هنا: ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ في سورة البقرة [٢٤٥]، لأنه قبل هذه الترجمة، لأن كل ترجمة تحتوي على ما فيها وعلى ما بعدها، ولا تحتوي على ما قبلها، وقد نصّ أبو داود على إثباته، فقال أبو داود في التنزيل في سورة البقرة: ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ بألف ثابت».

وقال ابن آجط الصنهاجي بعد شرح البيتين: (١٦٣-١٦٤) (١):

مُبَارَكُهُ، وَمُقْنِعُ: تَبَارَكَ مُبَارَكُ، وَأَبْنُ نَجَاحٍ: بَارَكَ
وَعَنْهُ مِنْ صَادٍ أَتَى مُبَارَكَ ثُمَّ مِنَ الرَّحْمَنِ قُلْ: تَبَارَكَ

«ذكر الناظم (رَحِمَهُ اللَّهُ) ما تصرف من لفظ (البركة) في هذه الأبيات، وهي: ﴿مُبَرَكَةٌ﴾، و﴿تَبَارَكَ﴾، و﴿مُبَارَكُ﴾، و﴿وَبَرَكَ﴾، و﴿بَرَكَ﴾، وذكر أن الشيخين اختلفت طريقتهما في هذه الألفاظ، فمنها ما اتفقا على حذف ألفه فيها، ومنها ما اختلفا فيه، فاختص كل واحد منهما في حكم دون صاحبه، فالذي اتفقا عليه بالحذف من هذه الألفاظ الكلمة الأولى من هذه الأبيات والكلمة الأخيرة، وهما: ﴿مُبَرَكَةٌ﴾، و﴿بَرَكَ﴾، واختلفا فيما بقي، فمذهب الداني فيها حذف الألف منها كلها حيث وردت هذه الألفاظ إلا كلمة: ﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: ١٠]، فإنها عنده ثابتة، وعند أبي داود محذوفة...»، ثم نقل نصّ الداني في (المقنع)، فعلق عليه بقوله:

«وسكت عن ذكر: ﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: ١٠]، فلم يذكره، وهو الذي نبّه عليه أبو الحسن السَّخَاوِيُّ في قول الشَّاطِئِيِّ (رَحِمَهُ اللَّهُ):

..... بَارَكْنَا وَكُنْ حَذِرًا

(١) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٣٤٤-٣٤٧.

قال السَّخَاوِيُّ: نَبَّهَ به على قوله تعالى: ﴿وَبَرَكْتُ فِيهَا﴾، فَإِنَّهُ كُتِبَ بِأَلْفٍ بِاتِّفَاقٍ، فَحَذَرْتُ أَنْ تَقْيِسَهُ عَلَى: ﴿بَرَكْنَا﴾.

وقال الرجراجي في شرح هذه الآيات^(١):

«ذكر الناظم في هذه الآيات: ما تصرف من لفظ البركة، وهي خمسة ألفاظ، وهي: ﴿مُبْرَكَةٌ﴾، و﴿تَبَارَكَ﴾، و﴿مُبَارَكٌ﴾، و﴿وَبَرَكْتُ﴾، و﴿بَرَكْنَا﴾.

ثم قال: «... فخرج من هذا: أن أبا عمرو حذف الألفاظ الخمسة كلها إلا ﴿وَبَرَكْتُ﴾، وأن أبا داود حذف ثلاثة مطلقاً، وهي: ﴿مُبْرَكَةٌ﴾، و﴿وَبَرَكْتُ﴾، و﴿بَرَكْنَا﴾، وقيد لفظين وهما: ﴿مُبَارَكٌ﴾ و﴿تَبَارَكَ﴾، قيد أحدهما بسورة ص، وما بعدها، وقيد الآخر بسورة الرحمن، وما بعدها».

وقال ابن آجَطَا الصنهاجي في شرح البيت: (١٧١)^(٢):

وَقَالَ طَائِرُكُمْ فِي التَّمَلِّ وَقَبْلُ فِي الْإِسْرَا تَمَامُ الْكُلِّ

«... هذه الألفاظ المذكورة في هذا النَّظْم من لفظ ﴿طَائِرٍ﴾ هي التي وقع اتفاق الشَّيْخِينَ على الحذف فيها، وسَكَتَ في (المقنع) عن الذي في سورة يس، فلم يذكره، وهو قوله تعالى: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ [١٩]، وذكره أبو داود في سورة الأنعام بالحذف كنظايره»، ثم قال «..... وهو الذي أراد بقوله: (وَقَبْلُ فِي الْإِسْرَا تَمَامُ الْكُلِّ) أي: الحرف الذي في سورة الإسراء، (تَمَامُ الْكُلِّ) ألفاظ ﴿طَائِرٍ﴾ لهما، يعني: الشَّيْخِينَ، وبقي الذي في سورة يس، زاد أبو داود على أبي عمرو مجذفه».

وقال الرجراجي في شرح البيت المذكور^(٣): «وقوله: (تمام الكل)، معناه اللفظ الذي في سورة الإسراء هو تمام ألفاظ «الطائر» التي اتفق الشَّيْخَان على حذفها، وأما غير هذه الألفاظ المذكورة من لفظ «الطائر»، فهو ثابت عند أبي عمرو الدَّانِي، وذلك قوله تعالى في سورة يس: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ دُكِّرْتُمْ﴾ [١٩].»

(١) انظر: تنبيه العطشان ص: ٤٣٢-٤٣٣.

(٢) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٣٥٤-٣٥٥.

(٣) انظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (١٧١) في ص: ٤٣٩-٤٤٠.

وقال ابن آجط الصنهاجي في شرح البيت: (١٧٢) (١):

إِلَّا إِنَاثًا، وَرُبَاعَ الْأَوَّلَا كَذَا قِيَامًا فِي الْعُقُودِ نَقْلًا

«هذا أيضاً مما اتَّفقا عليه بالحذف، وبقيت من هذه الألفاظ ألفاظ لم يتعرض أبو عمرو لها، وذكرها أبو داود بالحذف، وقوله: (وَرُبَاعَ الْأَوَّلَا) يعني: مما اتَّفقا على حذفه، واحتراز بقوله: (الأوَّلَا) من الذي في سورة فاطر: ﴿أُولَئِكَ أَجْنَحٌ مَّثْنَىٰ وَثُلَّةٌ مَّثْنَىٰ﴾ [١]، لأنَّ أبا عمرو لم يذكره، وهما معاً لأبي داود محذوفان، وأراد قوله هنا الذي في سورة النساء: ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَّةٌ مَّثْنَىٰ﴾ [٣]، ذكره أبو عمرو في سورته فيما روى عن نافع...، ثم قال: «وقوله: (كَذَا قِيَامًا فِي الْعُقُودِ) أي: كما ذكرت لك بالحذف والاتفاق فيما تقدَّم من هذه الألفاظ»، ثم قال:.... «وبقيت من هذا اللَّفْظ كلمات لم يتعرض أبو عمرو لذكرها، وذكرها أبو داود بالحذف».

جاء أوضح من ذلك عند الرجراجي (٢)، فقال: «وقوله: (ورباع الأوَّلَا)... قيده بالأول احترازاً من قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿أُولَئِكَ أَجْنَحٌ مَّثْنَىٰ وَثُلَّةٌ مَّثْنَىٰ﴾ [١]، فإنه ثابت عند أبي عمرو...»، وقال: «... وقوله: (كذا قياماً في العقود نقلاً)... قيده بالسورة احترازاً من غيره، فإنه ثابت عند أبي عمرو».

وقال ابن آجط الصنهاجي في شرح البيت: (١٧٣) (٣):

وَبَالِغِ الْكُعْبَةِ قُلْ، وَالْأَنْبِيَا فِيهَا يُسَارِعُونَ أَيْضاً رَوِيَا

«هذا أيضاً مما اتَّفقا على حذف الألف فيه من هاتين الكلمتين لا غير، وهما: ﴿بَالِغِ الْكُعْبَةِ﴾ في سورة العقود [٩٥]، و﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ في الأنبياء [٩٠]، وبقي من هذين اللفظين ألفاظ لم يتعرض أبو عمرو لها، واستوعبها أبو داود حيث جاءت بالحذف».

(١) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٣٥٥-٣٥٧.

(٢) انظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (١٧٢) في ص: ٤٤١.

(٣) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٣٥٧-٣٥٨.

وقال الرجراجي في شرح البيت المذكور^(١): «وقوله: (وبالغ الكعبة)... قيده بالمجاور احترازاً من غيره، كقوله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَمَا هُوَ بِكَافٍ﴾ [١٤]، وقوله في سورة الطلاق: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغَ أَمْرَهُ﴾ [٣]، فإنه ثابت عند أبي عمرو الداني»، ثم قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]: «قيده بالسورة، لأنه هو الذي اتفق عليه الشيخان احترازاً من غيره، فإنه ثابت عند أبي عمرو الداني لسكوته عنه، كقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١١٤]، وقوله فيها أيضاً: ﴿وَلَا يَخْرُجُكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [١٧٦]...».

وقال ابن آجط الصنهاجي في شرح البيت: (١٨٣)^(٢):

وَجَاعِلُ اللَّيْلِ وَأَوَّلَى فَالِقُ

«وقوله: (وَأَوَّلَى فَالِقُ) يريد الكلمة الأولى من كلمة ﴿فَالِقُ﴾، - لأنها كلمتان - في سورة الأنعام: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [٩٥]، هي التي اتفق الشيخان على ذكر الخلاف فيها... والكلمة الثانية هي قوله: ﴿فَالِقُ الْأَصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، ومنها احتراز الناظم بقوله: (وَأَوَّلَى فَالِقُ) لأنَّ أبا عمرو لم يذكرها، واختص أبو داود بذكر الخلاف فيها كالأول».

وقال الرجراجي في شرح البيت المذكور^(٣): «وقوله: (وَأَوَّلَى فَالِقُ)... قيده الناظم بالأولى احترازاً من الثانية، وهي قوله تعالى في سورة الأنعام أيضاً: ﴿فَالِقُ الْأَصْبَاحِ﴾، فإنه ثابت عند أبي عمرو الداني».

وقال ابن آجط الصنهاجي في شرح البيت: (١٨٤)^(٤):

بِمُنْصِفٍ، وَعَامِلٌ وَالْإِنْسَانُ قَدْ ضَمِنَا التَّنْزِيلَ قُلْ وَالْبُهْتَانُ

«وقوله: (قُلْ وَالْبُهْتَانُ) كذلك أيضاً هذه الكلمة ضمنت في (التنزيل) بالحذف، وهو وزن (فُعْلان)، مثل قوله: ﴿اتَّخَذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مِينَا﴾ [النساء: ٢٠]، وإِنَّمَا نَبَّهْنَا عَلَى هَذَا

(١) انظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (١٧٣) في ص: ٤٤٢.

(٢) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٣٧٤-٣٧٧.

(٣) انظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (١٨٣) في ص: ٤٥٦.

(٤) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٣٧٤-٣٧٧.

الوزن لقول الناظم بعد هذا: (وَذَكَرَ الدَّائِي وَزْنَ فُعْلَانْ)، فهذا الوزن ثابت لأي عمرو، وبعضه محذوف لأي داود، وبعضه مسكوت عنه».

وقال الرجراجي في شرح البيت المذكور^(١): «وقوله: (والبهتان) هذا مما حذفه أبو داود من وزن (فُعْلَانْ)، وأما أبو عمرو فقد أثبتته حيث ما وجد في القرآن، كما سيأتي في قول الناظم: (وذكر الدائي وزن فُعْلَانْ بألف ثابتة كالْعُدْوَانْ)».

وقال ابن آجط الصنهاجي في شرح البيت: (١٨٦)^(٢):

وَاحْذِفْ سُكَارَى عَنْهُ قُلْ وَالْوِلْدَانَ وَعَنْهُمَا فِي الْحَجِّ جَاءَ الْحَرْفَانِ

«قوله: (عَنْهُ) أي: عن أبي داود...»، ثم قال: «وافقه أبو عمرو على حذف الموضعين الذين في سورة الحج، وسكت عن الذي في سورة النساء، وهو قوله: (وَعَنْهُمَا فِي الْحَجِّ جَاءَ الْحَرْفَانِ)، ذكر ذلك أبو عمرو في (المقنع) فيما رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي عن قالون عن نافع: «وفي الحج ﴿سُكَارَى وَمَاهُمْ بِسُكَارَى﴾ [٢]».

وقال الرجراجي في شرح البيت المذكور^(٣): «وقوله: (وعنهما في الحج جاء الحرفان) هذا راجع إلى اللفظ الأول، وهو ﴿سُكَارَى﴾، وليس يرجع إلى ﴿وَالْوِلْدَانِ﴾، يعني: أن أبا عمرو الداني وافق أبا داود على حذف الألف في ﴿سُكَارَى﴾ في الموضعين في سورة الحج، وهما قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَاهُمْ بِسُكَارَى﴾ [٢]، وسكت أبو عمرو عن الذي في سورة النساء، فهو عنده محمول على الإثبات لسكوته عنه».

وقال ابن آجط الصنهاجي في شرح البيت: (١٨٨)^(٤):

وَعَالِمُ الْغَيْبِ لِكُلِّ بِسَبَا وَلِسَوَى الدَّائِي سِوَاهُ نُسَبَا

«ذكر في هذا البيت أن لفظ ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾ حيث أتى في كتاب الله تعالى مثل قوله تعالى في هذا الجزء في سورة الأنعام ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الْحَكِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [٧٣]

(١) انظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (١٨٤) في ص: ٤٥٦.

(٢) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٣٧٧-٣٧٨.

(٣) انظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (١٨٦) في ص: ٤٥٩-٤٦٠.

(٤) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٣٧٩-٣٨٠.

محذوف الألف في جميع المصاحف لجميع الرواة ما خلا الدائي، فإنه لم يوافقهم إلا على حذف الألف من ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَعْزُبُ﴾: في سورة سبأ [٣]، لا غير، ثم قال: «وقوله: (وليسوى الدائي) أي: ولغير الدائي، (سواءه) أي: غير الحرف الذي في سبأ، (نسباً) أي: نُسِبَ بالحذف لغير أبي عمرو كما قدّمنا».

وقال الرجراجي في شرح البيت المذكور^(١): «وقوله: (ولسوى الدائي سواء نسباً) في هذا اللفظ تقديم وتأخير، تقديره: وسواء نسب لسوى الدائي، معناه: ونُسب سوى لسوى الدائي، أي ونُسب حذف سوى الذي في سبأ لغير الدائي، يعني أن أبا عمرو لم يوافق الشيوخ إلا على الذي في سورة سبأ، وأما غير الذي في سبأ، فهو محذوف عند غير الدائي...».

وقال ابن آجط الصنهاجي في شرح البيت: (٢٠٣)^(٢):

ثُمَّ سَرَابِيلَ مَعَا أَنْكَائَا جِدَالَنَا اسْطَاعُوا وَقُلْ أَثَانَا
«...، وكلّ ذلك ثابتٌ عند أبي عمرو».

فنصّ ابن آجط على الإثبات لأبي عمرو في كلماتٍ سكت عنها في (المقنع).

وقال في شرح البيت: (٢١٦)^(٣):

كَذَا رَوَاسِي وَالْإِسْتِئْذَانُ فَعِلُ الْمُرَاوَدَةِ وَالْبُنْيَانُ

«وقوله: (وَالْبُنْيَانُ)...، وهو وزن (فُعْلَان) حذف منه أبوداود مواضع، وسكت عن

مواضع، مثل: ﴿كُفْرَانَ﴾ [الأنبياء: ٩٤]، و﴿الْخُسْرَانَ﴾ [الحج: ١١]، و﴿يَقْرَبَانَ﴾ [آل عمران:

١٨٣]، وهذا الوزن كله ثابت عند أبي عمرو الدائي...».

وقال الرجراجي في شرح البيت المذكور^(٤): «وقوله: (والبنيان) هذا مما حذفه أبوداود

من وزن: (فُعْلَان)، لأن أبا داود لم يحذف من هذا الوزن إلا ألفاظاً معلومة، وأما أبو

(١) انظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (١٨٨) في ص: ٤٦١.

(٢) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٤١٦-٤١٧.

(٣) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٤٢١-٤٢٣.

(٤) انظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (٢١٦) في ص: ٤٩٣.

عمرو فلم يحذف منه شيئاً، بل أثبتته كله». وقال في شرح البيت: (٢١٧)^(١):

وَذَكَرَ الدَّائِي وَزْنَ (فُعْلَانُ) بِأَلْفِ ثَابِتَةٍ كَالْعُدْوَانِ

«فقول الناظم: (وذكر الدائي وزن فُعْلَانُ)، وقوله: (ووزن فُعْلَانُ وفاعِل ثبت)، يريد وكذلك ثلاثة أوزان أخرى ذكرها أيضاً بالإثبات، وأجيب عن هذا أيضاً بأن قيل: لما كان ما سكت عنه الناظم من هذه الأوزان لا يضر، فلم يحتج إلى ذكره، لأن كل ما سكت عنه يُحْمَلُ على الإثبات، وإن لم يذكره بالإثبات.»

فكان الرجراجي يشير إلى قاعدة عامة، وهي أن كل ما سكت عنه الخراز في باب الحذف والإثبات للدائي، فإنه يُحْمَلُ على الإثبات، ومن المعروف أن الخراز^(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ لم يسكت إلا عما سكت عنه الدائي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال ابن آجط الصنهاجي في شرح البيت: (٢٣١)^(٣):

وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو فَصَالَ لُقْمَانُ وَعَنْ أَبِي دَاوُدَ جَاءَ الْحَرْفَانُ

«ذكر في هذا البيت لفظة ﴿وَفَصَّلَهُ﴾، وهي في سورتين: في سورة لقمان، وفي سورة الأحقاف، وذكر أنهما اتفقا على ما في سورة لقمان بالحذف، وانفرد أبو داود بحذف ما في سورة الأحقاف دون أبي عمرو، وهذا معنى قوله: (وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو فَصَالَ لُقْمَانُ) أي: جاء (فَصَالَ لُقْمَانُ) بالحذف، احترازاً من الذي في سورة الأحقاف.»

وقال الرجراجي في شرح البيت المذكور^(٤): «ذكر الناظم في هذا البيت: أن أبا عمرو الدائي حذف ألف: (فصال) الواقع في سورة لقمان، وأراد قوله تعالى فيها: ﴿وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ﴾ [١٤]، وقيده بالسورة احترازاً من الذي في سورة الأحقاف، فإنه ثابت عند أبي عمرو الدائي.»

(١) انظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (٢١٧) في ص: ٤٩٣-٤٩٤.

(٢) انظر: التبيان مورد الظمان ص: ٩.

(٣) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٤٤١-٤٤٢.

(٤) انظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (٢٣١) في ص: ٥٠٩.

وقال ابن آجط الصنهاجي في شرح البيت: (٢٣٤) (١):

وُظِّلَتْ: لَيْكَه، وَفِي بِقَادِرٍ فِي الْأَوَّلَيْنِ الْحَذْفُ مَعَ تُصَاعِرٍ
«وقوله: (في الأولين) يعني: أَنَّ الحذف عن الشَّيْخَيْنِ فِي اللَّفْظَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنْ لَفْظِ
﴿بِقَدِيرٍ﴾، وأراد الذي في سورة (يس)، والذي في سورة الأحقاف، هذان هما الأولان،
وهما اللذان وافق أبو عمرو لأبي داود على الحذف فيهما، وقال: (الأولين) احترازاً من الذي
في سورة القيامة، لأنَّه مسكوت عنه لأبي عمرو، وهو محذوف لأبي داود».

وقال الرجراجي في شرح البيت المذكور (٢): «وقوله: (في الأولين) قيدهما بالمرتبتين،
احترازاً من الذي في سورة القيامة، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾
[٤٠]، فإنه ثابت عند غير أبي داود، وقد قرئ اللفظ الذي في سورة يس بغير ألف على أنه
فعل مستقبل، وبه قرأ يعقوب الحضرمي (٣)». قال الرجراجي في شرح البيت: (٢٣٥) (٤):

وَحَيْثُمَا بِقَادِرٍ بِالْبَاءِ لِابْنِ نَجَاحٍ جَاءَ بِاسْتِيفَاءٍ
«معنى هذا البيت: أن ابن نجاح أطلق الكلام بالحذف في لفظ ﴿بِقَدِيرٍ﴾ المقيّد
بالباء حيث ما جاء في القرآن، لا فرق بين الأولين المذكورين الذين وافقه على حذفهما
أبو عمرو، ولا غيرهما، فيندرج الذي في سورة القيامة عند ابن نجاح، فهو محذوف عنده،
وهو ثابت عند أبي عمرو الداني».

وقال ابن آجط الصنهاجي في شرح البيت: (٢٥٤) (٥):

وَوَزُنْ (فَعَالٍ) وَ(فَاعِلٍ) ثَبِتَ فِي مُقْنِعٍ إِلَّا الَّتِي تَقَدَّمَتْ
«لما ذكر لفظ ﴿قَتَيْتُ﴾، وهو وزن (فَاعِلٍ)، و﴿خَشَعًا﴾ أَوَّلُ الْجُزْءِ، وهو وزن (فَاعِلٍ)،
و﴿أَلْفَدْرُ﴾، وهو وزن (فَعَالٍ)، وَأَنَّ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ وَكثيراً من أوزانهما محذوف لأبي داود،

(١) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٤٤٥-٤٥٣.

(٢) انظر: - شرح البيت: (٢٣٤) في ص ٥١٢-٥١٣.

(٣) في رواية رويس عنه، ووافقه روح في الأحقاف، انظر: النشر ٣٥٥/٢.

(٤) انظر: تنبيه العطشان شرح البيت: (٢٣٥) في ص: ٥١٦.

(٥) انظر: التبيان في شرح مورد الظمان ص: ٤٨٥-٤٨٦.

أراد أن يخبر أن أبا عمرو الداني لم يحذف من هذين الوزنين إلا ما تقدّم.
واعترض الرجراجي في شرح البيت المذكور على قول الناظم^(١): (ووزن فعّال وفاعل ثبت) بأن يقال: لماذا ذكر الناظم أن وزن: (فَعَّال)، و(فَاعِل) ثبت؟ مع أن هذا إخبار بالمعلوم، لأن كلّ ما سكت عنه يُحمل على الإثبات، فلا يحتاج الناظم هاهنا إلى ذكر الإثبات في هذين الوزنين، فأجاب عنه: بأن الناظم تبع في هذا أبا عمرو الداني، لأنه ذكر هذه الأوزان في (المقنع) بالإثبات.

قال إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي (ت: ١٣٤٩هـ) في دليل الحيران في شرح البيت: (٤٤)^(٢):

بَابُ اتَّفَاقِهِمْ وَالِاضْطِرَابِ فِي الْحَذْفِ مِنْ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ
«وإنما اقتصر في الترجمة على الحذف، لأنه هو المخالف لقاعدة الرسم القياسي، وأما الإثبات، فلا حاجة إلى التنصيص عليه لجريانه على القياس، ولذا لم يترجم له، ولم يتعرض لشيء منها استقلالاً.»

وقال المارغني في شرح البيت: (٢٠٦)^(٣):

وَجَاءَ فِي الرَّعْدِ وَنَمِلَ عَنْهُمَا وَنَبَا لَفْظُ تُرَاباً مِثْلَ مَا
«واحترز بقيد السور الثلاث عن الواقع في غيرها، فإن ألفه ثابتة، نحو: ﴿يَعْدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ...﴾ في قد أفلح [٣٥]، وقد تعدّد فيها، وفي غيرها.»

إذا كان قيد السور هنا يفيد أن الألف الواقعة في غيرها ثابتة، فلماذا تحديد كلمات قرآنية في سورها في كلام الداني في كتابه عموماً لا تفيد ذلك؟
وقال المارغني في شرح البيت: (٢٣٣)^(٤):

فَنَاطِرَةٌ ثُمَّ مَعاً بِهِدِي فِيهَا سِرَاجاً، وَيَنْصَصُ صَادٍ

(١) انظر: تنبيه العطشان ص: ٥٤٤.

(٢) دليل الحيران ص: ٤١.

(٣) دليل الحيران ص: ١٤٨.

(٤) دليل الحيران ص: ١٦٨، وانظر: أمثلة مشابهة لها في ص: ١٧١، وفي صفحات كثيرة من الكتاب.

«واحترز بقيد المجاور للفاء عن الخالي منها، نحو: ﴿إِلَى رَيْهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، فإن ألفه ثابتة»، وقال مثل ذلك في الكلمتين التاليتين: ﴿يَهْدِي﴾ [النمل: ٨١]، و﴿فِيهَا سِرَاجًا﴾ [الفرقان: ٦١].

ومثل هذه المحترزات موجودة في كلام الداني عند ذكره حذف الألفات في أحرف مخصوصة، في سورها المعلومة، مما يدل على أن أحرفاً مماثلة لها ليست في الحذف مثلها، بل الألف فيها ثابتة على الأصل.

نصوص من كتب المتأخرين والمعاصرين:

وكذلك وُجِدَتْ نصوص في: إرشاد القراء للمخلّلاتي (ت: ١٣١١هـ)، وسمير الطالبين للضَّبَّاع (ت: ١٣٨٠هـ)، وغيرهما تؤكّد المنهج المذكور للداني في كتابه (المقنع)، فأذكر هنا بعضاً منها:

نصوص من إرشاد القراء:

قال المخلّلاتي في إرشاد القراء -في سورة الفاتحة- (١): «﴿الْصِّرَاطُ﴾... وألفه ثابتة عند الداني...» (٢).

علماً بأن هذه الكلمة سكّت عنها الداني في (المقنع)، إلا أنها على وزن (فِعَال) مما يثبت الداني كما تقدم.

(١) إرشاد القراء ٢٥٧/١.

(٢) علّق عليه محقق الإرشاد بقوله: «لم يذكر الداني لفظ ﴿الْصِّرَاطُ﴾ تصريحاً، وإنما ذكر إثبات الألف في كل ما كان على وزن (فِعَال)، فأخذوا له بالإثبات في ﴿الْصِّرَاطُ﴾ من عموم كلامه السابق، وعليه فيندرج ﴿الْصِّرَاطُ﴾ في هذا الوزن، والصواب كما قال د/شرشال أن ذلك ليس بمطرد، لأن ﴿الْكَيْتَبُ﴾ يرسم بحذف الألف مع أنه يوازن (فِعَال)، فالأصل اقتفاء الأثر واتباع النقل».

أقول: إن الألف في ﴿الْصِّرَاطُ﴾ ثابتة بنص الداني، لأنه نصّ على أن كل ما كان على وزن (فِعَال) فألفه ثابتة، إلا إذا استثنى منه شيئاً، ومعلوم أن الداني لم يستثنه من هذا الوزن، أما موازنته بين كلمة ﴿الْصِّرَاطُ﴾، وكلمة ﴿الْكَيْتَبُ﴾، فليست بصحيحة، لأن ﴿الْكَيْتَبُ﴾ وإن كان على وزن (فِعَال)، إلا أن الداني قد استثنى منه أربعة مواضع فقط، فثبتت الألف فيها، كما تقدم في المبحث الأول في وزن (فِعَال)، وانظر: المقنع ص: ٢٠ و٤٤.

وقال في سورة البقرة^(١): ﴿يَذَرِكُمْ﴾ بإثبات الألف عند الداني...^(٢)
وهذه الكلمة سكت الداني عنها أيضاً في (المقنع)، إلا أنها على وزن (فَعَال)، وقد نصَّ
الداني على إثبات الألف منه إلا فيما استثنى من هذا الوزن.
وقال في سورة آل عمران^(٣): ﴿مُبَارَكًا﴾ بحذف الألف حيث وقع... إلا قوله تعالى:
﴿وَذَرِكْ فِيهَا﴾ [فصلت: ١٠] فأثبت ألفه الداني، وحذفه أبو داود...^(٤)
وهذه الكلمة أيضاً مما سكت عنه الداني في (المقنع)، وليست من أوزان الأسماء التي
نصَّ الداني على إثبات الألف منها.
وقال في سورة الأنعام^(٥): ﴿وَلَا ظَيْرَ﴾ [٣٨] بحذف الألف اختصاراً هنا...، واختلفوا
في قوله تعالى: ﴿قَالُوا ظَيْرِكُمْ﴾ [يس: ١٩]، فأثبت الداني، وحذفه أبو داود.
هذه الكلمة على وزن (فَاعِل)، ونصَّ الداني على إثبات الألف منه إلا تسع عشرة

(١) إرشاد القراء ٣٣١/١.

(٢) وقال محقق الإرشاد معلّقاً عليه: «لم يتعرض له الداني حذفاً أو إثباتاً، فأخذوا بالإثبات من السكوت كعادتهم...». والسياق يدل على أن الضمير في قوله: (فأخذوا) يعود على علماء الرسم أمثال: السخاوي، والجعبري، وابن آجط، والرجاجي، وابن عاشر، والمخللاتي، والمارغي، وغيرهم الذين يرون الإثبات للداني فيما سكت عنه في المقنع، فلماذا استخدم الأسلوب (كعادتهم) في حق هؤلاء العلماء الذين أفنوا أعمارهم لخدمة القرآن الكريم وعلومه، ومنها علم الرسم العثماني؟، ولم أفهم مراد المحقق من قوله: (كعادتهم)، لو قال بدلاً من ذلك «على منهجهم» لكان أحسن لأن الأشياء العلمية لا تثبت بالعادات.

(٣) إرشاد القراء ٣٧٣/١.

(٤) وقال محقق الإرشاد في الحاشية: «ذكر الداني جميع المشتقات من البركة بالنص وأنها محذوفة الألف إلا أنه لم يذكر معها ﴿وَذَرِكْ فِيهَا﴾ موضع الأول، فاحتمل إلحاقه بالمحذوفات عنده حملاً للنظائر إلا أن الخراز نصَّ على الإثبات فيه للداني في قوله عاطفاً على المحذوفات: (ومقنع تبارك مبارك وابن نجاح بارك)، فأخذ العلماء بالإثبات له.

قال ابن عاشر في فتح المنان (خ) ق/٤٩أ: تنبيه: تلخص من كلام الناظم في ألفاظ البركة أن أبا عمرو حذف ألف جميعها إلا ﴿وَذَرِكْ﴾، وأن أبا داود حذف منها ثلاثة مطلقاً، واثنين بغيره، فـ ﴿مُبَارَكٌ﴾ من ص، و﴿وَذَرِكْ﴾ من الرحمن».

هذا النص من ابن عاشر يدل على أنه يرى الإثبات أيضاً فيما سكت عنه الداني كابن آجط، والرجاجي، وغيرهما.

(٥) إرشاد القراء ٤١٣/١.

كلمة منه، ومنها ﴿طَلَّيْرٌ﴾ بمواضعه الخمسة، سوى موضع يس [١٩]، فإنه سكت عنه، فيبقى على الإثبات، لأنه الأصل.

ويرى فضيلة الدكتور أحمد شرشال^(١) حذف الألف للداني في موضع يس أيضاً استناداً إلى قول الداني: ^(٢) «وفي آل عمران... ﴿فَيَكُونُ طَلَّيْرًا﴾ [٤٩] حيث وقع»، يعني بالحذف.

لكن الذي يقتضيه منهج الداني في (المقنع) - فيما أرى، والله أعلم - هو الإثبات في سورة يس [١٩] - كما ذكرت ذلك عن علماء الرسم -، والحذف في غيرها، وذلك فيما اتفقوا على قراءته على وزن (فاعِل)، وهي خمسة مواضع في: الأنعام [٣٨]، والأعراف [١٣١]، والإسراء [١٣]، والنمل [٤٧]، ويس [١٩].

ويُحْمَلُ قوله المذكور: «حيث وقع» على ما اختلف القراء فيه، وهي أربعة مواضع: موضعان في آل عمران في الآية [٤٩]، وموضعان في المائدة في الآية [١١٠]، لأن اللفظ المعرّف منها: ﴿الطَّلَّيْرُ﴾ في الآيتين، يقرأه على وزن (فاعِل) أبو جعفر فقط، وأمّا اللفظ المنكّر منها: ﴿طَلَّيْرٌ﴾ في الآيتين، فيقرأه على وزن (فاعِل) نافع وأبو جعفر ويعقوب، وقرأهما الباقر بحذف الألف فيهما^(٣).

وذلك لأن الداني قال في كلامه السابق: «﴿فَيَكُونُ طَلَّيْرًا﴾ حيث وقع»، ولم يقل: «طائراً»

(١) انظر مختصر التبيين ٣٤٦/٢ (الحاشية ٧)، ومما قال فيها: «جميع ألفاظ ﴿الطَّلَّيْرِ﴾ نصّ أبو داود على حذف ألفها، وروى جميعها أبو عمرو الداني بسنده في الباب المروي عن قالون عن نافع بالحذف إلا موضع يس سكت عنه، وتبعه على ذلك الشاطبي واستثناه له شُرَّاح المورّد ونصّوا على إنباته له وتبعهم على ذلك الشيخ الضَّبَّاع، وبه جرى العمل في المصحف برسم الداني، وحجّتهم أنه مسكوت عنه. إلا أن الظاهر والمتبادر من كلام الداني الحذف، لأنه قال في أول مواضعه: «حيث وقع»، ثم تعرض لبقية الحروف بالتعيين، وأحسبه اكتفى بصيغة التعميم، وذكر بعض حروفه...» أقول: لو كان اكتفى بصيغة التعميم عن الجميع، لما ذكر المواضع الأربعة من لفظ ﴿طَلَّيْرٌ﴾، وسكت عن الخامس.

وانظر أيضاً: التوجيه السديد ص: ٦٣-٦٤، ومخالفات النسخ ص: ٩٦، وما بعدها، وتبعه المحققان في: سفير العالمين ١٦٥/١، وارشاد القراء ٤١٣/١.

(٢) انظر المقنع ص: ١٠.

(٣) انظر: النشر ٢٤٠/٢.

حيث وقع، وعلى هذا لا تناقض في كلام الداني، ولا اضطراب في منهجه. ولو حملنا - فرضاً - قول الداني المذكور على جميع الكلمات - المتفق عليها، والمختلف فيها قراءة - كما حمّله عليها فضيلة الدكتور أحمد شرشال -، فيكون للداني في موضع يس (١٩) وجهان: الإثبات له فيه على منهجه، لأنه على وزن (فاعِل)، ولم يستثن من ذلك موضع يس، بل سكت عنه فيها في موضعه، والحذف له فيه بناء على قوله المذكور في سورة آل عمران: «حيث وقع»، على رأي فضيلة الدكتور شرشال ومَن معه.

نصوص من سمير الطالبين:

قال الشيخ علي بن محمد الضَّبَّاع (ت: ١٣٨٠هـ)^(١): «وأما ﴿الَسَّاحِرُ﴾ المعروف، ففيه الإثبات عن أبي داود، كالدَّانِي في المشهور عنه». فذكر الإثبات للداني في هذه الكلمة، مع أنها مما سكت عنه الداني في (المقنع)، إلا أنها على وزن (فاعِل) مما يثبتته. وقال أيضاً^(٢): «﴿طَلَّيرٌ﴾ كيف جاء: عنهما - يعني بالحذف عن الشيخين -، إلا أن الداني أثبت الألف في موضع يس».

وهذه الأمثلة وغيرها^(٣) عنده تدل على أن الضَّبَّاع يرى - كابن آجط الصنهاجي، والرجراجي، وغيرهما - الإثبات أيضاً للداني في الكلمات التي سكت عنها في (المقنع). قال الشيخ عبد الفتاح القاضي (ت: ١٤٠٣هـ) معلقاً على البيت: (١٨٨) من (مورد الظمان)^(٤):

وَعَالِمُ الْغَيْبِ لِكُلِّ بِسَبَا وَلِسَوَى الدَّانِي سِوَاهُ نُسَبَا

«يعني: نُسِبَ حذف ألف لفظ ﴿عَلِمَ﴾ في جميع المواضع غير موضع سبأ لغير الداني من أئمة الرسم كأبي داود: فيفهم منه أن الداني يُثَبِّتُ الألف في [غير]^(٥) هذا الموضع،

(١) انظر: سمير الطالبين (مع السفير) ١٥٣/١ (الحاشية).

(٢) انظر: سمير الطالبين (مع السفير) ١٦٥/١.

(٣) انظر: على سبيل المثال سمير الطالبين (مع السفير) ١١٦/١، ١١٨، ١٤٢، ١٧٩.

(٤) دليل الحيران بتحقيق الشيخ عبد الفتاح القاضي، ص: ١٣٤.

(٥) سقطت الكلمة من المطبوع سهواً.

فيكون الحذف في موضع سبأ للجميع، وفي غيره لغير الداني.»

نصوص بعض المعاصرين:

قال الدكتور غانم قدوري^(١) - وهو يتحدث عن أسباب الاختلاف في الحذف والإثبات -، فذكر السبب الثاني بقوله: «اختلاف العلماء في الرواية، كما في قوله تعالى ﴿التَّوْبَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فروي بحذف الألف لأبي داود سليمان بن نجاح، وبإثباتها لأبي عمرو الداني.»

مع أن الداني لم ينصّ على الإثبات فيه، إنما نصّ على الحذف في ﴿أَكَلُوتَ﴾ [المائدة: ٤٢] فقط^(٢)، وسكت عن غيره.

وكذلك رصدت ما لاحظته الدكتور أحمد شرشال في حواشي (مختصر التبيين)^(٣)، والدكتور أشرف محمد فؤاد طلعت في حواشي سمير الطالبين باسم: سفير العالمين^(٤) على هذه المسألة، مع إبداء تحفظات منهما في مواضع أحياناً.

هذا، وأتركهما أمام هذه النصوص المذكورة من علماء الرسم المعروفين، ليقرّرا للدانيّ منهجاً واضحاً غير مبهم، ولا سيما في باب الحذف والإثبات في كتابه (المقنع)، الذي يتناسب مع مكانة الإمام الدانيّ وكتابه (المقنع) وأهداف تأليفه. والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمّد، وآله وصحبه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، والله الموقّق والهادي إلى سواء السبيل.

(١) انظر: الميسر في علم رسم المصحف ص: ١٠٧.

(٢) انظر: المقنع ص: ١١.

(٣) انظر: مختصر التبيين، حواشي الصفحات التالية: ٥٦/٢ و ٤٤٥/٣، ٦٢٤، ٦٤٢، ٦٥٣، ٦٩٥، ٧٠٤، ٧١١، ٧١٨، ٧٧٧. و ١٣٠٩/٥ و ١٣٠٩/٤.

(٤) انظر: على سبيل المثال سفير العالمين حواشي الصفحات التالية: ٨٣/١، ١٤١، ١٧٩، ١٨٦، ٢٢٦.

الخاتمة

أهم النتائج:

أبرز البحث مكانة الإمام أبي عمرو الداني في علوم القرآن الكريم، وبخاصة في القراءات، وعلومها من: التجويد والأداء، وعلم المصاحف ورسمها، وعدّ الآي وفواصلها، وعلم الوقوف الجائزة والمنوعة فيها، وغيرها.

أبرز البحث أن كتابه: (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار) من أهم الكتب المؤلفة في علم الرسم وأشهرها، والذي أُلّف خصيصاً لطلاب القراءات وكتب المصاحف، وحافظ الكتاب على أهميته طوال القرون الماضية، وانتشرت مخطوطاته الكثيرة في مكتبات العالم، العامة منها والخاصة، وتعددت طبعاته وتنوعت، أولها عام ١٩٣٢م، وآخرها عام ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

أبرز البحث أهمية وضوح منهج الداني في كتابه (المقنع)، ولا سيما في باب حذف الألفات وإثباتها، مع ذكر الفرق بين منهجه ومنهج أبي داود في كتابه: (مختصر التبيين لهجاء التنزيل). قدّم البحث إحصائية تقريبية لجميع الكلمات القرآنية التي جاءت على الأوزان السبعة: (فَعَال، فِعَال، فَعَل، فاعِل، فُعْلان، فِعْلان، مِفْعَال) التي نصّ الداني على إثبات الألف فيها، مع الالتزام بذكر الكلمات التي استثنّاها الداني منها، وجملة ما جاء منها على هذه الأوزان نحو: (٢٥٠٠) كلمة.

قدم البحث رصدًا شاملاً لأقوال علماء الرسم المشهورين الذين نصّوا على إثبات الألف للداني في الكلمات التي سكت عنها في كتابه (المقنع) وهم: ثلاثة من شُرّاح (العقيلة): السخاوي، والجعبري، وابن القاصح، وثلاثة من شُرّاح (مورد الظمان): ابن أجّط الصنهاجي، وأبو علي الرجراجي، وأبو إسحاق المارغي، بالإضافة إلى: أبي عيد المخلّلاتي، ونور الدين الضّبّاع، وعبد الفتاح القاضي من المتأخرين، ود. غانم قدوري الحمد من المعاصرين.

وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا لخدمة كتابه العظيم، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمّد، وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصاحف:

المصاحف المطبوعة بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالروايات التالية:

١. بروايتي شعبة وحفص عن عاصم الكوفي.
٢. بروايتي قالون وورش عن نافع المدني.
٣. برواية أبي عمر الدوري عن أبي عمرو البصري.
٤. المصحف المحمدي، برواية ورش عن نافع المدني المطبوع بالمملكة المغربية.
٥. مصحف الجماهيرية الليبية، برواية قالون عن نافع، طرابلس، ط، ١٩٨٩م.

ثانياً: الكتب:

١. الإِتقان في علوم القرآن، للسيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: ٩١١)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ط، ٣، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
٢. الأرجوزة المنبهة، لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد بن محقان الجزائري، دار المغني، الرياض ط، ١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٣. إرشاد القراء والكتابين إلى معرفة رسم الكتاب المبين، لأبي عيد رضوان بن محمد المخلّاتي (ت: ١٣١١هـ)، تحقيق: عمر بن مالم المراتي، مكتبة الإمام البخاري، مصر، ط، ١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
٤. إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي (علي بن يوسف القفطي، ت: ٦٢٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة ط، ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
٥. التبيان في شرح مورد الظمان، لابن آجطّا (عبدالله بن عمر الصنهاجي، ت: ٧٥٠هـ)، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٢٢هـ (النصف الأول)،

- تحقيق: د. عبد الحفيظ الهندي.
٦. تذكرة الحفاظ، للذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ت: ٧٤٨ هـ) طبعة الثالثة مصورة عن الطبعة الهندية ١٣٧٥ هـ.
 ٧. تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد شرح عقيلة أتراب القصائد، لأبي البقاء علي بن عثمان بن القاصح (ت: ٨٠١ هـ)، تحقيق: محمد الدسوقي، دار السلام بمصر، ط١، ١٤٣٢ هـ/٢٠١١ م.
 ٨. تنبيه العطشان على مورد الظمان، لأبي علي الحسين بن علي الرجراجي (ت: ٨٩٩ هـ)، رسالة ماجستير في جامعة المرقب في ليبيا من أول المخطوط إلى باب «حذف الياء في القرآن الكريم»، تحقيق: محمد سالم حرشة.
 ٩. التوجيه السديد في رسم وضبط بلاغة القرآن المجيد، للدكتور أحمد شرشال، بحث منشور في مجلة كلية الشريعة، جامعة قطر، العدد: ٢٠، عام ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م.
 ١٠. الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن وثيق الأموي (ت: ٦٥٤ هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٢٩ هـ/٢٠٠٩ م.
 ١١. جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، لأبي عبد الله محمد الحميدي (ت: ٤٨٨ هـ)، دار المصرية للتأليف ١٩٦٦ م.
 ١٢. جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد، لأبي إسحاق إبراهيم بن عمر الجعبري (ت: ٧٣٢ هـ) تحقيق: محمد خضير الزوبعي، دار الغوثاني، دمشق، ط١، ١٤٣١ هـ/٢٠١٠ م.
 ١٣. دائرة المعارف الإسلامية، جماعة من المستشرقين، الترجمة العربية، (الداني للكتاب محمد بن شنب).
 ١٤. دليل الحيران شرح مورد الظمان، لإبراهيم بن أحمد المارغني التونسي (ت: ١٣٤٩ هـ)، تحقيق: الشيخ عبدالفتاح القاضي، دار القرآن، القاهرة، ١٩٧٤ م.

١٥. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي (إبراهيم بن علي بن محمد ت: ٧٩٩هـ) تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث (القاهرة).
١٦. سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، للضباع (علي بن محمد، ت: ١٣٨٠هـ) تحقيق: د. أشرف محمد فؤاد طلعت باسم «سفير العالمين»، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.
١٧. سير أعلام النبلاء، للذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
١٨. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، دار الفكر بيروت.
١٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن عماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ)، دار الفكر بيروت.
٢٠. الصلة، لأبي القاسم بن بشكوال (ت: ٥٧٨هـ)، الدار المصرية للتأليف، ١٩٦٦م.
٢١. طبقات الحفاظ، للسيوطي (عبدالرحمن بن أبي بكر، ت: ٩١١هـ) تحقيق: علي محمد عمر، مطبعة وهبة مصر ١٣٩٣هـ.
٢٢. عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد في رسم المصاحف، لأبي محمد القاسم الشاطبي (ت: ٥٩٠هـ)، تحقيق: د. أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات، جدة، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٢٣. غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (محمد بن محمد بن الجزري، ت: ٨٣٣هـ) تحقيق: برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
٢٤. فتح المنان المروي بمورد الظمان، لأبي محمد عبد الواحد بن عاشر الأندلسي (ت: ١٠٤٠هـ) مخطوط بمكتبة المسجد النبوي (١٢٥ لوحة) برقم: ٣٦٥٣.
٢٥. الفهرست، لابن النديم (محمد بن إسحاق الوراق، ت: ٣٨٠هـ)، تحقيق: رضا، تجديد ابن علي، دار المسيرة، ط ٣، ١٩٨٨م.

٢٦. الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط - قسم المصاحف، وقسم القراءات - مؤسسة آل البيت، الأردن، ط ٢.
٢٧. لطائف الإشارات لفنون القراءات، للقسطلاني (أحمد بن محمد بن أبي بكر ت: ٩٢٣هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ط ١، ١٤٣٤هـ.
٢٨. مخالفات النساخ ولجان المراجعة، للدكتور أحمد شرشال، دار الحرمين، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٢٩. مختصر التبيين لهجاء التنزيل، لأبي داود سليمان بن نجاح الأموي (ت: ٤٩٦هـ) تحقيق: د. أحمد شرشال، طبع بمجمع الملك فهد، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٣٠. معجم الأدباء، للحموي (ياقوت بن عبد الله الرومي، ت: ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأخيرة.
٣١. معجم البلدان، للحموي (ياقوت بن عبد الله الرومي، ت: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٣٢. معجم شيوخ الحافظ أبي عمرو الدائي، للدكتور عبد الهادي حميتو، مطبعة الوفاء آسفي، ومطبعة دار الوثائق.
٣٣. معرفة القراء الكبار، للذهبي (محمد بن أحمد ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد وزميلاه، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٣٤. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون (ت: ٨٠٨هـ)، تحقيق: الأستاذ حجر عاصي، بيروت، ١٩٨٣م.
٣٥. المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدائي (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، تصوير ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م عن: ط ١، ١٩٤٠م، وتحقيق: محمد صادق قمحاوي، طبعة الكليات الأزهرية بمصر، بلا تاريخ، وتحقيق: د. حاتم الضامن، دار البشائر، بيروت، ط ١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، وتحقيق: نورة بنت حسن الحميد، دار التدمرية، الرياض، ط ١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٣٦. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، للحافظ ابن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٠هـ.
٣٧. مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن، لأبي عبد الله محمد بن محمد الأموي الشريشي الحارّاز (ت: ٧١٨هـ) تحقيق: د. أشرف محمد فؤاد طلعت، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ط ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
٣٨. الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة، لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. محمد شفاعت رباني، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٣٥هـ.
٣٩. الميسر في علم رسم المصحف وضبطه، للدكتور غانم قدوري الحمد، مركز الدراسات بمعهد الإمام الشاطبي بجدة، ط ١، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
٤٠. نثر المرجان في رسم نظم القرآن، لمحمد غوث بن ناصر الدين الآركاقي الناطي (ت: ١٢٣٨هـ)، مطبعة عثمان بريس، حيدرآباد، الدكن، الهند.
٤١. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت: ٨٧٤هـ) مصورة عن طبعة دار الكتب، باهتمام وزارة الثقافة المصرية.
٤٢. النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: علي ابن محمد الضَّبَّاع (ت: ١٣٨٠هـ)، دار الفكر، بدون تاريخ.
٤٣. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للشيخ المقرئ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت: ١٠٤١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٨٨هـ.
٤٤. الوسيلة إلى شرح العقيلة، لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مولاي محمد الإدريسي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٣، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
٤٥. هجاء مصاحف الأمصار، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدي (ت بعد: ٤٣٠هـ)، تحقيق: د. حاتم الضامن، دار ابن الجوزي، الرياض، ط ١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٤٩	ملخص البحث
٥٠	المقدمة
٥٣	التمهيد: التعريف بالإمام الدائي وكتابه (المقنع)
٥٣	تعريف موجز بالإمام الدائي
٥٦	تعريف موجز بكتابه: (المقنع)
٥٦	مخطوطاته
٥٨	منهجه العام
٦١	المبحث الأول: ذُكر ما نصَّ على إثبات الألف فيه:
٦١	ما جاء على وزن (فَعَّال)
٦٢	ما جاء على وزن (فِعَال)
٦٤	ما جاء على وزن (فَعَّال)
٦٥	ما جاء على وزن (فَاعِل)
٦٨	ما جاء على وزن (فُعْلان)
٦٨	ما جاء على وزن (فِعْلان)
٦٨	ما جاء على وزن (مِفْعَال)
٧٠	المبحث الثاني: ذُكر منهجه فيما سكت عنه:
٧٠	أولاً: منهجه من خلال كتابه المقنع
٧٥	ثانياً: منهجه من خلال أقوال علماء الرسم
٧٥	نصوص من شروح (العقيلة)
٧٦	نصوص من شروح (مورد الظمان)

الصفحة	الموضوع
٩٠	نصوص من كتب المتأخرين والمعاصرين
٩٥	الخاتمة: فيها أهم النتائج
٩٦	فهرس المصادر والمراجع
١٠١	فهرس الموضوعات

مُوجِبَاتُ دُخُولِ النَّارِ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

د. عبد الرحمن بن عبد الجبار هوساوي (*)

مُلَخَّصُ الْبَحْثِ

لما كان الله عَزَّجَلَّ هو المالك الحقيقي لهذا الكون، والخالق له وحده، كان له الأمر كما كان له الخلق، قال تعالى ﴿الْأَلَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقد خلق الله الجن والإنس وكلّفهم بعبادته، ولم يكلفهم بشيء سواها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ * مَا أُرِيدُمْ مِمَّنْ رَزَقِي وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، ولذلك جعل العبادة هي الأساس لدخولهم الجنة أو النار يوم القيامة؛ فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

ومع أن هذه القضية واضحة في كتاب الله وضوح الشمس في رابعة النهار، إلا أنه وُجِدَ من أبناء المسلمين - المتأثرين بالشبهات التي تُبَثُّ في الشبكة العنكبوتية - من يجادل في هذه الحقائق والمسَلَّمات، فيشكك في استحقاق الكفار النار، وخاصة أهل الكتاب، بدعوى أنهم أهل كتاب منزل، ويستشهد بآيات قرآنية أنزلها في غير مواضعها، خبثاً أو جهلاً، إضافة إلى ما رآه من أثر إيجابي للكفار في حياته المادية؛ فقد كان لهم الفضل بعد الله في صناعة وسائل المواصلات والتنقل المختلفة، ووسائل الاتصالات والتواصل المعقدة، بل صناعة ما يعيننا على طاعة الله.

وهذا البحث دراسة قرآنية للأسباب التي استحق الكفار - بمن فيهم أهل الكتاب - من أجلها دخول النار، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]، والرد على الشبهات المثارة حول استشكال استحقاقهم للنار مع أثرهم الإيجابي في حياة الناس المادية.

(*) رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية - جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

المقدمة

الحمد لله الذي كتب على نفسه الرحمة، وسبقت رحمته غضبه، وحرم الظلم على نفسه، وقرر بعلمه وحكمته أن طاعته وطاعة رسوله هي الأساس في دخول الجنة ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣]، وأن الكفر والمعصية هي الأساس في دخول النار ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبي الرحمة والهدى نبينا محمد ﷺ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، وكشف الغمة، ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فمن الآثار السلبية للشبكة العنكبوتية وملحقاتها ظهور مواقع لتشكيك أبناء المسلمين في ثوابتهم الدينية والعقدية، من خلال إثارة الشبهات حول مبادئ الإسلام وأحكامه، والطعن في نبوة النبي ﷺ، وتحريف معاني الآيات القرآنية.

وتكمن المشكلة في أن كثيراً من شباب الإسلام الذين يرتادون هذه المواقع يطالعونها وهم غير مُسلّحين بسلاح العلم الشرعي - الذي يكشف تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين - مما يسهّل تشكيكهم في دينهم وأحكامه. بل إن بعض أبناء المسلمين قد أشرب هذه الشبهات حتى غدا بوقاً للمشككين، يروج شبهاتهم ويدافع عنها، ساعياً في إيقاع إخوانه البعيدين عن هذه المواقع في هذه الشبهات، مما اقتضى تفنيد هذه الشبهات والرد عليها. ومن هذه الشبهات التشكيك في استحقاق الكفار النار، وخاصة أهل الكتاب؛ بدعوى أنهم أهل أديان ربانية منزلة. والأدهى والأمر أن هؤلاء المجادلين يستشهدون بآيات قرآنية يضعونها في غير مواضعها، لتسويغ دعاواهم، كقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

هُم يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، كذلك بعض السياسيين، كثيراً ما يستشهدون بهذه الآية لذات الغرض ونحوه، من باب المجاملات السياسية.

وإنه من أعجب العجب أن تجد مسلماً يجادل في استحقاق الكفار النار، وكأنه لم يقرأ قرآناً أو يسمع حديثاً نبوياً بهذا الخصوص. والأخطر أن يكون قد سمع وقرأ، لكنه لم يقتنع؛ لما رأى من الأثر الإيجابي للكفار في حياته المادية؛ لذلك أخذ يجادل في هذه القضية ويتساءل: أيعقل أن يدخل هؤلاء المسلمون الكسالى الجنة، ويدخل هؤلاء الكفار المبدعون النار؟!!

والحقيقة أن من يعيش في بلاد الكفار يرى أنهم يفوقون كثيراً من المسلمين حتى في أخلاقهم وسلوكهم، فضلاً عن جديتهم وإخلاصهم في أعمالهم، وانضباطهم بأنظمتهم وقوانينهم، مما قد يُشكل على البعض فهم الآيات القرآنية المتعلقة بدخول الكفار النار، خاصة مع الجهل بحقائق الإسلام وأحكامه.

ويقف في مقابل أهل التفریط - الذين لم يكثرثوا بكفر الكفار ومعاصيهم - أهل الإفراط الذين بالغوا في الوعيد حتى كَفَرُوا عصاة الموحدين وخلدوهم في النار، سالكين نهج الخوارج الأولين. لذلك جاء هذا البحث لتصحيح المفاهيم المغلوطة من الطرفين، وتفنيد الشبهات المحبوك، وتحذير المسلمين من الأسباب التي استحق الكفار من أجلها النار؛ فقد يقعون فيها، فيستحقون المصير نفسه.

وقد عنونته: **موجبات دخول النار في ضوء القرآن الكريم**. وانتظم في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وتضمنت أهمية الموضوع وسبب اختياره، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد: تضمن حكمة الله في خلق الجنة والنار، وأنواع المستحقين للنار.

المبحث الأول: الموجبات العقدية لاستحقاق دخول النار. واندرج تحته خمسة مطالب:

المطلب الأول: استحقاق النار بسبب الشرك والكفر.

المطلب الثاني: استحقاق النار بسبب الكفر بأحد أركان الإيمان.

المطلب الثالث: استحقاق النار بسبب افتراء الكذب على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

المطلب الرابع: استحقاق النار بسبب النفاق.

المطلب الخامس: استحقاق النار بسبب إيذاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَسُولَهُ ﷺ.

المبحث الثاني: الموجبات السلوكية لاستحقاق دخول النار. وندرج تحته ستة مطالب:

المطلب الأول: استحقاق النار بسبب اقتراف المعاصي واستحلالها.

المطلب الثاني: استحقاق النار بسبب الصد عن سبيل الله.

المطلب الثالث: استحقاق النار بسبب الاستهزاء بآيات الله ورسله.

المطلب الرابع: استحقاق النار بسبب اللغو في القرآن.

المطلب الخامس: استحقاق النار بسبب كتمان الحق وخيانة العهد.

المطلب السادس: استحقاق النار بسبب التكبر على الله تعالى.

المبحث الثالث: شبهات وإشكالات. وتضمن ثلاث شبهات.

خاتمة: وقد تضمنت أهم نتائج البحث.

الفهارس: ويشمل: فهرس المراجع والمصادر، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث

تَمَّت معالجة هذا الموضوع في ضوء المنهج الاستقرائي التحليلي، إذ تمَّ جمع الآيات المتعلقة بالموضوع وتصنيفها في مبحثين، تضمننا عناصر البحث، بالإضافة إلى مبحث خاص بالشبهات والإشكالات حول الموضوع. وتناولتها بالبحث والتحليل، والشرح والتوضيح، مسترشداً بكلام العلماء عموماً، والمفسرين خصوصاً. وكتبت البحث وفق المنهج التالي:

١. عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع رقم الآية بجانبها في صلب الموضوع.
 ٢. خرجت الأحاديث النبوية من دواوين السنة المعتمدة، فإن كان في الصحيحين اكتفيت بتخريجه منهما، وإن كان في غيرهما بينت درجته معتمداً على أقوال أهل الشأن، المتقدمين منهم والمتأخرين.
 ٣. خَرَّجَت الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين.
 ٤. لم أترجم للأعلام طلباً للاختصار.
 ٥. ختمت البحث بفهرسين، أحدهما للمراجع والمصادر، والآخر للموضوعات.
- والله أسأل أن يكون في هذا البحث ما ينفع المسلمين ويعينهم على الثبات على دينهم، والثقة بأحكامه، وأن يرد كيد الكائدين - المتربصين بهذا الدين وأهله الدوائر - ويدحض شبهاتهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

التمهيد

حكمة الله في خلق الجنة والنار

من كمال عدل الله وحكمته أنه خلق جنةً وناراً؛ جنةً ينعم فيها أهل الإيمان والطاعة، وناراً يعذب فيها أهل الكفر والعصيان، وقد وعد كلاهما أن يملأها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: (احتجت النار والجنة، فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون. وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله عز وجل لهذه أنت عذابي أعذب بك من أشياء، وقال لهذه أنت رحمتي أرحم بك من أشياء، ولكل واحدة منكما ملؤها)^(١)، وقد قرر الله بعدله أن الكفار والمشركين - من سائر الأمم عبر التاريخ - لا مكان لهم في الجنة، ليس لهم إلا النار، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، وهذا حقه وملكه سبحانه وتعالى يتصرف فيه كيف يشاء، ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، لكنه كتب على نفسه الرحمة وحرّم على نفسه الظلم، لذلك فقد ضمن سبحانه لكل أحد - من أهل النار - أن لا يدخل النار إلا وهو مقتنع بأنه مستحق لها، معترفٌ بجُرمه، لائئِمٌ نفسه على ما اقترفت يده، كما قال تعالى ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَأَعْرَضُوا بِدَنِيَّتِهِمْ فَخَفَا لَاصِحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠-١١]، وقال تعالى: ﴿فَكُيِّدُوا فِيهَا هُم وَالْعَاوُن * وَجُودُوا لَيْسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٤-٩٨]، وأهل النار الذين هم أهلها - أي المخلدون فيها - ثلاثة أصناف، المشركون، والكفار، والمنافقون، أما العصاة دون الشرك، فالمذهب الصحيح أنهم لا يخلدون في النار - إن دخلوها - وقد يعفو الله عنهم من أول وهلة فلا يُدخلهم إياها.^(٢)

(١) صحيح مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء (٢١٨٦/٤) واللفظ له، صحيح البخاري: التفسير (سورة ق) / قوله: ﴿وَقَوْلُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (١٨٣٥/٤).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٣ يقول الإمام الطحاوي: «وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين... كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].»

المبحث الأول

الموجبات العقدية لاستحقاق دخول النار

المطلب الأول: استحقاق النار بسبب الشرك أو الكفر

الشرك هو أعظم ذنب عُصي الله به، كما قرره الله تعالى في كتابه، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِأَبْنَيْهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ولما سئل النبي ﷺ (أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك)^(١)، ولذلك قضى الله بإمكان عفوهِ عن أي ذنب - مهما عظم - عدا الشرك، فإن صاحبه إن مات عليه فقد انقطع أمله في دخول الجنة، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقد وردت آيات كثيرة تؤكد أن الشرك والكفر سبب رئيس في دخول النار والخلود فيها، منها:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ يَعْْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، فهذا نص صريح بكفر النصارى المؤهلين لعيسى عليه السلام وقد دلت الآية أن عيسى عليه السلام نفسه قد حذر النصارى من الشرك، وأعلمهم أن عاقبة الشرك الحرمان من الجنة ودخول النار، ومع ذلك ادَّعوا ألوهيته!

ومنها: قوله تعالى ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أُمْرَأَتَ نُوحٍ وَأُمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمَّا زَوَّجْنَا عَنْهُمَا مِنْ آلِهَةٍ شَيْئًا وَقِيلَ لَهُمَا ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحریم: ١٠]، هذه الآية تبين أن الكفر عاقبته وخيمة، ومصير صاحبه النار مهما كان وضعه الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي، فزوجة نوح وزوجة لوط كانتا كافرتين، وكون كل منهما زوجة نبي كريم لم يشفع لهما عند الله، بل سيكون مصيرهما النار يوم القيامة. وهو المصير نفسه لكل الكفار، ولن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً، كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٦]،

(١) صحيح البخاري: التفسير (الفرقان) / قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ (٤/١٧٨٤).

وكما أنه لن يشفع للكافر أي أحد - مهما كانت قرابته له - فإنه لن تقبل منه أية فدية، ولو كانت ملء الأرض ذهباً، كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءُ فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١].

ومنها: قوله تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ هِيَ فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِمَّنْ بَنَوْا عَلَيْكُمْ بَنَاتٍ وَيُنَادُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۖ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَمَنْ مَتَى الْمُنْتَكِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١-٧٢]، وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَنصَارِ﴾ [التغابن: ١٠]، وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

وإذا كان ألم العذاب ينتهي باحتراق الجسد وفقدان الإحساس؛ بسبب تدمير خلايا الإحساس - كما في الدنيا- فإن هذه الخاصية سوف يبطل مفعولها، إذ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه سوف يجدد لهؤلاء الكفار جلودهم كلما احترقت، وعلل فعله ذلك بقوله ﴿لِيُدْفَعُوا الْعَذَابَ﴾، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُفَّاهُمْ بَدَلَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيُدْفَعُوا الْعَذَابَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦]، كذلك إذا كان الموت - في الدنيا - يُعَدُّ راحة لبعض المتعذبين مادياً - بالفقر أو المرض أو الألم ونحوه- أو معنوياً - بالهم أو القلق أو الخوف ونحوه، فإن هذه الراحة كذلك منتفية في الآخرة؛ إذ لا موت ولا تخفيف للعذاب، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [فاطر: ٣٦]. وقد سمي الله يوم القيامة بيوم الحسرة؛ لكثرة ما يحصل فيه من حسرات وندم على التفریط في هذه الحياة الدنيا، وأعظم حسرة للكفار يوم القيامة عندما يذبح الموت بين الجنة والنار - كما ثبت في الصحيحين - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ (يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح - زاد أبو كريب - فيوقف بين الجنة والنار - فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون، ويقولون: نعم، هذا الموت - قال- ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشربون وينظرون، ويقولون: نعم هذا الموت - قال: فيؤمر به فيذبح. قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت - قال ثم قرأ رسول الله

﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] -، وأشار بيده إلى الدنيا^(١). فإذا وقع هذا الحدث ازداد أهل الجنة سروراً وحبوراً، وازداد أهل النار حسرة وندماً. إذاً لا خلاف بين العلماء في استحقاق المشركين والكافرين النار، بل الخلود فيها، لصراحة الآيات السابقة.

المطلب الثاني: استحقاق النار بسبب الكفر بأحد أركان الإيمان

الإيمان بأركان الإيمان الستة حد أدنى لصحة إيمان العبد - بميزان الإسلام - ومن كفر بها أو ببعضها فقد نقض إيمانه من أساسه، وضل عن سواء السبيل، قال تعالى ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، قال الطبري - رحمه الله: «وأما قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، فإنه يعني: فقد ذهب عن قصد السبيل، وجار عن محجة الطريق، إلى المهالك ذهاباً وجوراً بعيداً؛ لأن كفر من كفر بذلك خروج منه عن دين الله الذي شرعه لعباده، والخروج عن دين الله هو الهلاك الذي فيه البوار، والضلال عن الهدى هو الضلال»^(٢). وقد عرفنا - في الفقرة السابقة - مصير الكافر في الآخرة، ومن أمثلة ما ذكره القرآن الكريم في هذا الباب:

الأول: استحقاق الكافرين باليوم الآخر للنار:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ أَءَاكُنَّا تُرَابًا أَمْ نَأْتِيهِ خَلْقٌ جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥]، الإيمان باليوم الآخر ركن أساس من أركان الإيمان، وكثيراً ما يكتفي القرآن للتعبير عن الإيمان بركنين؛ الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر؛ لأهميته وأثره في الاستقامة على الشرع. ومع ذلك فقد بلغت شدة إنكار الكافرين لليوم الآخر واستبعادهم حدوثه أن يتهموا من يدعي ذلك - وإن كان نبياً - بالجنون أو الكذب على الله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَذُكُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُرِّقُمْ

(١) صحيح مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها / النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء (٤/٢١٨٨) واللفظ

له. صحيح البخاري: التفسير (مريم) / ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩] (٤/١٧٦٠).

(٢) تفسير الطبري / التركي (٧/٥٩٦).

كُلُّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ * أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ [سبأ: ٧-٨]، فإذا كان منكرو اليوم الآخر لا يؤمنون به، ويستبعدون حدوثه، فليستمرّوا في غيهم حتى يموتوا، ثم لينظروا هل سيبعثون ويحاسبون أم سيكون موتهم فناء ونهاية؟! لو كان هذا الزعم صحيحاً لكان الخلق عبثاً، وهو ما لا يليق بحكمة الحكيم سبحانه، وصدق الله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]، بئس هذا الظن بالله تعالى، وتعالى الله عن العبث، أما المسلمون فيقينهم في البعث بعد الموت، وحدث اليوم الآخر أرسخ حتى من واقعهم الذي يعيشونه فعلاً!! وصدق الله ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]. يقول سيد قطب - رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم بلغت صورة الآخرة في هذا الدين الأخير غايتها من السعة والعمق والوضوح، حتى بات عالم الآخرة في حس الأمة المسلمة أثبت وأوضح وأعمق من عالم الدنيا الذي يعيشونه فعلاً»^(١).

الثاني: استحقاق النار بسبب الكفر بالرسول:

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُقْرَفُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥٠]، هذه الآية صريحة في وجوب الإيمان برسول الله جميعاً - حتى يصح إيمان العبد - ولا يغني عن ذلك إيمان العبد برسوله الذي أرسل إليه. لذلك عدّت الآية الإيمان ببعض الرسل دون بعض كفراً بالجميع، أي: كأنه لم يؤمن حتى برسوله الخاص. وأكد في الآية التالية كفر فاعل ذلك متوعداً بإياه بالعذاب المهين، فقال تعالى ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥١]. ومن مقتضيات الإيمان بالرسول ولوازمه طاعته واتباع أوامره فعلاً أو تركاً. أما الإيمان به دون طاعته، فضلاً عن تعمد معصيته أو طاعة غيره، فهذا تفرغ لهذا الإيمان من محتواه وحقيقته، وأقل ما يوصف به فاعله أنه عاصي أو سلك سبيل المنافقين. ولخطورته توعّد الله فاعله بالنار، فقال تعالى ﴿يَوْمَ نُقَلِّبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا

(١) في ظلال القرآن (١٤٠٨/٣).

الرَّسُولَ ﴿[الأحزاب: ٦٦]، ولقد أخبرنا الله تعالى أن هؤلاء المنافقين سوف يحاولون تبرير ضلالهم، لكن بعذر ينطبق عليه المثل العربي «عُذْرُهُ أَشَدُّ مِنْ جُرْمِهِ»^(١)، فقد زعموا أنهم إنما ضلوا بسبب اتباعهم سادتهم وكبراءهم، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب: ٦٧]، صدقوا وهم كذبة، صحيح أن اتباع غير منهج الرسول يؤدي إلى الضلال، فلماذا تركوا هذا المنهج وأطاعوا أوامر البشر المتعارضة مع أوامر الله. وكيف اتبعوا المناهج البشرية الوضعية وتركوا المنهج الرباني المعصوم؟ هل أمرهم الله بهذا؟! أليسوا هم الذين استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير؟! وحتى لو كان اتّباعهم بسبب التهديد والتخويف فليس بعذر؛ لأنه لا سلطان لأحد على القلب إلا الله. وعليه فمن ضلّ بالاتباع إنما ضلّ لأنه اختار الضلال، أو ضلّ طمعاً في الدنيا وزينتها، وإن كانت لا تحل له.

المطلب الثالث: استحقاق النار بسبب افتراء الكذب على الله سبحانه وتعالى

افتراء الكذب على الله تعالى صفة لا تليق إلا بالكافر، ولذلك حصرها الله في الذين لا يؤمنون بآياته، فقال تعالى ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥] وأكّد كذبهم في هذا الافتراء بحصر الكذب فيهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ وذلك لأن الافتراء هو اختلاق شيء لا وجود له، فهو الكذب بعينه. ويتضمن افتراء الكذب على الله التطاول على الذات الإلهية المقدسة سبحانه وتعالى، لذلك كان كفراً وضلالة، وسوف يُقرّ المفترون على الله الكذب بكفرهم وضلالهم، لكن بعد فوات الأوان، كما قال تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ صَيْبُهم مِّنَ الْكَذِبِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَهُمْ قَالُوا إِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَنَا مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٣٧].

وقد عبّر القرآن عن افتراء الكذب على الله بصيغة مُنْقَرَةٍ وراذعة، وهي قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾^(٢)، وقوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾^(٣) ومعناه لا أحد

(١) كتاب الأمثال لابن سلام ص ٤٦، المستقصى في أمثال العرب (١٥٩/٢)، وهو مشهور على الألسنة بلفظ: عذر أقبح من فعل.

(٢) وردت أربع مرات، في سورة الأنعام (٢١)، و(٩٣)، وسورة هود (١٨)، وسورة العنكبوت (٦٨).

(٣) وردت أربع مرات أيضاً، في سورة الأنعام (١٤٤)، وسورة الأعراف (٣٧)، وسورة يونس (١٧)، وسورة الكهف (١٥).

أشدّ ظلماً ممن اختلق الكذب على الله. وتكمن خطورة افتراء الكذب على الله في أنه قد يكون سبباً في إضلال الناس، وربما إيقاعهم في الكفر، فضلاً عن تسويغ تقصيرهم وتهوين المعاصي لهم، لذلك وردت آيات تنوعد المَفتَريين على الله الكذب بالعذاب الأليم في نار جهنم، منها قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢]، وقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨]، وكما توعّد الله جلّ جلاله من كذب عليه بالنار، فقد توعّد رسول الله ﷺ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ بالنار، فقال: (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)^(١).

ولا افتراء الكذب على الله صور كثيرة، ومن صورها المستمرة حتى اليوم:

الشرك بالله تعالى: حيث إن المشرك يزعم بلسان حاله أو مقالته أن الله نداً أو شريكاً أو ولداً، وهو محض كذب وافتراء على الله سبحانه وتعالى، كما قال الله تعالى - في رده على مزاعم قريش أن الملائكة بنات الله -: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُيُوتُ * أَمْ حَلَفْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَّا نأْتِيَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٤٩-١٥٢]، يقول الواحدي - رحمه الله -: ﴿أَمْ حَلَفْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَّا﴾ معناه: بل أخلقنا الملائكة إننا؟ وهم شاهدون حاضرون خلقنا إياهم، أي: كيف جعلوهم إننا؟ ولم يشهدوا خلقهم؟ ثم أخبر عن كذبهم، فقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ﴾: حين زعموا أن الملائكة بنات الله، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: في قولهم^(٢)، وقديماً أنكر الفتية المؤمنون أصحاب الكهف سلوك قومهم في الإشراف بالله تعالى في عبادتهم، دون دليل واضح، معتبرين ذلك افتراءً على الله سبحانه وتعالى بغير حق ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ [الكهف: ١٥]، وكان هذا الشرك سبباً كافياً في هجرهم لقومهم وخرجهم من المدينة العامرة إلى الكهف الموحش، إيثاراً لدينهم على دنياهم، حين تعذّر

(١) صحيح مسلم: المقدمة / تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ (١٠/١) واللفظ له، صحيح البخاري: العلم / إثم من

كذب على النبي ﷺ (٥٢/١).

(٢) التفسير الوسيط للواحدى (٥٣٤/٣).

عليهم الإقامة بين أظهرهم مع المحافظة على دينهم وتوحيدهم.

ومن صوره: التقول على الله بغير علم: ولخطورة التقول على الله بغير علم عد العلماء ذلك إحدى المحرمات الثابتة في جميع الشرائع الربانية - الواردة في بعض الآيات ^(١) - كقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۖ وَالْإِثْمَ وَالنَّبِيَّ يُغَيِّرُ الْحَقَّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَهُ يُزِيلُ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقد فسّر الطبري رحمه الله التقول المحرم الوارد في هذه الآية ببعض المحرمات، من باب التمثيل، وبالنظر إلى السياق الذي ذكرت فيه الآية، فقال: «﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾» يقول: وأن تقولوا إن الله أمركم بالتعري والتجرد للطواف بالبيت، وحرم عليكم أكل هذه الأنعام التي حرمتها وسيبتموها، وجعلتموها وصائل وحواي ^(٢)، وغير ذلك مما لا تعلمون أن الله حرمه، أو أمر به، أو أباحه، فتضيفوا إلى الله تحريمه وحظره والأمر به، فإن ذلك هو الذي حرمه الله عليكم دون ما تزعمون أن الله حرمه، أو تقولون إن الله أمركم به، جهلاً منكم بحقيقة ما تقولون وتضيفونه إلى الله ^(٣). ولا شك أن هذه الأمور التي ذكرها هي مما تقوله المشركون على الله، لكن الآية عامة في كل قول بغير علم، كما يقول الواحدي رحمه الله، قال: «وقال أهل المعاني: هذا عام في تحريم القول في الدين من غير يقين» ^(٤)، وبالعموم أيضاً قال ابن الجوزي رحمه الله، قال: «وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾: عامٌ في تحريم القول في الدين من غير يقين» ^(٥). وبه قال السعدي رحمه الله، قال: «﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾: في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه، فكل هذه قد حرمها الله، ونهى العباد عن تعاطيها، لما فيها من المفساد الخاصة والعامة، ولما فيها من

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/١).

(٢) يشير إلى قوله تعالى ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِجَةٍ وَلَا صِیْلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفُّهُمْ لَا يَقُولُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

(٣) تفسير الطبري / التركي (١٠/١٦٤).

(٤) التفسير البسيط (١٠٩/٩).

(٥) تفسير ابن الجوزي (١٩٢/٣).

الظلم والتجروء على الله، والاستطالة على عباد الله، وتغيير دين الله وشرعه»^(١).

ومنها: التحليل والتحريم بغير هدى من الله: التحليل والتحريم حق من حقوق الله تبارك وتعالى، لأنه هو الخالق، كما قال تعالى ﴿الْأَلَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فهذه إشارة صريحة إلى أن من له الخلق له الأمر، ولا أحد يملك ذلك على الحقيقة إلا الله. وكذلك التشريع هو حق من حقوق رسول الله ﷺ لإذن الله له بذلك، بل هو من مهامه وواجباته، كما قال تعالى في صفة النبي ﷺ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ولا يجوز لأحد أن ينازع الله أو ينازع رسوله في هذا الحق، وحتى العلماء ليس لهم حق إنشاء التحليل أو التحريم، بمعنى أن يحلوا أو يحرموا من تلقاء أنفسهم، بل غاية ما هناك أنهم يجتهدون في بيان حكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ في المسألة، مستندين في ذلك على الآيات والأحاديث الثابتة، ففرق كبير بين من كلامه حجة ودليل في ذاته، وهو الرسول ﷺ، ومن ثبني حجته على الدليل، وهم العلماء؛ لذلك كان العلماء الربانيون قديماً وعلى رأسهم الصحابة يأبون نسبة كلامهم وحكمهم إلى الله، إذا لم يكن في المسألة نص أو إجماع، قال بعض السلف: «ليتنق أحدكم أن يقول: أحل الله كذا وحرم كذا فيقول الله له: كذبت لم أحل كذا ولم أحرم كذا»^(٢)، كيف لا وقد نهى النبي ﷺ صراحة أن يقول قائل: هذا حكم الله فيما يجتهد فيه؟ فقد جاء في حديث بريدة عند مسلم (وإن حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري: أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟)^(٣)، ولهذا لما كتب الكاتب بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حكماً حكم به، فقال: هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر!

(١) تفسير السعدي ص (٢٨٧).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣٩/١).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير / تأمير الإمام الأمراء على البعوث (١٣٥٧/٣).

فقال: لا تقل هكذا، ولكن قل: هذا ما رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب^(١). ومن هنا كان اجتهاد العلماء في بيان حكم الله في المسائل دلالة ظنية لا قطعية؛ فقد يصيبون وقد يخطئون، لكن الله قد أذن لهم في الاجتهاد لبيان حكمه، لتأهلهم لذلك، قال تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، يقول الشوكاني رحمه الله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ وهم أهل العلم والعقول الراجحة الذين يرجعون إليهم في أمورهم، أو هم الولاة عليهم ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي: يستخرجونه بتدبيرهم وصحة عقولهم^(٢). وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. وحتى إن أخطأوا فهم معذرون عند الله تعالى، بل مأجورون في اجتهادهم، لحديث (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)^(٣).

وقد ندّد الله بكفار قريش لإقدامهم على تحليل بعض المحرمات، وتحريم بعض المباحات بغير علم ولا هدى من الله، وعدّهم كذبة مفترين، قال تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ إِذَنْ لَكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]، أي قل لهم: يا محمد أخبروني أيها المبدلون لشرع الله على حسب أهوائكم: إن الله تعالى قد أفاض عليكم ألواناً من الرزق الحلال، فجئتم أنتم وقسمتم هذا الرزق الحلال، فجعلتم منه حلالاً وجعلتم منه حراماً، ﴿قُلْ اللَّهُ إِذَنْ لَكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَفْتَرُونَ﴾ استفهام قصد به التوبيخ والزجر، أي: قل لهم يا محمد على سبيل التوبيخ والزجر: إن الله وحده هو الذي يملك التحليل والتحريم، فهل هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْنَ لَكُمْ في ذلك، أو إنما أنتم الذين حللتم وحرمتهم على حسب أهوائكم؟! لأنه لو أذن لكم في ذلك لبيّنه على لسان رسوله ﷺ^(٤).

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣٩/١).

(٢) تفسير الشوكاني (٤٩١/١) هذه الآية وإن اختلف في سبب نزولها، لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٣) صحيح البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة / أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٢٦٧٦/٦)، صحيح مسلم: الأقضية / بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (١٣٤٢/٣).

(٤) التفسير الوسيط لطباطوي (٩٠/٧-٩١) بتصرف يسير.

و ذكر ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ - عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم رحمهم الله أن الآية نزلت إنكاراً على المشركين فيما كانوا يَحْلُون ويَحْرَمُونَ من البحائر والسوائب والوصائل^(١).

وقد بين تعالى في آية أخرى أن المحللين والمحرمين حسب أهوائهم لن يفلحوا، وتوعدهم بالعذاب الأليم، فقال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧]، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ «فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقولهم لما لم يحرمه: هذا حرام، ولما لم يحله: هذا حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه»^(٢).

إن قضية التحليل والتحريم قضية خطيرة، تورَّع عنها كبار الأئمة لعلمهم بخطورتها، كما أخبرنا الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ، يقول ابن وهب رَحِمَهُ اللهُ: سمعت مالكا يقول: «لم يكن من أمر الناس، ولا من مضى من سلفنا، ولا أدركت أحداً أقتدي به يقول في شيء: هذا حلال وهذا حرام، وما كانوا يجترئون على ذلك، وإنما كانوا يقولون: نكره كذا، ونرى هذا حسناً فينبغي هذا ولا نرى هذا»^(٣)، وللأسف في هذا الزمان تساهل كثير من المتعلمين ومفتو الفضائيات - إلا من رحم الله -، فبدل أن يراقبوا الله في فتاواهم، راعوا أهواء الجماهير أو الحكام في التحليل والتحريم.

لذلك ينبغي الحذر من ركوب هذا المركب الخطر، وهو تصدّي غير المؤهلين أو الورعين للفتوى الشرعية، فلا شك أن ذلك من التقوُّل على الله بغير علم، ويخشى على صاحبه من الوعيد الوارد في الآيات الرادعة، وإن كان مسلماً.

المطلب الرابع: استحقاق النار بسبب النفاق

ظهر النفاق في تاريخ الإسلام أول مرة بعد انتصار المسلمين في بدر، فحين

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٦٦).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٣٨).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٣٩).

رأى أعداء الإسلام أن شوكة المسلمين بدأت تقوى، وقوتهم بدأت تظهر، قال رأس النفاق عبدالله بن سلول - ومن معه من المشركين وعبداء الأوثان - قوله «هذا أمر قد توجه، فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا»^(١). وقد كشفت الأحداث فيما بعد أنهم لم يكونوا صادقين في دخولهم الإسلام، بل كان دخولهم خطة ابتكروها لمحاربة الإسلام من الداخل، وذلك بالتظاهر باعتناقه. وتكمن خطورة هذا الأسلوب أن الأعداء هم في الظاهر مسلمون، وإن لم يكونوا في الحقيقة كذلك، كما قال تعالى عنهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْمُرُ بِالْأَخْثَرِ وَمَأْمُورٌ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ أَشْأَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨-١٠]، فالمنافقون أذعياء وإن زعموا الإيمان، ومخادعون، لكن لأنفسهم، ومرضى القلوب وإن صحت أجسادهم، وهم في النهاية كاذبون وليسوا صادقين؛ لذلك استحقوا العذاب الأليم، والكذب ليس صفة طارئة فيهم أو مؤقتة، بل هي صفة ملازمة لهم وثابتة فيهم، قال تعالى ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، فالكذب من أخص صفات المنافقين، وكفى بشهادة رب العالمين فيهم ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، وكل صفاتهم الأخرى نابعة من الكذب أو لها علاقة بالكذب، ولهذا قدم النبي ﷺ صفة الكذب في ذكره صفات المنافقين، كما في الحديث المشهور (آية المنافق ثلاث؛ إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)^(٢).

ولخطورة المنافقين سمى الله سورة باسمهم، وخص ثلثي سورة التوبة^(٣) بالحديث عنهم. والمؤكد أن المنافقين أقرب إلى الكفار منهم للمؤمنين، كما قال تعالى ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنقِطُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَدْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ

(١) صحيح البخاري: التفسير / قوله ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ الآية (٤/١٦٦٤).

(٢) صحيح البخاري: الإيمان / علامة المنافق (٢١/٢١)، صحيح مسلم: الإيمان/بيان خصال المنافق (٧٨/١).

(٣) وقد سَمَّى حبر الأمة هذه السورة بالفاضحة، لفضحها المنافقين، حتى خاف الصحابة أنفسهم - لصدق إيمانهم وعدم أمنهم من مكر الله - على أنفسهم من النفاق، قال سعيد بن جببر: سألت ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن سورة براءة فقال: «تلك الفاضحة ما زال ينزل: ومنهم ومنهم حتى خفنا ألا تدع أحدا» تفسير القرطبي (٩٣/١٠).

يَأْفُوهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿آل عمران: ١٦٧﴾، بل هم منهم، وقد سماهم الله إخوة للكفار، قال تعالى ﴿لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَتَخْرُجْنَ مَعَكُمْ وَلَا تَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١]، وهم موالون للكفار، ويندر أن تجد منافقاً غير موال للكفار، بل إن الكفار لا يتوصلون لتحقيق مآربهم الدنيئة في بلاد المسلمين إلا بمعونة المنافقين، لذلك توعدهم الله بأشد العذاب، قال تعالى ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَبْتُغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩]، والملاحظ في الآية التالية أن الله قدم ذكر المنافقين في دخول النار على الكافرين، قال تعالى ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ أَيْدِي اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ أَنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]، ومن دلالات ذلك: أن المنافقين مع أنهم تبع للكفار؛ لموالاتهم وسكوتهم عن مخططاتهم الإجرامية والتآمرية على الإسلام والمسلمين، إلا أنهم غدوا كأنهم المتبعون لا التابعين، لذلك استحقوا دخول النار قبل الكافرين أنفسهم، بل في آية أخرى أخبر سبحانه وتعالى أن حالهم في النار سيكون أسوأ من حال الكافرين الذين والوهم وتعاونوا معهم على الإثم والعدوان- قال تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، نعم ﴿وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ لا من الذين والوهم ولا من غيرهم.

وكما أن الكفار مخلدون في النار، فكذلك المنافقون - نفاقاً اعتقادياً- مخلدون في النار، كما قرره الله في بعض الآيات؛ كقوله تعالى ﴿وَعَذَابُ اللَّهِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٣].

المطلب الخامس: استحقاق النار بسبب إيذاء الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ

بأشر كفار قريش إيذاء الله ورسوله منذ فجر الدعوة بمكة، بل إن إيذاء الله تعالى بدأ حتى قبل بعثة النبي ﷺ؛ حيث كانت سوق الشرك قائمة في مكة، فالأصنام العامة - وعلى رأسها هبل - عددها ثلاثمائة وستون صنماً أودعت جوف الكعبة، فضلاً عن الأصنام الخاصة. ولا شك أن الشرك هو أعظم صور إيذاء الله تعالى، وهل هناك

انتقاص لله أعظم من زعمهم أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى اتخذ ولداً؟ فقد قالوا: الملائكة بنات الله، والأصنام شركاء لله - تعالى الله. وفي الحديث القدسي الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: (كذبي ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أي لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً)^(١). فهذه الأذية العظيمة لا يكفرها إلا التوحيد الخالص، وقد كانوا يفعلون ذلك في الشدائد فقط، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَلَغْنَهُمْ إِلَى الْبَرِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

أما رسول الله ﷺ فقد ناله من أذى المشركين الحسي والمعنوي ما لا يوصف؛ فقد آذوه بَدَنِيًّا بالضرب والحنق ومحاوله قتله^(٢)، كما آذوه معنويًّا باتهامه في نفسه وفي عقله؛ اتهموه بالسحر والجنون، وبالكذب والافتراء، وهم أعلم الناس ببراءته من هذه التهم التي كانوا يلصقونها به للتنفير منه، إذ كانوا يعترفون بذلك في مجالسهم الخاصة^(٣).

ولم تتوقف أذية البشر لله تعالى ولرسوله ﷺ في المدينة، ليس من مشركي المدينة فقط، بل - للأسف - حتى من أهل الكتاب، حيث شاركوا المشركين في الشرك، بنسبة الولد إلى الله تعالى، قال تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّكَوت﴾ [التوبة: ٣٠]، بل إن اليهود قد فاقوا حتى المشركين في إيذاء الله تعالى، حيث نسبوا إليه صفات العجز والنقص، فاتهموه بالبخل - تعالى الله ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وبالفقر - تعالى الله ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وبالعجز والتعب - تعالى الله. قال تعالى ردًّا على وقاحتهم هذه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُؤْلُؤٍ﴾ [ق: ٣٨]، لهذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في قوله

(١) صحيح البخاري: التفسير (البقرة) / ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ [البقرة: ١١٦] (١٦٩/٤).

(٢) انظر صور إيذاء النبي ﷺ في السيرة النبوية لابن هشام (٣٧٨، ٣٧٩).

(٣) كاعترافات الوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة، والنضر بن الحارث. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢٨٣/١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧]: «هم اليهود والنصارى والمشركون. فأما اليهود فقالوا: عَزِيزُ ابنِ الله، ويد الله مغلولة، وقالوا: إن الله فقير، وأما النصارى فقالوا: المسيح ابن الله، وثالث ثلاثة، وأما المشركون فقالوا: الملائكة بنات الله، والأصنام شركاؤه»^(١). وأورد ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ أقوالاً في سبب نزول هذه الآية، ورجح عمومها، قال - رَحِمَهُ اللهُ: «والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه - أي الرسول ﷺ - بشيء، ومن آذاه فقد آذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله»^(٢).

ولقد انضم المنافقون إلى حزب الضلال - في إيذاء الله ورسوله، ومن أعظم صور إيذائهم لرسول الله ﷺ الطعن في عرضه ﷺ - أظهر عرض على الأرض - حيث اتهموا أم المؤمنين عائشة رَحِمَ اللهُ عَنْهَا بالزنى، وقد سجل القرآن الكريم ذلك البتھان في عشر آيات، وسمى عملهم الديني إفكاً، فقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]، وقد قصدوا بفعلهم الديني هدم الفضيلة في النفوس، والترويج للزيلة في ذلك المجتمع الفريد الطاهر؛ بإيهام الناس أن الطھر والفضيلة أمر عزيز، لا وجود له حتى في بيت النبوة! ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]، ولقد رد الله كيدهم في نحورهم، فأظهر الحقيقة الناصعة، وكشف المؤامرة، وفضح المتآمرين، ووضع المنهج الرباني للتعامل مع مثل هذه الحالات، قال تعالى ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٢-١٣]، ويتمثل هذا المنهج في أمرين: الأول: تقديم حسن الظن بالمؤمنين، والثاني: عدم قبول أي دعوى - فضلاً عن الطعن في الأعراض - إلا ببيئة دامغة أو بشهود عدول.

ومن صور إيذائهم للنبي ﷺ - كذلك - الاستخفاف به ﷺ لما رأوا من سهولة التعامل معه ﷺ وحسن إنصاته إليهم، وهي صفة مدح ودليل على سماحة نفس النبي ﷺ لكن المنافقين قلبوا الحق باطلاً، فبدل أن يحمده على السماحة وحسن التعامل عيروه

(١) تفسير البغوي (٥٤٣/٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٣٥/٣).

بها، قال تعالى ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِرُ
لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]، قال
البغوي - رَحِمَهُ اللَّهُ: «نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبي ﷺ، ويقولون ما لا
ينبغي، فقال بعضهم: لا تفعلوا، فإننا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا. فقال الجلاس بن
سويد منهم: بل نقول ما شئنا، ثم نأتيه فننكر ما قلنا، ونخلف فيصدقنا بما نقول، فإنما
محمد أُذُنٌ، أي: أذن سامعة - يقال: فلان أُذُنٌ وأُذَنَّةٌ على وزن فُعْلَةٍ: إذا كان يسمع كل ما قيل
له ويقبله»^(١). وهذا سوء أدب قبيح مع رسول الله ﷺ - كما يقول سيد قطب - رَحِمَهُ اللَّهُ:
«إنه سوء الأدب في حق الرسول ﷺ يبدو في صورة أخرى غير صورة اللمز في الصدقات.
إنهم يجدون من النبي ﷺ أدباً رفيعاً في الاستماع إلى الناس بإقبال وسماحة؛ ويعاملهم
بظواهرهم حسب أصول شريعته؛ ويهش لهم ويفسح لهم من صدره، فيُسْمُونَ هذا الأدب
العظيم بغير اسمه، ويصفونه بغير حقيقته، ويقولون عن النبي ﷺ ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: سماع
لكل قول، يجوز عليه الكذب والخداع والبراعة، ولا يفتن إلى غش القول وزوره، مَنْ
حلف له صدقه، وَمَنْ دس عليه قولاً قبله، يقول هذا بعضهم لبعض تطميناً لأنفسهم أن
يكشف النبي ﷺ حقيقة أمرهم، أو يفتن إلى نفاقهم، أو يقولونه طعناً على النبي ﷺ في
تصديقه للمؤمنين الخالص الذين ينقلون له ما يطلعون عليه من شؤون المنافقين وأعمالهم
وأقوالهم عن الرسول ﷺ وعن المسلمين»^(٢).

وقد رد الله قبح فعلهم بتزكية النبي ﷺ وبيان نبل خلقه، حيث كان يحفظ لهم ماء
وجوهم ولا يواجهم بقبح أفعالهم، فقال: ﴿قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: «أي أذن خير؛ يستمع إلى
الوحي ثم يبلغه لكم وفيه خيركم وصلاحكم، وأذن خير يستمع إليكم في أدب ولا
يجبهكم»^(٣) بنفاقكم، ولا يرميكم بخداعكم، ولا يأخذكم بريائكم، ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾
فيصدق كل ما يخبره به عنكم وعن سواكم، ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيطمئن إليهم ويثق

(١) تفسير البغوي (٣٠٦/٢).

(٢) في ظلال القرآن (١٦٧٠/٣).

(٣) يقال: جهت فلاناً، أي: استقبلته بكلام فيه غلظة. انظر: المحيط في اللغة «جبه» (٣٨٣/٣).

بهم، لأنه يعلم منهم صدق الإيمان الذي يعصمهم من الكذب والالتواء والرياء. ﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ لأنه يأخذ بيدهم إلى الخير^(١). وختم الآية بتوعدهم بالعذاب الأليم، فقال ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وفي آية أخرى لعن الله جميع المؤذنين له ﷺ ولرسوله ﷺ، وتوعدهم بالعذاب المهين يوم القيامة، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وهذا الوعيد ورد عقب آية التزكية الربانية لنبيه ﷺ التي بينت منزلته عند الله وعند الملائكة وأمرت المؤمنين أن ينزلوه تلك المنزلة كذلك، قال ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقد ربط سيد قطب - رَحِمَهُ اللَّهُ - بين الآيتين بقوله: «ويستمر السياق في تحذير الذين يؤذون النبي ﷺ في نفسه أو في أهله؛ وفي تفضيع الفعلة التي يقدمون عليها.. وذلك على طريقين: الطريق الأول تمجيد رسول الله ﷺ وبيان مكانته عند ربه وفي الملأ الأعلى. والطريق الثانية تقرر أن إيذاء إيذاء الله سبحانه، وجزاؤه عند الله الطرد من رحمته في الدنيا والآخرة، والعذاب الذي يناسب الفعلة الشنيعة... ثم يقول: وفي ظل هذا التمجيد الإلهي يبدو إيذاء الناس للنبي ﷺ بشعاً شنيعاً ملعوناً قبيحاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾، ويزيده بشاعة وشناعة أنه إيذاء لله من عبیده ومخاليقه؛ وهم لا يبلغون أن يؤذوا الله، إنما هذا التعبير يصور الحساسية بإيذاء رسوله ﷺ، وكأنما هو إيذاء لذاته جلَّ وَعَلَا، فما أفضعه! وما أبشعه! وما أشنعه!»^(٢).

(١) في ظلال القرآن (١٦٧١/٣)

(٢) المصدر السابق (٢٨٧٩/٥) بتصرف يسير.

المبحث الثاني

الموجبات السلوكية لاستحقاق دخول النار

المطلب الأول: استحقاق النار بسبب اقتراف المعاصي^(١) واستحلالها

لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ بَشَرًا غَيْرَ مَعْصُومٍ - كَالْأَنْبِيَاءِ - فَإِنْ وَقَّعَهُ فِي الْمَعْصِيَةِ وَالْمُخَالَفَةِ أَمْرٌ مَتَوَقَّعٌ؛ لَطَبِيعَتُهُ وَضَعْفُهُ ﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ولقول رسول الله ﷺ (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)^(٢)، بل في الحديث (والذي نفسي بيده لو لم تذنبا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم)^(٣)؛ لأنه لو لم يذنب العباد فيتوبوا ويستغفروا فيغفر الله لهم، لما ظهرت آثار بعض أسماء الله الحسنى؛

(١) قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «العصيان خلاف الطاعة، عصى العبد ربه إذا خالف أمره» لسان العرب «عصا» (٦٧/١٥)، وعليه فالمعصية اسم جنس للذنوب، التي هي مخالفة الشرع، سواء أكانت بفعل المحظورات أم بترك الأمور، وهي أنواع بعضها أقيح من بعض، وأقبحها الشرك، فالكبائر، فالصغائر، فأما الكفر فلا يكفره إلا التوحيد، وأما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة، وقد عرفها العلماء بأنها: كل ذنب ترتب عليه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو ختم لصاحبه بلعنة أو غضب. [شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٤]، وأما الصغائر - وهو ما دون الكبائر - فقد وعد الله بغفرانها عند اجتناب الكبائر، قال تعالى ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ﴾ [النساء: ٣١]، والحديث هنا في المعاصي دون الكفر.

(٢) مسند أحمد (١٩٨/٣)، سنن الترمذي: صفة القيامة / (باب ٤٩) (٤٩/٤) وانظر صحيح الترمذي (٣٠٥/٢).

(٣) مسند أحمد (٣٠٩/٢)، صحيح مسلم: التوبة / سقوط الذنوب بالاستغفار (٢١٠٦/٤)، ويحتاج هذا الحديث إلى

بيان وتوضيح حتى لا يتخذ المستهترون بحدود الله حجة لاستهتارهم، وقد وفق الإمام الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ في توضيحه، فقال: «ليس في الحديث تسلية للمتهمين في الذنوب كما يتوهمه أهل الغرة بالله، فإن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إنما بعثوا ليردعوا الناس عن غشيان الذنوب، بل ببيان لعفو الله تعالى وتجاوزه عن المذنبين ليرغبوا في التوبة، والمعنى المراد من الحديث هو أن الله كما أحب أن يعطي المحسنين أحب أن يتجاوز عن المسيئين، وقد دل على ذلك غير واحد من أسائهم؛ الغفار الحليم التواب العفو، أو لم يكن ليجعل العباد شأنًا واحداً كالملائكة مجبولين على التنزه من الذنوب، بل يخلق فيهم من يكون بطبعه ميالا إلى الهوى متلبسا بما يقتضيه، ثم يكلفه التوقي عنه ويحذره من مدانته، ويعرفه التوبة بعد الابتلاء، فإن وفي فأجره على الله، وإن أخطأ الطريق فالتوبة بين يديه؛ فأراد النبي ﷺ به أنكم لو كنتم مجبولين على ما جبلت عليه الملائكة لجاء الله بقوم يتأتى منهم الذنب فيتجلى عليهم بتلك الصفات على مقتضى الحكمة، فإن الغفار يستدعي مغفورا، كما أن الرزاق يستدعي مرزوقاً». [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٢٩/٥)، وانظر: تحفة الأحوذ (٥٢٣/٩)].

كالتوب والغفور والغفار، فليست المشكلة في الوقوع في المعصية خطأً، بل المشكلة في ثلاثة مستويات من الوقوع في المعصية؛ الأول: تعمُّد المعصية، والثاني: الإصرار على المعصية، والثالث: استحلال المعصية.

وعليه فكل وعيد بالنار - على المعصية - يحمل على أحد هذه المستويات، كما في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

فمن النوع الأول - تعمُّد المعصية - يقول تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، قال ابن كثير - رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله، حيث يقول، سبحانه، في سورة الفرقان ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾^(١) [الفرقان: ٦٨].

والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جداً، من ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ (أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء)^(٢)، وفي حديث آخر: (لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم)^(٣)، وعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً)^(٤).

وقد اختلف السلف في حكم توبة القاتل عمداً، فالمشهور عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) تفسير ابن كثير (٥٤٨/١).

(٢) صحيح البخاري: الرقاق/القصاص يوم القيامة (٢٣٩٤/٥)، صحيح مسلم: القسامة / المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضى فيه (١٣٠٤/٣) واللفظ له.

(٣) سنن الترمذي: الديات / في تشديد قتل المؤمن (١٦/٤)، سنن النسائي: تحريم الدم/ تعظيم الدم (٨٢/٧)، وانظر: صحيح الترمذي (٥٦/٢)، صحيح النسائي (٨٣٩/٣).

(٤) سنن أبي داود: الفتن / في تعظيم قتل المؤمن (٤٦٣/٤)، سنن النسائي: تحريم الدم / حرمة إراقة دم المسلم بغير حق (٨١/٧)، وانظر: صحيح سنن أبي داود (٨٠٤/٣)، صحيح سنن النسائي (٨٣٨/٣)، قال المناوي: الحديث مُنْزَلٌ عَلَى مَا إِذَا اسْتَحْلَ، وَإِلَّا فَهُوَ تَهْوِيلٌ وَتَغْلِيظٌ. فيض القدير: (١٩/٥).

أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمداً، فقد روى أحمد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رجلاً أتاه فقال: أَرَأَيْتَ رجلاً قتل رجلاً متعمداً؟ قال: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَلِيداً فِيهَا﴾ قال: لقد نزلت في آخر ما نزل، ما نسخها شيء حتى قبض رسول الله ﷺ وما نزل وحي بعد رسول الله ﷺ قال: أَرَأَيْتَ إن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال: وأنى له بالتوبة، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ثكلته أمه، رجل قتل رجلاً متعمداً، يجيء يوم القيامة آخذاً قاتله يمينه أو بيساره - وآخذاً رأسه يمينه أو بشماله - تَشْخَبُ أوداجه دماً من قِبَل العرش يقول: يا رب، سَلْ عبدك فيم قتلني؟) ^(١).

وقد ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ الذين قالوا بقول ابن عباس في أن القاتل لا توبة له، ومنهم: زيد بن ثابت، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد ابن عمر، والحسن، وقتادة، والضحاك بن مزاحم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم أورد مذهب الجمهور، فقال: «والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين ربه ﷻ فإن تاب وأناب وخشع وخضع، وعمل عملاً صالحاً، بَدَلَ الله سيئاته حسنات، وَعَوَّضَ المقتول من ظلامته، وأرضاه عن طلابته. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَمًا * يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]، وهذا خبر لا يجوز نسخه ولا تخصيص عمومته إلا بدليل.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وهذا عام في جميع الذنوب، من كفر وشرك، وشك ونفاق، وقتل وفسق، وغير ذلك: كل من تاب من أي ذلك تاب الله عليه.

وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] فهذه الآية عامة في جميع الذنوب ما عدا الشرك، وهي مذكورة في هذه

(١) مسند أحمد (٢٤٠/١)، قال أحمد شاكر إسناده صحيح. مسند أحمد / شاكر (٢١٤٠/٢)، تفسير ابن كثير (٥٤٩/١)،

تشخب: تسيل، الأوداج: العروق المحيطة بالعنق التي تقطع حالة الذبح، واحداها ودج. النهاية في غريب

الحديث (٤٥٠/٢)، (١٦٥/٥).

السورة الكريمة بعد هذه الآية وقبلها، لتقوية الرجاء، والله أعلم. وثبت في الصحيحين^(١) خبر الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس، ثم سأل عالماً: هل لي من توبة؟ فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟! ثم أرشده إلى بلد يعبد الله فيه، فهاجر إليه، فمات في الطريق، فقبضته ملائكة الرحمة... فإن كان هذا في بني إسرائيل فلأن يكون في هذه الأمة التوبة مقبولة بطريق الأولى والأخرى؛ لأن الله وضع عنا الأغلال والآصار التي كانت عليهم، وبعث نبينا بالحنيفية السمحة. فأما الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف: هذا جزاؤه إن جازاه، ومعنى هذه الصيغة: أن هذا جزاؤه إن جوزي عليه، وكذا كل وعيد على ذنب، لكن قد يكون كذلك معارضةً من أعمال صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء إليه. وهذا أحسن ما يسلك في باب الوعيد، والله أعلم بالصواب. ويتقدير دخول القاتل النار، إما على قول ابن عباس ومن وافقه أنه لا توبة له، أو على قول الجمهور حيث لا عمل له صالحاً ينجو به، فليس يخلد فيها أبداً، بل الخلود هو المكث الطويل. وقد تواردت الأحاديث عن رسول الله ﷺ: أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى ذرة من إيمان. وأما حديث معاوية: (كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً)^(٢): «عسى» للترجي، فإذا انتفى الترجي في هاتين الصورتين لا ينتفي وقوع ذلك في أحدهما، وهو القتل؛ لما ذكرنا من الأدلة. وأما من مات كافراً؛ فالنص أنه لا يغفر له البتة.^(٣)

ومن النوع الثاني، الإصرار على المعصية: ما زعم اليهود أنه لن تمسهم النار - بسبب عبادتهم العجل - إلا أياماً معدودات، استخفافاً بالمعصية: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ قُولُوتُمْ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]، فرد الله عليهم ببيان أن عبادة العجل ليست بالذنوب الهين - الذي يطهر صاحبه

(١) صحيح البخاري: الأنبياء / حديث الغار (١٢٨٠/٣)، صحيح مسلم: التوبة / قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢١١٨/٤).

(٢) سبق تخريجه في ص ٢٥ حاشية رقم (٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٥٥٠/١) بتصرف يسير.

بالنار لأيام معدودة- بل هو ذنب يستحق صاحبه الخلود في النار، فقال تعالى ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]، قال ابن جرير - رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ تكذيب من الله للقائلين من اليهود: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ وإخبار منه لهم أنه مُعَذَّب من أشرك ومن كفر به وبرسله، وأحاطت به ذنوبه، فمُخْلَد في النار، فإن الجنة لا يسكنها إلا أهل الإيمان به وبرسوله، وأهل الطاعة له، والقائمون بمحدوده»^(١). وروى ابن جرير بسنده عن ابن عباس: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ﴾ «أي: من عمل مثل أعمالكم، وكفر بمثل ما كفرتم به، حتى يحيط كفره بما له من حسنة»، ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢). ولا يمكن أن تحيط الخطيئة بالعاصي حتى تورده النار إلا إذا كان مُصِرًّا على المعصية، مستخفًّا بها.

أما النوع الثالث: فاستحلال المعصية. واستحلال المعصية - وإن كانت صغيرة- سواء أكان بالقياس الفاسد أو التبرير الخادع فهو أخطر من اقترافها؛ لأن العاصي قد يقترب المعصية - لسبب ما- لكنه يدرك بل يُسَلِّم بأنه قد عصى الله، فهذا يمكنه أن يتوب، بعكس من يستحل المعصية، فإنه لا يُحَدِّث نفسه بالتوبة فضلاً عن أن يتوب، ولذلك توعده الله المستحلين للمعصية - وإن كانت دون الشرك- بالتخليد في النار، فقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَلَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، قال الفخر الرازي - رَحِمَهُ اللَّهُ: «ظاهر قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ يدل على أن الوعيد إنما يحصل باستحلالهم الربا دون الإقدام عليه، وأكله مع التحريم»^(٣). وقال البغوي - رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ أي: ذلك الذي نزل بهم لقولهم هذا واستحلالهم إياه،

(١) تفسير الطبري / التركي (١٧٨/٢).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تفسير الفخر الرازي (٩١/٧).

وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حل ماله على غريمه فطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق: زدني في الأجل حتى أزيدك في المال، فيفعلان ذلك، ويقولون سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لأجل التأخير، فكذبهم الله تعالى وقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(١).

وفي علاقة المعصية بالكفر، وبالوعيد بالخلود في النار، نجد أن أسلوب القرآن في ذلك:

إما أن يذكر المعصية مقترنة بالكفر، وهذا يعني أن صاحبها لم يكتف بالكفر - وأعظم به من ذنب - بل أضاف إليه معصية أخرى، كقوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرُ﴾ [التغابن: ١٠]، ولا خلاف في خلود أهل هذه الآية في النار، ليس بسبب المعصية بل بسبب الكفر.

وإما أن يذكر المعصية دون ذكر الكفر، ويختتم لصاحبها بالخلود في النار، كقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]، فهذه الآية ونظائرها تُحمل على أنها من آيات الوعيد - أي الرادعة عن هذه المعصية - وبالتالي لا يلزم خلود صاحبها في النار؛ لأنه موحد، لكن حكم عليه بالخلود لاقترافه إحدى الموبقات المهلكات. أو تُحمل - إن دل السياق - على أن هذه المعصية صادرة عن كافر في الأصل، لكن أراد الله أن يقبح من شأن هذه المعصية ويُنفّر منها - بصرف النظر عن مرتكبها، موحداً كان أم كافراً. كقوله تعالى ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَوْ نَكُنَّ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَوْ نَكُنَّ نَاطِعِينَ الْمَسْكِينِ * وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْحَافِظِينَ * وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى آتَيْنَا الْبَقِيَّةَ * فَاتَّقَهُمْ شَقَعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٨]، فقله تعالى ﴿فَاتَّقَهُمْ شَقَعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ يدل على خلودهم في النار؛ لأن الذين لا تنفعهم شفاعة الشافعين يوم القيامة هم أهل الشرك والكفر الأكبر، وقد أشار بقوله ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى آتَيْنَا الْبَقِيَّةَ﴾، أنهم كفرة وماتوا على الكفر، لذلك استحقوا الخلود في النار، لكن الله ذكر من ضمن أسباب استحقاقهم للخلود في النار معصيتين - قد يقع فيها حتى بعض الموحدين - هما قوله تعالى ﴿قَالُوا لَوْ نَكُنَّ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَوْ نَكُنَّ نَاطِعِينَ الْمَسْكِينِ﴾ وفي هذا

(١) تفسير البغوي (٢٦٢/١).

دلالة على خطورة هاتين المعصيتين - حتى لو صدرت من موحد. ولعل هذا سبب ذكرها ضمن الجرائم التي استحقوا عليها الخلود في النار.

وإما أن يذكر المعصية مع الوعيد بالنار دون الخلود، كقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، فأهل هذه الآيات إن دل السياق على أنهم مشركون أو كافرون فهم من أهل الخلود في النار، وإن لم يدل السياق - على أنهم كفار، فضلاً أن يترجح أنهم موحدون - فيحمل توعدهم بالنار على استحقاق الدخول دون الخلود. واستحقاق النار يعني عند أهل السنة والجماعة أن هؤلاء العصاة - الذين ماتوا ولم يتوبوا من الكبائر - تحت مشيئة الله، إن شاء غفر لهم وأدخلهم الجنة، وإن شاء عذبهم بقدر معاصيهم، ثم أدخلهم الجنة بفضلهم وكرمه^(١).

المطلب الثاني: استحقاق النار بسبب الصد عن سبيل الله

الصدُّ عن سبيل الله جريمة كبرى، يترتب عليها مفسد عظيمة، وهل هناك مفسدة أعظم من التسبب في إضلال الناس؟! سواء أكان إفساداً مادياً؛ بمنعهم من اعتناق الإسلام أو التضيق عليهم، أم معنوياً؛ بتخويفهم من الإسلام أو تشويه صورته لتنفير الناس منه. لذلك توعد الله فاعله بالنار، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]، بل إن الله أخبر أنه سيزيدهم عذاباً فوق العذاب، العذاب الرئيس بسبب كفرهم، والعذاب الإضافي بسبب صدهم عن سبيل الله، قال تعالى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

ومن صور الصد عن سبيل الله - التي يستحق أصحابها النار - منع الناس من ذكر الله في مساجد الله والسعي في خرابها، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ۖ

(١) هذه الآية من أدلة بعض الأصوليين القائلين بأن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، وثمرة ذلك أنهم سوف يحاسبون يوم القيامة على الكفر، كما سيحاسبون على التفريط في هذه الواجبات - التي لا تقبل أصلاً إلا مع الإيمان. انظر: الأحكام لابن حزم (١٠٨/٥)، المحصول في علم الأصول (٤٠٣/١)، إرشاد الفحول ص ١٠.

وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ [البقرة: ١١٤]، اختلف المفسرون في المسجد المعني في الآية بين البيت المقدس والمسجد الحرام، كما اختلفوا في المقصود بالذي منع مساجد؛ أهو يختصر المجوسي، أم النصارى أم كفار قريش، في حوادث وقعت ذكروها، وقد رجح ابن جرير - للسياق - أن المقصود بيت المقدس، والقوم النصارى، فقال: «قال أبو جعفر: وأولى التأويلات التي ذكرتها بتأويل الآية قول من قال: عني الله ﷻ بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾: النصارى، وذلك أنهم هم الذين سَعَوْا في خراب بيت المقدس، وأعانوا بختنصر على ذلك، ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصر عنهم إلى بلاده»^(١)، وعلل ترجيحه بأن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام، وإن كانوا قد منعوا - في بعض الأوقات - رسول الله ﷺ وأصحابه من الصلاة فيه، كما صح وثبت أن الذين وصفهم الله ﷻ بالسعي في خراب مساجده غير الذين وصفهم الله بعمارتها؛ إذ كان مشركو قريش بنوا المسجد الحرام في الجاهلية، وبعمارته كان افتخارهم، وإن كانت بعض أفعالهم فيه على غير الوجه الذي يرضاه الله منهم. كما أكد ترجيحه بالسياق حيث كان الحديث - سباقاً ولحاقاً - في أهل الكتاب ولم يجر ذكر لقريش ولا لمشركي العرب^(٢)، وسواء ترجح القول الأول أو الثاني، فإن العموم الوارد في الآية يفيد العموم، فكل من منع مُصَلِّياً أن يصلي أو منع مسجداً أن يُشَيَّدَ - دون وجه حق - أو سعى في خراب مسجد قائم، فهو من المعتدين الظالمين الذين توعدهم الله بالخزي في الدنيا، والعذاب العظيم في الآخرة.

المطلب الثالث: استحقاق النار بسبب الاستهزاء بآيات الله ورساله

الاستهزاء والسخرية صفة ذميمة، وخلق قبيح لا يليق بالأسياء من الناس فضلاً عن الفضلاء، ويدل على خِسَّة نفس فاعله، وخوائه من المبادئ الضابطة للسلوك، والإيمان العاصم من المعاصي والتعرض لسخط الله. وأخطر أنواع السخرية ما تعلق بالله تعالى وبرسوله ﷺ وبالشرع العظيم، لذلك عدَّ الله الاستهزاء بآياته صورة من صور

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٣.

(٢) تفسير الطبري / التركي (٤٤٤/٢).

الكفر؛ إذ المبادئ - وعلى رأسها شرع الله وأحكامه - ليس مجالاً للسخرية أو الاستهزاء، لذلك حكم الله على فاعل ذلك بالكفر - حتى لو كان مسلماً - وتوعده بالعذاب، قال تعالى ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَعَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، روى ابن جرير بسنده عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبين عند اللقاء! فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيته متعلقاً بحَقَبِ ناقة رسول الله ﷺ تَنكُبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب!، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَعَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(١) لم يقبل الله عذرهم - أنهم كانوا يمزحون - مع أنهم قالوا ما قالوا وهم متلبسون بطاعة الجهاد الشاقة، ولو في الظاهر.

ومن صور الاستهزاء بآيات الله - الموجبة للنار - الاستهزاء بأعظم شعائر الإسلام - الصلاة. قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخَرُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا لِّعِبَادٍ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارُ أَوْلَىٰ بِاللَّهِ إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [المائدة: ٥٧]، في هذه الآية نهى الله المؤمنين عن موالاة الكفار وأهل الكتاب، معللاً ذلك بتلاعبهم بالإسلام والهزء منه، وزاد في تعليل النهي باستحضار أحد الأمثلة على ذلك، وهو استهزأؤهم بالأذان والصلاة، قال تعالى ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوءًا وَلِعِبَادَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨]، قال الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: وإذا أذن مؤذنكم، أيها المؤمنون بالصلاة، سخر من دعوتكم إليها هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى والمشركين، ولعبوا من ذلك، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾»، يعني تعالى ذكره

(١) تفسير الطبري ط: التركي (١١/٥٤٣)، وانظر: أسباب النزول للواحدي ص ٢٥٠، «الحقْب» (بفتحين): حبل يشد به الرجل إلى بطن البعير مما يلي ثيله - قضيبه - لئلا يؤذيه التصدير. تهذيب اللغة «حقْب» (٧١/٤)، والتصدير: حبل يصدر به البعير إذا جرَّ جملة إلى خلف. المحيط في اللغة «صدر» (١٠٨/٨)، و«نكبتة الحجارة»: أي لثمت الحجارة رجله وظفروه، أي: نالته وأذته وأصابته. انظر: اللسان (٧٧٣/١).

بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾: فعلهم الذي يفعلونه، وهو هزؤهم ولعبهم من الدعاء إلى الصلاة، إنما يفعلونه لجهلهم بربهم، وأنهم لا يعقلون ما لهم في إجابتهم إن أجابوا إلى الصلاة، وما عليهم في استهزائهم ولعبهم بالدعوة إليها، ولو عَقَلُوا عاقبة فعلهم من العقاب ما فعلوه^(١).
وليس المستهزئ بآيات الله هو المعلوم وحده، بل كذلك من يجالس؛ لأنه - بجلوسه - غدا في حكم الراضي عن التطاول على الشرع؛ لذلك سَمَّاهُ الله منافقاً، قال تعالى ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْبُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]، لقد ساوى الله بين المستهزئ بآيات الله والجالس السامع الساكت ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾، بل لقيح فعله قدمه في الآية - ذكراً - في دخول جهنم على الكافر.

المطلب الرابع: استحقاق النار بسبب اللغو في القرآن

لقد أدركت قریش - منذ فجر الدعوة - أن القرآن ليس كلام محمد ﷺ بل إنه لم يصدر عن بشر أصلاً، وإلا لاستطاعوا أن يأتوا بمثله، وهم فرسان الكلام وأئمة الفصاحة والبيان، وقد اعترف بذلك فصحاؤهم وبلغاؤهم، كالوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة، والنضر بن الحارث، في عدة مناسبات^(٢)، وبدل أن يذعنوا لذلك ويعترفوا بصدق محمد ﷺ

(١) تفسير الطبري / التركي (٥٣٦/٨).

(٢) عندما جهر النبي بالدعوة كان لم يبق على موسم الحج سوى أشهر معدودة، وعرفت قریش أن وفود العرب ستقدم عليهم، فقرروا الاتفاق على كلمة يقولونها للعرب، في شأن محمد ﷺ حتى لا يكون لدعوته أثر في نفوس العرب، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة يتداولون في تلك الكلمة، فقال لهم الوليد: أجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً، قالوا: فأنت فقل، وأقم لنا رأياً نقول به. قال: بل أنتم فقولوا أسمع. قالوا: نقول: كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بَرْمَزْمَةُ الكاهن ولا سبعة. قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، ما هو بَخَنَقِه ولا تَخَالِجِه ولا وسوسته. قالوا: فنقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رَجَزَه وَهَزَجَه وَقَرِيضَه وَمَقْبُوضَه وَمَبْسُوطَه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر. قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بِنَقْطِهِمْ ولا عَقْدِهِمْ. قالوا: فما نقول؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، [وإن عليه لطاوة] وإن أصله لَعَقَقَ، وإن قَرَعَه لَجَنَاةٌ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر. جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، ففارقوا عنه بذلك. وقيل إن الوليد ظل يفكر ويفكر حتى أبدى لهم رأيه الذي ذكر آنفاً. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢٨٣/١) =

وربانية القرآن وقديسيته، قامت قريش بإرهاب الناس فكريباً؛ فحاولوا الحيلولة بين الناس وبين سماع القرآن؛ لعلمهم أنهم سوف يتأثرون به، كيف لا، وهم الزعماء والمعادون له كانوا يتأثرون به، وكان يجذبهم لسماعه^(١)، لذلك راحوا يتواصلون بالإثم والعدوان، للصّد عن سبيل الله، والحيلولة بين الناس وبين القرآن. وقد سجل الله هذه الوصية الآثمة في قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، ولقد نشط القوم لتنفيذ هذه الخطة الحبيثة لصرف الناس عن القرآن، استعملوا كل أساليب اللغو والتشويش - الحسية والمعنوية - لتحقيق هدفهم المأمول! -

المأفون - ﴿وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

فمن أساليب اللغو والتشويش المعنوية التي استخدموها لصرف الناس عن القرآن: الطعن فيه؛ بوصفه بالسحر تارة: كما في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصفات: ١٥]، وقوله تعالى ﴿فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى﴾ [المدثر: ٢٤].

وتارة يصفونه بأنه إفك مفترى: كما في قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤].

ولما كان الوليد هو العقل المدبر لهذه المؤامرة، فقد أنزل الله ست عشرة آية من سورة المدثر، في ذمه وتوعده، قال تعالى ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَدْتُ لَهُ مَهْدًا * ثُمَّ أَنْزَلْنَاهُ أُنْزِلًا * كَلَامًا * كَانَتْ لَا يَكْتَنِبُ عَيْنًا * سَأْتِيهِمْ وَصُعُودًا * إِنَّهُ فَكَرُّ وَفَذَر * فَنُفِثَ كَيْفَ قَدَر * ثُمَّ نُفِثَ كَيْفَ قَدَر * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَسَكَر * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى * إِن هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَر * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ١١-٢٦].

(١) من أعجب القصص في انجذابهم لسماعه، ما رواه ابن إسحاق، قال: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ أَنَّهُ حَدَّثَ: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَأَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ، وَالْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيْقٍ بْنَ عَصْرٍ وَبَنِي الْمُتَّقِفِي، حَلِيفَ بَنِي زُهْرَةَ، خَرَجُوا لَيْلَةً لِيَسْمَعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فِي بَيْتِهِ، فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسًا يَسْتَمِعُ فِيهِ، وَكُلٌّ لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَاحِبِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا. فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فَتَلَاؤُمُوا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَعُودُوا، فَلَوْ رَأَيْتُمْ بَعْضَ سُفْهَائِكُمْ لَا وَقَعْتُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا. حَتَّى إِذَا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَّةُ، عَادَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى مَجْلِسِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِثْلَ مَا قَالُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ، ثُمَّ انْصَرَفُوا. حَتَّى إِذَا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسَهُ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَبْرَحْ حَتَّى نَتَعَاهَدَ أَلَّا نَعُودَ: فَتَعَاهَدُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا. سيرة النبي لابن هشام (١/٣٣٧).

وتارة يصفونه بأنه أضغاث أحلام: كما في قوله تعالى ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وتارة يصفونه بأنه أساطير الأولين: كما في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] وقوله تعالى ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤].

وتارة يصفونه بأنه شعر: فنفي الله عنه ذلك، كما في قوله تعالى ﴿وَمَا عَمَلَتْهُ إِلَّا شِعْرٌ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]، وقوله تعالى ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تَوَمَّنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١].

وتارة يصفونه بأنه كهانة: فنفي الله عنه ذلك، كما في قوله تعالى ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٢].

أما أساليب التشويش الحسية، فقد برع فيها النضر بن الحارث؛ فقد كان صاحب أسفار إلى الشام والحيرة، وكان قد تعرّف على أخبار ملوك الفرس، وأحاديث رستم وإسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً للدعوة وللتذكير بالله، يخلفه النضر محاولاً اجتذاب الناس إليه ومحو آثار محمد ﷺ، قال ابن اسحاق رَحِمَهُ اللهُ: «وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، ومن كان يؤذي رسول الله ﷺ وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم وإسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نعمة الله خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال أنا والله يا معشر قريش، أحسن حديثاً منه، فهل إلي فأنأ أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وإسفنديار، ثم يقول بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟»^(١).

ومن الأساليب الحسية كذلك التصفير والتصفيق للتشويش على قراءة النبي ﷺ

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣٢٠/١)، وروى عن ابن عباس أن النضر كان قد اشترى قَبِيْئَةً، فكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا أرسل إليه قبنته، وقال لها: أطعميه واسقيه وغنيه، ويقول: هذا خير مما يدعوك إليه محمد، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِعَرَفٍ عَلَيْهِ وَيَحْذَهُمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦] الدر المنثور (٥٠٤/٦)، الرحيق المختوم ص ٩٠.

في المسجد الحرام، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥]، أي تصفيراً وتصفيقاً، أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن سعيد بن جبيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانت قريش يعارضون النبي ﷺ في الطواف، يستهزئون ويصفقون، فنزلت ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾^(١)، وأخرج الطستي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله عز وجل ﴿إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾ قال: المكاء، صوت القنبرة، والتصدية، صوت العصافير وهو التصفيق. وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة وهو بمكة، كان يصلي قائماً بين الحجر والركن اليماني، فيجيء رجلان من بني سهم يقوم أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، ويصيح أحدهما كما يصيح المكاء، والآخر يصفق بيديه تصدية العصافير ليفسد عليه صلاته. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم، أما سمعت حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه يقول^(٢):

نقوم إلى الصلاة إذا دعينا وهمتك التصدي والمكاء^(٣)

وقال مقاتل: «كان النبي ﷺ إذا صلى في المسجد قام رجلان عن يمينه فيصفران ورجلان عن شماله فيصفقان ليخلطوا على النبي ﷺ صلاته، وهم من بني عبد الدار»^(٤). ولما كانت هذه الجريمة سبباً في تنفير الناس من القرآن وصددهم عن الاهتداء به، فقد توعدهم الله الفاعلين بأشد العذاب، فقال تعالى ﴿فَلْيَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا سَدِيدًا وَلَتَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ٢٧-٢٨].

المطلب الخامس: استحقاق النار بسبب كتمان الحق وخيانة العهد

كتمان الحق جريمة قبيحة يستحق صاحبها أشد العذاب، لما يترتب على كتمان

(١) تفسير الطبري / التركي (١٦٤/١)، الدر المنثور (٦١/٤).

(٢) لم أجد بنصه في ديوان حسان بن ثابت المطبوع، وورد عجزه فقط بلفظ: «صلاتهم التصدي والمكاء» (٤٤١/١).

(٣) الدر المنثور (٦١/٤).

(٤) التفسير البسيط (١٤٠/١٠)، تفسير البغوي (٢٤٧/٢)، تفسير الفخر الرازي (١٦٠/١٥).

الحق من المفسدة العظيمة، وأعظمها وقوع الناس في الضلال، وقد أنزل الله آيات كثيرة يتوعد الذين يكتُمون الحق. ومعظم هذه الآيات نزلت في اليهود؛ فقد تخصصوا في كتمان الحق.

ومن هذه الآيات، قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَبَسُّدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَيُشْسَ مَا يَشْتَرُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٧-١٨٨]، في الصحيحين «أن مروان بن الحكم قال لبوابه: يا رافع، اذهب إلى ابن عباس فقل له: «لئن كان كل امرئ منافرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا، لنعذبن أجمعون»! فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أنزلت في أهل الكتاب! ثم تلا ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ هذه الآية. وتلا ابن عباس ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ وقال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموا إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما قد سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه»^(١).

وكذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْرُونَ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]، قال ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ في كتبهم التي بأيديهم، مما يشهد له بالرسالة والنبوة، فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم، وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم إياهم، فخشوا - لعنهم الله - إن أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوهم، فكتموا ذلك إبقاءً على ما كان يحصل لهم من ذلك، وهو نزر يسير، فباعوا أنفسهم بذلك، واعتاضوا عن الهدى واتباع الحق وتصديق الرسول والإيمان بما جاء عن الله بذلك النزر اليسير، فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة؛ أما في الدنيا فإن الله أظهر لعباده صدق رسوله، بما

(١) صحيح البخاري: التفسير (آل عمران) / ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ [آل عمران: ١٨٨] (١٦٦٥/٤)، صحيح مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم (٢١٤٣/٤) واللفظ له. وانظر: تفسير الطبري / التركي (٣٠٥/٦).

نصبه وجعله معه من الآيات الظاهرات والدلائل القاطعات، فصدّقه الذين كانوا يخافون أن يتبعوه، وصاروا عوناً له على قتالهم، وباؤوا بغضب على غضب، وذمهم الله في كتابه في غير موضع^(١). أما في الآخرة فقد توعدهم الله بأربع عقوبات:

الأولى: ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ يعني إلا ما يؤديهم إلى النار وهو الرشوة والحرام وثمن الدين، فلما كان يفضي ذلك بهم إلى النار فكأنهم أكلوا النار، كما قال في أكلة أموال اليتامى ظلماً، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، وقيل معناه أنه يصير ناراً في بطونهم^(٢).

الثانية: ﴿وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: أي لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم إنما يكلمهم بالتوبيخ. وقيل: أراد به أنه يكون عليهم غضبان، كما يقال: فلان لا يكلم فلاناً إذا كان عليه غضبان^(٣).

الثالثة: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: أي لا يطهرهم من دنس الذنوب^(٤)، قلت: بخلاف المؤمن إذا وقع في المعصية؛ فإما أن يطهره الله بالبلايا والمصائب في الدنيا، أو يطهره بتشديد سكرات الموت عليه ليخرج من الدنيا طاهراً، وإما أن يطهره في قبره ببعض العذاب، وإما أن يطهره يوم القيامة بالنار بقدر ذنبه، وإما أن يعفو عنه ويصفح بكرمه وفضله وقيل: «لا يثني عليهم كما يثني على أوليائه الأزكياء»^(٥).

الرابعة: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلم، بلغ الغاية في الإيلام.

الخامسة: في آية أخرى ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(٦) [آل عمران: ٧٧]، قال الطبري - رحمه الله: «ولا ينظر إليهم»، يقول: «ولا يعطف عليهم بخير، مقتاً من الله لهم، كقول القائل

(١) تفسير ابن كثير (٢١٢/١).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١٤١/١) بتصرف.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) تفسير الفخر الرازي (١٠٦/٨).

(٦) الآية هي قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْكُرُونَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَأَيَّمَنَ بِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَاحِقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

لآخر: «انظر إليّ نظر الله إليك» بمعنى: تَعَطَّفَ عَلَيَّ تَعَطَّفَ اللَّهُ عَلَيْكَ بخير ورحمة^(١). وقال الفخر الرازي - رَحْمَةُ اللَّهِ: «فالمراد إنه لا ينظر إليهم بالإحسان، يقال فلان لا ينظر إلى فلان، والمراد به نفي الاعتداد به وترك الإحسان إليه^(٢)، وعليه فليس المقصود نفي الرؤية؛ لأنهم جميعاً تحت سمعه وبصره، بل نفي العطف والإشفاق والإحسان إليهم.

المطلب السادس: استحقاق النار بسبب التكبر على الله تعالى

الكِبَرُ خلق قبيح، ومنازعة لله ﷻ في صفة لا تليق إلا به، فصفة الكبر لا تليق إلا بمن كان كاملاً في كل شيء، وهو الله تعالى، لا أحد سواه؛ إذ لا يوجد مخلوق إلا وهو ناقص ومحتاج، ولا يليق بالناقص التكبر على بشر مثله، فضلاً عن التكبر على الله ﷻ خالقه ورازقه؛ لذلك تَوَعَّدَ اللَّهُ المتكبرين بالنار، ففي الحديث القدسي (قال الله ﷻ: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار)^(٣).

ومن تكبر على الله تعالى فقد اتخذ من إبليس اللعين سلفاً له وقدوة، فقد تَكَبَّرَ على الله تعالى لما أمره بالسجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان تكبره سبباً في إخراجهم من الجنة، واستحقاقه اللعنة، قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَالِقُ بَشَرٍ مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَسْجُودًا * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِدَيِّ * اسْتَكْبَرْتَ أَفُكْتُ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: ٧١-٧٨].

ولا مكان للمتكبرين يوم القيامة إلا في النار، كما قرره في آيات كثيرة، منها: قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٦]، وقال تعالى ﴿أَدْخِلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٦].

ومن صور التكبر - الذي يستحق صاحبه النار - اعتداد الإنسان بنفسه، وتركه

(١) تفسير الطبري / ط: التركي (٥١٦/٥).

(٢) تفسير الفخر الرازي (١٠٦/٨).

(٣) سنن أبي داود: اللباس / ما جاء في الكبر (٣٥٠/٤)، سنن ابن ماجه: الزهد / البراءة من الكبر والتواضع (٤٢١/٢).

وانظر: صحيح أبي داود (٧٧٠/٢)، صحيح ابن ماجه (٤٠٥/٢).

عبادة الله ودعائه، كأنه مستغن عن الله ﷻ مع شدة حاجته إلى الله تعالى، فلا أحد يستغني عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك، ولو لا العبادة والدعاء لعاجلنا الله بالإهلاك، كما قال تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧]، قال ابن كثير - رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ أي: لا يبالي ولا يكثر بكم إذا لم تعبدوه؛ فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه بكرة وأصيلاً.. وقوله ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ أي: أيها الكافرون، ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي: فسوف يكون تكذيبكم لزماً لكم، يعني: مقتضياً لهلاككم وعذابكم ودماركم في الدنيا والآخرة»^(١).

ولما كان الدعاء عاصماً للإنسان من الهلاك - حتى مع الشرك - توعد الله الذين يستكبرون عن دعائه بنار جهنم، فقال ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، قال الفخر الرازي - رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان أشرف أنواع الطاعات الدعاء والتضرع، لا جرم أمر الله تعالى به في هذه الآية فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، واختلف الناس في المراد بقوله ﴿ادْعُونِي﴾ فقيل إنه الأمر بالدعاء، وقيل إنه الأمر بالعبادة، بدليل أنه قال بعده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ ولولا أن الأمر بالدعاء أمر بمطلق العبادة لما بقي لقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ معنى. وأيضاً الدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن كقوله ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا﴾ [النساء: ١١٧]، وأجيب عنه بأن الدعاء هو اعتراف بالعبودية والذلة والمسكنة، فكأنه قيل إن تارك الدعاء إنما تركه لأجل أن يستكبر عن إظهار العبودية، وأجيب عن قوله «إن الدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن»، بأن ترك الظاهر لا يصار إليه إلا بدليل منفصل... ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أي صاغرين وهذا إحسان عظيم من الله تعالى حيث ذكر الوعيد الشديد على ترك الدعاء»^(٢).

وغضبُ الله يلحق تارك الدعاء ولو كان مسلماً. ففي الحديث (من لم يدع الله

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٤٣).

(٢) تفسير الفخر الرازي (٨١/٢٧).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَضَبُ عَلَيْهِ^(١)، فهذا من كمال كرم الله تعالى، فهو يأمر عباده أن يلجئوا إليه ويدعوه لكل مصالحهم، لذلك هو يحب العبد اللوح - الذي يكثر سؤاله - بخلاف منطق البشر الذين يغضبون ممن يكثر السؤال عليهم، كما قال القائل:

اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤْلَهُ وَبُنِيَ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ^(٢)

(١) مسند أحمد (٤٤٣، ٤٧٧/٢)، سنن ابن ماجه: أبواب الدعاء / فضل الدعاء (٣٤١/٢)، سنن الترمذي: الدعوات / ما جاء في فضل الدعاء (٤٥٦/٥)، برواية: (من لم يسأل الله يغضب عليه)، وانظر: صحيح الترمذي (١٣٨/٣)، صحيح ابن ماجه (٣٢٤/٢).

(٢) لم أقف على قائله، وأورده القرطبي في تفسيره في آية ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وعزاه إلى بعض العلماء (٢٧٢/٦)، وورد في تفسير ابن كثير في آية ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي﴾ [غافر: ٦٠] (٧٦/٤)، وفيض القدير في حديث «أعجز الناس من عجز عن الدعاء» (٥٥٦/١).

المبحث الثالث

شبهات وإشكالات

هناك إشكالات في الفهم، وشبهات تثار حول دخول الكفار عامة وأهل الكتاب خاصة النار - فضلاً عن تخليدهم فيها- وأظهرها ثلاث شبهات وإشكالات:

المطلب الأول: الشبهة الأولى:

الملاحظ في بعض آيات الوعيد أنها تتوعد الكفار ليس بالنار فحسب بل بالخلود في نار جهنم، فكثير من الآيات يختتمها الله بقوله ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أو ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وقد وردت ثلاثين مرة، وكذلك قوله تعالى ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبا: ٢٣]، وقوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَاْفٍ﴾ [فاطر: ٣٦]، لذلك يستشكل بعض الناس تخليد الكفار في النار وهم لم يعيشوا إلا أقل من قرن في الغالب، فلماذا لا يعذبون مدة معصيتهم فحسب^(١).

الجواب عن هذه الشبهة وهذا الإشكال من وجهين:

أولاً: لا وجه للاعتراض على حكم الله تعالى؛ لأن الجنة ملكه، وقد حرمها على كل من أشرك به، وقد أعلن هذا على السنة رسله عبر التاريخ، فمن خالف شروط الله في

(١) وردت هذه الشبهة في سؤال موجه إلى مركز الفتوى بموقع إسلام ويب، ورقم الفتوى: ١٢٣٨٨٩ وفيه يسأل السائل قائلاً: أنا أتحدث كثيراً مع غير المسلمين في المواقع الأجنبية وغيرها، وغالباً ما يكون الحديث حول الدين والإسلام، وأحياناً يسألني أحدهم أسئلة لا أستطيع الرد عليها، كما أنها تثير بعض الشكوك في نفسي، فمثلاً كيف يكون العدل في الإسلام أن يخلد الكافر في النار لأنه عصى الله مدة قصيرة وهي عمره (٦٠ عاماً مثلاً)؟ وجاء الجواب على النحو التالي: وأما مسألة الخلود الأبدى للكافرين في النار رغم أن كفرهم في الدنيا كان محدود الزمن، فحاصل الجواب عنها أن الكفار لو عمرو في الدنيا ما عمرو فإنهم سيعيشون على الكفر، بل لو ردوا إلى الحياة رجعوا إلى ما كانوا عليه، كما أخبر الله عز وجل عنهم بقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ مُوعَدُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨] ولذلك استحقوا ذلك الجزاء على وجه التأبيد، لأن الناس يبعثون يوم القيامة على نياتهم، ومما يبين أثر النية في استحقاق العقاب في الآخرة أن رسول الله ﷺ لما قال: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار». فسئل: هذا القاتل فما بال المقتول؟ علل ذلك ﷺ بالنية والعزيمة على الفعل فقال: إنه قد أراد قتل صاحبه. متفق عليه.

التأهل لدخول الجنة - وعلى رأسها التوحيد- لا يلومنّ إلا نفسه- فضلاً عن أن دخول الجنة هو محض تفضل من الله ﷻ لا استحقاقاً، ولو أفنى الإنسان نفسه في العبادة، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: (لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ) قالوا ولا أنت يا رسول الله قال: (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة)^(١).

ثانياً: إن الجرم الذي فعلوه ليس له كفارة حتى يقال يعذبون فترة حتى تُكفّر ذنوبهم ويظهرون، لأن الشرك إن كان في الربوبية فهو إلحاد، ويعني عدم الاعتراف بوجود الله تعالى، فكيف يرجو العفو من لا يعترف بالله أصلاً؟! وأنى يعفو الله عمن لا يعترف به؟! وإن كان في الألوهية - الذي هو أفراد الله بالعبادة- وهو الأكثر، فهو قبيح كذلك، لا يكفره إلا التوحيد، لذلك من كان ذنبه دون الشرك فهو تحت مشيئة الله قد يعذبه الله، وقد يغفر له، لكن حتى لو عذبه بقدر مظلمته التي هي دون الشرك، فلن يخلده في النار- كما هو مذهب أهل السنة والجماعة في عصاة الموحدين^(٢).

المطلب الثاني: الشبهة الثانية:

كيف تقولون باستحقاق الكفار النار، وقد عملوا أعمالاً جلييلة سهلت حياة الناس، بل أكثر من ذلك صنعوا أشياء ساعدت ويسرت عبادة الله، فصنعوا الطائرات التي تنقل الحجاج إلى بيت الله الحرام - من مشارق الأرض ومغاربها- والمكبرات التي يرفع بها الأذان ليعم الأرض، والمكائن التي تطيع بها ملايين النسخ من كتاب الله والكتب الإسلامية... فيقول القائل - غالباً ما يكون مسلماً- هل من العدل أن يدخل هؤلاء النار ويدخل عامة المسلمين الجنة - الذين لم يقدموا للبشرية أيّ منافع مادية، ولا سيما في عصرهم هذا^(٣)؟!

(١) صحيح البخاري: المرضى / نهي تمني المريض الموت (٢١٤٧/٥)، صحيح مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم / لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله (٢١٦٩/٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٥٣.

(٣) هذه شبهة يثيرها بعض المنسلخين عن دينهم للتشكيك والإثارة، كما أنه إشكال يرد على عوام المسلمين، وإن كانوا متعلمين، وقد أثار هذا الإشكال بعض طلابي في بعض النقاشات في قاعة الدراسة، كما وردت هذه الشبهة بعينها في موقع ملتقى العقيدة والمذاهب المعاصرة، تحت عنوان: هل ينتفع الكافر بعمله في الآخرة ويثاب عليه إذا مات على كفره؟؟؟

أقول: نعم نحن نوافق على أن هذه الأشياء جليلة ومفيدة للبشرية - بل مطلوبة - لكن ليس لها الأولوية في حياتنا - وإن سهلت ويسرت حياتنا، فغايتها أن تكون من الحاجيات - التي إذا انتفت أوقعت الناس في الحرج والمشقة - لا الضرورات - التي إذا انتفت هلك الناس، كما أن الله تعالى خالق البشر كلهم - هو أعلم بخلقه، ولماذا خلقهم؟ فهو - بلا شك - أعلم منا بغايتنا في هذه الحياة الدنيا، وصدق الله ﴿الْأَيْعَلَمَنَّ خَلْقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المك: ١٤]، بلى، وقد أخبرنا في كتابه بالغاية من خلقنا - في آية صريحة - فقال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهذا التركيب اللغوي - النفي المتبوع بالاستثناء - هو أشد حالات القصر والحصر في اللغة العربية، لذلك عبر الله به في كلمة التوحيد كذلك - لا إله إلا الله - فحصر الغاية من خلق الإنسان في العبادة - العبادة لا غير، فكأنه يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا خَلَقْتُمْ - يا معشر الجن والإنس - إلا للعبادة، ولا أقبل منكم إلا العبادة، ولا ينجيكم إلا العبادة، بل لا يسعدكم - في الدنيا فضلاً عن الآخرة - إلا العبادة، وتأكيداً لهذه الغاية نفى في الآية التالية أن يكون للإنسان أي هدف سوى العبادة^(١)، فقال ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٧-٥٨]. ولهذا كانت العبادة هي الغاية التي من أجلها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فهذا واجب الإنسان الأول في حياته، ومهما اشتغل بغيره - من أعمال جليلة في نظر الناس - فلن تغني عنه من الله شيئاً، ولن تنجيه من عذاب النار في الآخرة - فضلاً أن تؤهله لدخول الجنة، ولأن الله عادل، فسوف يكافئ هؤلاء الكفار على أعمالهم النافعة - للبشرية - في الدنيا؛ لأنهم عملوها للدنيا لا للآخرة - التي لا يؤمنون بها أصلاً، وهم في عداد المنكرين لها، ولو بلسان الحال - قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ *

(١) وكل ما كُلف به الإنسان شرعاً، كالاستخلاف في الأرض وعمارة الأرض... يندرج تحت العبادة بمعناها الواسع، كما قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنَسِيتُ وَنَسِيتُ وَمَحَيَّاتِي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، بل كل جهد فكري أو جسدي يبذله الإنسان، ويكون نافعاً للإنسان أو غيره يندرج تحت العبادة، بشرط أن يكون فاعله موحداً، ويريد به وجه الله، وأن يفعله في إطار الشرع وحدوده، بما لا يتعارض مع الشرع.

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥-١٦﴾ [هود: ١٥-١٦]، وقد بوب مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمله، وأورد حديث أم المؤمنين عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - لَمَّا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ - ابن عم لها - أنه كان يقري الضيف، ويفك العاني، ويطعم الطعام، هل ينفعه ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ (لَا يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) ^(١)، كذلك أورد ابن كثير قول النبي ﷺ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: (إِنْ أَبَاكَ رَامَ أَمْرًا فَبَلِّغْهُ) ^(٢). بمعنى أن حاتم الطائي - أكرم العرب عبر تاريخهم - لم يكن يفعل الكرم ابتغاء وجه الله، لكن للسمعة والذكر، وقد حصل له ما أراد في الدنيا، لكن لكفره وعدم إرادته وجه الله ليس له نصيب عند الله تعالى، والله أعلم. وهكذا حال أولئك الذين يدافع بعض الناس عنهم - وهم لم ينصبوهم محامين لهم - فهم لم يفعلوا ما فعلوا - من أعمال مفيدة - طلباً لمرضاة الله، ولا طمعاً في جنته، ولا رغبة في مغفرته، بل ربما لم يخطر ذلك ببالهم، وهم غالباً ما يفعلون ذلك لمجدهم الشخصي، كالجاه والمنصب، والسمعة والرياء، والغنى والمال.

أما كون المسلمين مقصرين - لعدم مساهمتهم الفاعلة في عمارة الأرض وإنتاج وسائل عمارتها - فهم في هذه الحالة فعلاً مقصرون، بل آثمون شرعاً؛ لتفريطهم في فروض الكفاية، لكن هذا التقصير - مع قبحه - ليس في مستوى الكفر أو الشرك الذي لا يغفره الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وما أجمل وأصدق قول الإمام الذهبي في ترجمته لابن الراوندي - الملحد - قال: «لعن الله الذكاء بلا إيمان، ورضي الله عن البلادة مع التقوى» ^(٣).

المطلب الثالث: الشبهة الثالثة

يقولون سلّمنا جدلاً باستحقاق المشركين وعبدَةِ الأوثان النار، فما بال القرآن

- (١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان / الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمله (١٩٦/١).
- (٢) تفسير ابن كثير (٥٠٨/١) في تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقَةً النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ وَكِيلًا فَاسْأَلْهُ قَوْلًا﴾ [النساء: ٣٨]، لم أفق على هذا الحديث، ومعناه صحيح.
- (٣) سير أعلام النبلاء (٦٢ / ١٤).

الشرط الأول: الإيمان بالله تعالى. فخرج بذلك كل يهودي أو نصراني أشرك بالله تعالى أو أحد. ومن المعلوم أن اليهود القائلين بأن عزيزاً ابن الله قد أشركوا بالله، وكذلك النصارى القائلين بأن عيسى هو الله أو ابن الله قد أشركوا ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضِلُّهُمُ قَوْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]. وكذلك كل من انتقص من صفات كماله، فوصفه بالعجز أو التعب، أو الفقر أو البخل - كما فعل اليهود- قد كفر به.

الشرط الثاني: الإيمان باليوم الآخر: فخرج بذلك كل يهودي أو نصراني أنكر حدوث اليوم الآخر - الذي تبدأ أحداثه بالموت، وتنتهي بالاستقرار في الجنة أو النار، مروراً بأحداث القبر وأهوال يوم القيامة.

الشرط الثالث: العمل الصالح، وهو دليل على صدق الإيمان وكمالهِ، لذلك كثيراً ما يقرن الله الإيمان به بالعمل الصالح، كقوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]، وكقوله: ﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة: العصر]، إذ لا معنى للإيمان بالله وباليوم الآخر دون العمل الصالح- بمعناه الواسع؛ المتضمن فعل الطاعات واجتناب المعاصي- وإلا كان ادعاء بل نفاقاً، كما قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، فنفي عنهم الإيمان مع قولهم وادعائهم.

وقد ذكر المفسرون أن اليهود والنصارى - الذين تحققت فيهم هذه الشروط لاستحقاق دخول الجنة- هم الذين كانوا في عهد موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. قال ابن كثير- رَحِمَهُمُ اللَّهُ: «فأما قبل ذلك [أي قبل بعثة النبي محمد ﷺ] فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة، فاليهود أتباع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم... فلما بعث عيسى ﷺ وجب على بني إسرائيل اتباعه والانقياد له، فأصحابه وأهل دينه هم النصارى... فلما بعث الله محمداً ﷺ خاتماً للنبيين، ورسولاً إلى

بني آدم على الإطلاق، وجب عليهم تصديقُه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانكفاف عما عنه زجر، فهؤلاء هم المؤمنون حقاً^(١).

وعليه فهناك شرط رابع لليهود والنصارى المستحقين لدخول الجنة بعد بعثة النبي محمد ﷺ، وهو الإيمان به واتباع دينه؛ لأن بعثته ﷺ نسخت كل الأديان السابقة، لذلك عدّ أتباعها كفاراً، ومن أهل النار - وإن تحققت فيهم الشروط الثلاثة - كما قال ﷺ (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)^(٢)، ويؤكدُه قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، نسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

(١) تفسير ابن كثير (١٠٧/١) بتصرف يسير.

(٢) صحيح مسلم: الإيمان / وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١٣٤/١).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن كتاب الله هو المرجع الموثوق الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]، ولا سيما في القضايا المتعلقة بالإنسان؛ لأنه كتاب البشرية الذي أنزله الله هداية للبشر للحق والهدى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وتحذيرهم من سبل الغواية والضلالة، وإعلامهم بعواقب أعمالهم في الدنيا والآخرة، ومن هذه القضايا ما تعرض له هذا البحث في من يستحقون النار يوم القيامة.

وقد تبين من خلال هذه الدراسة أن الكفر ذنب كافٍ لإدخال صاحبه النار والخلود فيها، ولا خلاف في ذلك بين علماء المسلمين؛ لصراحة الآيات التي أخبرت بذلك، ولا فرق بين كون الكافر كافراً ابتداءً، أو كافراً بالارتداد؛ لإنكاره ما عرف من الدين بالضرورة، خاصة أركان الإيمان والإسلام، أو كافراً لنسخ الإسلام لدينه؛ كاليهود والنصارى، فهم كفار كذلك بصراحة النصوص القرآنية - التي ذكرت في ثنايا البحث. كذلك ذكر القرآن الكريم أسباباً أخرى لاستحقاق أصحابها النار، مثل: الصد عن سبيل الله، والاستهزاء بآيات الله ورسوله، واللغو في القرآن، وتكذيب الله ورسوله، واستحلال المعاصي، وكتمان الحق وخيانة العهد، والنفاق، والتكبر على الله تعالى، وإيذاء الله ورسوله والمؤمنين.

وإذا كان بعض الكفرة قد انزعجوا من هذا المصير، فإن العقل والمنطق يقتضي منهم الوقوف مع أنفسهم وقفة مصارحة، للنظر في الأسباب والعلل التي من أجلها استحقوا دخول النار - إن كانوا عقلاء - فإن كان الأمر يفعلونه فليتركوه، وإن كان الأمر لم يفعلوه فليفعلوه، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا أَمَرَ بِأَمْرٍ أَوْ نَهَى عَنْ أَمْرٍ إِلَّا لمصلحة العبد وسعادته في الدنيا وفي الآخرة، وصدق الله تعالى ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

وبعض هذه المعاصي قد يقع فيها الموحدون كذلك؛ لذلك ينبغي الحذر منها، وعدم التهاون فيها، فإن دخول النار أمر فظيع لا يستطيع الإنسان تصور هوله، كيف والنار نفسها قد اشتكت من نفسها، ففي الحديث (قَالَتِ النَّارُ: رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لِي أَتَقَسُّ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ، نَفْسٍ فِي الشَّتَاءِ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ بَرْدٍ، أَوْ زَمْهَرِيرٍ فَمِنْ نَفْسٍ جَهَنَّمَ، وَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ حَرٍّ، أَوْ حَرُورٍ فَمِنْ نَفْسٍ جَهَنَّمَ) ^(١).

والنار ليست قاصرة على أهل الكفر، لكن ينبغي العلم أن المعاصي - عدا الشرك - وإن استحق صاحبها النار، فإن توحيد يعصمه من الخلود فيها، لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، فهو تحت مشيئة الله إن شاء عذبه بقدر معصيته، وإن شاء غفر له وأدخله الجنة، وهذا هو المذهب الذي عليه أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً ^(٢).

لذلك ينبغي الحذر من الجرأة في الحكم على عصاة الموحدين بالنار، ودفعهم إلى القنوط من رحمة الله بدلاً من تشجيعهم على التوبة والإنابة، كما أن الجرأة في الحكم على العصاة بالنار أو بعدم المغفرة قد يدخل صاحبه في باب التآلي على الله، وهو باب خطير، قد يحرم فاعله من الجنة - كما ورد في الحديث الذي رواه مسلم، عَنْ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ (أَنَّ رَجُلًا قَالَ وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ أَوْ كَمَا قَالَ) ^(٣)، لذلك قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تعليقاً على الحديث: «والذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أوبقت ديناه وآخرته» ^(٤). لذا فليحذر المتجرئون على التكفير من هذا المصير، فمذهب

(١) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر (٤٣٢/١).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٦٦، مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٧٥/٣).

(٣) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب / النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله (٢٠٢٣/٤)، يتألى: يحلف.

(٤) كان قاتل الكلمة للعاصي عابداً، وقد وردت القصة في سنن أبي داود: كتاب الآداب / في النهي عن البغي

(٢٠٧/٥)، وانظر: صحيح سنن أبي داود (٩٢٦/٣)، جامع العلوم والحكم ص ٣٧٤، حاشية كتاب التوحيد لابن

أهل السنة عدم جواز الشهادة على معين من أهل القبلة بالنار؛ لإمكان أن يتوب أو يغفر له بحسنات ماحية، أو مصائب مكفرة، أو شفاعاة مقبولة، أو يعفو الله عنه، أو غير ذلك، إلا من أخبر الصادق عليه السلام أنه من أهل النار^(١).

قاسم ص ٣٨٩.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦٢، مجموع فتاوي ابن تيمية (٤/٤٧٤)، (٣٤٥/٢٣).

ثبت المصادر والمراجع

١. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد حزم (٤٥٦هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
٢. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد علي الشوكاني (١٢٥٥هـ)، دار المعرفة، بيروت.
٣. أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
٤. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
٥. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، حمد بن عبدالرحمن المباركفوري (١٣٥٣هـ)، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، دار الفكر، ط٣، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
٦. تفسير ابن الجوزي [المسمى: زاد المسير في علم التفسير]، عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي (٥٩٦هـ)، المكتب الإسلامي، ط١.
٧. تفسير ابن كثير [المسمى: تفسير القرآن العظيم]، إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
٨. التفسير البسيط، علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ.
٩. تفسير البغوي [المسمى: معالم التنزيل]، الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ)، تحقيق: خالد العك، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
١٠. تفسير الطبري [المسمى: جامع البيان عن تأويل آي القرآن] محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبدالله التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

١١. تفسير الشوكاني [المسمى: فتح القدير]، محمد علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، دار الفكر، ١٤٠١هـ.
١٢. تفسير الفخر الرازي [المسمى: التفسير الكبير]، فخر الدين محمد عمر الرازي (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٣. تفسير القرطبي [المسمى الجامع لأحكام القرآن]، محمد أحمد القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
١٤. التفسير الوسيط، علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
١٥. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الدكتور محمد سيد طنطاوي، دار السعادة.
١٦. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى (٣٧٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
١٧. جامع العلوم والحكم، عبدالرحمن بن شهاب الدين المشهور بابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
١٨. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، إشراف: علي السيد صبح المدني، دار المدني، القاهرة.
١٩. حاشية كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (١٣٩٢هـ)، ط١، ١٣٩٦هـ.
٢٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٢١. ديوان حسان بن ثابت، تحقيق د. وليد عرفات، معهد الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن.
٢٢. الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفوري، دار الوفاء، المنصورة، ط١٩، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
٢٣. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٢٤. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدّعاس، دار الحديث، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
٢٥. سنن الترمذي [الجامع الصحيح]، محمد بن عيسى بن سورة (٢٩٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق الشيخ إبراهيم عطوه عوض.
٢٦. سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، دار البشائر، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
٢٧. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وأكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٢٨. سيرة النبي ﷺ، عبد الملك بن هشام (٢١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
٢٩. شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن أبي العز (٧٩٢هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ط١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
٣٠. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
٣١. صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
٣٢. صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٣٣. صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م محمد ناصر الدين الألباني.
٣٤. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

٣٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٦. في ظلال القرآن، سيد قطب (١٩٦٧م)، دار الشروق، بيروت - القاهرة، ط ٥، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
٣٧. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤف المناوي (١٠٣١هـ)، دار الفكر، ط ٢، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م.
٣٨. كتاب الأمثال، القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)، تحقيق د. عبدالمجيد قطامش، دار المأمون للتراث، بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٣٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.
٤٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
٤١. المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين محمد عمر الرازي (٦٠٦هـ)، تحقيق: طه جابر العلواني، ط ١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م المحيط في اللغة.
٤٢. المحيط في اللغة، صاحب إسماعيل بن عباد (٣٨٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٤٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي سلطان محمد القارئ (١٠١٤هـ)، مكتبة إمدادية ملتان، باكستان.
٤٤. المستقصى في أمثال العرب، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٤٥. المسند، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، دار الباز، مكة، ط ٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٤٦. النهاية في غريب الحديث، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، تحقيق: محمود محمد الطناحي.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١٠٣	مُلخَصُ البحث
١٠٤	المقدمة: أهمية الموضوع وسبب اختياره، ومنهج البحث وخطته
١٠٨	التمهيد: حكمة الله في خلق الجنة والنار
١٠٩	المبحث الأول: الموجبات العقدية لاستحقاق دخول النار
١٠٩	المطلب الأول: استحقاق النار بسبب الشرك أو الكفر
١١١	المطلب الثاني: استحقاق النار بسبب الكفر بأحد أركان الإيمان
١١٣	المطلب الثالث: استحقاق النار بسبب افتراء الكذب على الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى
١١٨	المطلب الرابع: استحقاق النار بسبب النفاق
١٢٠	المطلب الخامس: استحقاق النار بسبب إيذاء الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ورسوله ﷺ
١٢٥	المبحث الثاني: الموجبات السلوكية لاستحقاق دخول النار
١٢٥	المطلب الأول: استحقاق النار بسبب اقتراف المعاصي واستحلالها
١٣١	المطلب الثاني: استحقاق النار بسبب الصد عن سبيل الله
١٣٢	المطلب الثالث: استحقاق النار بسبب الاستهزاء بآيات الله ورسله
١٣٤	المطلب الرابع: استحقاق النار بسبب اللغو في القرآن
١٣٧	المطلب الخامس: استحقاق النار بسبب كتمان الحق وخيانة العهد
١٤٠	المطلب السادس: استحقاق النار بسبب التكبر على الله تعالى
١٤٣	المبحث الثالث: شبهات وإشكالات
١٤٣	المطلب الأول: الشبهة الأولى
١٤٤	المطلب الثاني: الشبهة الثانية

الصفحة	الموضوع
١٤٦	المطلب الثالث: الشبهة الثالثة
١٥٠	الخاتمة
١٥٣	ثبت المصادر والمراجع
١٥٧	فهرس الموضوعات

وَقَفُ الْبَيَانِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

دِرَاسَةُ مُصْطَلَحِيَّةٍ

د. محمود بن عبد الجليل رُوزن (*)

مُلَخَّصُ الْبَحْثِ

مُصْطَلَح وَقْف الْبَيَان أَحَدُ مُصْطَلَحَاتِ بَابِ الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ، وَعَلَى أَهَمِّيَّتِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَحْظَ بِالتَّحْرِيرِ الْوَافِي وَالْبَيَانِ الشَّافِي، فَضْلاً عَنْ أَنْ يُفْرَدَ بِالتَّأْلِيفِ وَالتَّصْنِيفِ أَسْوَةً بِكَثِيرٍ غَيْرِهِ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ الْبَابِ. وَقَدْ نُسِجَ هَذَا الْبَحْثُ عَلَى مَنَوَالِ الدِّرَاسَةِ الْمِصْطَلَحِيَّةِ، فَأُخْصِيَتِ النُّصُوصُ الَّتِي لَهَا تَعَلُّقٌ بِوَقْفِ الْبَيَانِ؛ سَوَاءً بِلَفْظِهِ أَوْ بِمَفْهُومِهِ، ثُمَّ عُرِضَتِ النُّصُوصُ الْمُسْتَخْلَصَةُ مِنْهَا عَرْضاً تَارِيخِيّاً لِتَتَّبَعَ تَطَوُّرُ الْمِصْطَلَحِ، وَالْوَقُوفُ عَلَى مَدْلُولِهِ قَدِيماً وَحَدِيثاً، ثُمَّ اسْتُخْلِصَ التَّعْرِيفُ الْأَمثلُ - مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ الْبَاحِثِ - لَوْقْفِ الْبَيَانِ، وَأُتْبِعَ ذَلِكَ بِالتَّعْلِيقِ عَلَيْهِ وَالتَّمْثِيلِ لَهُ.

وَبَعْدَ تَحْرِيرِ الْمِصْطَلَحِ؛ اسْتُكْمِلَ الْعَرْضُ - كَمَا يَقْتَضِي مِنْهَجُ الدِّرَاسَةِ الْمِصْطَلَحِيَّةِ - بِبَيَانِ صِفَاتِهِ الْمَصْنُفَةِ وَالْمَبَيَّنَةِ، ثُمَّ أَهَمُّ قَضَايَاهُ، وَتَوْضِيحِ عِلَاقَاتِهِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْمِصْطَلَحَاتِ كَالْوَقْفِ الْإِلَازِمِ وَالْوَقْفِ التَّعْسُفِيِّ، وَالْوَقْفُ عَلَى رُؤُوسِ الْآيِ الَّتِي لَهَا تَعَلُّقٌ لَفْظِيٌّ بِمَا بَعْدَهَا، وَغَيْرَ ذَلِكَ، ثُمَّ عُرِضَ الْبَحْثُ ضَمَائِمَ وَقْفِ الْبَيَانِ وَمَشْتَقَاتِهِ؛ مُقْتَرِحاً إِضَافَةَ عِدَّةِ مُصْطَلَحَاتٍ تُثْرِي الْبَابَ، وَتَوْسِعُ آفَاقَهُ، وَتُعِيدُ رِسْمَ حُدُودِهِ وَأَبْعَادِهِ تَنْظِيرًا وَتَطْبِيقًا.

(*) مدرس علوم وتكنولوجيا الأغذية - جامعة دمنهور.

المقدمة

الحمد لله الذي علّم القرآن، وخلق الإنسان وعلمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده المتفرد بالخلق والأمر، وعالم الجهر والسرّ، وأشهد أنّ محمّداً عبده المصطفى، ونبيّه المُجتبى، المُبلّغ البلاغ المبين، وشفيّع الأمة يوم الدين ﷺ وعلى آله وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وبعد؛ فإنّ علم الوقف والابتداء من أشرفِ علوم القرآن وأجلّها؛ لِتعلّقه بأدائه تلاوةً وترتيلًا، وبمعناه تفسيرًا وتأويلًا، فهو درّة العقد بين علوم الترتيل والتأويل، وقد بلغ من اهتمام النبي ﷺ به أنّه كان يُعلّمه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فقد جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قوله: «لقد عشنا برهة من دهرنا، وإنّ أحدنا لَيُؤْتَى الإيمانَ قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فتعلّم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن نقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن. ولقد رأينا اليوم رجالاً يُؤْتَى أحدهم القرآن قبل الإيمان؛ فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ما يدري ما أمره ولا زجره، ولا ما ينبغي أن يُوقف عنده منه، ينثره نثر الدّقل»^(١).

وناهيك بقول أبي حاتم^(٢): «مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْوَقْفَ لَمْ يَعْلَمْ الْقُرْآنَ»^(٣). وَصَدَقَ؛ لأنّ الوقف فرعٌ عن المعنى، فمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْوَقْفَ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُحَسِّنْ مَعْرِفَةَ الْمَعْنَى، والذي لا يعرف المعنى فلن يُحَسِّنَ الترجمة عنه بالأداء، فلا رواية ولا دراية.

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (ح ٤٩٦هـ)، والحاكم في المستدرک (ح ١٠١) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي بقوله: على شرطهما ولا علة له. والدّقل: رديء التمر وبأسه وما ليس له اسمٌ خاصٌّ؛ فليُبيسه وردّاته لا يجتمع، ويكون منثورًا.

(٢) أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد السجستاني، نحويّ البصرة ومُقرئها في زمانه، عرض القراءة على يعقوب الحضرمي وغيره، وأخذ العربية عن جماعة، له تصانيف كثيرة؛ منها: المقاطع والمبادي، وإعراب القرآن، كتاب القراءات. توفيّ سنة (٢٥٥هـ) وقيل (٢٥٠هـ). ينظر: إنباه الرواة (٥٨/٢-٦٤)، ومعرفة القراء الكبار (٢١٩/١-٢٢٠)، وغاية النهاية (٢٨٩/١-٢٩٠).

(٣) ينظر: الكامل (ص ١٣١)، لطائف الإشارات لفنون القراءات (٢٤٩/١).

لَا عَجَبَ إِذَا مِنْ هَذَا الْإِهْتِمَامِ الْبَالِغِ مِنَ السَّلَفِ بِهَذَا الْعِلْمِ الْجَلِيلِ، وَهُوَ مَا وَرَثَهُ عَنْهُمْ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ، فَظَهَرَ فِي كَثْرَةِ مَوْلَفَاتِهِمْ فِي هَذَا الْعِلْمِ؛ يَجْمَعُونَ أَصُولَهُ، ثُمَّ يَسْتَقْصُونَ آيَاتِ الْقُرْآنِ لَفْظًا لَفْظًا؛ مُبَيِّنِينَ مَا يَجْمَلُ الْوَقْفَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَمَا يَقْبَحُ. وَهَذَا الْمَنْهَجُ هُوَ الْمُتَّبَعُ فِي تَصْنِيفِ الْقَرَاءَاتِ - مَعَ الْفَارَقِ - إِذْ يَبْدَأُونَ بِأَصُولِ الْقُرَّاءِ، ثُمَّ يَتَّبِعُونَ حُرُوفَ الْخِلَافِ فِي سَائِرِ الْقُرْآنِ فِيمَا يُعْرَفُ بِالْفَرْشِ. فَدَلَّ ذَلِكَ الصَّنِيعُ عَلَى وَضُوحِ الرُّؤْيَا فِي أَذْهَانِ الْعُلَمَاءِ: أَنَّ مَعْرِفَةَ الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ رَبَّمَا لَا تَقِلُّ أَهَمِّيَّةٌ عَنْ مَعْرِفَةِ أَصُولِ الْقُرَّاءِ وَخِلَافِهِمْ. وَقَدْ فُتِّحَ لِهَذَا الْعِلْمِ الْجَلِيلِ فِي عَصْرِنَا فَتْحَانِ: ذَلِكَ أَنَّهُ اهْتُدِيَ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ مَفْقُودِ مُصَنَّفَاتِ الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ، وَحُقِّقَ وَطُبِعَ كَثِيرٌ مِنْ مَخْطُوطِهَا؛ فَأَثَرَتْ هَذَا الْعِلْمَ الْجَلِيلَ إِثْرًا عَظِيمًا. وَأَمَّا الْفَتْحُ الثَّانِي؛ فَإِنَّ عَدَدًا غَيْرَ قَلِيلٍ مِنَ الْمُصَنِّفِينَ الْمُعَاَصِرِينَ قَدْ أَفْرَدُوا مُصْطَلَحَاتِ عُلُومِ التَّجْوِيدِ وَالْقَرَاءَاتِ - وَمِنْهَا عِلْمُ الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ - أَفْرَدُوهَا بِالتَّصْنِيفِ الْمُعْجَمِيِّ، مِمَّا يُلْقَى الضَّوْءُ عَلَيْهَا مُنْقَبًا عَنْ خَفِيِّهَا، وَكَاشَفًا عَنْ غَامِضِهَا، وَجَامِعًا لِمُتَفَرِّقِهَا^(١)،

(١) مِنْ هَذِهِ الدِّرَاسَاتِ:

(أشهر المصطلحات في فنِّ الأداء وعلم القراءات)؛ لأحمد محمد عبد السميع الحفيان، طبعة دار الكتب العلمية ببغروت، ١٤٢٢هـ.

(معجم مصطلحات علوم القرآن)؛ للشيخ: إبراهيم محمد الجرمي، طبعة دار القلم بدمشق، ١٤٢٢هـ. مصطلحات علوم القرآن؛ وهو أحد أقسام: موسوعة مصطلحات الحضارة الإسلامية لمجموعة من الباحثين بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس رَحِمَهُ اللهُ، وطُبِعَ بدار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

(معجم المصطلحات في علوم التجويد والقراءات)؛ للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري، طُبِعَ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ، ثُمَّ قَسَمَهُ - مَعَ إِصْلَاحَاتٍ وَتَحْسِينَاتٍ عِلْمِيَّةٍ وَفَنِّيَّةٍ - عَلَى مُصَنِّفَيْنِ آخَرَيْنِ؛ هُمَا: (مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات)، (التجريد لمعجم مصطلحات التجويد)، وطُبِعَا بدار الحضارة للنشر، الرياض، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به)؛ للدكتور عبد العلي المسئول، طبعة دار السلام للطباعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(مصطلحات علم القراءات في ضوء علم المصطلح الحديث)؛ رسالة دكتوراه للدكتور حمدي صلاح الهدهد، نُوقِشَتْ وَأُجِيزَتْ فِي كَلِيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ جَامِعَةُ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ، ٢٠٠٦م، وَقَدْ طُبِعَتْهَا دَارُ الْبَصَائِرِ بِالْقَاهِرَةِ فِي مَجْلَدَيْنِ، ٢٠٠٨م.

(المعجم التجويدي لأشهر ألفاظ علم التجويد)؛ للدكتور عمر خليفة الشايجي، دار الصديق، السعودية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

وهو - بلا شك - توجهٌ محمودٌ، من شأنه - بمزيدٍ من الضبط والتدقيق والاستقصاء - أن يُعالج مشكلة اضطراب المصطلح الذي تعاني منه علوم القرآن عامّةً، وباب الوقف والابتداء خاصّةً، والتي من مظاهرها: تداخل المعاني واضطرابها، وكثرة المرادفات، حتى يمكن أن يقال: إنّ لكلِّ مؤلفٍ مصطلحاته الخاصّة التي يجب على القارئ أن يتعامل مع المؤلف في ضوءها حتى لا يفهم غير مراد مُصنّفها.

ومن مظاهر الاضطراب تلك: أن يختلف التطبيق عن التقييد، فيُقرّر المُصنّف أصلاً، ويحدّ له مُصطلحاً، ثم إذا هو يذكر أمثلةً لا تمتّ لهذا التأصيل بصلة، ثم يتابعه على هذا الخطأ من ينقل بدون تمحيص ولا نقدٍ.

ولمّا كان مُصطلح (وقف البيان) أحد أكثر مصطلحات هذا الباب غموضاً، وأقلّها حظاً من الدراسة - رغم أهميته البالغة وتعلّقه بدقائق علم التفسير - فقد حاولتُ أن أُفرد هذا البحث لدراسته دراسةً مُصطلحيّةً تفصيليّةً.

أهمية دراسة الموضوع:

- ترجع أهميّة إفراد (وقف البيان) بالبحث والدراسة إلى الأسباب الآتية:
١. تعلّقه بدقائق علم التفسير، وبعض أهمّ مواضعه المُشكِكة. وفي تحرير هذه المواضع ما فيه من المساعدة على فهم القرآن وتدبره.
٢. تعلّقه - كأحد مُفردات باب الوقف والابتداء - بعلم الترتيل والأداء. ففي معرفته تحقّق بإتقان التلاوة وإحسان الأداء.

معجم مصطلحات علوم القرآن، للدكتور محمد عبد الرحمن الشايع، طبعة دار التدمرية، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

غير أنّ هذه المعاجم يُعاب عليها بعض الأمور؛ منها: الجمع المجرّد عن الدراسة المُصطلحية، فهي في مجملها - باستثناء دراسة الدكتور الهدد - لم تتنّج نصوص المُصطلح تتبّعاً تاريخيّاً، ولم تُوفّ كثيراً من المُصطلحات حقّها من التحليل والنقد والتمحيص، كما يُعاب عليها القوّة الكثير؛ فكثيرٌ من مصطلحات علوم القراءات لم تُذكر في بعض هذه المعاجم أو فيها كلها، على تفاوتٍ نسبيٍّ في ذلك. وهناك بعض المآخذ الأخرى ليس هذا محلّ سردّها. وعلى كلّ؛ فظاهرة التأليف المعجمي لمصطلحات علوم القرآن جديرةً ببحث مُستقلّ، يتناولها بالتّقدّ البناء ذاكرةً ما لها وما عليها، ومؤصّلاً لما يجب أن تكون عليه الدراسات المُصطلحية في هذا الباب مُستقبلاً، ولعلّ الله - عز وجلّ - يقيض لمثل هذا البحث من يظطلع به.

٣. الاضطراب الواضح والغموض الذي يكتنف هذا المصطلح؛ سواءً في تعريفه أو في تطبيقاته، على نُذرة ما حظي به من تقعيدٍ وتأصيل.
٤. تَعَلَّقَ هذا المصطلح بكثير من موضوعات باب الوقف والابتداء التي يتوقَّف فهمه على فهمها. وعليه؛ فإنَّ تحريره وضبطه سيؤثر تأثيراً إيجابياً مباشراً في تقعيد كثيرٍ من مصطلحات باب الوقف والابتداء الأخرى وضبطها.
٥. الإسهام بدراسة جزءٍ من أجزاء باب الوقف والابتداء دراسةً مصطلحيةً منهجيةً، ليكون - بإذن الله - نواةً لدراسات أخرى وفق المنهج نفسه، نحو مُعْجَمٍ شاملٍ لمصطلحات الوقف والابتداء، الذي يُولَّفُ بِدَوْرِهِ أَحَدُ أَهَمِّ روافِدِ مُعْجَمٍ أَكْثَر شمولاً واستيعاباً لمصطلحات علوم القرآن.

الدراسات السابقة:

لم أقف - في حدود علمي وإطلاعي - على مؤلَّفٍ مُفْرَدٍ في هذا الموضوع. وقد مُسَّ الموضوعُ مسّاً رقيقاً، وتناثرت شذرائه في ثنايا كُتُب الوقف والابتداء والتفسير وغيرها، غير أنَّ تلك الشذرات لا تعدو بضعة أسطرٍ في المؤلَّفات التي تناولته. أمَّا أفرادُ بعض أبواب الوقف والابتداء بالتصنيف فكثيرٌ؛ إذ لم يزل العلماء سلفاً وخلفاً يَخْصُّون بالتصنيف أنواعاً وأقساماً من الوقف والابتداء؛ تنبيهاً على أهميَّتها، وتوضيحاً لما خفي من دالاتها، فمن ذلك الوقف اللازم^(١)، والوقف الممتنع^(٢)، والوقف على (كلَّا، وبلى، ونعم)^(٣).

(١) أفردته بالتصنيف جماعة؛ منهم: أبو وهب حسن بن وهب (ت ٢٨٠هـ)، صاحب رسالة في الوقف اللازم في القرآن، وللإمام ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) نظمٌ فيه بعنوان قصيدة في معرفة الوقوف اللازمة. ولمحمد بن أبي بكر المرعشلي المعروف بساجقلي زاده (ت ١١٤٥هـ) رسالة في وقوف لازمة. ولجمال الدين محمد بن المساوي بن عبد القادر التهامي الحضرمي (ت ١٢٦٦هـ) شرح قصيدة تحتوي على الوقف اللازم.

(٢) ممَّن أفردته بالتصنيف: أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي شيخ الماتريدية (ت ٣٣٣هـ)؛ برسالته (بيان أوقاف الكفر).

(٣) من المصنفات فيه: شرح كلا وبلى ونعم والوقف على كل واحدة منه في كتاب الله العزيز؛ لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، وله أيضاً: اختصار القول في الوقف على كلا وبلى ونعم، ولأبي عمرو الداني: الوقف على كلا وبلى... وهو مفقود، وغير ذلك.

منهج البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث اعتماد أكثر من منهج، ففي الجزء الخاص بالدراسة المُصطلحية اعتمد منهج الدراسة المُصطلحية، وهو قائمٌ على الخطوات التالية:

أولاً: الإحصاء: حيثُ أُحصِيَتْ - قدر المُستطاع - كلُّ النُصوص التي لها علاقة بالمُصطلح في كتب الوقف والابتداء والقراءات وعلوم القرآن واللغة؛ سواءً تلك التي أُفِرِدَتْ لهذا الباب، أو بعض الكتب التي تناولته كفصلٍ من فصولها.

ثانياً: بعد قراءة النُصوص صُنِفَتْ لاستخراج ما تعلّق منها بمفهوم البيان المنشود من البحث، سواءً كان هذا التعلّق لُغويّاً أو دلاليّاً.

ثالثاً: عُرِضَتْ النُصوص المستخلصة عرضاً تاريخيّاً من الأقدم للأحدث.

رابعاً: استُخدِمَ المنهج التحليلي لاستنتاج تلك النُصوص بما يفيّد في تحديد المفهوم المدروس، واستُخدِمَ المنهج التاريخي المقارن لتتبّع تطوّر المفهوم وانشعابه. كما استُخدِمَ المنهج التحليلي في النظر في أقوال علماء الوقف والتفسير واللغة، والموازنة والترجيح بينها قدر المُستطاع.

خامساً: خلصتُ إلى التعريف المختار في ضوء ما سبق، ثم أتبعته ببيان صفاته وقضاياه وعلاقاته ومشتقاته وضائمه كما يقتضي منهج الدراسة المُصطلحية، غير أنّ قلة النُصوص المتاحة للدراسة أوجبت الاجتهاد في ترميم بعض الفراغات، وابتكار العلاقات، ومُمازجة الظاهر بالغامض، واقتراح ما لم يرد به النصُّ لإحكام ما قد يبدو مُهترئاً، ووصل رَجِم المُصطلح بغيره من المُصطلحات التي قد لا يبدو لغير المتأمل ما بينها من وشيخ الصلات، وقد اقتضى ذلك تقديم القضايا بعد الصفات على العلاقات. وعليه؛ فإنَّ هذه الدراسة لا تكتفي بتوصيف ما قد كان، ولكنّها تقترح - من وجهة نظر الباحث - بعض ما يمكن أن يكون.

وبصفة عامة؛ فقد التزمْتُ ما يأتي:

١. عزو الآيات في أثناء المتن، وتخريج القراءات المتواترة والشاذة، وتخريج الأحاديث، وتوثيق التُّقول في الحاشية، فإن لم يكن النقل بنصّه قلتُ: يُنظر...
٢. الترجمة الموجزة للأعلام ما أمكن، باستثناء الصحابة والتابعين والعلماء المعاصرين، مع الإشارة إلى بعض مصادر الترجمة، وقد حرصتُ على إتباع كلّ عِلْمٍ بسنة وفاته: (ت...هـ)؛ إذ التَّاريخُ للنصوص مفيدٌ في الدراسة المصطلحية، واقتصرتُ على الراجح في تاريخ الوفاة عند الاختلاف. وربّما أهملُ ذلك في بعض المواضع؛ اعتمادًا على ذكرٍ قريبٍ أو شهرةٍ مُغْنِيَةٍ، أو لعدم الظَّفَرِ بتاريخ وفاةٍ لبعض العلماء المذكورين.
٣. قد يتكرَّرُ - عن عمدٍ - إيرادُ بعض الأمثلة؛ لمناسبة الحال واقتضاء المقام في كلّ مرّة.

خطة البحث:

وقد جاء البحث في مقدمة ومبحث تمهيدِيّ وستة مباحث وخاتمة:
ففي المُقدِّمة: بيَّنتُ أهمية الموضوع، والدراسات السابقة فيه، ومنهج البحث
وخطَّته.

وأما التمهيد: فعقدته للحديث عن الوقف والبيان؛ وفيه مطالبُ.
وأما لبُّ الدراسة المصطلحية فقد جاء في ستّة مباحث؛ وهاكُ بيانها:
المبحث الأول: تحرير مصطلح وقف البيان.

المبحث الثاني: صفات وقف البيان.

المبحث الثالث: قضايا وقف البيان.

المبحث الرابع: علاقات وقف البيان.

المبحث الخامس: ضمائم وقف البيان.

المبحث السادس: مشتقات وقف البيان.

ثم ختمتُ البحث بخاتمة ذكرتُ فيها - إجمالاً - أهم النتائج التي توصَّلت إليها
الدراسة، وبعض التوصيات^(١).

(١) لا يفوتني أن أتوجَّه بخالص الشكر إلى فضيلة الشيخ الدكتور أبي يوسف محمد توفيق حديد الكفراوي
- حفظه الله - على ما أمدني به من مراجع ومخطوطاتٍ من مكتبته الخاصة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

تمهيد: في الوقف والبيان

إنَّ الإحاطة بمُصطلح وقف البيان - كمُصطلح مرَكَّبٍ من مُصطلحين - تقتضي أن يُفرد كلُّ من مُكوِّنيه بشيءٍ من التوضيح، فإن عُلِمَ المقصود بكلِّ منهما منفردًا؛ كان إدراكُ ذلك المُركَّبِ الحاصل من إضافتهما مُمكنًا. وهذا ما سنعرضه - بإذن الله - من خلال المطالب التالية.

المطلب الأول: معنى الوقف في اللغة والاصطلاح

أولًا: الوقف في اللغة:

الواو والقاف والفاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تمكُّثٍ في شيءٍ، ثمَّ يُقاس عليه^(١). قال في كتاب العين: «الْوَقْفُ: مصدر قولك: وَقَفْتُ الدابةَ وَوَقَفْتُ الكلمةَ وَقْفًا، وهذا مُجَاوِزٌ، فإذا كان لازِمًا قلت: وَقَفْتُ وَقُوفًا، فإذا وَقَفْتُ الرجلَ على كلمةٍ قلت: وَقَفْتُه تَوْقِيفًا، ولا يقال: أَوْقَفْتُ إلا في قولهم: أَوْقَفْتُ عن الأمرِ إذا أْقْلَعْتُ عنه...»^(٢). وقال ابن دريد^(٣) (ت ٣٢١هـ): «وَقَفْتُ الأرضَ والرجلَ أَقْفَهُ وَقْفًا، وَهَذَا أَحَدُ مَا جَاءَ عَلَى فَعْلَتِهِ فَعَلَّ، وَهِيَ أَحْرَفُ. وَالْوُقُوفُ: مصدر وقف وقوفًا فَهُوَ وَقِيفٌ... وتوقفْتُ على هَذَا الأمرِ، إِذَا تَلَبَّثْتُ عَلَيْهِ»^(٤). وأمَّا أبو علي القالي^(٥) (ت ٣٥٦هـ): فيقول: «[قال] أبو زيد: وقفْتُ فأنَا أَقِفٌ وقوفًا؛ بضم الواو، ووقفْتُ الرجلَ أَقْفَهُ وقوفًا بضم الواو، ووقفًا بسكون القاف... ووقفْتُ فلانًا

(١) معجم مقاييس اللغة (١٣٥/٦).

(٢) كتاب العين (٢٢٣/٥). وانظر: تهذيب اللغة (٣٣٥-٣٣٣/٩).

(٣) أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ (٢٢٣-٣٢١هـ)، من العلماء باللغة والشعر، من مصنفاته: «الجمهرة في اللغة»، و«الاشتقاق»، و«المجتنى» و«الملاحن» وغير ذلك. ينظر: إنباه الرواة (٩٢/٣-١٠٠)، وفيات الأعيان (٣٢٣/٤-٣٢٩).

(٤) جمهرة اللغة (٩٦٧/٢-٩٦٨).

(٥) أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي بن عيزون (٢٨٨-٣٥٦هـ) الإمام العلامة الراوي النحوي اللغوي، أصله ومولده بمنازكُرْد من أرمينية، له تصانيف كثيرة منها ما أملاه عن ظهر قلب كالنوارد والأمالي، وله «المقصود والممدود»، و«فعلتُ وأفعلتُ»، و«البارع» وغير ذلك من عيون التصانيف. ينظر: إنباه الرواة (٢٣٩/١-٢٤٤)، وفيات الأعيان (٢٢٦/١-٢٢٨).

على عمله وعلى ذنبه وعلى ما وقفته عليه من أمر؛ وقفًا ووقوفًا، وقفت الحديث توقيفًا وبينته تبيينًا وهما واحد^(١).

وأما الزمخشري (ت ٥٣٨)^(٢) فيقول: «... ووقفتُ القارئ توقيفًا: علمته مواضع الوقوف»^(٣).
وأما «المعجم الوسيط» ففيه: «وقف وقوفاً: قام من جلوس، ووقف: سكن بعد المشي، ووقف على الشيء: عاينه، ووقف في المسألة: ارتاب فيها، ووقف على الكلمة: نطق بها مسكنة الآخر قاطعاً لها عما بعدها... وقّف فلاناً على الشيء: أطلعه عليه، ووقّف القارئ: علمه مواضع الوقف، ووقّف الحديث: بيّنه، ووقّف الشيء: أقامه»^(٤).

ولعلّ الزمخشري يكون أوّل من أشار صراحةً إلى الوقف بمعناه عند القراء، بقوله: «ووقفتُ القارئ توقيفًا: علمته مواضع الوقوف». وقد يكون لذلك سببان؛ الأول: التصانيف الكثيرة في الوقف والابتداء في عصره وقبله؛ على عكس عصر الخليل وقُبيله وبُعَيْده، فلم يكن المصطلح قد استقرّ بعد. وأمّا السبب الثاني: فهو مشاركة الزمخشري في علوم القرآن ولا سيما التفسير، ولا يخفى ما لعلم الوقوف من تعلّقٍ مباشرٍ بالتفسير. والله أعلم.

ثانياً: الوقف في الاصطلاح:

عرّفه كثيرون، غير أننا نقتصر - اختصاراً - على تعريف ابن الجزري^(٥) (ت ٨٣٣هـ)؛

(١) البارع في اللغة (ص ٤٩٩). وانظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٥١/٩)، والصاح (١٤٤٠/٤)، والمحكم (٥٨٠-٥٧٧/٦).

(٢) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الملقب بجار الله المعتزلي الحنفي (٤٦٧-٥٣٨هـ) المفسر للغوي النحوي الأديب، ولد بزمخشر من أعمال خوارزم، من مصنفاته: «الكشاف» في التفسير، «أساس البلاغة» في اللغة، و«المفصل» في النحو، وغير ذلك ينظر: إنباه الرواة (٢٦٥/٣-٢٧٢)، وفيات الأعيان (١٦٨/٥-١٧٤).

(٣) أساس البلاغة (٣٥٠/٢).

(٤) المعجم الوسيط (ص ١٠٥).

(٥) أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن الجزري، الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي (٧٥١-٨٣٣هـ) الإمام المقرئ المجود والمحدث الحافظ، وُلد بدمشق وتفقّه بها وطلب الحديث والقراءات، وأنشأ مدرسة للقراءات سمّاها دار القرآن، وأقرأ الناس، وله التصانيف الكثيرة في القراءات والتجويد وغيرهما، ما بين منشور ومنظوم؛ منها «النشر في القراءات العشر»، و«طيبة النشر». انظر: غاية النهاية (٢١٧/٢-٢٢٠)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٢٥٩-٢٥٥/٩).

إذ إنَّه من أوفى ما عُرف به الوقف وأجمعه وأمنعه؛ قال: «الوقف عبارة عن قطع الصوت زمنًا يتنفس فيه عادة، بنية استئناف القراءة إما بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله لا بنية الإعراض، ويأتي في رؤوس الآي وأواسطها ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتَّصل رسمًا، ولا بد من التنفس معه»^(١).

فقوله: «زمنًا يُتنفَس فيه عادة»: خرج به السكتُ الذي هو القطع بدون تنفُّس، وقوله: «بِنِيَّة استئناف القراءة»: خرج به القطع، والذي يعني إنهاء القراءة رأسًا لا بنية الاستئناف، وقوله: «إمَّا بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله»: فيه إشارة لنوعين من الوقف: الوقف الاختياري على التمام والكفاية، ويُستأنف فيه بما بعد الموقوف عليه، والوقف الاضطراري على غير التمام والكفاية، ويلزم منه العودُ إلى الموقوف عليه أو ما قبله؛ حسب مُقتضى المعنى. وقوله: «ولا يأتي في وسط الكلمة»: خرج به سكت حمزة على الساكن قبل الهمز في نحو (الأنهار) وفي (شيء) و(شيئًا). وقوله: «ولا فيما اتَّصل رسمًا»: أشار إلى دخول الوقف الاختياري على المقطوع من مرسوم الخط في التعريف.

وقد يُراد بالوقف: الموضع الصالح للوقف؛ قال الشيخ زكريا الأنصاري^(٢) (ت ٩٢٦هـ): «الوقف يُطلق على معنيين: أحدهما: القطع الذي يسكت القارئ عنده، وثانيهما: المواضع التي نصَّ عليها القراء، فكلُّ موضع منها يُسمَّى وقفًا، وإن لم يقف القارئ عنده، ومعنى قولنا: هذا وقفٌ: أي موضعٌ يُوقف عنده، وليس المراد أن كلَّ موضع من ذلك يجب الوقف عنده؛ بل المراد أنَّه يصلح عنده ذلك»^(٣).

(١) النشر (١٨٩/١-١٩٠).

(٢) زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري الأزهرى الشافعي، وُلِد سنة ثلاث وعشرين وقليل أربع وعشرين وقليل ست وعشرين وثمانمائة بإحدى قرى محافظة الشرقية بمصر، شيخ الإسلام وقاضي القضاة، عالم مُبرِّز في علوم شتى، له أكثر من خمسين مُصنَّفًا في فنون شتى من العلم، عُمِّر حتى رأى تلاميذه وتلاميذ تلاميذه شيوخ الإسلام، كانت وفاته على الراجح سنة ٩٢٦ هـ. يُنظر: الضوء اللامع (٢٣٤-٢٣٨)، البدر الطالع (٢٥٢/١).

(٣) المقصد: (ص ١٠ - ١١).

المطلب الثاني: أهمية علم الوقف والابتداء وبيان منزلته من علوم القرآن

علم الوقف والابتداء من أكد ما يحتاج إليه القارئ والمقرئ؛ إذ به يتّضح المعنى وينجلي المراد، يقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لقد عشنا برهة من دهرنا، وإنَّ أحدنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ؛ فنتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يُوقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن... إلخ»^(١).

قال أبو جعفر النحاس^(٢) (ت ٣٣٨هـ) مُعَلِّقًا على هذا الأثر: «فهذا الحديث يدلُّ على أنَّهم كانوا يتعلَّمون التَّمام كما يتعلَّمون القرآن. وقول ابن عمر: «لقد عشنا برهة من الدهر» يدلُّ أنَّ ذلك إجماعٌ من الصحابة»^(٣).

وقد أمر الله عزَّ وجلَّ بترتيل القرآن، ويبيِّن أمير المؤمنين عِليُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معنى الترتيل فيقول: «الترتيل معرفة الوقوف وتجويد الحروف»^(٤). فجعل حُسن الوقف والابتداء قَسميًّا لِإِتقان التجويد.

وعن أبي حاتم قال: من لم يعرف الوقف لم يعلم القرآن. أو قال: لما يعلم ما يقرأ^(٥).

وقال الهذلي^(٦) (ت ٤٦٥هـ): «قال علقمة قال ابن مسعود: العدد مسامير القرآن وأنا أقول: الوقف مسامير القرآن ودُسْرُهُ.... وهذا القرآن نزل باللغة العربية، والوقف والقطع

(١) سبق بتمامه في المقدمة.

(٢) أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس، المرادي المصري المعروف بالنحاس (ت ٣٣٨هـ) النحوي اللغوي الأديب المفسر، له مصنفات كثيرة منها: «إعراب القرآن»، و«معاني القرآن»، و«اشتقاق أسماء الله»، و«الناسخ والمنسوخ»، و«القطع والائتناف»، وغير ذلك. ينظر: إنباه الرواة (١٣٦/١-١٣٩)، ووفيات الأعيان (١/ ٩٩-١٠٠).

(٣) القطع والائتناف (ص ٢٧-٢٨)، وانظر: النشر (١/ ١٧٧).

(٤) انظر: الكامل (ص ١٣١)، والنشر (١/ ١٧٧).

(٥) ينظر: الكامل (ص ١٣١)، ولطائف الإشارات لفنون القراءات (١/ ٢٤٩).

(٦) أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل الهذلي المغربي (ت ٤٦٥هـ) المقرئ الجَوَّال أحد من طوَّف الدنيا في طلب القراءات، قرأ على أكثر من ثلاثمائة وستين شيخًا، وصنَّف في القراءات. ينظر: معرفة القراء (١/ ٤٣٣-٤٣٩)، وغاية النهاية (٢/ ٣٤٥-٣٤٨).

من حليتها، فإنَّ الوقف حلية التلاوة وتحلية الدراية، وزينة القارئ وبلاغة التالي وفهم المستمع وفخر للعالم»^(١). وقال: «الوقف أدب القرآن»^(٢)، وصدق؛ فالوقف يتحقق فهم كلام الله تعالى حيث لا يدرك معناه إلا بذلك، فمن لم يهتمَّ به فقد يقف قبل تمام المعنى، ولا يصل ما وقف عليه بما بعده حتى ينتهي إلى ما يصحُّ أن يوقف عنده، فحينئذ لا يفهم ما يقرأ، بل ربما يفهم خلاف المراد من كلام الله تعالى إذا وقف على غير موطن وقف، وهذا فساد عظيم وخطر جسيم لا تصح به القراءة ولا توصف به التلاوة، فبمعرفة هذا العلم يحصل للمسلم تمام المعرفة بالقرآن فيتمكن من إدراك معانيه واستنباط أحكامه ومعرفة إعرابه وفهم غريبه.

وقد استحبَّ غير واحدٍ من المقرئين المجيدين أن يُفرد الطالب ختمة مستقلة للوقف والابتداء، يبحث كل كلمة من حيث درجة الوقف عليها، والابتداء بها. ومن وقف على أهمية هذا العلم الجليل، وتصانيف العلماء النحارير فيه؛ لا يستغرب هذا الفعل ممن فعله، أو أمر بفعله. يقول الإمام أبو عمرو الداني^(٣) (ت ٤٤٤هـ): «معرفة ما يتم الوقف عليه وما يحسن وما يقبح؛ من أجل أدوات القراء المحققين والأئمة المتصدرين وذلك مما تلزم معرفته الطالبين وسائر التالين، إذ هو قطب التجويد وبه يوصل إلى نهاية التحقيق»^(٤).

ويقول ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «وصحَّ - بل تواتر - عندنا تعلُّمه والاعتناء به من السلف الصالح..... وكلامهم في ذلك معروف، ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب، ومن ثمَّ اشترط كثير من الخلف على المجيز ألاَّ يجيز أحدًا إلا بعد معرفته الوقف والابتداء.

(١) الكامل (ص ١٣٢).

(٢) الكامل (ص ١٣١).

(٣) أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي المالكي (٣٧١-٤٤٤هـ)، الحافظ أحد الأئمة في علوم القرآن، بلغت مؤلفاته نحو مائة وعشرين مؤلفًا، من أشهرها: التيسير في القراءات السبع، والمحكم في نقط المصاحف، والمقنع في رسم المصحف، والبيان في عدّ آي القرآن. انظر: معرفة القراء الكبار (٤٠٦/٢)، وغاية النهاية (٥٢٩/١).

(٤) شرح القصيدة الخاقانية للداني (٩٦/٢).

وكان أئمتنا يوقفوننا عند كل حرف، ويشيرون إلينا فيه بالأصابع، سنة أخذوها كذلك عن شيوخهم الأولين»^(١).

وللوقف تعلُّقٌ بالتفسير؛ إذ إنَّ التفسير بيان مراد الله من كلامه، والوقف فرعٌ عن المعنى المفهوم في ذهن القارئ، فإن ترجم هذا الفهم إلى وقفٍ صحيح كان المعنى حقيقةً بالوصول إلى المستمع على وجهٍ صحيح مفهوم، لذا قيل: مَنْ وَقَفَ فَقَدْ فَسَّرَ.

وكما أنَّ المُفسِّر لا يكون مُفسِّراً إلا بقيامه بالعلوم التي تساعد على التفسير، من إلمام باللغة معاني ونحواً وتصريفاً وبيانياً، والقراءات مُتواترها وشاذّها، وبالفقه واختلاف الفقهاء أصولاً وفروعاً، وبالحديث مُصطلحاً ومُتَوَنّاً.. إلخ؛ فكَذلك المُتَكَلِّمُ في الوقف والابتداء يلزمه أشياء من ذلك إذ الواقف مُفسِّرٌ كما أسلفنا. يقول أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ): «حكى لي بعض أصحابنا عن أبي بكر بن مجاهد^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لَا يَقُومُ بِالْتِمَامِ إِلَّا نُحُويُّ عَالَمٌ بِالْقِرَاءَةِ، عَالِمٌ بِالتَّفْسِيرِ عَالِمٌ بِالقَصَصِ وتلخيص بعضها من بعض، عالم باللغة التي نزل بها القرآن. وقال غيره يحتاج صاحب التمام إلى المعرفة بأشياء من اختلاف الفقهاء في أحكام القرآن...»^(٣).

المطلب الثالث: ضوابط تحديد أنواع الوقوف ودرجاتها

اختلف العلماء في عدِّ أقسام الوقف والابتداء اختلافاً بيّناً، غير أَنَّهُم يكادون يتَّفَقُونَ على ضابطين إجماليتين في معرفة الوقف، هذا الاتفاق يجعل كثيراً من الاختلاف في عدِّ أقسام الوقف والابتداء اختلافاً لفظياً في المُصطلحات، وأمّا الخلاف في بعض التطبيقات فراجع إلى الخلاف السابق في جزء منه، وإلى خلاف المُفسِّرين والمُعربين في أكثره. وهذان الضابطان هما:

(١) النشر (١٧٧/١-١٧٨).

(٢) أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي (٢٤٥-٣٢٤هـ) من أشهر علماء القراءة في زمانه، وهو شيخ الصنعة، وأوَّل من سَبَّح السبعة، له كُتُبٌ في القراءات أشهرها: كتاب السبعة في القراءات جمع فيه مذاهب سبعة من أئمة القراءة. انظر: معرفة القراءة الكبار (٢٦٩/١-٢٧١)، وغاية النهاية (١٢٨/١-١٣٠).

(٣) القطع والائتناف (ص ٣٢).

الضابط الأول: التعلُّق اللفظي والمعنوي:

يُقصد بالتعلُّق اللفظي: تعلُّق الكلمة بما قبلها من جهة الإعراب والمعنى، كالصفة بموصوفها، والبدل بالمبدل منه، والمستثنى بالمستثنى منه، والحال بصاحبها، ونحو ذلك. أما التعلُّق المعنوي: فتعلُّق الكلمة بما قبلها من جهة المعنى فحسب، مع كونها منفصلةً عنها من جهة الإعراب. وبالنظر العقلي يكون لدينا أربعة أقسام:

القسم الأول: ما لا تعلُّق له بما بعده لا من جهة المعنى ولا من جهة الإعراب، فيكون الوقف عليه تامًّا، ويكون الابتداء بما بعده كذلك. ومثاله الوقف على كلمة ﴿النَّارِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٦-٧].

القسم الثاني: ما يتعلُّق بما بعده من جهة المعنى لا الإعراب، فيكون الوقف عليه كافيًّا، ويكون الابتداء بما بعده كذلك. وبعضه أشدُّ كفايةً من بعض، وذلك مُتوقِّفٌ على درجة التعلُّق المعنوي، فإن قلَّ التعلُّق اقترب من التمام، وإن اشتدَّ التعلُّق المعنوي بُعدٌ عن التمام بقدره.

القسم الثالث: ما تعلُّق بما بعده من جهة المعنى والإعراب، ولا يقف عليه القارئ مُختارًا، وبعضه أشدُّ تعلُّقًا من بعض، وقد يكون الأول مستغنيًّا نسبيًّا عن الثاني، ولا يكون الثاني مستغنيًّا عن الأول كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣]، فإن الوقف على قوله ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ مفهومٌ، مع كون قوله ﴿صِرَاطَ اللَّهِ﴾ مُفتقرًا إليه في الإعراب، وقد يكون الأوَّل غير مستغنٍ عن الثاني ولا يؤدي أيَّ معنى مفهوم بدونه مثل قوله ﴿وَإِنَّكَ﴾ أو قوله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى﴾، فالوقف على هذا وأمثاله غامضٌ، وقد يكون قبيحًا؛ كالوقوف على ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧]، وقد يكون شديد القبح؛ كالوقوف على ﴿إِلَهَ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. وعلى كلٍّ، فإنَّ الابتداء بما بعد موضع الوقف غير صالح، بل يلزم - لزومًا صناعيًا - أن يعود القارئ إلى موضع الوقف أو ما قبله فيبدأ به حسب مُقتضى المعنى.

القسم الرابع: ما تعلّق بما بعده من جهة الإعراب وانفصل من جهة المعنى، وتصور وقوع ذلك القسم في الكلام صعب؛ إذ لا يخلو الكلام المتعلّق بغيره في إعرابه ولفظه أن يتعلّق به في معناه. وهذه القضية عليها مدار هذا البحث، فسيأتي الكلام عنها مستوفى في حينه إن شاء الله.

الضابط الثاني: حال القارئ:

وينقسم الوقف بهذا الاعتبار إلى أربعة أقسام أيضاً:

القسم الأول: الوقف الاضطراري: حيث ينقطع النَّفَس قبل التمام، وعلى القارئ في هذه الحال أن يتخير قبل الاضطرار مواضع الوقف المفهوم وإن كان ناقصاً، ثم يستأنف قراءته بالعود إليه أو إلى ما قبله لبيان المعنى وتتميم الكلام. فإن طال الكلام ولم يوجد تمام ولا كفاية جاز الوقف على الناقص المفهوم لا الغامض ولا القبيح. ومثال ذلك سورة الجن من أولها إلى الآية التاسعة عشرة، على قراءة من يفتح همزة (إنّ) فيها؛ على تفصيل ليس هذا محلّ بسطه^(١).

القسم الثاني: الوقف الاختياري: ويكون على ما لا يلزم معه العود.

القسم الثالث: الوقف الاختباري: لبيان إلمام القارئ بمرسوم الخطّ ونحوه؛ إن طُلب منه ذلك اختباراً وتوقيفاً.

القسم الرابع: الوقف الانتظاري: للإتيان بقراءة أو أكثر من القراءات الواردة في الآية أو المقطع أو الكلمة الموقوف عليها. وهذا القسم والذي قبله يمكن أن يُصطلح عليهما بمصطلح (الوقف التعليمي)؛ لتعلّقهما بمقاصد تعليميّة حال القراءة والإقراء والمدارسة، ونحو ذلك.

المطلب الرابع: في معنى البيان^(٢)

يقال: بان الشيء وأبان إذا اتّضح وانكشف. وفلان أبين من فلان، أي أوضح

(١) يُنظر: القطع والائتناف (ص ٥٤٨)، والمستوفى في النحو (٢٨١/٢-٢٨٢).

(٢) لم أعرض لذكر معنى البيان في الاصطلاح البلاغي؛ إذ لا يتعلّق تعلّقاً مباشراً بموضوع البحث.

كلاماً منه^(١). وجاء ببيان ذلك وبيّنته؛ أي: بُجِّجَتْه... ورجلٌ بيّن: فصيحٌ ذو بيان^(٢).
والبيان: مَا يُبَيِّنُ بِهِ الشَّيْءُ مِنَ الدَّلَالَةِ وَغَيْرِهَا. وَبَانَ الشَّيْءُ بَيَانًا: اتَّضَحَ، فَهُوَ بَيِّنٌ...
وَأَبْنَتْهُ أَنَا أَيْ أَوْضَحْتُهُ. وَاسْتَبَانَ الشَّيْءُ: ظَهَرَ. وَاسْتَبْنَتْهُ أَنَا: عَرَفْتُهُ. وَتَبَيَّنَ الشَّيْءُ: ظَهَرَ،
وَتَبَيَّنَتْهُ أَنَا، تَتَعَدَّى هَذِهِ الثَّلَاثَةُ وَلَا تَتَعَدَّى. وَقَالُوا: بَانَ الشَّيْءُ وَاسْتَبَانَ وَتَبَيَّنَ وَأَبَانَ وَبَيَّنَ
بِمَعْنَى وَاحِدٍ... وَالْبَيَانُ إِظْهَارُ الْمَقْصُودِ بِأَبْلَغِ لَفْظٍ، وَهُوَ مِنَ الْفَهْمِ وَذَكَاءِ الْقَلْبِ مَعَ اللَّسَنِ،
وَأَصْلُهُ الْكَشْفُ وَالظُّهُورُ^(٣).

يقول الجاحظ^(٤) (ت ٢٥٥هـ): «والبيان اسم جامعٌ لكلِّ شيءٍ كَشَفَ لَكَ قَنَاعَ الْمَعْنَى،
وَهَتَكَ الْحِجَابَ دُونَ الضَّمِيرِ، حَتَّى يَفْضِيَ السَّامِعَ إِلَى حَقِيقَتِهِ، وَيَهْجُمَ عَلَى مَحْصُولِهِ كَأَنَّا
مَا كَانَ ذَلِكَ الْبَيَانُ، وَمِنْ أَيْ جِنْسٍ كَانَ الدَّلِيلُ؛ لِأَنَّ مَدَارَ الْأَمْرِ وَالْغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا يَجْرِي
الْقَائِلُ وَالسَّامِعُ، إِنَّمَا هُوَ الْفَهْمُ وَالْإِفْهَامُ؛ فَبَأْيَ شَيْءٍ بَلَّغْتَ الْإِفْهَامَ وَأَوْضَحْتَ عَنِ الْمَعْنَى؛
فَذَلِكَ هُوَ الْبَيَانُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ»^(٥).

ويقول: «والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عزَّ وجلَّ
يَمْدَحُهُ وَيَدْعُو إِلَيْهِ وَيُحِثُّ عَلَيْهِ. بِذَلِكَ نَطَقَ الْقُرْآنُ، وَبِذَلِكَ تَفَاخَرَتِ الْعَرَبُ، وَتَفَاضَلَتْ
أَصْنَافُ الْعَجْمِ»^(٦).

ثم حصر الجاحظ جميع أصناف الدلالات على المعاني في خمسة أشياء لا تنقص ولا
تزيد هي: اللفظ، والإشارة، وهي إحدى مفردات ما يُسمَّيه البعض بـ(لغة الجسد)، والعقد
وهو الحساب بالأصابع، والخطُّ أو الكتابة، والتَّصْبُّةُ أو الحال الدالَّةُ الموجبةُ للاعتبارِ

(١) معجم مقاييس اللغة (٣٢٨/١).

(٢) أساس البلاغة (٨٨/١).

(٣) ينظر: لسان العرب (٥٧٥/١-٥٧٦).

(٤) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني اللبثي البصري المعروف بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) صاحب التصنيفات
في كل فنٍّ، منها: كتاب «الحيوان» و«البيان والتبيين» و«البخلاء» وغير ذلك. ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٧٠-
٤٧٥).

(٥) البيان والتبيين (٦٠/١).

(٦) البيان والتبيين (٦٠/١).

والاعتاظ كمشاهدة الآيات الكونية ورؤية المحتضرين والموتى والوقوف على مصارع الظالمين ونحو ذلك»^(١).

وتختزل تلك الخمسة الأصناف حال تلاوة القرآن إلى واحد فقط؛ وهو الصوت. ودعنا نستخدم مصطلح (الصوت) بدل مصطلح (اللفظ) الذي عبّر به الجاحظ، إذ هو أدق؛ لأنّ الصوت أعظم من اللفظ، وقد أشار الجاحظ لذلك؛ فقال: «ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف»^(٢).

فاستخدام الصوت دلاليًا في القراءة إنّما يكون من طريقين: الطريق الأولى هي قطع الصوت على مواضع مقتضى الدلالة من الجملة؛ فيفهم مراد المتكلم، والثاني: التنغيم، ويُعبّر عن توالي درجات صوتية مختلفة أثناء النطق ارتفاعًا وانخفاضًا، وهو الإطار الصوتي الذي تُقال به الجملة في السياق، فالتنغيم الذي تأتي عليه الجملة الاستفهامية يختلف عن التنغيم الذي تأتي عليه الجملة التعجبية أو الجملة الخبرية، وتنغيم الخبر المجرد يختلف عن تنغيم الخبر المؤكّد؛ إلى غير ذلك من أغراض الكلام^(٣).

وقد أشار الحافظ أبو العلاء الهمداني^(٤) (ت ٥٦٩هـ) للتنغيم بقوله: «وأما [اللحن] الخفي؛ فهو الذي لا يقف على حقيقته إلا نحارير القراء ومشاهير العلماء وهو على ضربين: أحدهما لا تعرف كيفيته ولا تدرك حقيقته إلا بالمشافهة وبالأخذ من أفواه أولي الضبط والدراية، وذلك نحو مقادير المدّات، وحدود الممالات والملطفات والمشبعات والمختلصات

(١) يُنظر: البيان والتبيين (٦١-٦٥). قلت: وربّما كان من الأوفق أن يُلحق العقْدُ بالإشارة؛ فهو إشارة خاصة باليدين.

(٢) البيان والتبيين (٦٣/١).

(٣) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها (ص ٢٢٦)، والمعجم العربي الأساسي (ص ١٢١٢).

(٤) أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد الهمدانيّ العطار (٤٨٨-٥٦٩هـ) الأستاذ الحافظ المقرئ صاحب المناقب الجمة، والسيرة المحمودّة، رحل في طلب العلم، وأخذ عن عدد كبير من مشايخ الآفاق، وانتهد إليه مشيخة العلم ببلده، وبرع في القراءات والحديث، له مؤلفات كثيرة في القرآن الكريم وعلومه وغير ذلك، منها: «التمهيد في معرفة التجويد»، «غاية الاختصار في القراءات العشر لأئمة الأمصار». انظر: معرفة القراء (٥٤٢-٥٤٤)، وغاية النهاية (١٨٧/١-١٨٨).

والفرق بين النفي والإثبات والخبر والاستفهام.... إلى ما سوى ذلك من الأسرار التي لا تتقيّد بالخطّ»^(١).

«والتنغيم في الكلام يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة؛ غير أنّ التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة. وربما كان ذلك لأنّ ما يستعمله التنغيم من نغمات أكثر مما يستعمله الترقيم من علامات كالنقطة والفاصلة والشرطة وعلامة الاستفهام وعلامة التأثر...»^(٢).

المطلب الخامس: البيان أهمّ دواعي الوقف

يقول الدكتور عبد البديع النيرباني عن دواعي الوقف وأسبابه: «..أما دواعي الوقف فأردنا بها حاجة كلّ من المرسل والمتلقي؛ المرسل: وهو إما أن يكون قارئاً أو متكلماً، فإن كان قارئاً كانت حاجته إلى الوقف لأمرين؛ الأول: ليتنفس؛ إذ لا يستطيع ذلك في أثناء القراءة. والآخر: لينشئ بهذا النفس زفيراً ينفقه في متابعة القراءة.....

وأما المتلقي فيحتاج إلى زمن يدير فيه الكلمات التي تُلقى عليه في ذهنه، ويؤلف بين شتى معاني المقال والمقام حتى يصل إلى طلبه المتكلم. فإن انثال عليه الكلام انثيالاً غير مُفصّل بوقفات يلتقط فيها أنفاسه اختلط عليه الأمر، ولم يُخلّ من ذلك الكلام بطائل.....

وأما أسباب الوقف؛ فهي: ما يقتضيه المعنى في موطن بعينه. وهي على نوعين: أسباب اختيارية: كتمام المعنى كلياً أو جزئياً، أو منح السامع مهلة للتأثر أو التشويق، أو دفع اللبس. وأسباب اضطرارية: كانقطاع النفس أو العطاس أو السعال أو النسيان»^(٣).

فهل جعل الوقف حاجة القارئ إلى مواضع يستريح فيها، أم أنّ الوقف جعل حاجة

(١) التمهيد في معرفة التجويد (ص ٢٣٧).

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها (ص ٢٢٦-٢٢٧).

(٣) الوقف في العربية على ضوء اللسانيات (٤٥-٤٦) باختصار وتصرّف.

المستمع إلى فهم معنى ما يتلوه القارئ؟ والسؤال بعبارة أخرى: هل لو استطاع قارئ أن يقرأ القرآن كله في نفس واحدٍ لساغ ذلك وكان جميلاً محضاً عليه؟

يقول ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «لَمَّا لم يُمكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحدٍ، ولم يَجْزِ التنفُّس بين كلمتين حالة الوصل - بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة - وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة، وتعين ارتضاء ابتداء بعد التنفس والاستراحة، وتحتَّم أن لا يكون ذلك مما يُخلُّ بالمعنى، ولا يُخلُّ بالفهم؛ إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد»^(١).

فانظر إلى دقيق عبارته رَحِمَهُ اللهُ: «وتحتَّم أن لا يكون ذلك مما يُخلُّ بالمعنى، ولا يُخلُّ بالفهم»، فمراعاة أن يكون الكلام مفهوماً مطلبٌ للقراءة الحسنة؛ بعكس وصل السورة أو القرآن كله بنفْسٍ واحدٍ؛ ففضلاً عن أنَّه غير مستطاع ولا ممكن إلا في السُّور القصاري؛ فإنَّ فيه من الإبهام في المعنى ما لا يزول إلا بتخيُّر الوقف على مقاطع الكلام بما يقتضيه المعنى، والأصل في الكلام أن يكون مُفهِماً للسامع، ومتى تحقَّق ذلك بصورة لا تحمل أيَّ قدرٍ من الالتباس، فقد أبان المتكلم عن مراده، أمَّا إن حُشي أن يُفهم كلامه على غير ما أراد المتكلم؛ فإنَّ بيانه يتوقَّف على قدرته على رفع هذا الالتباس وتوصيل المعنى المراد على وجهه للسامع. وبأيِّ شيء أفهم وأوضح المعنى فقد أبان ما دام لم يخرج عن عُرف التلاوة وحدِّ الاعتدال فيها. والوقف من أشهر الأدوات التي يلجأ إليها القارئ لبيان متى ينتهي المعنى، وما يتصل منه بما قبله وما ينقطع عنه، وما يحتاج إلى ما بعده، وما يستغني عنه. أمَّا الإتيان بالكلام متصِّلاً في جملة واحدة قد يؤدي إلى كثيرٍ من الالتباس، فلا يعرف السامع مراد المتكلم، ولا مقاطع كلامه، فربَّما أدى ذلك أن يفهمه الفاهم على غير وجهه. فلا غرو أنَّ قراءة النبي ﷺ مفصلة يقطعها آية آية، كما هو ثابت عنه.

ومما يؤكد هذا أنَّ القارئ إن اضطر للوقف لعارضٍ كانقطاع نفسٍ أو سعالٍ أو نحوه فإنه يستأنف القراءة من الموضع الذي وقف عليه أو من قبله، لا من بعده، وما ذلك إلا

ليأتي بالمعنى على الوجه المراد. وإلى ذلك أشار ابن الجزري - رَحِمَهُ اللهُ - بقوله في مقدمته^(١):
 وَغَيْرَ مَا تَمَّ قَبِيحٌ وَلَهُ يُوقِفُ مُضْطَرًّا وَيُبْدَأُ قَبْلَهُ
 قال النحاس (ت ٣٣٨هـ): «فمن التبيين تفصيل الحروف والوقف على ما تَمَّ
 معناه»^(٢).

وقال السخاوي^(٣) (ت ٦٤٣هـ): «وقد اختار العلماء وأئمة القراءة تبيين معاني كلام
 الله عَزَّجَلَّ وتكميل معانيه، وجعلوا الوقف مُنبِّهاً على المعنى، ومفصلاً بعضه عن بعض،
 وبذلك تلذُّ التلاوة، ويحصل الفهم والدراية، ويتضح منهاج الهداية»^(٤).
 وقد يتنازعُ البيانُ الوقفَ وعدمه، وحينها يتأكد على المتكلم إن كان فصيحاً مُبيناً أن
 يتصرَّف بالإتيان بما لا يُخلُّ بالبيان. وتلك من المواضع التي لا يقوم لها إلا حُذْأُ المتكلمين
 ممن أوتوا نصيباً من البيان. فمن ذلك أن أبا بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرَّ على رجلٍ ومعه ثوبٌ، فقال:
 أتبيع الثوب؟ فقال: لا عافاك الله! فقال أبو بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لقد علَّمتم لو كنتم تعلمون. قل:
 لا، وعافاك الله». قال أبو جعفر النحاس مُعَقِّباً: «فأنكر عليه لفظه، ولم يسأله عن نيَّته»^(٥).
 ومما يُستحسن في مثل هذا؛ قولُ يحيى بن أكثم^(٦) (ت ٢٤٢هـ) للمأمون - وقد سأله عن
 أمرٍ - فقال: «لا؛ وأيد الله أمير المؤمنين».

(١) المقدمة الجزرية؛ البيت رقم (٧٧).

(٢) القطع والائتناف (ص ١٩).

(٣) علَّم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن غطَّاس الهمداني
 المصري السخاوي الشافعي (٥٥٨-٦٤٣هـ)، الإمام العلم المقرئ المفسر النحوي المحدث، أخذ القراءات عن
 الإمام أبي القاسم الشاطبي، وأقرأ الناس نيفاً وأربعين سنة، من مصنَّفاتِه: فتح الصيد في شرح القصيد، وجمال
 القراء وكمال الإقراء وغير ذلك. انظر: إنباه الرواة (٣١١/٢-٣١٢)، ووفيات الأعيان (٣٤١-٣٤٠/٣)، ومعرفة القراء:
 ٦٣١/٢-٦٣٥)، وغاية النهاية (٥٦٨/١-٥٧١).

(٤) جمال القراء (٥٥٤/٢).

(٥) - انظر: البيان والتبيين (١٧٩/١)، القطع والائتناف (ص ٣١).

(٦) أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد التميمي كان عالماً بالفقه بصيراً بالأحكام سُنيّاً، وكان كثير الأدب حسن العارضة،
 ولَّاه المأمون القضاء ببغداد، توفي سنة ٢٤٢، وله ثلاث وثمانون سنة. ينظر: وفيات الأعيان (١٤٧/٦-١٦٥).

وَحُكِيَ أَنَّ الصَّاحِبَ بْنَ عَبَادٍ ^(١) (ت ٣٨٥هـ) حِينَ سَمِعَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ قَالَ: «وَاللَّهِ هَذِهِ الْوَاوُ أَحْسَنُ مِنْ وَاوَاتِ الْأَصْدَاغِ فِي وَجَنَاتِ الْمَلَاخِ» ^(٢).

وَفِي الْمَثَالِينِ وَمَا خُرِّجَ عَلَيْهِمَا؛ يُجِيبُ الْمَخَاطَبُ بِالنَّفْيِ، ثُمَّ يُرَدُّ بِالدَّعَاءِ لِسَائِلِهِ بِجُمْلَةٍ فَعْلِيَّةٍ إِنْشَائِيَّةٍ خَرَجَتْ مَخْرَجَ الْخَبَرِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ (لَا) النَّافِيَّةَ عَلَى الْفِعْلِ لَمْ يُؤْمَنْ حِينَهَا أَنْ تُظَنَّ دَاخِلَةً عَلَيْهِ بِغَرَضِ النَّفْيِ، فَيَصِيرُ الدَّعَاءُ لِلْسَائِلِ دَعَاءً عَلَيْهِ. وَالْوَقْفُ أَوْ السَّكْتُ اللَّطِيفُ يَرْفَعُ هَذَا الْاِتِّبَاسَ، وَلَكِنَّ الْوَصْلَ مَطْلُوبٌ لَغَرَضٍ بِلَاغِيٍّ؛ إِذِ الْإِرْدَاؤُ بِالْدَّعَاءِ عَقِبَ النَّفْيِ مَبَاشَرَةٌ دُونَ سَكْتٍ؛ يَجْبُرُ مَا قَدْ يَتْرَكُهُ النَّفْيُ فِي وَجَدَانِ السَّائِلِ. فَالْفَصْلُ - هَا هُنَا - غَيْرُ مُسْتَجَادٍ. لِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْوَاوُ قَائِمَةً مَقَامَ الْوَقْفِ، فَحَصَلَ بِهَا الْفَصْلُ.

وَشَبِيهٌ بِهَذَا مَا يُحْكِي أَنَّ يَحْيَى بْنَ الْمُبَارَكِ الْيَزِيدِيَّ ^(٣) (ت ٢٠٢هـ) النَّحْوِيُّ اجْتَمَعَ هُوَ وَالْكَسَائِيُّ ^(٤) (ت ١٨٩هـ) عِنْدَ الرَّشِيدِ، فَسَأَلَ الْيَزِيدِيُّ الْكَسَائِيَّ عَنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

مَا رَأَيْنَا خَرَبًا نَقْفَ قَرَعَنَهُ الْبَيْضُ صَقْرٌ ^(٥)
لَا يَكُونُ الْعَيْرُ مُهْرًا لَا يَكُونُ الْمَهْرُ مَهْرًا

فَقَالَ الْكَسَائِيُّ: أَقْوَى الشَّاعِرِ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ: مُهْرًا مَنْصُوبًا عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ كَانَ، فَفِي

(١) أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ عَبَادُ بْنُ الْعَبَّاسِ الطَّالْقَانِي (٣٢٦-٣٨٥هـ) الْوَزِيرُ الْأَدِيبُ الْمَشْهُورُ بِالْأَدَبِ وَالْكَرَمِ وَجَمَلَةِ الْفَضَائِلِ، وَلَقِبَ بِالصَّاحِبِ لَصَحْبَتِهِ ابْنَ الْعَمِيدِ، وَبَقِيَ الْقَلْبُ عِلْمًا عَلَيْهِ. يَنْظُرُ: وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ (١/٢٢٨-٢٣٣).

(٢) دَرَةُ الْغَوَاصِ فِي أَوْهَامِ الْخَوَاصِ (ص ١٤)، وَثَمَرَاتُ الْأَوْرَاقِ (ص ١٧-١٨).

(٣) أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ الْمُبَارَكِ الْيَزِيدِيُّ الْبَصْرِيُّ النَّحْوِيُّ الْمَقْرئُ، جَوَّدَ الْقُرْآنَ عَلَى أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ، وَلَهُ اخْتِيَارٌ فِي الْقِرَاءَةِ خَالَفَ فِيهِ أَبَا عَمْرٍو فِي مَوَاضِعَ يَسِيرَةٍ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الثَّوْرِيُّ وَالسُّوسِيُّ وَغَيْرُهُمَا، لَهُ عِدَّةُ تَصَانِيفٍ؛ مِنْهَا: كِتَابُ النُّوَادِرِ، وَكِتَابُ الْمَقْصُورِ، وَكِتَابُ نَوَادِرِ اللُّغَةِ وَغَيْرُهَا. تُوفِّيَ سَنَةَ (٢٠٢هـ). انْظُرْ: وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ (١٨٣/٦-١٩١)، مَعْرِفَةُ الْقِرَاءَةِ (١٥١/١).

(٤) أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَسَائِيُّ الْأَسَدِيُّ الْكُوفِيُّ (١٢٠-١٨٩هـ)، الْإِمَامُ النَّحْوِيُّ الْكَبِيرُ أَحَدُ الْقِرَاءَةِ السَّبْعَةِ، لَهُ تَصَانِيفٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: كِتَابُ مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَكِتَابُ النُّوَادِرِ، وَكِتَابُ الْهَجَاءِ، وَكِتَابُ فِي النَّحْوِ. انْظُرْ: مَعْرِفَةُ الْقِرَاءَةِ الْكِبَارِ (١٢٠/١-١٢٨)، وَغَايَةُ النِّهَايَةِ (١/٤٧٤-٤٧٨).

(٥) الْخَرْبُ بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةُ وَالرَّاءُ هُوَ ذِكْرُ الْحَبَارِيِّ وَالْمَعْنَى: أَتْنَا بِاسْتِقْرَاءِ الْوَاقِعِ مَا رَأَيْنَا الصَّقْرَ يَنْقَرُّ الْبَيْضَ عَنْ فِرَاحِ الْحَبَارِيِّ.

البيت إقواء^(١)؛ لأنَّ حرف الرويِّ في البيت قبله مرفوعٌ، فقال اليزيديُّ: الرفع صوابٌ، لأنَّ الكلام قد تم عند قوله: (لا يكون) الثانية، وهي مؤكَّدةٌ للأولى، ثم استأنف وقال: المهر مهرٌ، وضرب بقلنسوته الأرض [يعني من شدَّة فرحه بظهوره على الكسائيِّ]، وقال: أنا أبو محمد. فقيل له: أتكتني بحضرة أمير المؤمنين؟! والله إنَّ خطأ الكسائيِّ مع حسن أدبه، لأحسن من صوابك مع سوء أدبك. فقال: إن حلاوة الظفر أذهب عني حسن التحفظ^(٢).

والذي جعل الكسائيَّ - على علمه - يقع له هذا الالتباس الذي لا يليق بمثله؛ أنَّ اليزيديَّ قرأ البيت على مجرى الوزن، وذلك بألا يسكت سكتةً على: (لا يكون) الثانية كما يقتضي المعنى؛ فوصل بنون مرفوعةٍ بعدها لامٌ ساكنةٌ، وبهذا يُقيم الوزن على مجزوء الرَّمَلِ، أمَّا لو قرأ بما يقتضيه المعنى فما كان الكسائيُّ، ولا مَنْ هو دونه؛ ليقع في هذا اللبس. ويصير حينها الوقفُّ على النون ساكنةً ثمَّ الاستئنافُ بهمزة قطعٍ من (المهر) فيصير النطق هكذا: «لا يكون. المهرُ مهرٌ». ولا يخفى ما في ذلك من خللٍ غروضيٍّ رغمَ أنَّه أُبين في المعنى وأظهر.

سكتات حفص ومعناها الدلاليَّة:

إنَّ من أطف الإشارات التوقيفية وأوضحها معنىً على أنَّ الوقف من أصل أدوات البيان سكتات حفص الأربع. وهي واجبةٌ^(٣) من بعض طرق روايته كطريق الشاطبية. السكتة الأولى: قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَيُجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قِيمًا يُنْزِرَ بِأَسَاسٍ دِيكًا مِّنْ لَّدُنْهُ﴾ [الكهف؛ الآيتان ١، ٢].

(١) الإقواء: أحدُ عيوب القافية ومعناه اختلاف حركة الرويِّ بحركة تقاربها في الثقل، كالكسرة مع الضمة. وجعله البعض عامًّا في كلِّ الحركات، كما هو هنا. وفَرَّق البعض بين الإقواء والإصراف؛ فجعل الأول في اختلاف الروي بالكسرة والضمة، والثاني بالفتح مع غيره. انظر: في علمي العروض والقافية: (ص ٢٣٠-٢٣٢).

(٢) انظر القصة في: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف (ص ١٢٤-١٢٥)، وفيات الأعيان (١٨٦/٦-١٨٧)، وغيرهما.

(٣) يجدر التنويه على أنَّ المقصود بالوجوب هنا؛ الوجوب الصناعي لا الشرعي، والواجب الصناعي هو ما يحسن فعله ويتأكد الإتيان به حتى يعد القارئ مجيدًا وهو أكمل في الثواب، ويقبح تركه بحيث يُعدُّ تاركه مُقَصِّرًا ومسيئًا، ولكنه غير مُسْتَحَقَّ للعقاب إلا إذا تعمَّد ما يصيرُ به متعمِّدًا عاصيًا.

قرأ حفصُ في الوصل بالسكت على الألف المبدلة من التنوين سكتة يسيرة من غير تنفس إشعاراً بأنَّ ﴿قِيَمًا﴾ ليس متصلًا بـ ﴿عَوَجًا﴾ على أنه نعت له، بل هو منصوب بفعل مُقدَّر؛ أي: جعله أو أنزله قِيَمًا؛ فيكون حالاً من الهاء المتصل به. ويحتمل غير هذا^(١).
السكتة الثانية: قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَتَوَكَّلْنَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

قرأ حفص بالسكت على ألف ﴿مَرْقَدِنَا﴾ من غير قطع نفس لأن كلام الكفار انقضى بـ ﴿مَرْقَدِنَا﴾ و﴿هَذَا﴾ مبتدأ وما بعد خبر وما مصدرية أو موصولة محذوفة العائد كلام الملائكة أو المؤمنين للكفار ولو وصل لتوهم أن الكلام كله من كلامهم والأمر ليس كذلك كما هو مروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومقاتل وغيرهما من المفسرين^(٢).
السكتتان الثالثة والرابعة: قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٧]، وقوله عز من قائل: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

وسبب الوقفتين دفع التوهم، فالسكتة لبيان أنَّ كلاً منها كلمتان، لا كلمة واحدة.
الوقف اللازم والوقف الممتنع (الوصل اللازم) صورتان للاستخدام البياني والدلالي للوقف والوصل:

إذا كانت وقفاتُ حفصٍ صحيحةً النقل عن المصطفى ﷺ؛ فإنَّ علماء الوقف والابتداء قد اصطَلَحُوا على تخصيص بعض المواضع بلزوم الوقف عليها، وبعض المواضع بلزوم الوصل فيها حال التلاوة، رغبةً في تحصيل تمام البيان، ودفعاً لما قد يُتوهم من معاني فاسدةٍ، فالوقف اللازم: هو ما لو وصل طرفاه فقد يُتوهم معنى غير المراد. ومثله الوقف الممتنع، أو سمَّه الوصل اللازم، وهو ما لو فصل طرفاه فقد يُتوهم معنى غير المراد.
ومن الأمور التي قد يتوهمها بعض الدارسين أنَّ الوقف اللازم أتمُّ التمام أو لا يكونُ إلا على التمام، فهو - عندهم - قسَمٌ يعبرُ عن درجة من درجات التمام كالوقف التام والكافي والحسن. وهذا التوهم قد يكون ناتجاً عما يوحى به المصطلح من معنى

(١) غيث النفع (٣٠٨).

(٢) غيث النفع (ص ٤٣٣).

الوجوب، وعن تأكيد المعلمين والقراء على الوقف عليه، ولكن الحقيقة غير ذلك، فالوقف اللازم قد يكون على ما تمّ أو على ما هو كافٍ أو على ما هو أقلّ كفايةً من ذلك. وسيأتي لهذه المسألة مزيد بيان بإذن الله أثناء البحث.

إذا؛ فالوقف - وكذا الوصل - مُستعملٌ للبيان في المقام الأول، ومتى ما كان في الوصل توهّم والتباس استُحبَّ الوقف وتأكد في حق المتكلم أو القارئ، فإن لم يفعل فقد قصر في البيان، أمّا إن استطاع أن يطوّع اللفظ وفقاً وتنغيماً، بالقدر الذي تُجيزه قوانين التجويد والأداء في تبين الكلام، وتوضيح المبادئ والمقاطع، فقد رتل القرآن ترتيلاً.

اتضح من خلال البحث التمهيدي أنّ الفائدة الأساسية للوقف هي بيان المعنى وإيضاح الدلالة من الكلام، فجاز أن يُقال: إنّ كلّ وقفٍ مقصودٍ بيان، وجاز أن يُسمّى حينئذٍ: وقف بيان. فما وجه تخصيص بعض الوقوف بهذا المصطلح؟ هذا ما تُحاول الدراسة أن تُجيب عنه بإذن الله وتوفيقه.

المبحث الأول

تحرير مُصطلح وقف البيان

المطلب الأول: النصوص

بالتتبع التاريخي لمُصنَّفات الوقف والابتداء التي بين أيدينا نجد أنَّ مصطلح (وقف البيان) قد ظهر مُبكرًا، إلا أنَّه - ككثيرٍ من مصطلحات الوقف والابتداء - لم يحظَ بالتحريير والضبط اللذين يجعلانه متميِّزًا، فجاء مُضطربًا، واختلفت دلالاته من مُصنِّفٍ لآخر، بحيث لا يكادُ مؤلِّفان يتفقان على مقصودٍ بعينه منه. غير أنَّ المفهوم الذي يمكن أن نُرجِّحه لهذا النوع من الوقوف قد عبَّر عنه بعض المصنِّفين في الوقف والابتداء بمصطلحات أخرى، واكتفى بعضهم بوصف مفهومه والتمثيل له بآياتٍ من القرآن؛ دون أن يصطلحوا له بمصطلحٍ معيَّن.

وسوف نُورد - فيما يلي - النُصوص التي لها علاقة مباشرة بوقف البيان. وقد التزمْتُ في سبيل ذلك عدَّة التزامات:

(أ) إيراد النُصوص مُرتبة ترتيبًا تاريخيًا من الأقدم للأحدث؛ حتَّى يسهل تتبُّع التطوُّر الدلالي والمصطلحي.

(ب) التَّقْصِي - قدر الإمكان - لما أمكن الوصول إليه من كتب الوقف والابتداء؛ بالإضافة إلى كتب القراءات واللغة التي اهتمَّت بالوقف والابتداء. ولَمَّا كان كثيرٌ من الكتب المؤلفة حديثًا في التجويد قد تواردت على نصٍّ معيَّن فقد اكتفيتُ بذكر أوضاعها عبارةً طلبًا للاختصار، مع تحرِّي ما قاله مُصنِّفو المعاجم المصطلحية في علوم القرآن.

(ج) سأكتفي في هذه المرحلة بإيراد النصوص إيرادًا مُجرَّدًا دون أي تعليق إلا ما لا بدَّ منه، على أن يكون في الحاشية، ثمَّ أرجئ تحليل النصوص والتعليق عليها، ومحاولة استخلاص تعريفٍ دقيقٍ لمصطلح (وقف البيان) في المباحث التالية لهذا المبحث بإذن الله.

(د) غنيٌّ عن القول أَنَّ المقصود - ها هنا - هو إثبات النصوص لا نَقْدُهَا، فإيراد النص لا يعني بالضرورة الذهاب إلى ما ذهب إليه صاحبه، إذ في بعض التطبيقات التي أوردها العلماء كأمثلة لوقف البيان، نظراً يحتمل الأخذ والردّ. ولكن الذي يهْمُنَا هو مدلول المصطلح ومفهومه.

والآن إلى النصوص:

١- أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ): وقد جاء النَّصُّ عنه بذلك عند أبي جعفر النَّحَّاس (ت ٣٣٨هـ)، وأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) والعماني^(١) (توفي على الراجح بعد سنة ٤٦٥هـ)، والأندراي^(٢) (توفي بعد سنة ٥٠٠هـ). وذلك في مواضع:

الموضع الأول: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

قال النَّحَّاس (ت ٣٣٨هـ): «فأما قوله جل وعزّ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُُّؤْمِنٌ﴾ فقد تكلم أصحاب التمام في الوقف عليه، فقال أبو حاتم: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ وقف البيان، وليس بالتمام...»^(٣).

وقال الأندراي (ت بعد ٥٠٠هـ): «قال أبو حاتم سهل بن محمد: ومن الوقف: وقف البيان، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر: ٢٨]، فهذا وقف البيان: لا بالتمام ولا بالكافي، ومن قال: إنه لم يكن من آل فرعون؛ إنما أراد: رجلٌ مؤمنٌ، ثم قال: ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ﴾ [غافر: ٢٨]، أي: يكتُمُ إيمانه من آل فرعون، وهو أيضاً وقف

(١) أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد العماني؛ بضم العين وفتح الميم مخففة على الراجح، وقيل بفتح العين وفتح الميم مشددة، إمام مُقرئ محقق، له مصنفان في الوقف والابتداء هما المغنى والمرشد، كان حياً سنة (٤٦٥هـ) على التحقيق، وقيل: توفي بعد (٥٠٠هـ). والله أعلم. ينظر: غاية النهاية (٢٠٣/١). وينظر: تحقيق كتاب المرشد من سورة المائدة إلى آخر سورة الناس، رسالة ماجستير، دراسة وتحقيق: محمد بن حمود بن محمد الأزوري (٤٠١-٤٩٠هـ).

(٢) أبو عبد الله أحمد بن أبي عمر الخراساني، المُقرئ، من مصنفاته: الإيضاح في القراءات العشر، وروى القراءات عن جماعة، وحَدَّث عن جماعة، تُوفِّي بعد الخمسمائة. ينظر: غاية النهاية (٨٨/١).

(٣) القطع والانتفاف (ص ٤٥٢).

بيان، هذا لفظ كتاب أبي حاتم. وجملته أنه اختلفوا في قوله: ﴿مَنْ آَلَ فِرْعَوْنَ﴾ بماذا يتعلق؟ فقال قومٌ: يتعلق بالاسم النكرة؛ كأنه وصف للنكرة، ومعناه: رجل من آل فرعون مؤمنٌ، وقال آخرون: يتعلق بقوله: يكتُم إيمانه، كأنه قال: يكتُم إيمانه من آل فرعون، فعلى هذا الوجه الوقف عند قوله: ﴿رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾، وتبتدئ ﴿مَنْ آَلَ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ﴾، وعلى الوجه الآخر الوقف عند قوله: ﴿مَنْ آَلَ فِرْعَوْنَ﴾، وتبتدئ ﴿يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ﴾ [غافر: ٢٨]، قلتُ: والوقف عليها غير مُستحبٍّ؛ لأنَّ القول الذي قاله الرجل المؤمن لم يأتِ بعد، ومعناه: وقال رجل مؤمن: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ فلا يصلح الوقف بينهما بحال، لأنَّ الوقف على الحكاية دون المحكي يقبح. وزعم أبو حاتم أنهم أجازوه للبيان، يعني أن يتبين قوله: ﴿مَنْ آَلَ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر: ٢٨] بماذا يتعلق، وقد خفي عليه أنه يفصل بذلك بين الحكاية والمحكي، وهو غير جائز^(١).

وللعماني في هذا الموضع كلامٌ قريبٌ من الذي نقله الأندراي^(٢).

الموضع الثاني: نقله العماني (ت بعد ٤٦٥ هـ) عند قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كِبَرُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٣٥]. قال: «والوقف الكافي عند قوله: ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ ثم تبتدئ؛ على أنه إخبار من الله تعالى فتقول: ﴿كِبَرُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال أبو حاتم: ﴿أَتَاهُمْ﴾ وقف بيان؛ لا يُوقف عليه لا بالتمام ولا بالكافي، ولكن الوقف عليه أحسن منه على قوله: ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ قال: والتمام: ﴿وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٣).

الموضع الثالث: نقله العماني أيضاً عند قول الله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ

(١) الإيضاح في القراءات العشر؛ مخطوطان: مخطوط نسخة جامعة إستانبول (و ١٤١)، ومخطوط نسخة خاصة بالشيخ أبي يوسف الكفراوي محمد توفيق حديد حفظه الله (و ١٥٦).

(٢) ينظر: المرشد (الرسالة الثانية) (٦٤٣/٣). والكتاب مُحَقَّقٌ في رسالتي ماجستير بجامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين، الرسالة الأولى: من أول الكتاب إلى نهاية سورة النساء في جزئين؛ بتحقيق الباحثة هند منصور العبدلي، والرسالة الثانية: من أول سورة المائدة إلى نهاية الكتاب في ثلاثة أجزاء، بتحقيق الباحث محمد ابن حمود الأزوري. وعند توثيق النقول عن هذا الكتاب سأتابعها بكلمة: الرسالة الأولى، أو الرسالة الثانية؛ للتمييز.

(٣) المرشد (الرسالة الثانية: ٦٤٥/٣).

﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥] قال: «قال أبو حاتم: فلما رأهم مُوحِّدين قال: سلام عليكم، فتمَّ الكلام حين قال: ﴿سَلَّمَ﴾، أراد به وقف بيان»^(١).

الموضع الرابع: عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ [المتحنة: ١]؛ قال النحاس (٣٣٨هـ): «وقال أبو حاتم: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ وقف بيان»^(٢). وقال الداني (ت ٤٤٤هـ): «وقال نافع ويعقوب والقتيبي: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ تام، وقال أبو حاتم: وهو وقف بيان، وقال ابن الأنباري: هو حسن. وكذلك هو عندي، وليس بتام ولا كافٍ لأنَّ ما بعده متعلق به، والمعنى: يخرجون الرسول ويخرجونكم لأن تؤمنوا؛ أي كراهة أن تؤمنوا»^(٣).

٢- أبو القاسم الهذلي (ت ٤٦٥هـ): «واعلم أنه يقع التمييز في الوقف، وإن كان في الإعراب لا يجوز كقوله تعالى: ﴿وَتُؤْمَرُونَ﴾ [الفتح: ٩]، يقف ليفرِّق بين ما يجب للرسول وبين ما يجب لله؛ إذ التسبيح لا يجب إلا لله، وهكذا ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ وابتدئ ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١]، وشبيه ذلك كثير، وهكذا يقف على ﴿قَالَ﴾، ثم يبتدئ: ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦]؛ يميِّز بين ما ارتفع بالمبتدأ وبين الفعل»^(٤).

٣- العماني (توفي بعد ٤٦٥هـ): نقل عن أبي حاتم (ت ٢٥٥هـ) في المواضع المذكورة، وذكر المصطلح في مواضع أخرى لم يُصرَّح فيها بالنقل عن أبي حاتم، ولا عن غيره، وهذه هي المواضع التي أحصيتها؛ فضلاً عن الأربعة المذكورة:

الموضع الأول: في سورة الأنفال قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٥٠]: زعم بعضهم أنه وقف، ذهب إلى أن الله / هو الذي يتوفاهم؛ بدليل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]؛ فكأنه جعله وقف البيان، أراد أن يُبين أنَّ الملائكة

(١) المرشد (الرسالة الثانية: ٧٣٠/٣).

(٢) القطع والائتناف (ص ٥٢٦).

(٣) المكتفى (ص ٢٣٤). وانظر: المرشد (٧٧٠/٣).

(٤) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها (ص ١٣٢).

إليها ضرب وجوههم وأدبارهم، وأن الله تعالى هو الذي يتوفاهم. وقال قوم: بل الوقف عند قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وهو وقف بيان أيضاً؛ أرادوا أن يبينوا بالوقف أن الملائكة هي التي تتوفاهم، ولم يصلوا الكلام لئلا يشك بأن الملائكة إليها ضرب وجوههم وأدبارهم دون التوفي، واحتجوا بقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، وتبتدئ هذه الطائفة بقوله: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠]؛ على تقدير: هم يضربون وجوههم وأدبارهم. والاختيار عندي أن يقف على قوله: ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾، وأن لا يقف على الموضعين المنصوص عليهما، وهو اختيار أبي حاتم^(١).

الموضع الثاني: في سورة الأنفال أيضاً؛ عند قوله تعالى ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]؛ قال: «وقد استحسنت بعض القراء أن يقف عند قوله ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ على التأويل الذي يكون [فيه] ﴿وَمَنِ﴾ في موضع نصب بإضمار: (ويكفي) مَنْ اتبعك من المؤمنين؛ كأنه قال الله تعالى: يكفيك ويكفي المؤمنين، وهو اعتبار صالح، والوقف عليه وقف بيان؛ يُبين أحد التأويلين من الآخر، ولا أستحسنه بحال، لأنه لا يحلو قوله: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ أن يكون معطوفاً على كل حال، وبأي تأويل تأولت الآية، فالوقف على مادونه هو فصل بين المعطوف والمعطوف عليه، وإن وقف واقف ذاهباً به إلى تأويل النصب كان وقف بيان. فأما مَنْ ذهب به إلى أنه مرفوع الموضع بالعطف على اسم الله تعالى فلا يجوز له الوقف عليه، وكذلك من قال بأنه مجرور معطوف على موضع الكاف من ﴿حَسْبُكَ﴾ وإنما يجوز الوقف عليه في تأويل النصب بفعل مُضمر معطوف على فعل آخر يقتضيه المعنى تقديره: يا أيها النبي يكفيك الله ويكفي من اتبعك من المؤمنين»^(٢).

الموضع الثالث: في سورة يوسف عند قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَرْيَبَ عَلَيَّكُمْ الْيَوْمَ يُغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]، قال: «... ﴿لَا تَرْيَبَ عَلَيَّكُمْ الْيَوْمَ﴾ هو وقف بيان، وتبتدئ: ﴿يُغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ... والعامل في قوله: ﴿الْيَوْمَ﴾ تَثريب؛ أي: لا يُعَيِّرُونَ اليوم؛ فنصبه بالظرف على هذا التقدير. وقال قوم: ينتصب بالظرف على تقدير: يغفر الله لكم

(١) المرشد (الرسالة الثانية: ١٧٧/١).

(٢) المرشد (الرسالة الثانية: ١٨١/١).

اليوم، فمن ذهب إلى هذا المذهب وقف على قوله: ﴿لَا تَرْيَبَ عَلَيْكُمْ﴾ ثم يبتدئ: ﴿الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾، وهذا أيضًا وقف بيان، والأول أجود الوجهين، وإليه ذهب أكثرهم^(١).

الموضع الرابع: عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]؛ قال: «هو وقف، فقال الله تعالى: كذلك أنزلناه متفرقًا لنثبت به فؤادك... فعلى هذا الوجه الوقف على قوله ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ وقف بيان. ومنهم من ذهب إلى أن الوقف على قوله ﴿كَذَلِكَ﴾ فجعل ﴿كَذَلِكَ﴾ متعلقًا بما قبله على تقدير: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة فقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾: كنزول التوراة. والوجه الأول أعجب إليّ وهو وقف بيان»^(٢).

الموضع الخامس: عند قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٦]، حكى فيها وجهين: الأول على قراءة العامة المتواترة ﴿فَدَمْزَلْنَاهُمْ﴾، وفيها يُوقف على ﴿بِآيَاتِنَا﴾ وقف بيان، والثاني: على قراءة علي بن أبي طالب الشاذة ﴿فَدَمْزَلْنَاهُمْ﴾^(٣) لا يوقف عليه لأنه كلام واحد، وما بعده من جملة ما أمرا به كأنهما أمرا بأن يذهبا وبأن يدمراهم، فالوقف على هذه القراءة على ﴿تَدْمِيرًا﴾ وهو الكافي على القراءتين^(٤).

٣- ابن الغزّال النيسابوري^(٥) (ت ٥١٦ هـ): «وأما وقف البيان؛ فإنه يُومئ إليه كأنه واقف واصل؛ نحو قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٢٩]، يقف ثم يبتدئ بقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٢٩]؛ إيدانًا بأنه منفصل عن قوله يعلمه لفظًا؛ إذ لو كان متصلاً بما قبله لكان مجزومًا. وكذا قوله: ﴿وَأَن يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدَبَارَ﴾ [آل عمران: ١١١] حسن للبيان، والابتداء بقوله: ﴿ثُمَّ لَا﴾ [آل عمران: ١١١]، إذ لو

(١) المرشد (الرسالة الثانية: ٢٧٠-٢٧١).

(٢) المرشد (الرسالة الثانية) (٤٦٤/٢).

(٣) يُنظر في تخريج هذه القراءة وتوجيهها: المحتسب (٢/ ١٢٢-١٢٣)، البحر المحيط (٤٥٧/٦).

(٤) يُنظر: المرشد (من سورة المائدة إلى آخر الكتاب: ٤٦٥/٢-٤٦٦).

(٥) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بابن الغزّال، أستاذ زاهد شيخ القراء بخراسان، كان عارفاً بفنون القراءات ومبرزاً في العربية، توفي سنة ٥١٦ هـ. ينظر: غاية النهاية (١/ ٤٦٤-٤٦٥).

كان معطوفاً لقال: ثم لا ينصروا^(١)، ثم لم يذكره في التطبيقات عند الموضعين^(٢). وعند قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]، قال: «(مؤمن) حسن، وهذا يسمونه أهل البصرة (وقف البيان) أي: يكتُمُ إيمانه من آل فرعون؛ [لا أن]^(٣) الرجل كان من آل فرعون، وفي الآية تقديم وتأخير، والمعنى: وقال رجلٌ مؤمن يكتُمُ إيمانه من آل فرعون. ومنهم من قال: الرجل كان من آل فرعون، ولا تقديم في الآية ولا تأخير^(٤)».

وعند قول الله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩] قال: «﴿وَيُوقِّرُوهُ﴾^(٥)؛ لأنَّ التسييح لا يكون إلا لله تعالى، فهذا وقف البيان^(٦)».

٤- ومن النحويين الذين تكلموا في الوقف والابتداء فذكر صاحب المستوفي كمال الدين علي بن مسعود الفرخان^(٧)، (توفي في القرن السادس الهجري)؛ ومما قاله: «ومما يحسن به الوقف الناقص أن يكون لضربٍ من البيان كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١] إذ تبين به أنَّ ﴿قِيمًا﴾ منفصل عن ﴿عِوَجًا﴾، وأَنَّهُ حَالٌ فِي نِيَّةِ التَّقديم. وكما في قوله: ﴿وَعَمَّتْكُمْ وَخَلَّتْكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾ [النساء: ٢٣] ليفصل بين التحريمين النسبي والسببي. وأن يكون على رءوس الآي نحو قوله تعالى: ﴿مَكِينٌ فِيهِ أَبَدًا * وَيُنْذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٣ - ٤]، ونحو: ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ * أَن تَقُولُوا﴾ [الأنعام: ١٥٥]

(١) مخطوط مكتبة الأسد الوطنية دمشق: (لوحة ٣٦-٣٧).

(٢) ينظر: لوحتي (٦٨، ٦٤).

(٣) في المخطوط: لأنَّ الرجل.

(٤) المخطوط لوحة (١٧٤).

(٥) يعني الوقف عليها. وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو بياء الغيبة في الأفعال الأربعة، وقرأ باقي العشرة بالخطاب.

ينظر: النشر (٢٨٠/٢).

(٦) المخطوط (لوحة ١٨٥).

(٧) كمال الدين أو جمال الدين أبو سعد علي بن مسعود بن محمود بن الحكم الفرخان؛ بفتح الفاء وتسكين

الراء، وقيل: بضمها مشددة، من العلماء باللغة وعلومها، له المستوفي في النحو الذي قيل فيه: كتابٌ أشهر من

صاحبه، وله الوافي في القوافي. تُوفي في القرن السادس الهجري على التقريب. ينظر: بغية الوعاة (٢٠٦/٢)،

مقدمة محقق كتاب المستوفي في النحو (١١١-١٦).

١٥٦]. وأن تكون صورته في اللفظ صورة الوصل بعينها نحو قوله سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى * نَزَاعًا لِلنَّسْوَى * تَدْعُو أَمْنًا دَبْرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ﴾ [المعارج: ١٥ - ١٨]. وقد يكون الكلام مبنياً على الوقف فلا يجوز فيه إلا الوقف، ومثاله من التامّ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةَ * نَارِ حَامِيَّةَ﴾ [القارعة: ١٠ - ١١]، ومن الناقص قوله تعالى: ﴿يَلْتَمِثْنِي لِأَوْتِكَيْيَّةَ * وَلَوْ أَدْرِمَا حَسَابِيَّةَ﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٦]، ومن الأنقص - والله أعلم - قراءة من قرأ: ﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَّا لِيُؤْفِقَنَّهُمْ﴾ [هود: ١١١]، وقراءة من قرأ: ﴿لَا كُنَّا هُوَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٣٨]^(١)، والفرق بينهما أن التامّ قد يجوز أن يقع فيه بين القولين مهلة وتراخٍ في اللفظ، والناقص لا يجوز أن يقع فيه بين جُزْأَيِ القول إلا قليل لبث، والذي دونهما لا لبث فيه ولا مهلة أصلاً^(٢).

٥- الحافظ أبو العلاء الهمداني (ت ٥٦٩هـ)، ذكره عند قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦]، فاختار الوقف على: ﴿قَالَ﴾، ويبتدىء: ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾؛ ليفرق بين ما يرتفع بالفعل وما يرتفع بالابتداء، ويُسمّى وقف البيان، ويجب أن يومي إليه كأنه واقف واصل^(٣).

٦- الإمام علم الدين السخاوي (٦٤٣هـ)، قال: «وقد يكون الوقف لبيان المعنى؛ كقوله عز وجل: ﴿يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَيَاكُورُ﴾ [المتحنة: ١]، فهذا وقف حسن، إلا أنه يُبتدأ بما بعده لبيان المعنى، لئلا يتوهّم أن ﴿وَيَاكُورُ﴾ بمعنى التحذير.

(١) قرأ نافع وابن كثير وشعبة بإسكان النون ﴿وَإِنْ﴾، وقرأ الباقون بتشديدها مفتوحة، واختلفوا في ﴿لَمَّا﴾ فقرأها أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحزمة بتشديد الميم مفتوحة، والباقون بالفتحة بدون تشديد. وفي توجيه ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد أقوال؛ منها؛ وهو الذي يقصده المؤلف: أنَّ ﴿لَمَّا﴾ مصدر الفعل (لَمَّ) بالتشديد ثم أجري الوصل مجرى الوقف، فتكون الكلمة ممّا بُني على الوقف إلا أنَّ المعنى لا يُعصّد ذلك الوقف، وعلى كلٍّ؛ فهو قولٌ ضعيفٌ. ينظر: النشر (٢١٨/٢)، والكشف عن وجوه القراءات السبع (٥٣٨/١)، والبحر المحيط (٢٦٦/٥ - ٢٦٨). وأمّا ﴿لَا كُنَّا﴾ فقد قرأها أبو جعفر وابن عامر ورويس بإثبات الألف بعد النون وصلًا، والباقون بغير ألف، ولا خلاف في إثباتها في الوقف اتباعاً للرسم. وتوجيه قراءة أبي جعفر ومن وافقه أنهم أجروا الوصل مجرى الوقف، فالكلمة مبنية على الوقف، وهو ما يشير إليه ابن الفرخان. ينظر: النشر (٢٣٣/٢)، والكشف (٦١/٢ - ٦٢).

(٢) المستوفى في النحو: (٢٨٣/٢ - ٢٨٤). وانظر: البرهان في علوم القرآن (٢٥٠/١) فقد حلّص الزركشي كلام ابن الفرخان وأضاف إليه بعض الأمثلة، ينسج فيها على منواله.

(٣) الهادي في معرفة المقاطع والمبادي (٥٠٢/٢).

ومن هذا ما هو واجب كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥]، لا يجوز وصله لئلا يتوهم فيه أنهم قالوا: ﴿إِنَّ أَعْزَةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وأن ذلك مما يحزنه. ومثله: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦]، لأنَّ القارئ يجوز له أن يتجاوز الوقف إلى الوقف الذي بعده إن قويَّ نَفْسُهُ على ذلك إلا في مثل هذا لما ذكرته^(١).

٧- استخدم الإمام الجعبري^(٢) (ت ٧٣٢هـ) المصطلح للدلالة على الوقف على رؤوس الآي بغرض بيانها؛ يقول القسطلاني^(٣) (ت ٩٢٣هـ): «وروى البويطي فيما نقله صاحب كتاب المدد عنه أن النبي ﷺ كان يقرأ في الصلاة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] آية، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].... وعد في المصباح إلى ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. وإلى السنيّة ذهب الداني وغيره، واختاره البيهقي في الشعب، لأن الاهتداء بهديه ﷺ أخرى، والافتداء بسنته أفضل وأولى، لكن تعقب الجعبري في كتاب الاهتداء^(٤) الاستدلال بهذا الحديث على سُنِّيَّة وقف الفواصل؛ بأنه لا دلالة فيه على ذلك؛ لأنه إنما قصد به إعلام الفواصل. قال: وجهل قوم هذا المعنى فسموه وقف السنة؛ إذ لا يُسنُّ إلا ما فعله تعبداً ولكن هو وقف البيان. قال القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) معقباً: أي بيان الفواصل»^(٥).

٨- الإمام ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «من الأوقاف ما يتأكد استحبابه لبيان المعنى المقصود، وهو: ما لو وُصِّل طرفاه لأوهم معنى غير المراد، وهذا هو الذي اصطُح عليه

(١) علم الاهتداء في معرفة الوقف والابتداء المطبوع بكتاب جمال القراء (٥٧١/٢)، تحقيق: د. علي حسين البواب.

(٢) برهان الدين أبو محمد إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل بن أبي العباس الربيعي الجعبري السلفي، (٦٤٠-٧٣٢هـ)، الإمام العلامة المحقق المقرئ المتقن صاحب التصانيف. شرح الشاطبية وناظمة الزهر. يُنظر غاية النهاية (٢٥٨-٢٦٦).

(٣) شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك المصري الشافعي، المعروف بالقسطلاني (٨٥١-٩٢٣هـ)، من علماء التجويد والقراءات والحديث، جيد الوعظ والخطابة، له تصانيف في فنون شتى. ينظر: البدر الطالع (١٠٢/١-١٠٣).

(٤) يعني كتاب: وصف الاهتداء في الوقف والابتداء.

(٥) لطائف الإشارات (٢٥٩/١-٢٥٣).

السجاوندي^(١) (٥٦٠هـ) (لازم)، وعبر عنه بعضهم بالواجب، وليس معناه الواجب عند الفقهاء يعاقب على تركه كما توهمه بعض الناس ويجيء هذا في قسم التام والكافي، وربما يجيء في الحسن.

فمن التام: الوقف على قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾، والابتداء: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥]؛ لئلا يوهم أنَّ ذلك من قولهم... في أمثلة ذكرها، إلى أن قال:

ومن الكافي: الوقف على ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، والابتداء: ﴿يُحَادِّثُونَ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٩]؛ لئلا يوهم الوصفية حالاً، ونحو: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ١٢]، والابتداء: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ لئلا يوهم الظرفية بـ ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾... في أمثلة ذكرها، إلى أن قال:

ومن الحسن: الوقف على نحو قوله: ﴿مَنْ بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، والابتداء: ﴿إِذْ قَالَ الْإِنْسِيُّ لَهُمْ﴾ لئلا يوهم أن العامل فيه ﴿الْمَرَّتْ﴾، ونحو: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ [المائدة: ٢٧]، والابتداء: ﴿إِذْ قَرَأْتَ قُرْآنًا﴾، ونحو: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [يونس: ٧١]، والابتداء: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ كل ذلك ألزم السجاوندي (٥٦٠هـ) بالوقف عليه لئلا يوهم أنَّ العامل في ﴿إِذْ﴾ الفعل المتقدم^(٢).

وكذا ذكروا الوقف على: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]، ويبتدئ: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾؛ لئلا يوهم اشتراك عود الضمائر على شيء واحد، فإن الضمير في الأولين عائد على الله عز وجل. وكذا ذكر بعضهم الوقف على: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠]، والابتداء: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ﴾؛ قيل: لأنَّ ضمير ﴿عَلَيْهِ﴾ لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضمير ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ للنبي ﷺ، ونُقل عن سعيد بن المسيب. ومن ذلك: اختار بعض الوقف على: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ [يوسف: ٢٧]، والابتداء: ﴿وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾؛ إشعاراً بأن يوسف عَلَيْهِ السَّلَام من الصادقين في دعواه^(٣).

(١) أبو عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي الغرنوي الإمام المحقق المقرئ المفسر النحوي اللغوي، صَنَّفَ في التفسير، وعلل القراءات، والوقف والابتداء، تُوفِّي سنة ستين وخمسائة. يُنظر: إنباه الرواة (١٥٣/٣)، وغاية النهاية (١٣٩/٢).

(٢) يُنظر: علل الوقوف: (٣٢٠/١)، ٤٤٩/٢-٤٥٠-٥٧٤/٢.

(٣) النشر في القراءات العشر (١٨٣/١-١٨٤).

٩- الشيخ زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) قال في المقصد: «الوقف على مراتب: أعلاها التأثم ثم الحسن ثم الكافي ثم الصالح ثم المفهوم ثم الجائز ثم البيان ثم القبيح فأقسامه ثمانية». ثم قال بعد ذلك: «والبيان سيأتي بيانه»^(١). ثم لم أقف له في الكتاب على تعريف لوقف البيان، غير أنه ذكر المواضع السابقة التي ذكرها العماني في المرشد، ولم يخرج - في الجملة - عن اختياره.

١٠- الأشموني^(٢) (من علماء القرن الحادي عشر)؛ قال: «وأما وقف البيان وهو أن يبين معنى لا يفهم بدونه؛ كالوقف على قوله تعالى: ﴿وَتُوقَرُّوهُ﴾ [الفتح: ٩]، فرّق بين الضميرين، فالضمير في ﴿وَتُوقَرُّوهُ﴾ للنبي ﷺ، وفي ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ لله تعالى، والوقف أظهر هذا المعنى المراد...

وكالوقف على قوله: ﴿قَالَ لَا تَأْتِيَنَّا عَلَيْكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]، ثم يبتدئ: ﴿الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ بين الوقف على ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أن الظرف بعده متعلق بمحذوف، وليس متعلقاً باسم (لا)؛ لأن اسمها حينئذ شبهه بالمضاف، فيجب نصبه وتنوينه»^(٣).

وقد ذكر الأشموني المواضع التسعة: أربعة أبي حاتم، والخمسة التي أوردها العماني، وزاد مواضع أخرى سوف يأتي ذكر أكثرها في ثانيا البحث بإذن الله.

١١- الشيخ محمد علي الضباع^(٤) (١٣٨٠هـ)؛ قال في الوقف على رؤوس الآي المتعلقة بما بعدها، ولم ينسبه: «وقال بعضهم: يوقف عليها للبيان، ثم يوصل لتمام المعنى»^(٥).

(١) المقصد (ص ١٥-١٦، ٢١). والمقصد تلخيص لمرشد العماني.

(٢) أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني الشافعي المقرئ الفقيه من علماء القرن الحادي عشر الهجري، (وقيل في اسمه غير ذلك، وما أثبتته هو ما ذكره المؤلف في خاتمة كتابه: منار الهدى في الوقف والابتدا (ص ٨٧٠). لم أظفر له بترجمة وافية. ينظر: معجم المطبوعات العربية والمعرية (١/٤٥٢)، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة (١/٢٧٥).

(٣) منار الهدى في الوقف والابتدا (ص ٢٨).

(٤) نور الدين علي بن محمد بن حسن بن إبراهيم بن عبد الله الملقب بالضباع (١٣٠٧-١٣٨٠هـ)، شيخ عموم المقارئ المصرية من العلماء المبرزين المحققين في التجويد والقراءات، له فيهما تصانيف كثيرة. يُنظر: جهود الشيخ علي بن محمد الضباع في علم القراءات؛ للشيخ محمد بن فوزان العمر، دار العاصمة، ٢٠٠٦.

(٥) الإضاءة (ص ٤٦).

١٢- الشيخ الحصري^(١) (١٤٠١هـ): «وفي القرآن الكريم كلمات تعلّق ما بعدها بها وبما قبلها تعلّقاً لفظياً ومعنوياً، وهذا يقتضي منع الوقف عليها، ولكن يكون هناك سبب يقتضي الوقف عليها فيعمل به.

ومن أمثلة ذلك كلمة ﴿وَتُوقَرُوهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح: ٢٩]، فلكمة ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ معطوفة على ﴿لَتُؤْمِنُوا﴾، فحينئذ يكون بينها وبين ما قبلها ارتباط لفظي ومعنوي، وهذا يقتضي الوقف على ﴿وَتُوقَرُوهُ﴾، ويجب وصلها بما بعدها. ولكن لما كان وصلها بما بعدها يوهّم خلاف المراد، وهو رجوع الضمير في ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ إلى النبي ﷺ - وهو في الحقيقة راجع لله تعالى؛ إذ التسبيح والتقديس خاصّ به سبحانه - يوقف على ﴿وَتُوقَرُوهُ﴾، دفعاً للإيهام، وتقريراً للحقيقة، وتنبيهاً على أنّ الضمير في ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ راجع إلى الله عزَّ وجلَّ.

ومن الأمثلة أيضاً: كلمة ﴿كَبِيرٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ قَالِ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وذلك أنّ قوله تعالى: ﴿وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفِّرْ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجَ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ من جملة مقول القول، وهو ﴿قُلْ﴾ فيكون بين هذه الجملة وبين ما قبلها ارتباط لفظي ومعنوي. وهذا يقتضي منع الوقف على ﴿كَبِيرٌ﴾ ووجوب وصله بما بعده. ولكن لما كان وصله يوهّم خلاف المراد، وهو أن يكون قوله: ﴿وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفِّرْ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجَ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ معطوفاً على ﴿كَبِيرٌ﴾، دفعاً للإيهام، وتقريراً للحقيقة، وهي أنّ قوله تعالى ﴿وَصَدَّ﴾ مبتدأ، ﴿وَكُفِّرْ﴾ معطوف عليه، و﴿وَإِخْرَاجَ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ معطوف عليه أيضاً، وقوله: ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ خبر عن المبتدأ وما عطف عليه. وذلك أنّ المشركين لما عيَّروا المسلمين بأنهم قتلوا في الشهر الحرام؛ ردَّ الله على المشركين بأن القتال في الشهر الحرام كبير، ولكن ما ارتكبه المشركون من الصدّ عن سبيل الله، والكفر

(١) محمود خليل الحصري (١٣٣٥-١٤٠١هـ)، شيخ عموم المقارئ المصرية، وأوّل من سجّل المصحف المرتل للإذاعة، تميّز بدقة المخارج والأداء، ورزانة الصوت، وتحريه السُّنة في القراءة، له مؤلفات في علوم التجويد والقراءات. يُنظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٣/٢٥٩٢-٢٥٩٣).

به وإخراج المسلمين من ديارهم: أكبر عند الله من قتال المسلمين في الشهر الحرام، على أن قتال المسلمين في الشهر الحرام كان خطأ غير مقصود.

ومن الأمثلة أيضًا: كلمة ﴿وَأَتَى اللَّهَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَتَى اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وذلك أن قوله تعالى: ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ معطوف على ﴿تَقُولُ﴾ داخل معه في حيز الظرف وهو ﴿وَإِذْ﴾ فحينئذ يكون بين هذه الجملة وبين ما قبلها علاقة وثيقة في اللفظ والمعنى، وهذا يقتضي منع الوقف على ﴿وَأَتَى اللَّهَ﴾، ويُجْتَمَعُ وصله بما بعدها، ولكن وصله بما بعده يوهم خلاف المعنى المقصود، وهو أن يكون قوله ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ خطابًا من النبي ﷺ للذي أنعم الله عز وجل وأنعم النبي ﷺ عليه؛ وهو زيد بن حارثة الذي كان مملوكًا لرسول الله ﷺ ثم أعتقه وتبناه. والحقيقة أنه خطاب مُوجَّهٌ من الله تعالى لنبيه ﷺ، فيوقف على ﴿وَأَتَى اللَّهَ﴾ دفعًا لهذا الوهم الباطل، وتقديرًا للحقيقة، وتنبيهًا على أن الخطاب من الله لرسوله، لا من رسوله لعبده^(١) زيد بن حارثة.

إلى غير ذلك من الدواعي والأسباب التي تبرر الوقف على موضع لا تجيز القواعد العامة الوقف عليه. ولما كانت هذه الدواعي متنوعة ومتعددة لا يمكن حصرها ولا تندرج تحت قاعدة معينة مضبوطة لم نضع اسمًا خاصًا للوقوف الناتجة عنها^(٢).

١٣- الشيخ الدكتور عبد الكريم صالح (معاصر): قال في تعريف وقف البيان: «هو أن يبين معنى لا يفهم بدونه. وبيان ذلك: أن هناك كلمات في القرآن تعلق ما بعدها بها، أو بما قبلها تعلقًا لفظيًا ومعنويًا وهذا يقتضي منع الوقف عليها، إلا أن هناك سببًا يقتضي الوقف عليها فيعمل به بيانًا للمعنى الذي ربما لا يفهم بدونه»^(٣). ثم ذكر له مثالين؛ مما ذكرهما الحصري؛ الأول آية سورة الفتح، والثاني: آية سورة الأحزاب.

(١) الأولى أن يقال: لمولاه، لا لعبده.

(٢) معالم الاهتداء (ص ٦٠).

(٣) الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم (ص ٢٨٠).

١٤- الشيخ الدكتور إبراهيم الدوسري (معاصر)؛ قال في تعريف مصطلح وقف البيان: «وقف البيان:

(أ) ما يقصد منه بيان معنى لا يظهر إلا بالوقف عليه، ويعرف بـ (وقف التمييز)، ويمثلون له بالوقف على: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعَزِّرُوهُ وَنُقْضِيَهُ وَنُؤْيِّدُكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩]، والابتداء بـ: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾؛ لأنَّ التسبيح لا يكون إلا لله جل جلاله، فلو وصل لأوهم اشتراك الرسول ﷺ فيه، ونحو ذلك من الوقف، وغالب ما مثلوا به لا تساعده اللغة، لذلك لم يعدّه أكثر العلماء ضمن أنواع الوقف، ففي المثال المذكور قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ معطوف على ما قبله قد حذفت منه النون للنصب، فكيف يتمُّ الكلام على ما قبله، وذلك يقتضي الوصل من جهة نحوية ومعنوية وبلاغية أيضًا؛ لأن هذه الآية من قبيل اللف والنشر، كما هو مقرر في فن البديع، فغاية ما يقال في هذا المثال ونحوه: إنه من الوقف الحسن.

ومما مثلوا به قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ حيث اعتبر الوقف على ﴿مُؤْمِنٌ﴾ وقف بيان، على معنى أنه ليس من آل فرعون ولكنه يكتُم إيمانه من آل فرعون، وفيه نظر، وغايته أنه من الحسن أيضًا.

(ب) الوقف على رؤوس الآي في السورة بقصد الإعلام بفواصلها^(١).

المطلب الثاني: ملحوظات وتعليقات عامة على التّصوُّص

من خلال النصوص السابقة يمكن أن نستنبط ما يلي:

١. الراجح أنَّ أبا حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) هو أوَّل من استخدم مُصطلح (وقف البيان)، يدلُّ على ذلك ما نقله الأندراي (ت بعد ٥٠٠هـ) عنه مشفوعًا بقوله: «هذا لفظ كتاب أبي حاتم»، إلا أنَّه في النقل نفسه يقول: «وزعم أبو حاتم أنهم أجازوه للبيان»، فهل يُمكن أن يكون أبو حاتم قد نقله عن أحد مُتقدِّميه؟ ربَّما، والله

(١) معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات (ص ١١١)، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات (ص ١٣٢-١٣٣).

أعلم. وهل عرّف أبو حاتم هذا النوع من الوقوف؟ غالباً لم يُعرّفه؛ إذ لو عرّفه لوجدنا صدق ذلك التعريف في كتب الوقف والابتداء التي ينقل مؤلفوها عن أبي حاتم (ت ٢٥٥هـ)، مثل أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، العماني، وغيرهما.

٢. أن علّة ذلك الوقف كانت واضحة - إلى حدّ بعيد - في أذهان من تكلّموا فيه، حتى أولئك الذين لم يُسمّوه باسم معيّن، ويُمكن أن نستشعر ذلك في عبارة أبي حاتم (ت ٢٥٥هـ) التي ترجمها الأندراي (ت بعد ٥٠٠هـ) بقوله: «وزعم أبو حاتم أنهم أجازوه للبيان»، ومن عبارة الهذلي (ت ٤٦٥هـ): «واعلم أنه يقع التمييز في الوقف، وإن كان في الإعراب لا يجوز»، فكان ضابط هذا النوع من الوقف عندهم: أن يكون الكلام متعلّقاً ببعضه تعلّقاً لفظياً إعرابياً غير أن هناك معنى قد لا يفهم بغير هذا الوقف، وهذا واضح في كثير من التطبيقات المنقولة عنهم، وخصوصاً ما أورده ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) في التمثيل للحسن الذي يتأكّد استحبابه لبيان المعنى المقصود، حيث ذكر ستة أمثلة؛ التعلّق اللفظي فيها شديد الوضوح.

٣. أن السخاوي (٦٤٣هـ) ألمّح إلى العلاقة بين الوقف اللازم ووقف البيان، ويفهم من كلامه ومن كلام ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) أن الوقف اللازم ليس قسماً للوقف التام والكافي والحسن، بل هو متداخل معها، وإن لم يُصرّح بالاصطلاح على هذا النوع من الوقوف بمصطلح (وقف البيان). كما يلاحظ أنّهما يقولان - ضمناً - بأن الوقف اللازم قد يجيء في الحسن، وهو ما ردّه بعض المحقّقين كما سيأتي ذكره.

٤. أن أوّل تعريف صريح لمصطلح وقف البيان ما ذكره الأشموني: «وأما وقف البيان وهو أن يبين معنى لا يفهم بدونه».

٥. أن الشيخ الحصري (ت ١٤٠١هـ) لم يُسمّ هذا النوع من الوقوف باسم معيّن؛ مُعلّلاً ذلك بأنّه من غير الممكن حصر دواعيه وأسبابه تحت قاعدة معيّنة مضبوطة، رغم أنّه قد وصّفه توصيفاً دقيقاً بقوله: «وفي القرآن الكريم كلمات تعلّق ما بعدها بها وبما قبلها تعلّقاً لفظياً ومعنوياً، وهذا يقتضي منع الوقف عليها، ولكن يكون

هناك سببٌ يقتضي الوقف عليها فيعمل به». فأوضح أنَّ هذا النوع من الوقف يكون على كلمة لها تعلقٌ لفظيٌّ ومعنويٌّ بما قبلها وهو ما يعني أنَّها ليست محلاً صالحاً للوقف، أو على أحسن التقديرات فالوقف عليها حسنٌ باصطلاح المحدثين؛ بمعنى أنَّه لا يجوز الابتداء بما بعدها بل يلزم العود. ولكنَّ مُسَوِّغَ الوقف - ها هنا - هو معنيٌّ دقيقٌ ربَّما لا يظهر إلا بهذا الوقف، إذ لو وُصل على مقتضى التعلق اللفظي لغلب على الظنَّ أن السامع لن يفتن إلى هذا المعنى. وذكر الشيخ الحصري ثلاثة تطبيقاتٍ كُلُّها جاريةٌ على الوصف الذي وَصَفَهُ.

٦. أنَّ الشيخ الدكتور عبد الكريم عوض صالح قد جمع بين تعريفي الأشموني والحصري مع بعض التصرُّف اليسير في العبارة فقال: «هو أن يبين معنى لا يفهم بدونه. وبيان ذلك: أنَّ هناك كلمات في القرآن تعلق ما بعدها بها، أو بما قبلها تعلقاً لفظياً ومعنوياً وهذا يقتضي منع الوقف عليها، إلا أن هناك سبباً يقتضي الوقف عليها فيعمل به بياناً للمعنى الذي ربما لا يفهم بدونه»^(١). فأضاف جملة: «..بياناً للمعنى الذي ربَّما لا يفهم بدونه»، وهي إضافة جيدة؛ إذ قد يكون المُستمع مُدرِّكاً للمعنى الذي يُريد القارئ أن يوصل إليه، وليس بالضرورة أن يكون غافلاً عنه.

٧. أنَّ من أكثر الآيات استخداماً للتمثيل لهذا الوقف هي قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنَعَزَّوهُ وَنُقَرِّوهُ وَنُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح: ٩]، فقد استخدمها الأشموني والحصري وصالح والدوسري. وكذا استخدمها الهذلي وابن الجزري؛ وإن لم يُسمِّيا الوقف باسمٍ مُعيَّن. وتتميَّز هذه الآية بوضوح التعلق اللفظي؛ إذ الأفعال كُلُّها منصوبة مما يؤكد الاتصال بالعطف، وهو ما يُجتمِع خروج هذا الوقف - عند مَنْ يقول به - من دائرة الوقف التام والوقف الكافي، ولَمَّا كان الاستثناف بما بعده مُتَعَيِّناً فقد خرج - أيضاً - عن الحَسَنِ، وهو - بالطبع - أبعد ما يكون عن قسم القبيح بدرجاته، فتعيَّن عند هؤلاء العلماء أن يكون له اسمٌ ومُصطلحٌ

(١) الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم (ص ٢٨٠).

خاصَّ به، وهو ما صرَّح به الأشموني، وعبد الكريم صالح، والدوسري، وإن كان الشيخ الدكتور الدوسري يميل لِكَوْنِ هذا النوع من الوقوف لا يستحقُّ الأفراد في التقسيم. وأمَّا الشيخ الحصري فقد اعتذر بما ذكره من صعوبة انحصار أسبابه ودواعيه عن تسميته باسم خاصَّ.

٨. أَنَّ هُنَاكَ تَفَرُّعًا دَلَالِيًّا قَدْ حَدَثَ لِلْمُصْطَلَحِ، إِذِ اسْتُخْدِمَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْوَقْفِ عَلَى رُؤُوسِ الْآيِ لِبَيَانِ أَنَّهَا فَوَاصِلٌ، وَإِنْ كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِمَا بَعْدَهَا تَعَلُّقًا لَفْظِيًّا، وَهُوَ مَا حَدَا بِالدُّكْتُورِ الدُّوسَرِيِّ أَنْ يُفَرِّعَ مُصْطَلَحَ وَقْفِ الْبَيَانِ إِلَى فَرْعَيْنِ، جَعَلَ ثَانِيهِمَا: الْوَقْفَ عَلَى رُؤُوسِ الْآيِ فِي السُّورَةِ بِقَصْدِ الْإِعْلَامِ بِفَوَاصِلِهَا. وَأَوَّلُ نَصٍّ فِي النُّصُوصِ الَّتِي عَرْضْنَاهَا أَشَارَ إِلَى هَذِهِ الْعِلَاقَةِ - وَإِنْ كَانَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مُصْطَلَحًا خَاصًّا - هُوَ نَصُّ ابْنِ الْفَرَخَانَ، إِذِ إِنَّ الْوَقْفَ النَّاْقِصَ عِنْدَهُ يَحْسُنُ بِبَعْضِ الْأُمُورِ؛ مِنْهَا: أَنْ يَكُونَ الْمَوْقُوفُ عَلَيْهِ رَأْسَ آيَةٍ، وَإِنْ قَوِيَ ارْتِبَاطُهَا بِمَا بَعْدَهَا. أَمَّا ظُهُورُ الْمُصْطَلَحِ بِنَصِّهِ فِي رَدِّ الْجَعْبَرِيِّ عَلَى مَنْ قَالَ بِأَنَّ قَصْدَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْوَقْفِ عَلَى رُؤُوسِ الْآيِ هُوَ قَصْدُ تَعْبُدِيٍّ، فَسَمَّوْهُ وَقْفَ السَّنَةِ، فَتَعَقَّبَهُ الْجَعْبَرِيُّ مَسْمًيًا إِيَّاهُ (وقف البيان) وفسَّره القسطلاني بقوله: «أي وقف بيان الفواصل».

٩. أَنَّ أَصْحَابَ الدِّرَاسَاتِ الْمُعْجَمِيَّةِ فِي مُصْطَلَحَاتِ الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ الْمُعَاصِرِينَ لَمْ يُجَرِّرُوا الْمُصْطَلَحَ، فَإِنَّ الشَّيْخَ الْجَرَمِيَّ اقْتَصَرَ عَلَى قَوْلِهِ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ عَنِ الْوَقْفِ الْإِلَازِمِ: «وَيُسَمَّى الْوَقْفُ الْإِلَازِمُ وَقْفَ الْبَيَانِ التَّامَّ»^(١). أَمَّا الدُّكْتُورُ الْهَدَّهْدُ فَلَمْ يَذْكُرْ أَصْلًا بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ دِرَاسَتَهُ مُصْطَلَحِيَّةً اسْتِقْصَائِيَّةً تَحْلِيلِيَّةً نَقْدِيَّةً، أَمَّا الدُّكْتُورُ الشَّايْبِي فَقَدْ جَعَلَهُ هُوَ الْوَقْفَ الْإِلَازِمَ، فَلَمْ يَذْكُرْ مُصْطَلَحَ الْوَقْفِ الْإِلَازِمِ؛ وَإِنَّمَا ذَكَرَ مُصْطَلَحَ وَقْفِ الْبَيَانِ ثُمَّ عَرَّفَهُ وَذَكَرَ عَلَيْهِ أَمْثَلَةً بِمَا يُظْهِرُ أَنَّهُ يُرِيدُ الْوَقْفَ الْإِلَازِمَ^(٢). وَالْوَحِيدُ الَّذِي أَطَالَ فِيهِ التَّنْقِصُ - نَسْبِيًّا - هُوَ الشَّيْخُ الدُّوسَرِيُّ، وَإِنْ كَانَتْ عِبَارَتُهُ تُوجِي بِأَنَّهُ لَا يَعْتَبَرُ هَذَا نَوْعًا مِنَ الْوَقُوفِ، بَلْ غَايَتُهُ - عِنْدَهُ - أَنْ يَكُونَ مِنْ قَبِيلِ الْوَقْفِ الْحَسَنِ.

(١) معجم علوم القرآن (ص ٣٣٥).

(٢) يُنْظَرُ: الْمَعْجَمُ التَّجْوِيدِي (ص ٣٩٣).

١٠. وردت هذه الصفة مرتين: «يُومئ إليه كأنه واقف واصل» في نصّ ابن الغزال (ت ٥١٦هـ)، وفي نصّ الحافظ الهمذاني (٥٦٩هـ). وهذه الصفة لا تتحقق إلا بأحد طريقين: الطريق الأوّل السكتة اللطيفة، والطريق الثاني: التنغيم. فأما السكت فلا يُقال به ها هنا؛ لأنّ أخذه لا يكون إلا بتوقيف، وأما التنغيم فمُتخيّل. ولكنّ تسمية هذه الهيئة عند الإمامين بوقف البيان قد يُشكل؛ لأنّ الوقف والسكت لا يكونان إلا بانقطاع الصوت زمنًا قصّر أم طال، وهذا ليس بسبيل التنغيم المعروف. وقد يُجاب عن هذا الإشكال بأنّ المقصود التلبّث اليسير على الكلمة بنبرة يستشعر منها السامع تعليق التمام، ثمّ يبدأ بما يفيد التمام مع نبرة مُغايرة تفيد الانقطاع المعنويّ للكلام الأخير عن الكلام الأول من الجهة التي يومئ إليها القارئ، وهذا ما لا يوصف بالكتابة. والله أعلم.

المطلب الثالث: تعريف مصطلح وقف البيان

أوّلاً: التعريف المختار لوقف البيان:

في ضوء ما سبق عرضه؛ فإنّ التعريف المُقترح لوقف البيان؛ هو: «الوقف على كلمة لها تعلّق لفظي بما بعدها؛ للإشارة إلى معنى مُعتبر قد لا يُفهم إلا بالوقف، ثمّ الاستئناف بما بعدها».

ثانياً: تعليقات وتوضيحات على التعريف:

١. اختيار أن يكون وقف البيان خاصاً بالوقف على ما له تعلّق لفظي ومعنويّ بما بعده يُخرج منه الوقف اللازم، بمفهومه المستقرّ الآن، فالوقف اللازم - على المُختار - لا يبيح إلا في مواضع التمام والكفاية، وسوف ندرس هذه المسألة بالتفصيل - إن شاء الله - في مبحث العلاقات؛ لإيضاح العلاقة بين الوقف اللازم ووقف البيان؛ محولين إعادة رسم الحدود بينهما.

٢. إنّنا قيدتُ المعنى بـ (المُعتبر) لإخراج ما يتعسّفه بعض المُعربين والقراء من وقوفٍ للدلالة على معانٍ فاسدةٍ أو واهيةٍ باطنة باطلة، وليس كلّ ما يسوغ في اللغة

والإعراب يكون سائغاً في التفسير، وقد لوحظ أنَّ كثيراً مما يعده متأخراً المتكلمين في الوقف والابتداء من (وقف البيان)، هو في الحقيقة تعسُّفٌ يجب أن يُنَزَّه عنه القرآن؛ الأمر الذي حدا ببعض أن يجعل وقف البيان مُرادفاً للوقف التعسُّفي، وسيأتي مبسوطاً - بإذن الله - العلاقة بين وقف البيان والوقف التعسُّفي.

٣. وقفُّ البيان مقصودٌ ومتعمَّد؛ فهو من قسم الوقف الاختياري، وهو بذلك يختلف عن الوقف الحسن - بالاصطلاح المستقر - الذي يصلح كموضع للاستراحة والتنفس اللازم لاستئناف القراءة، كما يختلف عنه في أنَّ الاستئناف في وقف البيان يكون بالكلمة التي تلي موضع الوقف، ولا يكون (وقف بيان) إلا بذلك؛ حتى تكتمل الإشارة إلى المعنى المراد؛ إذ لو استأنف بالكلمة الموقوفة عليها أو بما قبلها لما كان لوقف البيان معنى. أمَّا في الوقف الحسن فيلزمُ العود إلى أقرب موضع صالح للاستئناف. ولذلك لزم ذكر هذا القيد: (ثم الاستئناف بما بعدها).

وممَّا يُستأنس به لما ذهبنا إليه قول الإمام السخاوي (ت ٦٤٣هـ): «وقد يكون الوقف لبيان المعنى؛ كقوله عزَّجَل: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاهُ﴾ [المتحنة: ١]، فهذا وقفٌ حسنٌ، إلا أنَّه يُبتدأ بما بعده لبيان المعنى، لئلا يتوهَّم أنَّ ﴿وَإِيَّاهُ﴾ بمعنى التحذير»^(١).

٤. هل يدخل الوقف على الفواصل المتعلقة لفظياً بما بعدها في باب وقف البيان؟ هذا ما سنحاول توضيحه - بإذن الله - في العلاقة بين وقف البيان والوقف على رؤوس الآي.

ثالثاً: أمثلة تطبيقية توضيحية للمصطلح:

بالمثال يتَّضح المقال، ومن النصوص التي ذُكرت عن العلماء كثيراً من الآيات الصالحة للتمثيل لوقف البيان؛ وخصوصاً الأمثلة الثلاثة التي أوردها الشيخ الحصري. وسنورد - فيما يأتي - مثالين آخرين لما يمكن أن يكون من قبيل وقف البيان.

(١) علم الاهتداء في معرفة الوقف والابتداء المطبوع بكتاب جمال القراء (٥٧١/٢)، تحقيق: د.علي حسين البواب.

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهُنَّ نِسَاءُكُمْ وَرَبِّبُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٣].

ذهب البعض إلى الوقف على ﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾ والابتداء بما بعدها، وهكذا في باقي المعطوفات. وممن قال به أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) ثم تبعه الداني (ت ٤٤٤هـ)، فمثل للوقف الكافي بهذا المثال حيث قال: «واعلم أنَّ الوقف الكافي هو الذي يحسن الوقف عليه أيضًا والابتداء بما بعده، غير أنَّ الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ كما ذكرنا، وذلك نحو الوقف على قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ والابتداء بما بعد ذلك في الآية كلها...»^(١).

وقد تبعهما على هذا القول كثيرون؛ منهم الزركشي^(٢) (ت ٧٩٤هـ) والأشموني^(٣) وغيرهما، وفيه نظر، وقد تعقَّبه السخاوي^(٤) (ت ٦٤٣هـ) بقوله: «وهذا ليس بالوقف الكافي لأنَّ هذه المواقف يتعلَّق ما بعدها بما قبلها في اللفظ والمعنى وإنما هي من الأوقاف الحسان»^(٥).

ونظر السخاوي في محله؛ لأنَّ الواو فيها كلها للعطف. وقد أراد هؤلاء العلماء - والله أعلم - أن يؤمِّثوا إلى اختلاف سبب التحريم، ويُستفاد ذلك من عبارة الأشموني؛ حيث قال: ﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾ كافٍ، ومثله ما بعده؛ لأنَّ التعلُّق من جهة المعنى فقط. وقال أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ): الوقف على كل واحدة من الكلمات إلى قوله في الآية الثانية:

(١) المكتفى (ص ٢١).

(٢) ينظر: البرهان (ص ٢٤٣). والزركشي: هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر المصري الزركشي الشافعي (٧٤٥-٧٩٤هـ)، الفقيه الأصولي المحدث الأديب. ينظر: الدرر الكامنة (٣/٣٩٧)، شذرات الذهب (٣٣٥/٦).

(٣) منار الهدى (ص ٢٠٧-٢٠٨).

(٤) جمال القراء (٢/٥٦٥-٥٦٦).

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]؛ كافٍ، ﴿وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ جائز: للفرق بين التحريم النسبي والسبي^(١).

فلو اقتصرنا على القول بأن الوقف على ﴿وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾، ﴿الرَّضْعَةِ﴾، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ و﴿أَصْلَابِكُمْ﴾؛ وقف جائز وليس من قبيل الوقف التام؛ لاستقام لهم ذلك؛ ويكون فيه إيماء لطيف إلى معنى مُعتبر ألا وهو التفريق بين التحريم بسبب النسب وبين التحريم بسبب الرضاعة وبين التحريم بسبب المصاهرة وبين التحريم المؤقت للجمع بين الأختين وما قيس عليه. وكلام العماني في هذا الموضع أدق^(٢)، وهذا الإيماء اللطيف إلى هذا المعنى الفقهي المُعتبر يتحقق بوقف البيان في المواضع المذكورة.

وقد أشار ابن الفرخان لهذا الموضع؛ فقال: «ومما يحسن به الوقف الناقص أن يكون لضرب من البيان... إلى أن قال: وكما في قوله: ﴿وَعَمَّتْكُمْ وَخَلَّتْكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ [النساء: ٢٣] ليفصل بين التحريمين النسبي والسبي^(٣)».

فالأولى أن تكون الوقوف الأربعة المُشار إليها في الآية ضمن باب (وقف البيان)، والله أعلم.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَصْزُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُهُ بِمُجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠].

قال أبو حيان^(٤) (٧٤٥هـ): «والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائد على صاحبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قاله حبيب ابن أبي ثابت، أو على الرسول ﷺ قاله الجمهور، أو عليهما، وأفرده لتلازمهما، ويؤيده أن في

(١) ينظر: منار الهدى (ص ٢٠٧-٢٠٨).

(٢) ينظر: المرشد (الرسالة الأولى: ٥٦٧/٢).

(٣) المستوفى (٢٨٣/٢).

(٤) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، الإمام أثير الدين الأندلسي الغرناطي (٦٥٤-٧٤٥) المفسر المقرئ المحدث النحوي اللغوي المؤرخ الأديب، له التصانيف الباهرة في فنون شتى، وله في التفسير «البحر المحيط». ينظر: الدرر الكامنة (٣٠٢-٣١٠)، طبقات المفسرين للدودي (٢٨٧/٢-٢٩١)، والبدر الطالع (٢٨٨-٢٩١).

مصحف حفصة: (فأنزل الله سكينته عليهما وأيدهما) ... والظاهر أَنَّ الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائد على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأن النبي ﷺ كان ثابت الجأش، ولذلك قال: ﴿لَا تَحْزَنَ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا﴾، وَأَنَّ الضمير في ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ عائد على الرسول ﷺ كما جاء: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعَزِّرُوهُ وَنُقْضَرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]؛ يعني الرسول ﷺ، ﴿وَنُصَبِّحُوهُ﴾ يعني الله^(١).

وقال الألوسي^(٢) (١٢٧٠هـ): ﴿عَلَيْهِ﴾ أي على النبي ﷺ، وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أَنَّ الضمير للصاحب^(٣). وأخرج الخطيب في تاريخه عن حبيب بن أبي ثابت نحوه، وقيل - وهو الأظهر - لأنَّ النبي ﷺ لم ينزعج حتى يسكن، ولا ينافيه تعين ضمير ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ له ﷺ لعطفه على: ﴿نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ لا على ﴿فَأَنْزَلَ﴾ حتى تتفكك الضمائر؛ على أنه إذا كان العطف عليه - كما قيل به - يجوز أن يكون الضمير للصاحب أيضًا، ويدل عليه ما أخرجه ابن مردويه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبي ﷺ قال لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا أبا بكر إن الله تعالى أنزل سكينته عليك وأيدك»... إلخ، وأن أبيت فائِي ضرر في التفكيك إذا كان الأمر ظاهرًا!^(٤)

واستظهر بعضهم الأول، وادَّعى أنه المناسب للمقام، وإنزال السكينة لا يلزم أن يكون لدفع الانزعاج بل قد يكون لرفعته ونصره ﷺ، والفاء للتعقيب الذكرى وفيه

(١) البحر المحيط (٤٥/٥-٤٦).

(٢) شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي البغداديّ (١٢١٧-١٢٧٠هـ) المفسر المحدث الأصولي الفقيه الأديب اللغوي، له مصنفات ومشاركات في العلوم، وله في التفسير: «روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني». انظر: التفسير والمفسرون (٢٥٠/١-٢٥٢)، معجم المؤلفين (٨١٥/٣-٨١٦).

(٣) روى البيهقي بسنده إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «والله ليلة من أبي بكر ويوم خير من عُمر عُمر... الحديث، ذكر فيه ليلة الغار وفيها: ورسول الله ﷺ يقول له: يا أبا بكر؛ لا تحزن إِنَّ اللَّهَ مَعَنا، فأنزل الله سكينته لأبي بكرٍ فهداه ليلته» أخرجه البيهقي في الدلائل (٤٧٧/٢). وأخرج بسنده إلى ابن عباس قال: فأنزل الله سكينته عليه؛ قال: على أبي بكر؛ لأنَّ النبي ﷺ لم تزل السكينة معه. دلائل النبوة (٤٨٢/٢)، وتاريخ ابن عساكر (٨٨/٣٠). وبنحوه عن حبيب بن أبي ثابت أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٨٨/٣٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥٦٦/٥).

بُعْدٌ، وَفَسَّرَهَا بَعْضُهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْإِحْتِمَالِ بِمَا لَا يَحُومُ حَوْلَهُ شَائِبَةٌ خَوْفٌ أَصْلًا^(١).
وَأَمَّا الرَّازِي^(٢) (ت ٦٠٦هـ) فَقَدْ أَبْطَلَ الْقَوْلَ بِأَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ وَجُوهِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ الصَّاحِبَ هُوَ أَقْرَبُ مَذْكُورٍ، وَالثَّانِي: أَنَّ الْحُزْنَ وَالْخَوْفَ كَانَا حَاصِلَيْنِ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ إِنْزَالُ السَّكِينَةِ عَلَى الرَّسُولِ لَوَجِبَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الرَّسُولَ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ خَائِفًا، وَكَيْفَ يُمْكِنُ لِمَنْ كَانَ خَائِفًا أَنْ يَزِيلَ الْخَوْفَ عَنْ قَلْبِ غَيْرِهِ؟^(٣)

وَاقْتَصَرَ السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ^(٤) (ت ٧٥٦هـ) عَلَى أَنَّ الضَّمِيرَ لِلصَّاحِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ (ت ٥٤٣هـ): «قَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَهُوَ الْأَقْوَى»^(٥)، وَذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ (ت ٣١٠هـ) بِصِبْغَةِ التَّضْعِيفِ^(٦)، وَضَعَفَهُ ابْنُ جَزَيٍّ^(٧) (ت ٧٤١هـ)، وَرَدَّهُ ابْنُ عَاشُورٍ (ت ١٣٩٣هـ) بِكَلَامِ

(١) روح المعاني (٩٨/١٠).

(٢) فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الشافعي (٥٤٤-٦٠٦هـ)، المعروف بابن الخطيب، كان عالمًا بالتفسير والفقه والكلام والفلسفة والفلك وعلم الأصول وغير ذلك. ينظر: وفيات الأعيان (٢٤٨/٤-٢٥٢).

(٣) ينظر: التفسير الكبير (٦٥/١٦-٦٦).

(٤) الدر المصون (٥٢/٦)، والسمين هو: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود المعروف بالسمين الحلبي، من علماء التفسير والقراءات والعربية، من أهل حلب، استقر واشتهر في القاهرة، له مصنفات في التفسير والنحو والقراءات، توفي سنة ٧٥٦هـ. ينظر: غاية النهاية (١٣٨/١)، وبغية الوعاة (٤٠٢/١)، وطبقات المفسرين (١٠٢-١٠١/١).

(٥) أحكام القرآن (٥١٣/٢)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٨/١٠). وابن العربي هو: أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري الأندلسي (٤٦٨-٥٤٣هـ) الإمام الحافظ الفقيه المالكي القاضي، كان من أئمة العلم والعمل متبحرًا في العلوم متفنيًا فيها. ينظر: الصلة (٨٥٥/٣-٨٥٧)، وفيات الأعيان (٢٩٦/٤-٢٩٧)، والديباج المذهب (٢٥٢/٢-٢٥٦).

(٦) جامع البيان (٤٦٧/١١)، والطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ)، الإمام العلامة القارئ المحدث المفسر المؤرخ الفقيه المصنف، ألّف كتبًا لم يُسَقِّ إليها ومنها: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وتاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار، ولد بآمل، وتوفي ببغداد. يُنظر: وفيات الأعيان (١٩١/٤-١٩٢)، وطبقات المفسرين للآوازي (١١٠/٢).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (٣٥٨/١). وابن جزَيٍّ هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن عبد الرحمن بن يوسف بن جزَيٍّ الكلبي الغرناطي المالكي (٦٩٣-٧٤١هـ)، الفقيه المفسر المقرئ الأصولي الحافظ المحدث الشاعر الأديب، له مُصَنَّفَاتٌ ومشاركات في فنون شتى؛ منها في التفسير: التسهيل لعلوم

جَيْدٌ^(١)، وذكر أبو السعود (ت ٩٨٢هـ) الوجهين بدون ترجيح^(٢)، وذكرهما ابن كثير (٧٧٤هـ)، وشهر القول بعود الضمير على النبي ﷺ^(٣).

ولن يذهب إلى أَنَّ الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ راجعٌ إلى الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَقِفُ عَلَيْهَا وَقِفٌ بَيَانٌ، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ: ﴿وَأَيْدُهُ بِمُحَمَّدٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾.

وقد تَحَقَّقَتْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ضَوَابِطُ وَقِفِ الْبَيَانِ؛ إِذَا اتَّصَلَ اللَّفْظِيُّ وَالْمَعْنَوِيُّ مَوْجُودٌ، وَالْمَعْنَى الْمَشَارَإِلِيهِ بِالْوَقْفِ مَعْنًى مُعْتَبَرٌ قَالَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّفْسِيرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

= التنزيل. يُنظر: الديباج المذهب (٢٧٤-٢٧٦)، وغاية النهاية (٧٥/٢)، والدرر الكامنة (٣٥٦/٣)، طبقات المفسرين للداودي (٨٥-٨٧).

(١) التحرير والتنوير (٢٠٤/١٠). وابن عاشور هو: محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦-١٣٩٣هـ)، رئيس المفتين المالكيين، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، له مُصَنَّفَاتٌ؛ منها: مقاصد الشريعة الإسلامية، وتفسير التحرير والتنوير، وغير ذلك. يُنظر: الأعلام للزركلي (١٧٤/٦).

(٢) إرشاد العقل السليم (٦٦/٤)، وأبو السعود هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (٩٠٠-٩٨٢هـ) الإمام المفسر القاضي مفتي القسطنطينية، له التفسير المشهور: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وغير ذلك. ينظر: شذرات الذهب (٥٨٤-٥٨٦)، البدر الطالع (٢٦١/١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١٥٥/٤)، وابن كثير هو: أبو الفداء عماد الدين، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء البصري ثم الدمشقي الشافعي (٧٠٠-٧٧٤هـ) صاهر الحافظ المزي، وصاحب ابن تيمية وتبعه في كثير من آرائه، وامْتُنَحَنَ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَأُوذِيَ، كَانَ كَثِيرَ الْحِفْظِ، انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الْعِلْمِ فِي التَّارِيخِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ. لَهُ التَّفْسِيرُ الْمَشْهُورُ، وَلَهُ فِي التَّارِيخِ كِتَابُ الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ. انظر: شذرات الذهب (٢٣٠/٦).

المبحث الثاني صفات وقف البيان

أولاً: الصفات المصنفة^(١):

إنَّ مصطلح (وقف البيان) يأخذ مكانته بين مصطلحات الوقف والابتداء من الجهة التي يُنظر إليه منها، فإذا قلنا إنَّ الوقوف تؤول باعتبار التمام والنقص إلى قسمين: الوقف التام بدرجاته، والوقف الناقص بدرجاته، فإنَّ (وقف البيان) يأتي قسيماً لهما، فهو باعتبار تامٍّ، وباعتبار ناقصٍّ، فيصحُّ أن يقال فيه: الوقف الذي لا هو ناقصٌ ولا هو تامٌّ، أو قل - كما قال ابن الفرخان - هو ناقصٌ حسنٌ لضربٍ من البيان، ويتأكَّد استحبابه عند ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، وإنَّما يقع به التمييز وإن كان في الإعراب لا يجوز كما يقول الهذلي (ت ٦٥هـ)، أو يومئ إليه القارئ كأنه واصلٌ واقفٌ كما هي عبارة ابن الغزَّال (ت ٥١٦هـ) وأبي العلاء الهمداني (ت ٥٦٩هـ).

إذا؛ هو جديرٌ أن يتبوأ مكانه بين التام والناقص، فيصحُّ أن تختصر أقسام الوقف - على اتِّساع العبارة فيها - إلى ثلاثة أقسامٍ رئيسيةٍ: التام، والناقص، والبيان. وهذا كلُّه إن قُصر الكلام على وقف البيان الحسن، أمَّا إن تُوسَّع في مفهومه؛ ليشمل ما يمكن أن يُسمَّى: وقف البيان الكافي، ووقف البيان التام، فإنَّ مفهوم وقف البيان يتقاطع ويتداخل مع القسمين السابقين، وكفى بذلك بين الوقوف منزلةً. وبتجريد النظر؛ يمكن القول بأنَّ (وقف البيان) مرَّكبٌ على إدراك الوقف المُطلق وعلاقاته، تلك العلاقات البسيطة التي يمكن صياغتها في قوانين ذات قوالبٍ مُحدَّدةٍ جاهزة؛ مثل:

لا يوقَّف على المبتدأ دون خبره، ولا على المضاف دون المضاف إليه، ولا على صاحب

(١) يُقصد بالصفات المصنفة في مجال الدراسات المصطلحية: الخصائص التي تُحدَّد طبيعة وجود المصطلح في الجهاز المصطلحيِّ موضوع الدراسة؛ كالوظيفة التي يؤديها والموقع الذي يحتله، ونحو ذلك. ينظر: دراسات مصطلحية (ص ١٧٨).

الحال دون حاله، ولا على التابع دون متبوعه، ولا على القسم أو الشرط أو الطلب دون الجواب، ولا على الفعل دون فاعله... إلخ.

فوقف البيان بمثابة المُستثنى من تلك القوانين، والشابّ عن طَوْقها؛ لِيُؤكِّدَ أنَّ ظواهر الإعرابِ المُجرَّد قد تقصُر عن استظهار المعنى؛ فيبقى ذلك المعنى أكبر من لفظه، وهو إعجازُ الإيجازِ، ولا يخفى أنَّ للقرآن العظيم فيه القدر المَعْلَى، وإليه الغاية المثلى. ولو أُحسِنَ إلى هذا المصطلح لَسَوَدَ فيه من الطُّروس أضعافُ أضعافٍ ما كان.

ثانيًا: الصفات المبيّنة^(١):

مُصطلح وقف البيان مُتفرَّدٌ من حيث الدلالة على مفهومه، بل هو أصلٌ من الوقف اللازم الذي قد يعودُ إليه بوجهٍ من الوجوه، ولا ينعكس.

وهو يتَّسعُ ليدخل فيه ما قد يُظنُّ به أنَّ المُصطلح لا ينحصرُ، ولا يُمكن حُدُّه بحدودٍ جامعةٍ مانعةٍ، وليس كذلك.

غير أنَّ القوة الاصطلاحية له تخلَّفت في واقع التطبيق عن ما كان يمكن أن يكون إذا قُورِنَ بكثيرٍ من مصطلحات باب الوقف والابتداء. ويكفي شاهدًا على هذا الضَّعف الاصطلاحِيَّ أنْ حُلِظَ وقف البيان بوقف التعسُّف، وأنَّكَ لا تكاد تجدُ مُصنِّفين مُتَّفِقِينَ على الاعتداد به وتعريفه، فما بين مُختلفٍ على إثباته، ومُختلفٍ على حقيقته، وتلك - ولا شك - بيّنةٌ كافيةٌ على ضعفه الاصطلاحِيَّ.

(١) الصفات المبيّنة هي الخصائص التي تُحدِّد درجة الاتساع أو الضيق في محتوى المصطلح ومدى القوة أو الضعف في اصطلاحية المصطلح ونحو ذلك. دراسات مصطلحية (١٧٨).

المبحث الثالث

قضايا وقف البيان^(١)

في هذا المبحث سنعرض - بإذن الله - لأهم القضايا المتعلقة بوقف البيان، والتي لن يتمكن من فهمه حقَّ التمكن إلا بعد التمكن منها حقَّ التمكن، والتي سترتب عليها تحديد علاقاته، وإعادة ترميم لبناته.

المطلب الأول: وقف البيان بين الإثبات والنفي

تَزَخَّرُ مُصَنَّفَاتُ الْوَقْفِ والابتداء بعشرات المصطلحات، ورُبَّمَا كَانَ الْمُخْتَلَفُ فِيهِ مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ، يَقُولُ ابْنُ الْجَزَرِيِّ (ت ٨٣٣هـ): «وَقَدْ اصْطَلَحَ الْأُئِمَّةُ لِأَنْوَاعِ أَقْسَامِ الْوَقْفِ والابتداء أَسْمَاءَ وَأَكْثَرَ فِي ذَلِكَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ طَيْفُورِ السَّجَاوَنْدِيِّ. وَخَرَجَ فِي مَوَاضِعٍ عَنْ حَدِّ مَا اصْطَلَحَهُ وَاخْتَارَهُ... وَأَكْثَرَ مَا ذَكَرَ النَّاسُ فِي أَقْسَامِهِ غَيْرَ مَنْضُبٍ وَلَا مَنْحَصَرٍ»^(٢).

ويقول ابن الفرخان: «فَأَمَّا الْأَسْمَاءُ الَّتِي اشْتَقَوْهَا لِلْوُقُوفِ مِنَ الْجُودَةِ وَالْحَسَنِ وَالْوُضُوحِ وَالْكَفَايَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ تَدُلُّ عَلَى فُرُوقٍ، فَلَيْسَتْ الْقِسْمَةُ بِهَا صَحِيحَةً مُسْتَوْفَاةً مِمَّنْ اسْتَعْمَلَهَا، وَفِيهَا مِنْ قَائِلِيهَا مِنَ التَّشْوِيشِ مَا إِذَا شِئَتْ وَجَدْتَهُ فِي كِتَابِهِمُ الْمَصْنُفَةَ فِي الْوُقُوفِ»^(٣).

وهاتان العبارتان - على وجازتهما - ذكرتا أهمَّ إشكاليات المصطلح في باب الوقف والابتداء؛ ومنها: كثرة الأسماء والمصطلحات مما يكثر فيه الترادف، فيكثر تبعاً لذلك

(١) القضايا في الدراسات المصطلحية: تُضَمُّ كُلُّ الْمَسَائِلِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ نصوص المصطلح وما يتصل به، المرتبطة بالمصطلح أو المرتبط بها المصطلح مما لا يمكن التمكن من فهمه حقَّ التمكن إلا بعد التمكن منها حقَّ التمكن. وهي مُتَعَدِّةُ الْحَصْرِ لكثرة صورها وتنوعها من مُصْطَلَحٍ إِلَى مُصْطَلَحٍ. وَأَهْمِيَّتُهَا لَا تَكَادُ تُقَدَّرُ فِي التَّصَوُّرِ الْعَامِّ لِلْأَبْعَادِ الْمَوْضُوعِيَةِ لِلْمَفْهُومِ، وَلَا سِيَّما فِي بَعْضِ الْعُلُومِ. وَمِنْ أَصْنَافِهَا: الْأَسْبَابُ وَالنَّاتِجَاتُ وَالْمَوَادُّ وَالْمَظَاهِرُ وَالشُّرُوطُ وَالْمَوَانِعُ وَالْمَجَالَاتُ وَالْمَرَاتِبُ وَالْأَنْوَاعُ وَالْوَظَائِفُ، وَالتَّأَثُّرُ وَالتَّأَثِيرُ. ينظر: دراسات مُصْطَلَحِيَّة (ص ٢٧٠).

(٢) النشر (١٧٨/١).

(٣) المستوفى في النحو (٢٨٩/١).

الاضطراب، وأوّل أسبابه أنّ لكلّ مُصنّفٍ مُصطلحاته، أضف إلى ذلك أنّ التطبيق لا يتنزّل على الاصطلاح فقد يضطرب الواضح، ويزداد المُضطرب - عند التطبيق - اضطراباً. ولم يكن مُصطلح (وقف البيان) بدعاً من هذه المُصطلحات، بل إنّ إثباته كأحد مفاهيم هذا العلم يُماري فيه البعض؛ مستأنسين لذلك بأمورٍ منها:

١. عدم ذكر كثير من المُصنّفين في الوقف والابتداء لهذا المُصطلح قديماً وحديثاً. وتعليل هذا الإضراب أنّهم لا يُثبتون (وقف البيان) كأحد مُصطلحات الفنّ، فيمنّ لم يذكره قديماً: ابن سعدان^(١) (ت ٢٣١هـ) وابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)^(٢) والسجاوندي (ت ٥٦٠هـ)... وغيرهم، وإن كان السجاوندي قد أشار إلى الوقف اللازم، بقوله: «فاللازم من الوقوف ما لو وُصل طرفاه غيّر المرام وشنع في الكلام»^(٣). ويُجاب على هذا بأنّ كثيراً من مُصطلحات الوقف التي أصبحت مُستقرّة لم يذكرها بعض هؤلاء المُصنّفين، فمثلاً: ابن سعدان لا يذكر - غالباً - إلا التمام، والسجاوندي لا يذكر التام والكافي. فغاية القول أنّ الاصطلاح على تلك المُسمّيات والمفاهيم لم يكن قد استقرّ، وعدم ذكرهم المُصطلح لا يعني أنهم كانوا يُضربون عنه، وإلا لَلَزِمَ أن نقول ذلك في كثير من المُصطلحات. ويكفي أن كثيراً غيرهم قد استخدموا المُصطلح أو نقلوه أو - على الأقلّ - لم يتوقّفوا في إثبات المفهوم وإن لم يصطلحوا له. وقد قدّمنا القول عنهم بذلك عند ذكر النصوص.

٢. أنّ الأمثلة التي استدلّ بها لهذا الوقف لا تُساعد عليه اللغة إلا بنوع من التكلف؛

(١) أبو جعفر محمد بن سعدان (١٦١هـ - ٢٣١هـ) المقرئ النحويّ المُحدّث الكوفي، صنّف في العربية والقرآن، ووثقه الخطيب وغيره. ينظر: إنباء الرواة (١٤٠/٣)، معرفة القراء (٢١٧/١).

(٢) أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الحسن الأنباري (٢٧١-٣٢٨هـ) النحويّ كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً له، كان صدوقاً ديناً خيراً من أهل السنّة، صنّف في علوم القرآن منها «إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل»، كما صنّف في اللغة والنحو. ينظر: إنباء الرواة (٢٠١/٣-٢٠٨)، معرفة القراء (٢٨٠-٢٨٢هـ).

(٣) علل الوقوف (١٠٨/١). ساقطة من المطبوع، هي وبضعة أسطر قبلها، وقد أشار إليها المحقق في مقدمته (ص ١٠) واستكملتها من المخطوط.

قال الشيخ الدوسري: «وغالبُ ما مثلوا به لا تساعده اللغة، لذلك لم يَعُدَّ أكثر العلماء ضمن أنواع الوقف»^(١)، بل قد جعله الدكتور عبد البديع النيرباني مُرادفًا للوقف التعسُّفي؛ فقال: «فقد يتخذ الوقف منبهَةً على معنَى ثُلْجاً إليه بعض آي القرآن الكريم ولا سِيَّما في مسائل العقيدة والفقه أو التفسير أو النحو» ثم قال في الحاشية: «وهو ما يُدعى وقف البيان»^(٢).

ويجَابُ على هذا بأنَّ الخطأ في تطبيق قاعدةٍ ما لا يعني أنَّ أصلها فاسدٌ، ونحن مُتفقون معكم أنَّ بعض تطبيقات هذا الباب غير مُعتبرة بل فيها تعسُّفٌ وتكُلُّفٌ، ولكن السبب في ذلك - في تقديري - أنَّ أحدًا لم يضع قواعد محدَّدة ومنضبطة لهذا النوع من الوقوف، وهو ما أشار إليه الشيخ الحصري فقال: «وفي القرآن الكريم كلمات تعلَّق ما بعدها بها وبما قبلها تعلُّقًا لفظيًا ومعنويًا، وهذا يقتضي منع الوقف عليها، ولكن يكون هناك سببٌ يقتضي الوقف عليها فيعمل به»^(٣)... ثم قال بعد أن مثَّل بثلاثة أمثلة: «...إلى غير ذلك من الدواعي والأسباب التي تبرِّر الوقف على موضع لا تجيز القواعد العامة الوقف عليه. ولما كانت هذه الدواعي متنوعة ومتعددة لا يمكن حصرها ولا تندرج تحت قاعدة معينة مضبوطة لم نضع اسمًا خاصًا للوقوف الناتجة عنها»^(٤).

والاقتناعُ بما ذكرناه يعني أنَّ الخلاف في (وقف البيان) سينتقل من الاختلاف حول إثبات الأصل إلى الاختلاف حول بعض المواضع التي يُمثَّل بها له، وهو خلاف واقعٍ في كلِّ أنواع الوقوف بلا استثناء، ومنه ما يكون بسبب الخطأ في التطبيق، ومنه ما يكون بسبب الاختلاف السائغ في التفسير، فيختلف تبعًا لذلك الإعراب والوقف؛ إذ هما فرعٌ عنه. ومتى وُضعت ضوابط سليمة ورُسمت حدودُ

(١) مختصر العبارات (ص ١٣٢).

(٢) الوقف في اللغة على ضوء اللسانيات (ص ١٨٠)، وانظر حاشية (٢) في الصفحة ذاتها.

(٣) معالم الاهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء (ص ٥٧).

(٤) معالم الاهتداء (ص ٦٠).

واضحٌ لوقف البيان؛ فإنَّ الاختلاف حول التطبيق لن يعدوَ كونه من الخلاف السائغ الواقع في بعض تطبيقات كلِّ نوع من الوقوف.

المطلب الثاني: ضوابط اعتبار وقف البيان

يتوقَّف على دقة التقعيد لوقف البيان صَحَّةُ ما يُمثَّلُ له به من أمثلة، ولَمَّا كان وقف البيان هو: «الوقف على كلمة لها تعلقٌ معنويٌّ ولفظيٌّ بما بعدها، للإشارة إلى معنىٍّ مُعتبرٍ قد لا يفهمُ إلا بالوقف، ثمَّ الاستئناف بما بعدها»؛ فإنَّ شرطيَّ وقف البيان واضحان كلُّ الوضوح:

الأول: وجود التعلق المعنوي واللفظي: ومعنى التعلق اللفظي أن تعتمد الكلمة في إعرابها على سابقتها ولاحقها، وهذا أمرٌ لا صعوبة في الحكم على تحقُّقه أو انتفائه من خلال قواعد الإعراب المعروفة، وعند الاختلاف يمكن الرجوع إلى كلام المُفسِّرين والمُعربين وترجيحاتهم.

الثاني: أن يكون المعنى المراد بالوقف مُعتبرًا، فيؤول الأمر إلى الضوابط التي يكون بها المعنى المُشار إليه مُعتبرًا، هذه الضوابط التي توضع له لن تخرج عن الضوابط العامة لقبول بعض الآراء المحتملة في التفسير، وهي:

١. أن لا تناقض ما جاء عن السلف.
٢. أن يكون المعنى المُفسَّر به صحيحًا.
٣. أن تحتل الآية المعنى في السياق.
٤. أن لا يقصر معنى الآية على هذا المحتمل دون غيره^(١).

فإن تحقَّقت تلك الشروط في موضع ما أمكن اعتبار الوقف عليه جائزًا للبيان، وإن تخلَّفت كان الوقف من قبيل التعسُّف. ومتى ما كان المعنى المراد بالوقف قويًّا في اعتباره كان الوقف عليه للبيان أجود، ومتى ما كان خوف اللبس بالوصل أشدَّ كان - كذلك - وقف البيان أجود. كلُّ ذلك فيما تعلق بما بعده لفظيًّا ومعنويًّا.

(١) ينظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم (ص ٦١٢).

واستكمالاً لهذه الضوابط نُشير إلى بعض المعاني الدلالية الإجمالية المُعتبرة لوقف البيان.

١- دفع اللبس ورفع التوهم:

بأن يكون المعنى المشار إليه بالوقف هو المعنى الوحيد للآية التي لا يصحّ غيره، ولكنّ الوصل قد يوهّم خلافه، وذلك فيما تعلّق بما بعده لفظياً ومعنوياً.

ومثال ذلك: الموضعان اللذان أشار إليهما الشيخ الحصري في قول الله تعالى: ﴿قُلْ قَاتِلْ فِيهِ كَيْدٌ وَصَدْعٌ سَبِيلَ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجَ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

ويمكن أن ينطبق هذا المعنى على نحو عشرين موضعاً مما أورده السجاوندي (ت ٥٦٠هـ)، وأشار إليها بعلامة الوقف اللازم عنده^(١)، فهي متعلّقة بما بعدها لفظاً ومعنى، ولكنّ وصلها يوهّم خلاف المقصود، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا بَنَانَا فَتُؤِيلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ [المائدة: ٢٧]. قال السجاوندي: «﴿بِالْحَقِّ﴾ (م)؛ لأنّ ﴿إِذْ﴾ ليس بظرف لقوله تعالى ﴿وَأَتْلُ﴾ ولو وصل ﴿إِذْ﴾ به لالتبس به، وصار معنى الكلام محالاً، بل عامل ﴿إِذْ﴾ محذوف، أي: اذكر ﴿إِذْ﴾»^(٢).

وقال العكبري^(٣) (ت ٦١٦هـ): «﴿إِذْ قَرَّبَا﴾: ظرفٌ لنَبَأٍ أو حالٌ منه، ولا يكون ظرفاً لـ ﴿أَتْلُ﴾»^(٤).

وغنيّ عن القول أنّ التعلّق اللفظيّ يحول دون إطلاق مصطلح اللازم على هذا الوقف كما ذهب إليه السجاوندي (ت ٥٦٠هـ)، ذلك أنّ مصطلح اللازم يكون في

(١) جملة ما أشار إليه السجاوندي بعلامة الوقف اللازم ستة وثمانون موضعاً.

(٢) علل الوقوف (٤٤٩/٢-٤٥٠).

(٣) أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي المولد (٥٣٨-٦١٦هـ) كان نحوياً فقيهاً تفقّه على مذهب ابن حنبل، له مُصنّفات في علوم القرآن والحديث والنحو وغيرها، منها «التيبان في إعراب القرآن». يُنظر: إنباه الرواة (١١٦/٢-١١٧)، ووفيات الأعيان (١٠٠/٣-١٠٢).

(٤) التّبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٩٤).

المُوهَم وصله من التام والكافي، وسيأتي - بإذن الله - مزيد بسيطٍ لعلاقة الوقف اللازم بوقف البيان.

ويُخْرِجُ على ذلك أيضًا الموضع الذي ذكره أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) ونقله عنه النحاس (ت ٣٣٨هـ) والداني (ت ٤٤٤هـ) وغيرهما، وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ [الممتحنة: ١]، فالوقف عند السجستاني على ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ وقف بيان، لئلا يُتَوَهَّم أنها موصولة بما بعدها فتصبح تحذيرًا من الإيمان: وإياكم أن تؤمنوا، فالصواب أنها معطوفة على ﴿الرَّسُولِ﴾ أي يخرجون الرسول ويخرجونكم؛ لأنكم تؤمنون بالله ربكم.

٢- الإيماء إلى مرجع الضمير:

والمثال الذي مثل به جماعةٌ من أهل علم الوقوف لوقف البيان هو قوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعَزِّرُوهُ وَنُقْضِرُوهُ وَلَسِيحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩]. قالوا: الضمير في ﴿نُعَزِّرُوهُ وَنُقْضِرُوهُ﴾ للرسول ﷺ، وفي ﴿لَسِيحُوهُ﴾ لله عزَّ وجلَّ؛ وذلك أَنَّ صَرْفَ التعزير والتوقير إلى النبي ﷺ أليق، وصرف التسبيح إلى الله عزَّ وجلَّ مُتَعَيَّنٌ ولا يجوز غيره، قال البغوي^(١) (ت ٥١٦هـ): «﴿نُعَزِّرُوهُ﴾ أي تُعِينُوهُ وتَنْصُرُوهُ، ﴿وَنُقْضِرُوهُ﴾: نُعْظِمُوهُ وَنُفَخِّمُوهُ؛ هذه الكنايات راجعة إلى النبي ﷺ، وها هنا وقف..»^(٢). وضعفه الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، وأبو حيان (ت ٧٤٥هـ) وغيرهما، وجعلوا مرجع الضمائر كلها لله عزَّ وجلَّ؛ قال الزمخشري: «والضمائر لله عزَّ وجلَّ والمراد بتعزيز الله: تعزيز دينه، ورسوله ﷺ. ومن فَرَّقَ الضمائر فقد أبعد»^(٣).

(١) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي، محيي السنة كان إمامًا في التفسير والحديث والفقهاء جليلًا ورعًا زاهدًا، له مصنفات جلييلة؛ منها: «معالم التنزيل» في التفسير، و«شرح السنة»، و«التهذيب في الفقه»، وغير ذلك. تُوِّفِّي سنة ٥١٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان (١٣٦/٢-١٣٧)، طبقات المفسرين (١٦١/١-١٦٢).

(٢) معالم التنزيل (٢٩٩/٧)، وانظر: جامع البيان (٢٥٠/٢١-٢٥٣).

(٣) الكشف (٥٣٧/٥).

وأما أهل الوقوف؛ فقد جعل أبو حاتم وأحمد بن موسى الوقف على ﴿وَتُوقَرُوهُ﴾ تاماً فرقاً بين ما هو صفة لله وبين ما هو صفة للنبي ﷺ، قال النحاس (ت ٣٣٨هـ): «وَحُولُفَا فِي هَذَا؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ، وَالتَّمَامُ ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾»^(١).

وأما الداني (ت ٤٤٤هـ) فقال: «﴿وَتُعَزَّرُوهُ وَتُوقَرُوهُ﴾ كَافٍ، فَهُوَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَمَا بَعْدَهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ إِذِ التَّسْبِيحُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ»^(٢). وكلام مَنْ بعدهم دائر في هذا الْفَلَكِ^(٣).

ويلاحظُ أَنَّ علماء الوقف والابتداء لم يختلفوا في مرجع الضمائر؛ إذ هم على القول الأول، باختلاف مرجعها، ولكنهم اختلفوا في تسمية الوقف، فمنهم مَنْ جعله تاماً، ومنهم مَنْ جعله كافياً، ومنهم مَنْ اعترض على أصل الوقف للاتصال اللفظي الواضح؛ إذ إِنَّ لَامَ التعليل عاملةٌ في ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾، فالعطف ظاهر. وغالب الظنَّ أَنَّ مُصْطَلَحَ (وقف البيان) لو كَانَ مُحَدَّدَ الحدود واضح الدلالة ما كانوا لِيختلفوا في جعل هذا الوقف من قبيل (وقف البيان)، والله أعلم.

والحاصل أَنَّ القولين مُعْتَبَرَانِ، فاختلاف مرجع الضمائر يؤيده المعنى ونص كثير من السلف وأئمة التفسير والوقف والابتداء عليه، وأما جعل الضمائر كلها لله عَزَّوَجَلَّ فيؤيده اتصال الكلام، وجوازُ أَنْ ينصرف التعزير والتوقير لله عَزَّوَجَلَّ على المجاز أي: تُعَزَّرُوا وتوقروا دينه ورسوله. فتَحَقَّقَ في هذا الموضع شروط (وقف البيان) من اعتبار المعنى المراد بالوقف، وحصول التعلق اللفظي.

ومن المواضع الأخرى التي يمكن أن تدخل فيه لِلْعَلَّةِ نفسها؛ قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠]، على الخلاف في مرجع الضمير في ﴿عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ﴾، وقد سبق ذكر ذلك في الأمثلة بما يُغني عن إعادته.

(١) القطع والائتناف (ص ٤٨٧). وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالغيب في الأفعال الأربعة، وقرأ الباقون بالخطاب [النشر: ٢٨٠/٢].

(٢) المكتفى (ص ٢٢٠).

(٣) يُنظر: منار الهدى (ص ٧٢٦)، معالم الاهتداء (ص ٥٧-٥٨)، والوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى (ص ٢٨٠-٢٨١).

٣- الإشارة إلى الانفصال في حَيِّز مقول القول:

وصورته أن تتصل جملة مقول القول لفظاً، وتنفصل معنىً، ومثاله قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات ٢٥] قال العباني: «قال أبو حاتم: فلما رآهم مُوحِّدين قال: سلام عليكم، فتمَّ الكلام حين قال: ﴿سَلَامٌ﴾، أراد به وقف بيان»^(١).

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْمَتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]. فالجملة الثانية ﴿وَأَسْمَتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مستأنفة، والمعنى: ربِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فِي عِبَادَتِي الشَّمْسِ، وسجودي لما دونك - تعني بكفرها فيما تقدَّم - وقد انقَدْتُ [قلتُ: من الآن] مع سليمان مُدْعنة لله بالتوحيد، مُفردة له بالألوهة والربوبية دون كل من سواه^(٢). ولم أقف على أحدٍ تكلم عن هذا الموضع من علماء الوقف والابتداء، غير أنَّ العُكبري (ت ٦١٦هـ) ألمَحَ إلى الاستئناف بقوله في الإعراب: «(وَأَسْلَمْتُ) أي وقد أسلمت»^(٣)، ولعلي أكون موفقاً فيما ذهبتُ إليه. والله المستعان.

٤- الإشارة إلى معنى فقهيٍّ مُعتبر:

مثاله قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ الآية [النساء: ٢٣]، وقد سبق. ويمكن أن يُخْرَجَ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١]، فقد اختلف أهل العلم في الشرط المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هل له مفهوم مخالفة أم لا؟ ويترتب على ذلك مسائل فقهية؛ أهمها: هل القصر المراد ها هنا قصرٌ من كميَّة الصلاة وعدد ركعاتها، فتقصر الرباعية إلى ركعتين، أم القصر من كميَّتها وترك إتمام ركوعها وسجودها، وإباحة أدائها كيف أمكن أدائها، مُستقبل القبلة فيها ومُستدبرها، وراكباً وماشيّاً، وذلك حال الحرب والتحام الصفوف والمسايفة، وهي الحالة التي قال الله عزَّجَلَّ فيها: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا لَا أَوْرَاقًا﴾

(١) المرشد (الرسالة الثانية: ٣/٧٣٠).

(٢) ينظر: جامع البيان (٨٥/١٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٣٢/٢).

(٣) التبيان في إعراب القرآن (٦٣٢/٢).

[البقرة: ٢٣٩]، وأذن بالصلاة المكتوبة فيها راكباً إيماءً بالركوع والسجود^(١).
فَمَنْ قَالَ بِالْأَوَّلِ فَإِنَّ الشَّرْطَ لَيْسَ لَهُ مَفْهُومٌ مَخَالَفَةٌ، فَالْقَصْرُ حَالُ الْخَوْفِ وَالْأَمْنِ،
ويشهد له حديث يعلى بن أمية أنه قال: قلت لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
وَقَدْ أَمِنَ النَّاسُ فَقَالَ: عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتُ مِنْهُ فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «صَدَقَ تَصَدَّقَ
اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ»^(٢). وعلى هذا القول يمكن أن يوقف على ﴿مِنَ الصَّلَاةِ﴾.
قال الأشموني: «(أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ الصَّلَاةِ) تَامٌّ؛ لِتَمَامِ الْكَلَامِ عَلَى قَصْرِ صَلَاةِ الْمَسَافِرِ، وَابْتَدِئَ
﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ عَلَى أَنْهُمَا آيَتَانِ، وَالشَّرْطُ لَا مَفْهُومَ لَهُ؛ إِذْ يَقْتَضِي أَنَّ الْقَصْرَ مَشْرُوطٌ بِالْخَوْفِ، وَأَنْهَا
لَا تَقْصُرُ مَعَ الْأَمْنِ، بَلِ الشَّرْطُ فِيْمَا بَعْدَهُ وَهُوَ صَلَاةُ الْخَوْفِ، وَإِنْ أَمِنُوا فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ أَتَمُّوْهَا
صَلَاةَ أَمْنٍ: أَيِ إِنْ سَفَرِيَّةٌ فَسَفَرِيَّةٌ وَإِنْ حَضَرِيَّةٌ فَحَضَرِيَّةٌ، وَلَيْسَ الشَّرْطُ فِي صَلَاةِ الْقَصْرِ. ثُمَّ
افْتَتَحَ تَعَالَى صَلَاةَ الْخَوْفِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ عَلَى إِضْمَارِ الْوَائِ، أَيِ: (وَإِنْ خِفْتُمْ) كَمَا تَقَدَّمَ
فِي ﴿مَعَهُ رَيْبُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]^(٣)، وَلَا رَيْبَ لِأَحَدٍ فِي تَمَامِ الْقِصَّةِ وَافْتِتَاحِ قِصَّةٍ أُخْرَى.

(١) ينظر: هداية الحيران فيما قيل ليس له مفهوم مخالف من القرآن (ص ٧٥-٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (ح ١١٠٨).

(٣) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿قَتَلَ مَعَهُ﴾؛ فَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَالْبَصْرِيُّانِ بِضَمِّ الْقَافِ وَكَسْرِ التَّاءِ مِنْ غَيْرِ
أَلْفٍ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِ الْكَافِ وَالتَّاءِ وَأَلْفَ بَيْنَهُمَا. [النشر: ١٨٢/٢]. وقال النحاس: «قال يعقوب ومن الوقف:
﴿وَكَايْنٌ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ﴾؛ قَالَ: هَذَا الْوَقْفُ الْكَافِي. قَالَ الْأَخْفَشُ: (وَكَايْنٌ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ)؛ هَا هُنَا التَّمَامُ، وَهُوَ قَوْلُ نَافِعٍ.
وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ: قَالَ بَعْضُ الْمَفْسَرِينَ: وَكَأَيْنٌ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ؛ لِأَنَّ الْقَتْلَ وَقَعَ عَلَى النَّبِيِّ، قَالَ نَصِيرُ:
الْمَعْنَى: وَكَأَيْنٌ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَيْبُونَ كَثِيرٌ وَحَذَفَ الْوَائِ؛ كَمَا تَقُولُ: جِئْتُ مَعِيَ زَيْدٌ، بِمَعْنَى: وَمَعِيَ زَيْدٌ، وَمِنْ
قَرَأَ ﴿قَتَلَ﴾ فَوْقَهُ عَلَى: ﴿وَمَا اسْتَكَاوُوا﴾. وَزَعَمَ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ أَنَّ الْوَقْفَ فِي الْقِرَاءَتَيْنِ جَمِيعًا إِذَا أُرِدَتْ
الْوَقْفُ الْحَسَنُ ﴿رَيْبُونَ كَثِيرٌ﴾ وَأَنَّ التَّمَامَ ﴿وَمَا اسْتَكَاوُوا﴾ وَيَحْتَاجُ لَهُ بَأْسُ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ قَالَ: مَا سَمِعْنَا بَنِي قُتْ
قَتْلَ فِي حَرْبٍ، فَإِنْ قِيلَ: فَكَيْفَ يَكُونُ قَتْلُ مَعَهُ رَيْبُونَ وَيَعْدُهُ ﴿وَمَا صَغُرُوا وَمَا اسْتَكَاوُوا﴾؟ فَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا أَنَّهُ
جَاءَ عَلَى كَلَامِ الْعَرَبِ؛ يَقُولُونَ: قَتَلَ بَنُو فُلَانٍ وَقَدْ بَقِيَ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَقْتُلُوا كُلَّهُمْ فَيَكُونُ ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾؛ فَمَا وَهَنَ
الْبَاقُونَ [القطع والائتناف ص ١٣٦-١٣٧، وانظر: المكتفى: ص ٦٦، والوقف والابتداء لابن الغرَال و ٧٦، ومنار
الهدى ص ١٩٠-١٩١]. ويقول الطبري: «وأما الرَيْبُونَ»، فَإِنَّهُمْ مَرْفُوعُونَ بِقَوْلِهِ: ﴿مَعَهُ﴾ لَا بِقَوْلِهِ: ﴿قُتِلَ﴾. وَإِنَّمَا
تَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَكَأَيْنٌ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ، وَمَعَهُ رَيْبُونَ كَثِيرٌ، فَمَا وَهَنُوا لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَفِي الْكَلَامِ إِضْمَارُ
«وَائِ» لِأَنَّهَا «وَائِ» تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى حَالِ قُتْلِ النَّبِيِّ ﷺ، غَيْرَ أَنَّهُ اجْتَرَأَ بِدَلَالَةِ مَا ذَكَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهَا مِنْ ذِكْرِهَا،
وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ فِي الْكَلَامِ: «قُتِلَ الْأَمِيرُ مَعَهُ جَيْشٌ عَظِيمٌ»، بِمَعْنَى: قَتَلَ وَمَعَهُ جَيْشٌ عَظِيمٌ [تفسير الطبري:
١٠٩٦-١١١]، وَعَلَى كُلِّ، فَالْوَقْفُ عَلَى ﴿قُتِلَ﴾ وَقَفُّ بَيَانٍ؛ عَلَى قِرَاءَةٍ مِنْ قَرَأَهَا بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ومن وقف على ﴿كُفِّرُوا﴾ وجعلها آية مختصة بالسفر؛ معناه: خفتم أم لم تخافوا، فلا جناح عليكم أن تقصروا الصلاة في السفر، فقله: ﴿مِنَ الصَّلَاةِ﴾ مجمل، إذ يحتمل القصر من عدد الركعات والقصر من هيئات الصلاة، ويرجع في ذلك إلى ما صح في الحديث^(١).

فالوقوف على ﴿مِنَ الصَّلَاةِ﴾ وقف بيان؛ لأنَّ المعنى المراد بالوقف معتبر، والتعلق اللفظي موجود؛ لأنَّ الشرط وإن كان لا مفهوم له إلا أنَّ ما ذُكر فيه من القيد اتفاقياً ذكره على مُقتضى ذلك الوقت، وأنَّ هذا القيد محتاج لما قبله لفظاً ومعنى، وإن كان ما قبله غير محتاج إليه.

وقد يتصل لفظاً على إضمار الواو كما أشار إليه الأشموني؛ أي: أن تقصروا إذا ضربتم في الأرض مُسافرين، وتقصروا إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وإن لم تكونوا مُسافرين. والله أعلم.

هـ- الإشارة إلى الحذف:

وذلك أنَّه قد يُحذف من سياق الكلام ما قد يُتوهم بدونه غير المُراد. ومثال ذلك ما أشار إليه السجاوندي (ت ٥٦٠هـ) بعلامة الوقف اللازم في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٢٣]؛ قال: ﴿﴿أَوْلِيَاءَ﴾﴾ (م) لأنَّ التقدير: يقولون: ما نعبدهم، وإلا لصار ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ إخباراً من الله^(٢).

قال الطبري (ت ٣١٠هـ) مُفسراً الآية: «يقول تعالى ذكره: والذين اتخذوا من دون الله أولياءَ يَتَوَلَّوْهُهُمْ، ويعبدونهم من دون الله، يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زُلْفَى، قربة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجتنا، وهي فيما ذُكر في قراءة أبي: (ما

(١) منار الهدى (ص ٢٢٣-٢٢٤)، وقال بعد هذا النقل مباشرة: انظر أبا العلاء الهذلي، ولم أجد له ذكراً في كتاب: الهادي في معرفة المقاطع والمبادي للحافظ الهذلي (ت ٥٦٩هـ)، فلعلَّ له كلاماً على هذه الآية في أحد مُصنَّفاتهِ الأخرى، والله أعلم.

(٢) علل الوقوف (٣/٨٧٧).

تَعْبُدُكُمْ)، وفي قراءة عبد الله: (قالوا ما نعبدهم) وإنما حُسِّنَ ذلك لأن الحكاية إذا كانت بالقول مضمرًا كان أو ظاهرًا، جعل الغائب أحيانًا كالمخاطب، ويترك أخرى كالغائب^(١).
وجمهور المُفسِّرين على إضمار القول: أي قالوا: ما نعبدهم إلا لنتزلفَ بهم ونستشفع بهم عند ربنا. وعلى هذا يكون خبر ﴿وَالَّذِينَ﴾ هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

وأجل الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) الأقوال الجائزة في إعرابها؛ فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ يحتمل المتَّخِذِينَ وهم الكَفَرَةُ، والمتَّخِذِينَ وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فالضمير في ﴿اتَّخَذُوا﴾ على الأوَّل راجع إلى (الذين)، وعلى الثاني إلى المشركين، ولم يَجْرِ ذكرهم لكونه مفهوماً، والراجع إلى (الذين) محذوف، والمعنى: والذين اتخذهم المشركون أولياء، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ في موضع الرفع على الابتداء. فإن قلت: فالخبر ما هو؟ قلت: هو على الأوَّل إما ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أو ما أضمر من القول قبل قوله: ﴿مَاتَعْبُدُهُمْ﴾، وعلى الثاني: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾، فإن قلت: فإذا كان ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ الخبر، فما موضع القول المضمر؟ قلت: يجوز أن يكون في موضع الحال، أي: قائلين ذلك. ويجوز أن يكون بدلاً من الصلة؛ فلا يكون له محلٌّ، كما أن المبدل منه كذلك^(٢).

وفي كلام الأشموني على هذا الموضع ما يستحقُّ التأمل؛ يقول: ﴿(مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ)﴾ حسن؛ إن جعل خبر ﴿وَالَّذِينَ﴾ محذوفاً، أي: يقولون ما نعبدهم، وكذا إن جعل الخبر ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ﴾، وليس بوقف إن جعل ﴿مَاتَعْبُدُهُمْ﴾ قام مقام الخبر^(٣).

فعلى القول بأنَّ الخبر جملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ﴾ فإنَّ المبتدأ لا يُفيد معنىً، فلا يُعتبر من الحَسَن، بل غايته أن يكون كالوقف على (الحمد) من قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢]، وهو وقفٌ قبيح عند الأشموني وغيره، فَلِمَ وَصَفَ الأشموني في العبارة السابقة ما هو

(١) جامع البيان (١٥٦/٢٠).

(٢) الكشف (٢٨٧/٥).

(٣) منار الهدى (ص ٦٦٣).

من هذا القبيل بالحسَن؟ غالب الظنَّ أنَّه نظر إلى دلالة هذا الوقف على الحذف، ولو كان مفهوم وقف البيان ذا قُوَّةٍ اصطلاحية لَمَا تَرَدَّدَ في إطلاقه، والله أعلم.

٦- الإيماء إلى المُتعلّق:

قد يُخْتَلَفُ في متعلّق الجار والمجرور؛ فيختلف التفسير؛ فيختلف الوقف تبعاً. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، اختلف بمتعلق ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، وعليه: هل هو رجلٌ مؤمنٌ يكتُم إيمانه عن آل فرعون، فهو ليس منهم؟ أم أنَّه من آل فرعون فيكون الجار والمجرور نعتاً لـ ﴿رَجُلٌ﴾؟

قال الطبري (ت ٣١٠هـ): «اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن، فقال بعضهم: كان من قوم فرعون، غير أنه كان قد آمن بموسى، وكان يُسرّ إيمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه... عن السديّ... قال: هو ابن عم فرعون.... فمن قال هذا القول، وتأوّل هذا التأويل، كان صواباً الوقف إذا أراد القارئ الوقف على قوله: ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، لأن ذلك خبر متناه قد تمّ. وقال آخرون: بل كان الرجل إسرائيلياً، ولكنه كان يكتُم إيمانه من آل فرعون. والصواب على هذا القول لمن أراد الوقف أن يجعل وقفه على قوله: ﴿يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ﴾ لأنّ قوله: ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ صلة لقوله ﴿يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ﴾؛ فتمامه قوله: ﴿يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ﴾»^(١).

وقال أبو حاتم (ت ٢٥٥هـ): وقف البيان، وليس بالتمام^(٢). وقال الداوي (ت ٤٤٤هـ): «وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ» حسنٌ على قول من ذهب إلى أنَّه لم يكن من آل فرعون، ولكنه كتُم إيمانه عنهم. وهو قول أحمد بن موسى ومحمد بن جرير. ومن قال: كان من آل فرعون، وقف على ﴿فِرْعَوْنَ﴾ وليس بكافٍ ولا تامّ. وكذلك الذي قبله. وقال السديّ: كان ابن عمّ فرعون. وقال الحسن: كان من بني إسرائيل»^(٣).

والقول بأنَّه من باب (وقف البيان) قولٌ حسنٌ، فهو كما أوضح النحاس: ليس من التمام، ولم يُقصد هذا الموضع بالوقف لأنَّه تمام الكلام؛ إذ مقول القول لم يتمّ بعد؛ سواءً

(١) تفسير الطبري (٣١١/٢٠-٣١٢).

(٢) يُنظر: القطع والائتناف (ص ٤٥٢)، المرشد (الرسالة الثانية: ٦٤٥/٣).

(٣) المكفّى (ص ٢٠٥).

قلنا بالأول أو بالثاني، ولكن قصد الوقف كان لمعنى آخر غير التمام، وهو بيان نسبة الرجل المؤمن. والله أعلم.

وقد يختلف في متعلق الظرف؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَنْتَرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢].

قال الأشموني: «...» ﴿لَا تَنْتَرِبَ عَلَيْكُمْ﴾ بيان بين به أن قوله: ﴿أَيُّومٌ﴾ ليس ظرفاً لقوله: ﴿لَا تَنْتَرِبَ﴾، وإنما هو متعلق بمحذوف أي: ادعوا، ثم استأنف: ﴿أَيُّومٌ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾، بشرهم بالمغفرة لما اعترفوا بذنبهم وتابوا فتب عليهم.

وقيل: متعلق بقوله: ﴿لَا تَنْتَرِبَ﴾، والوقف على ﴿أَيُّومٌ﴾ قاله نافع ويعقوب. ثم ابتدأ يوسف فقال: ﴿يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فدعا لهم بالمغفرة لما فرط منهم. قال أبو حيان ردّاً على الزمخشري^(١) قوله: إن ﴿أَيُّومٌ﴾ متعلق بقوله: ﴿لَا تَنْتَرِبَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أما كون ﴿أَيُّومٌ﴾ متعلقاً بـ ﴿تَنْتَرِبَ﴾؛ فهذا لا يجوز؛ لأن التثريب مصدر، وقد فصل بينه وبين معموله بقوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾، و﴿عَلَيْكُمْ﴾: إما أن يكون خبراً أو صفة لـ ﴿تَنْتَرِبَ﴾، ولا يجوز الفصل بينهما، لأن معمول المصدر من تاممه، وأيضاً لو كان ﴿أَيُّومٌ﴾ متعلقاً بتثريب لم يجز بناؤه، وكان يكون من قبل الشبيه بالمضاف معرباً منوئاً، وبناءه هنا على قلة^(٢).

وعلى كل؛ فالمعنيان معتبران، وقال بكلّ فريق من العلماء، والوقف قبل تمام القول وقف بيان، سواءً على (عليكم) أو على (اليوم)؛ لأنّ الكلام كلّ متعلّق من مقول يوسف عَلَيْهِ السَّلَام.

ويمكن أن يلحق بهذا الضرب قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، ومثله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان: ١٠]. فقد اختلف في جملة ﴿تَرَوْنَهَا﴾ هل هي متعلّقة بـ ﴿السَّمَوَاتِ﴾ فتكون أم بـ ﴿عَمَدٍ﴾؟ قال العكبري: «﴿تَرَوْنَهَا﴾ الضمير

(١) ينظر: الكشاف (٣٢٢/٣-٣٢٣)، والبحر المحيط (٣٣٨-٣٣٩).

(٢) منار الهدى (ص ٣٩٨-٣٩٩).

المفعول يعود على العمد، فيكون ﴿تَرَوْنَهَا﴾ في موضع جر صفة لـ ﴿عَمَدٍ﴾، ويجوز أن يعود على ﴿السَّمَوَاتِ﴾ فيكون حالاً منها^(١).

وقد جعل السجائوندي (ت ٥٦٠هـ) الوقف على ﴿عَمَدٍ﴾ وقفًا لازماً؛ لكون العمد نكرة، فقد يتوهم أنَّ الجملة التي بعدها صفتها، فيقف لينفي ذلك التوهم^(٢).

وللمفسرين فيها أقوال؛ قال بعضهم: الله الذي رفع السموات بعمدٍ لا ترونها. ونسبه ابن جرير (ت ٣١٠هـ) إلى ابن عباس ومجاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وعلى هذا القول لا يُوقف على ﴿عَمَدٍ﴾، لأنَّ المعنى: رفعها بغير عمدٍ مرئية. وقال بعضهم: بل هي مرفوعةٌ بغير عمدٍ. ونسبه ابن جرير إلى إياس بن معاوية، وقتادة^(٣). وعلى هذا القول يوقف على ﴿عَمَدٍ﴾ وقف بيان؛ للإشارة إلى أَنَّ ﴿عَمَدٍ﴾ مقطوعةٌ عن ﴿تَرَوْنَهَا﴾.

وأما القول الثالث فهو التوقف، وهو مذهب ابن جرير؛ إذ قال بعد عرض القولين السابقين: «وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ فهي مرفوعة بغير عمدٍ نراها، كما قال ربنا جل ثناؤه. ولا خبر بغير ذلك، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه»^(٤).

وعلى هذا القول - وهو ما أختاره - لا يوقف إلا على ﴿تَرَوْنَهَا﴾، والله أعلم.

٧- الاختلاف في تقدير المعطوف عليه:

مثاله الوقف على ﴿نَفْسِي﴾ من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ [المائدة: ٢٥]. قال أبو حيان (ت ٧٤٥هـ): «والظاهر أنَّ ﴿وَأَخِي﴾ معطوف على ﴿نَفْسِي﴾، ويحتمل أن يكون ﴿وَأَخِي﴾ مرفوعاً بالابتداء، والخبر محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي: وأخي لا يملك إلا نفسه، فيكون قد عطف جملة غير مؤكدة على جملة مؤكدة. أو [يحتمل أن يكون] منصوباً عطفاً على اسم (إِنَّ)؛ أي: وإنَّ أخي لا يملك إلا نفسه، والخبر محذوف،

(١) التبيان في إعراب القرآن (٤٨١/٢).

(٢) يُنظر: علل الوقوف (٦١١/٢).

(٣) ينظر: جامع البيان (٤٠٩/١٣-٤١١).

(٤) جامع البيان (٤١١/١٣).

ويكون قد عطف الاسم والخبر على الخبر نحو: إن زيدًا قائم وعمراً شاخص، أي: وإنَّ عمراً شاخص. وأجاز ابن عطية^(١) (ت ٥٤٦هـ) والزمخشري (ت ٥٣٨هـ) أن يكون ﴿وَأَخِي﴾ مرفوعاً عطفاً على الضمير المستكن في ﴿أَمْلِكُ﴾، وأجاز ذلك للفصل بينهما بالمفعول المحصور^(٢).

قال الأشموني: «واعلم أن في: ﴿وَأَخِي﴾ ستة أوجه: ثلاثة من جهة الرفع، واثنان من جهة النصب، وواحد من جهة الجر، فالأول من أوجه الرفع: عطفه على الضمير في ﴿أَمْلِكُ﴾، ذكره الزمخشري، وجاز ذلك للفصل بينهما بالمفعول المحصور، ويلزم من ذلك أن موسى وهارون لا يملكان إلا نفس موسى فقط، وليس المعنى على ذلك بل الظاهر أن موسى يملك أمر نفسه وأمر أخيه، أو المعنى: وأخي لا يملك إلا نفسه، لا يملك بني إسرائيل، وقيل لا يجوز؛ لأنَّ المضارع المبدوء بالهمز لا يرفع الاسم الظاهر، لا تقول: أقوم زيد. الثاني: عطفه على محل (إن واسمها)، أي: وأخي كذلك، أي: لا يملك إلا نفسه كما في قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣]، وكما في قوله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَأَلْعَيْنَ﴾ [المائدة: ٤٥]، بالرفع على قراءة الكسائي، فقوله: ﴿بِالنَّفْسِ﴾ متعلق بمحذوف خبر. الثالث: أن ﴿وَأَخِي﴾ مبتدأ حذف خبره. أي ﴿وَأَخِي﴾ كذلك لا يملك إلا نفسه فقسته كقصتي، والجملة في محل رفع خبر. قاله محمد بن موسى اللؤلؤي، وخولف في ذلك لأن المعنى: أن قوم موسى خالفوا عليه إلا هارون وحده.

والوجه الأول من وجهي النصب: أنه عطف على اسم (إن). والثاني: إنه عطف على ﴿نَفْسِي﴾ الواقع مفعولاً لـ ﴿أَمْلِكُ﴾.

السادس: أنه مجرور عطفاً على الياء المخفوضة بإضافة النفس على القول بالعطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض. وهذا الوجه لا يجيزه البصريون.

(١) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن؛ ابن عطية الغرناطي المالكي (٤٨١-٥٤٦هـ)، القاضي الإمام المفسر الفقيه المحدث الأديب. ينظر: الديباج المذهب (٥٧/٢-٥٩)، طبقات المفسرين للدودي (١/ ٢٦٥-٢٦٧).

(٢) البحر المحيط (٤٧١/٣-٤٧٢). وانظر: المحرر الوجيز (١٧٦/٢)، والكشاف (٢٢٢٩-٢٢٣٠).

فمن وقف على ﴿نَفْسِي﴾، وقدّر ﴿وَأَخِي﴾ مبتدأ حذف خبره: أي وأخي كذلك لا يملك إلا نفسه فوقفه تام، ومن وقف على ﴿وَأَخِي﴾ عطفاً على ﴿نَفْسِي﴾ أو عطفاً على الضمير في ﴿أَمْلِكُ﴾؛ أي: لا أملك أنا وأخي إلا أنفسنا، أو على اسم إن؛ أي: إني وأخي كان حسناً، وهذا غاية في بيان هذا الوقف، والله الحمد»^(١).

وقول الأشموني: «فمن وقف على ﴿نَفْسِي﴾، وقدّر ﴿وَأَخِي﴾ مبتدأ حذف خبره: أي وأخي كذلك لا يملك إلا نفسه فوقفه تام» تابع فيه أحمد بن موسى وغيره، وقد ضعف النحاس هذا القول، قال: «وخالفه في هذا أهل العربية، وأهل التأويل على خلافه. والمعنى عندهم: أن قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خالفوا عليه إلا هارون؛ فقال: إني لا أملك إلا نفسي وأخي أيضاً. فإن أحمد بن موسى قدّره على حذف هو مستغن عنه...»^(٢).

والذي يعيننا الآن أنه - على فرض صحّة هذا التأويل - لا يكون الوقف تاماً؛ كما قال أحمد بن موسى وتبعه الأشموني، لأنّ الجملة متصلة من قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولأنّ الخبر المحذوف المقدر لابدّ أن يتعلّق بخبر المبتدأ الأوّل. فحتّى على هذا التأويل؛ يكون التعلّق اللفظي والمعنوي قائماً. فغاية الأمر أن مَنْ وَقَفَ على ﴿نَفْسِي﴾؛ ليومئ إلى هذا المعنى فوقفه وقف بيان.

ويبقى اعتبار هذا المعنى من عدمه فيصلاً في مدى الاعتداد بهذا الوقف.

٨- الإيماء إلى معنى من معاني (ما) في المواضع المختلف فيها:

تأتي (ما) على وجوه ومعاني كثيرة^(٣)، وقد يُختلف في معنى (ما) في بعض المواضع، لاحتمالها أكثر من وجهٍ مُعتبرٍ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [يس: ٦]، قال بعض العلماء: هي نافية، ويكون المعنى: لتنذر قوماً لم يُنذَرِ آبَاؤُهُمْ، ويؤيده أن قريشاً لم يُبعث إليهم رسولٌ قبل محمد ﷺ. وعلى هذا الوجه تكون جملة ﴿مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ في موضع الصفة لـ ﴿قَوْمًا﴾. قال الزمخشري: «قوماً غير منذر آبائهم على الوصف»^(٤).

(١) منار الهدى (ص ٢٤٥).

(٢) القطع والائتناف (ص ١٧٤). وينظر: المكنى (ص ٧٩).

(٣) ينظر: مغني اللبيب (١/٣٩٩-٤٢٨).

(٤) الكشف (١٦٥/٥).

وقيل: ﴿مَّا﴾ موصولة بمعنى الذي، ويكون المراد: لتنذر قومًا الذي أنذر آباؤهم، أي بالذي أنذر به آباؤهم. وعلى هذا الوجه تكون ﴿مَّا﴾ مفعولًا به ثانيًا. وقيل هي مصدرية والمعنى: لتنذر قومًا إنذار آباؤهم، أي مثله. وتوجيه هذين الوجهين على أنَّ المقصود بالآباء الأقدمون من بني إسماعيل^(١). وقيل غير ذلك.

وعلى القول الأول بأنَّ ﴿مَّا﴾ نافية؛ فإنه يمكن الوقف للبيان على ﴿قَوْمًا﴾ ثم الاستئناف بـ ﴿مَّا أَنْذَرَ﴾ للإشارة إلى هذا الوجه. قال الأشموني: «﴿قَوْمًا﴾ جائز؛ إن جعلت ﴿مَّا﴾ نافية...»^(٢).

وإنما اعتُبر هذا الوقف من قبيل وقف البيان لأنه تحقق فيه الشرطان:
الأول: أنَّ التعلق اللفظي والمعنوي موجود، فالجمله في محل الصفة كما تقدّم.
الثاني: أنَّ المعنى المشار إليه بالوقف - وهو أنَّ ﴿مَّا﴾ نافية - معنًى معتبر؛ بل هو قول أكثر أهل التفسير؛ قال القرطبي: «﴿مَّا﴾ لا موضع لها من الإعراب عند أكثر أهل التفسير، منهم قتادة؛ لأنها نفي»^(٣).
الثالث: أنَّ احتمال التوهم قائم؛ لتردّد ﴿مَّا﴾ بين أقوالٍ معتبرة، فجاز أن يدفع التوهم بهذا الوقف.

المطلب الثالث: ثمرات البحث في وقف البيان ومعرفة مواضعه

للبحث في وقف البيان ومعرفة مواضعه ثمراتٌ عديدة؛ منها:
أنّه فصلٌ من بابٍ جليل القدر، هو باب الوقف والابتداء الذي لا تحفى فضيلة معرفته، وقيمة إتقانه.
هذا على العموم؛ أمّا على الخصوص؛ فإنَّ (وقف البيان) لما لم تُجعل له علامةٌ معيّنة في المصحف؛ فإنَّ معرفته والإحاطة به تتطلب قدرًا من البحث الذي يُجَلِّي خوافيه ويكشف غوامضه.

(١) ينظر: الكشف (١٦٥/٥)، البحر المحيط (٣١٠/٧).

(٢) منار الهدى (ص ٦٣٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (١٠/١٥). وقوله: لا محل لها من الإعراب: أي (ما) لأنها حرف نفي، أما جملة ﴿مَّا أَنْذَرَ آباؤُهُمْ﴾ في محل صفة؛ كما تقدّم.

الحث على معرفة مراد الله من كلامه، وذلك باب التدبُّر المأمور به في القرآن. إظهار وجه من وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، فكثير من دلالات وقف البيان بلاغيةً بيانيةً.

ضبط الحد بين مُصطلح وقف البيان ومصطلحات أخرى كالوقف التعسفي، ويترتب على ذلك غلق الباب في وجه بعض المُفسِّرين القرآن بأهوائهم.

وفي ضبط حدِّ وقف البيان فتح الباب لإتقان التقعيد لمُصطلحات الوقف والابتداء كُلِّها، إذا نُظِرَ إليها على أنَّها ثلاثة أبوابٍ رئيسيةٍ، لا يمكن أن يُزاد فيها ولا يُنقص منها: (١) الوقف التام بدرجاته، ومنها الكفاية، (٢) الوقف الناقص بدرجاته: المفهوم والغامض والقييح، (٣) وقف البيان الذي تمَّ من وجهٍ ونقص من وجهٍ، ويتفاوتُ بحسبِ درجة نقصه.

في البحث المُصطلحيّ - عُمومًا - ما فيه إثراء للعلوم.

المبحث الرابع

علاقات وقف البيان

يُبحث تحت عنصر العلاقات في الدراسات المُصطلحيَّة: كُلُّ علاقةٍ للمصطلح المدروس بغيره من المصطلحات، سواءً أكانت علاقات ائتلاف؛ كالترادف والتعاطف، أو علاقات اختلاف كالنضاد والتباين، أو علاقات تداخل كالعموم والخصوص، والأصل والفرع ونحوها^(١).

المطلب الأول: البيان والتمييز

عَبَّرَ بعضُ المُصنِّفين عن مفهوم المصطلح المدروس بالتمييز بدل البيان، فقال أبو القاسم الهذلي (ت ٤٦٥هـ): «واعلم أنه يقع التمييز في الوقف، وإن كان في الإعراب لا يجوز كقوله تعالى: ﴿وَتُوقَرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]، يقف لِيُفَرِّقَ بين ما يجب للرسول وبين ما يجب لله؛ إذ التسبيح لا يجب إلا لله، وهكذا ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ وابتدئ ﴿وَيُؤْمِنُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١]، وشبيه ذلك كثير، وهكذا يقف على ﴿قَالَ﴾، ثم يبتدئ: ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦]؛ يُمَيِّزُ بين ما ارتفع بالمبتدأ وبين الفعل^(٢).

وقال الشيخ الدوسري في تعريف وقف البيان: «ما يقصد منه بيان معنى لا يظهر إلا بالوقف عليه، ويعرف بـ (وقف التمييز)»...^(٣).

فكَأَنَّ القائلين بذلك ذهبوا إلى أَنَّ هذا الوقف يُمَيِّزُ وجهًا من الوجوه التي يحتملها الكلام، فيظهرها ويُجَلِّها.

وعليه؛ فمصطلح وقف التمييز مرادفٌ لمصطلح وقف البيان، ولأنَّ الثاني أشهر؛ فالأولى أن يُقتصر عليه، طلبًا للتخصيص.

المطلب الثاني: علاقة وقف البيان بالوقف اللازم

الوقف اللازم هو الوقف على ما لو وُصِّلَ طرفاه لاحتمل أن يُفهم معنًى غير مُرادٍ، لذلك لزم لزومًا صناعيًا - لا شرعيًا - أن يقف القارئ ولا يصل طرفيه.

(١) يُنظر: دراسات مصطلحية (ص ١٧٨).

(٢) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها (ص ١٣٢).

(٣) مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات (ص ١٣٢-١٣٣).

والقدر المُشترك بين الوقف اللازم ووقف البيان - على المعنى المُحرَّر آنفاً - أنَّ المعنى المُراد قد يضطرب بالوصل، فيتوهم السامع منه غيرَ ما أُريدَ به، غير أنَّ هناك اختلافين رئيسيين بينهما:

١. أنَّ الوهم الناتج عن وصل طرفي الوقف اللازم يؤدي إلى فساد المعنى فساداً بيّناً، لا سيّما في المواضع المتفق عليها منه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ [يونس: ٦٥]. يُضاف إلى ذلك أنَّ توهم المعنى الفاسد واردٌ يغلبُ في الظنِّ وقوعه، وخصوصاً للقراء غير المُختصين. أمّا وقف البيان؛ فغالباً ما يؤدي وصل طرفيه إلى معنًى مُحتملٍ غير فاسدٍ لا يخرجُ عن دائرة الأقوال المُعتبرة في الآية، وهو - وإن كان في بعض مواضعه مرجوحاً - يظلُّ قولاً مُعتبراً.

٢. أنَّ الوقف اللازم يكون - على المختار - في التام والكافي، أي ما ليس بين طرفيه تعلُّقٌ لفظيٌّ، أمّا وقف البيان فيكون فيما فيه تعلُّقٌ لفظيٌّ، وهو الحَسَنَ على الاصطلاح المشهور، لذلك يمكن أن يُقال: إنَّ الوقف اللازم هو وقف البيان التام أو وقف البيان الكافي، وقد سبقني للنص على ذلك الشيخ إبراهيم الجرمي في معجم علوم القرآن حيث قال: «ويُسمَّى الوقف اللازم: وقف البيان التام»^(١). فإن حُدِّد وقف البيان بهذا الوصف ساغ استخدامه كمُصطلح مُرادف للوقف اللازم وبديل عنه، وعندها يكون وقف البيان على قسمين:

القسم الأول: مُجرَّد عن الصفة، وهو ما سبق تحريره، بإطلاقه هكذا بدون وصف يكون مُرادفاً لما يمكن أن نقول عليه الوقف اللازم الحسن، ولَمَّا كان الراجح عدم مجيء الوقف اللازم في الحسن، وكان اصطلاح (الوقف الحسن) نفسه يحتاج إلى إعادة النظر فيه^(٢)، صار الإطلاق مُحرَّجاً، فيُطلق بدون وصف: (وقف البيان).

(١) معجم علوم القرآن (ص ٣٣٥).

(٢) هناك سببان لإعادة النَّظر في مُصطلح (الوقف الحَسَن)؛ الأول: أنَّ دلالته ليست محلَّ اتفاقٍ من تكلموا في الوقف والابتداء، والثاني: أنَّ المعنى اللغوي له زائدٌ بكثير عن المعنى الاصطلاحي، وقد يُستخدم التعبير اللغوي فيوصف الوقف بالحسن لغةً لا اصطلاحاً، وهذا كثيرٌ في عبارة المُصنِّفين وخصوصاً المُتقدِّمين. =

والقسم الثاني: وقف البيان التامّ أو وقف البيان الكافي، وهو الوقف اللازم على الحقيقة. وعند ذلك يسوغ لنا حذف مُصطلح (الوقف اللازم) لما فيه من إيهام بأن المقصود باللزوم ها هنا اللزوم والوجوب الشرعي.

وللشيخ الدكتور مساعد الطيّار طرح قريب من هذا إذ يقول: «لقد ظهر من خلال النقول التي نقلتها عن العلماء في الوقف اللازم أنّ بعض الناس قد فهموا أنّ اللازم هنا بمعنى الواجب الذي يحرم تركه، ولئن كان خشية التباس المعنى سبباً في الحكم على موضع ما باللزوم؛ فإن خشية التباس اللازم الشرعي باللازم الاصطلاحي سبب في اقتراح تغيير هذا المصطلح. وقد ظهر لي أنّه يمكن تغييره بمصطلح آخر موجود عند علماء الوقف، وقد نبّهوا على عِلّة تناسب العلة المذكورة في الوقف اللازم الذي ذكره السجاوندي (ت ٥٦٠هـ) وذلك الوقف هو (وقف البيان)، وسأعرض لك التعريفين ثم أخرج إلى وجه المناسبة بينهما، والله الموفق.

قال السجاوندي (ت ٥٦٠هـ) في تعريف الوقف اللازم: ما لو وصل طرفاه غير المرام وشئ في الكلام^(١).

وقال ابن الغزّال (ت ٥١٦هـ) في تعريف وقف البيان: وأما وقف البيان فإنه يومئ إليه كأنه واقف واصل^(٢)... ثم ذكر كلام الغزّال، ثم قال: وكلام ابن الغزّال يدل على أنّ بين الجملتين فصلاً يتبيّن بالوقف.

هذا؛ وقد كانت عبارة الأشموني في تعريف وقف البيان أوضح مما ذكره الغزّال قال:

= فإن كان يُعترض على مُصطلحي: الوقف اللازم، والوقف الممتنع؛ بسبب ما فيهما من الإيحاء بالمعنى الشرعي للزوم والامتناع؛ فإنّه يُعترض على مصطلح الوقف الحسن بسبب ما فيه من الإيحاء بالمعنى اللغوي فيظنّ أنّ الوقف عليه مقصود كالتمام والكافي، وأنما الوقف عليه - في غاية الأمر - مفهوم أو جائزٌ لطول المقطع وانقطاع النَّفس مع لزوم العود لا الاستئناف بما بعده. وقد يكون مصطلح (الوقف المفهوم) - إن استخدم بدلاً - هو أكثر المصطلحات تعبيراً على دلالة الوقف الحسن، والله أعلم.

(١) علل الوقوف (١/١٠٨)، وقد سقط الكلام من المطبوع في هذا الموضع، واستدركته من المخطوط.

(٢) سبق نقل كلام الغزّال بتمامه في (النصوص).

وهو أن يبين معنى لا يفهم بدونه ثم ذكر تمام كلام الأشموني^(١)، ثم قال:

وقد سبقني إلى الإشارة إلى ذلك الشيخ حسني شيخ عثمان قال في كتابه حق التلاوة: ويلحق به - أي الوقف التام - وقف البيان وهو الوقف على كلمة تُبين المعنى ولا يفهم هذا المعنى بدون هذا الوقف، وقد يسمى الوقف اللازم أو الوقف الواجب؛ نحو: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥]. فينبغي الوقف على كلمة ﴿قَوْلُهُمْ﴾ والابتداء بـ ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ﴾^(٢).

كما يمكن أخذه من عبارة المحقق ابن الجزري (ت ٨٣٣) عند حديثه عن الوقف اللازم قال: من الأوقاف ما يتأكد استحبابه لبيان المعنى المقصود، وهو ما لو وُصل طرفاه لأوهم معنى غير المراد، وهذا هو الذي اصطلح عليه السجاوندي (لازم).... نقل كلام ابن الجزري بتمامه^(٣)، ثم قال:

ومن هذه النقول ينتج أنَّ الوقف اللازم ووقف البيان يتفقان في أنَّ الوقف يُبين المعنى المراد، والوصل يُوهم غير المراد كما هو ظاهر من تعريفهما وتطبيقاتهما، وما دامت الأوقاف ومصطلحاتها اجتهادية فلا بأس من تغيير مصطلح اللازم بمصطلح البيان؛ رعايةً لذلك الوهم الذي وقع عند بعض الناس من أنه اللزوم الذي يعاقب عليه تاركه، والله الموفق^(٤).

ثم قال في موضع قريب لاحق: «إن تعريف الوقف الحسن لا يتناسب مع الوقف اللازم، فالوقف الحسن: ما يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده، وهذا يعني لزوم الوصل لأنَّ الجملة الثانية لا تستقل عن الجملة الأولى، وهذا مخالف لتعريف الوقف اللازم الذي يدلُّ على استقلال الجملة الثانية عن الجملة الأولى، بل إن وصلها بها يغير المعنى فلذلك لزم الوقف وقد ذهب ابن الجزري إلى إمكان وقوع اللازم في الوقف الحسن قال: وربما يجيء في الحسن.

(١) سبق نقل كلام الأشموني بتمامه في (النصوص).

(٢) ينظر: حق التلاوة (ص ٧٩-٨٠).

(٣) سبق نقل كلام ابن الجزري في (النصوص).

(٤) وقوف القرآن وأثرها في التفسير (٢٧٤-٢٧٦).

وما ذهب إليه من مجيئه في الوقف الحسن إنما هو في التطبيقات؛ بحيث إنه يوجد في بعض الوقوف التي حكم عليها باللزوم، وهو من الوقف الحسن، أما التعريف فلا يمكن اتفاقهما فيه بأي وجه من الوجوه^(١).

ومن الأمثلة التي ذكر وقوعها في الوقف الحسن ما حكم عليه باللزوم في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ فَمِيضُهُمْ ذُكْرًا مِّنْ ذُنُورٍ فَكَذَّبَتْ﴾ [يوسف: ٢٧]؛ قال: ومن ذلك اختار بعضهم الوقف على ﴿وَإِنْ كَانَ فَمِيضُهُمْ ذُكْرًا مِّنْ ذُنُورٍ فَكَذَّبَتْ﴾، والابتداء: ﴿وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾؛ إشعاراً بأن يوسف من الصادقين في دعواه.

وهذا الوقف من الواضح أنه في الوقف الحسن، والعلة المذكورة للزوم غير لازمة، وهي تدخل في باب التمثل للعلل الموجبة للوقف، وليس في الأمر ما يدعو إلى ذلك.

والذي يظهر أن الوقف اللازم يضاد الوقف الحسن، وما وقع من الحكم باللزوم على وقف محكوم عليه بالحسن؛ فإنَّ ذلك بسبب اختلاف النظر إلى العلل، فالعلة الموجبة للوقف الحسن غير العلة الموجبة للوقف اللازم، مع ملاحظة أن بعض علل الوقف اللازم علل ذوقية لا يمكن قياسها علمياً؛ كالعلة المذكورة في آية سورة يوسف، والله أعلم^(٢).

ولمَّا كانت تسمية الوقف اللازم بـ(وقف البيان)، مع نفي مجيء اللازم في الحسن، ومع كون الراجح اختصاص (وقف البيان) بالحسن؛ تُوحى ببعض التناقض، صار لا بد من التوسع، فإمَّا أن يبقى الوقف اللازم مُصطلحاً خاصاً بالتام والكافي الذي يُوهم وصلهما غير المراد، وإمَّا أن يستبدل بمصطلح الوقف اللازم مُصطلح وقف البيان؛ على أن يُقيّد بالصفة فيقال: (وقف بيان تام)، و(وقف بيان كافٍ)، ويُطلق بدون تقييد إن جاء في الناقص.

فيقال: وقف البيان: وهو ما سبق تعريفه بأنه: «الوقف على كلمة لها تعلق لفظي بما بعدها، للإشارة إلى معنى معتبر قد لا يفهم إلا بالوقف، ثم الاستئناف بما بعدها».

(١) التعريف الجامع المانع لا يمكن أن يترتب عليه شذو في التطبيق، وهذا يردنا إلى أهمية تحرير مصطلحات الوقف والابتداء تحريراً وافياً شافياً.

(٢) ينظر: وقوف القرآن وأثرها في التفسير (ص ٢٨٠-٢٨١).

وقف البيان التام: الوقف التام الذي إن وُصل طرفاه فقد يُوهِمُ معنىً غير مراد.
وقف البيان الكافي: الوقف الكافي الذي إن وُصل طرفاه فقد يُوهِمُ معنىً غير مراد.
وهذا التحديد يفيد فائدتين:

الأولى: الاستغناء به عن مصطلح الوقف اللازم، وما فيه من إيجاء باللزوم الشرعي الذي أشار إليه فضيلة الدكتور مساعد الطيار حفظه الله.
والفائدة الثانية: النص على درجة الوقف: هل هو تامٌّ أم كافٍ أم ناقصٌ. والأولان يُستفادان من التقييد، والأخير من الإطلاق كما تقدّم.

المطلب الثالث: علاقة وقف البيان بالوقف التعسفي

الوقف التعسفيُّ يُقصد به: الوقف الاختياريُّ غير الاضطراريُّ على ما لا يحسنُ عليه الوقف، بغرض إيصال معنى بعيدٍ أو تعضيد وجهٍ تفسيريٍّ لا يُساعد عليه نظم الآية.
ومن خلال هذا التعريف يمكن القول بأن هناك شرطين ليقال: إن هذا وقفٌ تعسفيٌّ:

الأول: أن يكون المعنى الحاصل من هذا الوقف معنىً قام الدليل اللغويُّ أو التفسيريُّ على أنه غير مقصود.

الثاني: أن يتعمد القارئ الوقف لإيصال هذا المعنى غير المقصود.

فلو وقف القارئ وقفًا اضطراريًّا لا يُعدُّ متعسفًا، ولو وقف اتفاقًا دون قصد منه لهذا المعنى يُعدُّ مُسيئًا بالمعنى الصناعي - لا بالمعنى الشرعي - ولكنه لا يُعدُّ متعسفًا.

فَعِلَّةُ الوقف التعسفيِّ في أنَّ المعنى الذي يُشير إليه الواقف معنىً غير مُعتبر، وقد سبق أن أوضحنا أنَّ وقف البيان يُقصد به الإشارة إلى معنىً مُعتبر، ذلك أنَّ بعض القراء قد توسّع في إدخال بعض الوقوف التعسفية في هذا الباب بزعم أنها من وقوف البيان، وهذا الأمر حداثٌ جادٌّ هو الدكتور النيرباني أن يقول: «فقد يتخذ الوقف منبهةً على معنى تُلجأ إليه بعضُ آي القرآن الكريم، ولا سيَّما في مسائل العقيدة

والفقه أو التفسير أو النحو» ثم قال في الحاشية: «وهو ما يُدعى وقف البيان»^(١).

فنحن إذاً بين فريقين؛ أحدهما توسّع في الإثبات فأدخل في الباب عشرات الوقوف التعسّفية، والآخر توسّع في النفي؛ فجعل الباب كلّ من قبيل التعسّف. وميزانُ الاعتدال في الأمر أن نقول: إنّ (وقف البيان) بالمعنى الذي ذهبنا إليه؛ موجودٌ في القرآن، ومواضعه كثيرةٌ، ولكنّ بعض المواضع التي ألحقت به لا تندرجُ تحته؛ وإنّما تندرج تحت أبواب أخرى من الوقف؛ سيّما الوقف التعسّفيّ.

وقد وضع ابن القيم^(٢) (ت ٧٥١هـ) قاعدةً تساعد في العصمة من التقول على الله / ما هو غير مراده من كلامه؛ يقول: «وينبغي أن يتفطن - ها هنا - لأمر لا بد منه، وهو أنّه لا يجوز أن يحمل كلام الله عزّ وجلّ ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام ويكون الكلام به له معنى ما، فإنّ هذا مقامٌ غلط فيه أكثر المعربين للقرآن؛ فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق، وهذا غلطٌ عظيم يقطع السامع بأن مراد القرآن غيره. وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياق آخر وكلام آخر؛ فإنه لا يلزم أن يحتمله القرآن؛ مثل قول بعضهم في قراءة من قرأ: (والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) بالجر أنه قَسَمٌ، ومثل قول بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَّرَ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [البقرة: ٢١٧]؛ إنّ ﴿الْمَسْجِدَ﴾ مجرورٌ بالعطف على الضمير المجرور في (به). ومثل قول بعضهم في قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢]؛ إنّ ﴿الْمُقِيمِينَ﴾ مجرورٌ بواو القسم، ونظائر ذلك أضعاف أضعاف ما ذكرنا وأوهى بكثير، بل للقرآن عرفٌ خاصٌّ ومعانٍ معهودةٌ لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه، والمعهود

(١) الوقف في السانيات (ص ١٨٠)، وانظر حاشية (٢) الصفحة ذاتها.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزّري ثم الدمشقيّ، ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ) الإمام الحافظ، تفقّه على مذهب الإمام أحمد، وبرع وأفتى، لازم ابن تيمية وأخذ عنه، برّز في علوم كثيرة، وكان ذا عبادة وتهجّد، وله مصنّفات كثيرة سائرة مشتهرة. يُنظر: ذيل طبقات الحنابلة (٤٤٧/٢).

من معانيه. فإنَّ نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ؛ بل أعظم. فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي يعجز عنها قدر العالمين؛ فكذلك معانية أجل المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به؛ بل غيرها أعظم منها وأجل وأفخم فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي. فتدبر هذه القاعدة ولتكن منك على بال فإنك تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها وتقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه^(١).

وفيماء يلي نورد مثالين قد يُقال فيهما إنَّهما من قبيل (وقف البيان)، ولكن بعد التحقيق يترجَّح إلحاقهما بباب الوقف التعسُّفي.

المثال الأول: الوقف على: ﴿فَعَلَهُ﴾ من قوله تعالى ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبَرُهُمْ هَذَا فَاسْتَكُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

قال الأشموني: «قَالَ بَلْ فَعَلَهُ: تام، أي: فعله من فعله، أبهم إبراهيم ﷺ الفاعل تعريضاً للمعنى المقصود الذي أراده فراراً من الوقوع في الكذب، فهو منقطع عما بعده لفظاً ومعنى، فهو تام، قاله الكسائي. وقوله: ﴿كَبَرُهُمْ هَذَا﴾ جملة من مبتدأ وخبر استثنائية لا تعلُّق لها بما قبلها، أو هي إخبار بأنَّ هذا الصنم المشار إليه أكبر الأصنام، وهذا صدق محض، بخلاف ما لو جعل ﴿كَبَرُهُمْ﴾ فاعلاً بـ ﴿فَعَلَهُ﴾ فإنه يحتاج إلى تأويل ذكره، وهو حسن، لأنَّه من المعارض. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكُذْبِ»^(٢). ومَنْ جَوَزَ الكذب في إبطال باطل وإحقاق حقَّ فهو حسن جائز بالإجماع. ..^(٣).

فهذا الذي ذكره الأشموني فيهِ نظرٌ من وجوه:

- (١) بدائع الفوائد: (ص ٣٩٤).
- (٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، والبيهقي في السنن الكبرى، وأبو الشيخ الأصبهاني في أمثال الحديث، عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعضهم عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألباني موقوفاً على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأما المرفوع فضعَّفه في السلسلة الضعيفة (ح ١٠٩٤).
- (٣) منار الهدى (ص ٥٠٣-٥٠٤).

الأول: تسميته للوقف على تأويله - إن صحَّ - بالوقف التام؛ حيث قال: «تام، أي: فعله من فعله، أبهم إبراهيم ﷺ الفاعل تعريضاً للمعنى المقصود الذي أراده فراراً من الوقوع في الكذب، فهو منقطع عما بعده لفظاً ومعنى، فهو تام»، وهذا صحيح بالنظر لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أما بالنظر لحكاية القول؛ فالكلام لا يتم إلا على تمام الحكاية، وهي قوله: ﴿يَنْطَفُونَ﴾، فالتعلُّق اللفظي ظاهرٌ، فكيف يكون الوقف تاماً؟ بل التحقيق أنَّه - إن صحَّ له هذا التأويل - فالوقف على ﴿فَعَلَهُ﴾ وقف بيان. كما يُقَوِّي ذلك أنَّ التعريض لا يستقيم إلا بإيهام أنَّ ﴿كَبُرُهُمْ﴾ فاعل وليس مُبتدأً، فلا بدَّ أن يكون كلام المُعرِّض بمثل هذه الجملة موصولاً، على فرض أنَّ القرآن ينقل لفظ إبراهيم ﷺ لا حكاية معناه. فالقارئ الواقف على ﴿فَعَلَهُ﴾ لا يكون واقفاً على التمام بحالٍ من الأحوال.

الثاني: أنَّه - على التسليم بأنَّ إبراهيم ﷺ قال ما قال تعريضاً - فإنَّ الوجه الذي ذكره الأشموني في التعريض قولٌ ضعيفٌ، وهناك أوجهٌ أخرى أظهرٌ من هذا، يستقيم عليها التعريض ذكرها المفسِّرون؛ منها: أنَّه أضمر أنَّ الفاعل هو الله على الحقيقة، وأسند الفعل إلى الصَّنم على جهة المجاز لما كان تعظيمهم وعبادتهم لِلصَّنم الأكبر وما دونه من الأصنام حاملاً لإبراهيم على تحطيمها وكسرها، وأسند الفعل إلى الكبير؛ إذ كان تعظيمهم له أكثر من تعظيمهم ما دونه^(١).

ومنها: أنَّه أسند الفعل إلى كبير الأصنام، ولكن مُقيِّداً بالشرط، فكأنَّه قال: (إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا، فسئلوهم)؛ فجعل التَّنْطِقَ شرطاً للفعل، أي: إن قدروا على النطق قدروا على الفعل، فأراهم عجزهم عن النطق، وفي ضمنه: (أنا فعلتُ)، فلم يكذب^(٢).

ومنها ما ذهب إليه الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وغيره: «هذا من معاريض الكلام، ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضة من علماء المعاني. والقول فيه

(١) ينظر: معالم التنزيل (٣٢٥/٥)، المحرر الوجيز (٨٧/٤)، البحر المحيط (٣٠٢/٦-٣٠٣).

(٢) ينظر: معالم التنزيل (٣٢٥/٥)، المحرر الوجيز (٨٧/٤)، البحر المحيط (٣٠٣/٦).

أَنَّ قصد إبراهيم - صلوات الله عليه - لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه، وإثباته لها على أسلوب تعريضيّ يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيّتهم، وهذا كما لو قال لك صاحبك - وقد كتبت كتاباً بخطّ رشيق وأنت شهير بحسن الخط: (أأنت كتبت هذا؟)، وصاحبك أُمّي لا يحسن الخط ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة، فقلت له: بل كتبتك أنت، كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به، لا نفيه عنك، وإثباته للأُمّي أو المخرمش، لأنّ إثباته - والأمر دائر بينكما - للعاجز منكما استهزاءً به وإثباتاً للقادر^(١).

وعلى هذه الوجوه يستقيم التعريض - عند مَنْ يقول به - ويكون ﴿كَبُرْهُمْ﴾ فاعلاً، ويساعد على ذلك نظم الكلام أكثر من مساعدته على الوجه الذي اختاره الأشمونيّ. قال العكبري (ت ٦١٦هـ): «قوله تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُ﴾ الفاعل كبيرهم، و﴿هَذَا﴾ وصف أو بدل. وقيل الوقف على ﴿فَعَلَهُ﴾ والفاعل محذوف؛ أي: فَعَلَهُ مَنْ فَعَلَهُ. وهذا بعيد؛ لأنّ حذف الفاعل لا يسوغ»^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر^(٣) (ت ٨٥٢هـ) بعد أن حكى هذا الوجه عن الكسائي: «ولا يخفى تكلفه»^(٤).

الثالث: أنّ القول بالتعريض يُعارض ظاهر حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَام - إلا ثلاث كذبات ثنتين منهنّ في ذات الله: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إنّ ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها فقال: مَنْ هذه؟ قال: أختي. فأتى سارة قال: يا

(١) الكشف (١٥٢/٤-١٥٣)، وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢٦٣/٣).

(٢) التبيان في إعراب القرآن (٥٨١/٢)

(٣) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، الإمام الحافظ الشهير، أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده بمصر، له تصانيف لا تُحصى؛ أشهرها: «فتح الباري شرح صحيح البخاري». انظر: البدر الطالع (٨٧/١)-٩٢.

(٤) فتح الباري (٤٣٦/٦).

سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإنَّ هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تُكذِّبيني.....» الحديث^(١).

قال الطبري (ت ٣١٠هـ): «وقد زعم بعض من لا يصدّق بالآثار، ولا يقبل من الأخبار إلا ما استفاد به النقل من العوام، أنَّ معنى قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ إنما هو: بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم، أي إن كانت الآلهة المكسورة تنطق، فإنَّ كبيرهم هو الذي كسرهم، وهذا قول خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنَّ إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات كلها في الله، قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله لسارة: هي أختي، وغير مستحيل أن يكون الله - تعالى ذكَّره - أذنَّ لخليله في ذلك، ليقرَّع قومه به، ويحتجَّ به عليهم، ويعرّفهم موضع خطئهم، وسوء نظرهم لأنفسهم، كما قال مؤدّن يوسف لإخوته: ﴿أَتَيْتُهَا لَعَبْرًا نَتَكُمَّ لَسَدِفُوتٌ﴾ [يوسف: ٧٠]، ولم يكونوا سرقوا شيئاً»^(٢).

والخلاصة أنَّ الوقف على (فَعَلَهُ) بغرض الإشارة إلى أنَّ إبراهيم عليه يقصد: (فعله من فعله) ثم بيتدي جملة جديدة من مبتدأ وخبر: كبيرهم هذا، هذا الوقف ضعيف، بل هو أضعف الأقوال في الآية، وهو أشبه بالتعسف منه إلى وقف البيان.

المثال الثاني: الوقف على ﴿قَلِيلًا﴾ من قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾

[الذاريات: ١٧].

وقد اختلف فيها المُفسِّرون والنحويُّون وأصحاب الوقف والابتداء على أقوال؛ ننقلها مُلخَّصة من كلامهم، فقال بعضهم: إنَّ ﴿مَا﴾ زائدة، والمعنى: كانوا يهجعون من الليل قليلاً ويقومون أكثره يُصلُّون. و﴿قَلِيلًا﴾ نعت لظرف أو مصدر: أي زماناً قليلاً أو هجوعاً قليلاً. وقال بعضهم هي مصدرية: أي كانوا قليلاً هجوعهم كما تقول: كانوا يقلُّ هجوعهم، ويجوز على هذا أن يكون ﴿يَهْجَعُونَ﴾ بدل اشتمال من اسم كان. وقال بعضهم: ﴿مَا﴾ نافية وذلك مردودٌ عليه لأنَّ النفي لا يتقدم عليه ما في حيِّزه و﴿قَلِيلًا﴾ في حيِّزه.

(١) رواه البخاري: (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء، (٨) باب قول الله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلاً، (ح ٣٣٥٨).

(٢) تفسير الطبري (٣٠١-٣٠٠/١٦).

وقيل: تمَّ الكلام على قوله ﴿قَلِيلًا﴾ ثم استأنف فقال: ﴿مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، وفيه بُعد لأنك إن جعلت ﴿مَا﴾ نافية فسد لما تقدّم، وإن جعلتها مصدرية أو زائدة لم يكن فيه مدح لأنّ كل الناس يهجعون في الليل^(١).

وهناك وجه ثانٍ لفساد وجه الاستئناف مع جعل (ما) نافية، إذ يصير المعنى: لا يهجعون من الليل، فكأنّه نفى هجوعهم بالليل على جملة، وهذا مردود بالكتاب والسنة، فأما الكتاب فقوله تعالى في الأمر: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ * فَرِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * يَصِفُهُ وَأَوْفَضَ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْزَدَ عَلَيْهِ﴾ [المزمل: ١-٤].

وفي الخبر: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَصِفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصِيَهُ فَتَابَ عَلَيْكَ﴾ [المزمل: ٢٠]. ومن أحسن من النبي ﷺ وأصحابه عبادة؟ وأما السنة؛ فقول النبي ﷺ للنفر الثلاثة الذين سألوا عن عبادة النبي ﷺ فلمّا أخبروا بها كأنّهم تقالُّوها، فقالوا ما قالوا، فقال لهم ﷺ: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(٢).

فليس في فعل من اتَّخذ من قيام الليل بتمامه ديدناً وعادة ما يُمتدح؛ لأنّ سيد المحسنين ﷺ ردّ على فاعله قوله، فكيف يُوصف فاعله بعد بأنّه مُحسنٌ؟ ووجه ثالث: أنّ قوله: ﴿كَأَنُوقَلِيلًا﴾ على ما ذهبوا إليه يكون مدحاً للقلة، والقلة ليست ممّا يُمتدح لذاته، وإلا لكان على صاحب الحقّ ألا يُبشّر به؛ حتى لا يكون فيه معه أحدٌ؛ فيحصل له المدح بتفرّده، وهذا ما لا يقول به عاقل، فظهر فسادُه.

وجه رابع يصلح للاستئناس؛ وهو أنّ وضع الفواصل في هذا المقطع من السورة على اختصاص كلّ آية أو اثنتين بخصلة من خصال المحسنين، وقد فصل بينهما بالواو، وفيه تفخيمٌ لتلك الخصال، وحسنٌ تقسيمٍ بسردها على هذا النحو، فيبعد في البلاغة القرآنية أن

(١) البيان في إعراب القرآن (٧٢٤/٢).

(٢) متفق عليه. البخاري: (٦٧) كتاب النكاح (١) باب الترغيب في النكاح، مسلم: كتاب النكاح.

تأتي خصلتان على هذا النحو من شبه الوصل، بدون واو فاصلة، وفي آية واحدة، والله أعلم. على أنه لو صحَّ المعنى الذي ذهبوا إليه لكان الوقف على ﴿قِيلَا﴾ وقف بيان، لأنَّ محلَّ جملة ﴿مِنْ أَيْلٍ مَا يَهْجُونَ﴾ داخل في حيز البدل من جملة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا أَقْبَلُ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٦]؛ فأتصل الكلام لفظاً على ما فيه من الانفصال والاستئناف الذي ذهبوا إليه. ولكن لما كان هذا القول ضعيفاً للأسباب التي ذكرت؛ فإنَّ هذا الوقف أقرب للتعسف منه للبيان.

المطلب الرابع: علاقة وقف البيان بالموصل لفظاً المفصول معني

الموصل لفظاً المفصول معني يقصد به: مجيء الآية أو الآيات في السورة الواحدة على نظمٍ واحد في اللفظ يوهم اتصال المعنى^(١).

وليس المقصود باتصال اللفظ هنا الاتصال الإعرابي؛ إنما المقصود تجاور الألفاظ، فتجيء الكلمة إلى جنب أخرى كأنها في الظاهر معها، وهي في الحقيقة غير متعلقة بها^(٢). أما وقف البيان فيشترط له التعلُّق اللفظي الإعرابي لا مجرد التجاور المكاني؛ لذلك يمكن أن يقال: كل وقف بيان هو من الموصل لفظاً المفصول معني، ولا ينعكس.

ويجب التأكيد على أنَّ الاتصال والانفصال غير التعلُّق وعدمه، ولمزيد توضيح لهذه العلاقة نضرب المثالين الآتيين:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آلًا تَتَّخِذُهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧]؛ يقول تعالى ذكره: لو أردنا أن نتخذ زوجة وولداً لا نتخذنا ذلك من عندنا، ولكننا لا نفعل ذلك، ولا يصلح لنا فعله؛ لأنَّه لا ينبغي أن يكون لله ولدٌ ولا صاحبة^(٣).

وقد اختلفت أقوال المُفسِّرين في ﴿إِنْ﴾ على قولين؛ الأوَّل: أنَّها نافية، والمعنى (ما كنا فاعلين)، وهو قول الحسن وقتادة ومقاتل والسدي وإبراهيم النخعي ومجاهد

(١) ينظر: الموصل لفظاً المفصول معني، رسالة ماجستير للباحثة خلود شاكر العبدلي (ص ٢٩).

(٢) ينظر: الموصل لفظاً المفصول معني (ص ٣٠).

(٣) يُنظر: تفسير الطبري (٢٣٨/١٦).

ومغيرة بن مقسم وابن جريج^(١). والقول الثاني: أنها شرطية، ورجحه ابن جرّي وأبو حيّان من المفسّرين، وعامة النحويين^(٢).

والقولان مُحتملان، وعلى القول بأنَّ ﴿إِنْ﴾ نافية؛ يكون قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ موصولاً لفظاً مفصّلاً معنًى عمّا قبله، وتصير الجملة مستأنفة، ويكون الوقف على ﴿لَدُنَّا﴾ كافياً.

قال النحاس: «...ثم القطع على رؤوس الآيات كافٍ إلى ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آلًا تَحْذَرُهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ [الأنبياء: ١٧]، فإنه كافٍ عند يعقوب، قال أبو جعفر: إن جعلت ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ بمعنى: ما كنا فاعلين، فالقول كما قال يعقوب، وهذا القول يروى عن الحسن وقتادة وإبراهيم إن بمعنى (ما). ومن جعل (إن) للشرط والمجازاة قال: المعنى إن كنا فاعلين، ولا يفعل ذلك فوقفه الكافي ﴿فَاعِلِينَ﴾»^(٣).

وعلى القول الثاني: يكون الكلام كله على نسقٍ واحدٍ بلا انفصالٍ، ولا يُوقَفُ على ﴿لَدُنَّا﴾.

والذي يهمنّا أنّ هذه الآية على القول الأوّل تكون من قبيل الموصول لفظاً المفصول معنًى، وليس الوقف على موضع الانفصال (وقف بيان)؛ بل هو وقف كافٍ. أو يمكن أن يقال: وقف بيان كافٍ على ما سبق تقريره في علاقة وقف البيان بالوقف اللازم.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَدْعُوا عَلَىٰ أَكْبَرِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِيتَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥].

يقول الله عزّ وجلّ: إنّ الذين رجعوا القهقري على أعقابهم كفاراً بالله من بعد ما تبين لهم الحقّ وقصد السبيل، فعرفوا واضح الحجة، ثم آثروا الضلال على الهدى عناداً

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٣٩/١٦-٢٤٠) تفسير البغوي (٣١٣/٥).

(٢) يُنظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٣٣/٢)، البحر المحيط (٢٨٠/٦)، ومعاني القرآن للفراء (٢٠٠/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٨٧/٣).

(٣) القطع والانتفاء (ص ٣٣١).

لأمر الله تعالى ذكره من بعد العلم الشيطان زَيْنَ لهم ارتدادهم على أدبارهم من بعد ما تبَيَّنَ لهم الهدى^(١). والإملاء هو الإمداد والإمهال^(٢).

وقد اختلف المفسرون في فاعل ﴿وَأَمَلِي لَهُمْ﴾ على قولين: الأول: أَنَّ الله عز وجل هو الذي أملى لهم، ويكون معنى الكلام: الشيطان سَوَّلَ لهم، وأملى الله لهم؛ أي: مدَّ لهم في آجالهم مُلاوَةً من الدهر، وأمهلهم إمهالَ استدراج^(٣).

وأما القول الثاني: أَنَّ الشيطان هو الذي سَوَّلَ لهم وأملى لهم. وإملاء الشيطان لهم بأن مدَّ لهم في الآمال، ومَنَّاهم فُصولَ الأعمار؛ لأنَّ طول الأمل من أعظم أسباب ارتكاب الكفر والمعاصي^(٤).

وفي هذا الحرف ثلاث قراءات عَشْرِيَّة: فقرأ البصريَّان بضمِّ الهمزة وكسر اللام، وفتح الياء أبو عمرو فتصير فعلاً ماضياً مبنياً للمفعول، وأسكنها يعقوب فتصير مُضارعاً فاعله ضمير المتكلم الله عَزَّجَلَّ. وقرأ الباقون بفتح الهمزة واللام وقلب الياء أَلْفًا^(٥).

وعلى قراءة يعقوب فإنَّ الفاعل متعَيَّنٌ قولاً واحداً، وهو الله عَزَّجَلَّ، وهو الأقرب كذلك على قراءة أبي عمرو؛ لأنَّه لا وَجْه للعدول من البناء للفاعل إلى البناء للمفعول إن كان الشيطان هو الذي أملى. وعلى قراءة الباقيين فالوجهان مُحتملان، وإن كان الأول أرجح لأنَّ القراءات تُفسَّر بعضها بعضاً؛ ولأنَّ هذا الوجه تشهد له آيات من كتاب الله؛ كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأَمَلِي لَهُمْ أَنْ يَكِيدَ مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَمْنا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة^(٦).

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢١٧/٢١).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٤٧٤).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢١٩/٢١).

(٤) ينظر: الكشاف (٥٢٦/٦-٥٢٧)، والمحرق الوجيز (١١٩/٥)، والبحر المحيط (٨٣/٨)، وأضواء البيان (٦٢٠/٧).

(٥) يُنظر: النشر (٢٨٠/٢).

(٦) ينظر: أضواء البيان (٦٢١/٧-٦٢٢).

والذي يهمننا بعد هذا العرض أنّه على القول بأن الذي أملى - على قراءة الجمهور - هو الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنّ الآية تكون من قبيل الموصول لفظًا المفصول معنًى. فقوله: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ مفصول عن قوله: ﴿وَأَمَّا لَهُمْ﴾؛ لاختلاف الفاعل في الفعلين^(١)، ويكون الوقف على: ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ وقف بيان؛ لأنّ جملة ﴿وَأَمَّا لَهُمْ﴾ متعلّقة تعلّقًا لفظيًا ومعنويًا بجملة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فالتعلق اللفظي واضح؛ لأنّ الجملة الثانية معطوفة على الجملة الأولى وكتاتهما داخلّة في حيّز خبر ﴿إِنَّ﴾، ويجوز أن تكون الجملة الثانية حالًا، والمعنى: الشيطان سَوَّلَ لهم وقد أملى الله لهم، أي في حال إملاء الله لهم، فوافق تسويل الشيطان إملاء الجبّار عَزَّوَجَلَّ. والله أعلم. ولما كان هذا المعنى لا يفهم - غالبًا - بدون هذا الوقف صار الوقف ها هنا وقف بيان.

المطلب الخامس: علاقة وقف البيان بالوقف على رؤوس الآي المتعلّقة لفظيًا بما بعدها الفواصل؛ ويقال لها رؤوس الآي؛ جمع فاصلة، وهي الكلمة التي تكون في آخر الآية القرآنية، وغالبًا ما تتماثل في أواخر الحروف أو تتقارب حروفها صوتيًا، فهي كقرينة السجع في النثر، وقافية البيت في الشعر، وتعرف إمّا بالتوقيف عن النبي ﷺ وإمّا بالقياس عن طريق إلحاق غير المنصوص عليه بالمنصوص عليه؛ وخصوصًا فيما اختلف فيه^(٢).

والتوقيف عن النبي ﷺ ورد به الأثر، يقول أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ): «وإن وُقِفَ على رأس كل آية من هذه السورة [يعني الفاتحة] على مراد التقطيع والترتيل فحسن»^(٣)، وقد وردت السنة بذلك عن رسول الله ﷺ عن أمّ سلمة أن النبي ﷺ كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية؛ يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف ثم يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقف ثم يقول: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف ثم يقول: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٤).

(١) يُنظر: الموصول لفظًا الموصول معنًى (ص ٣٦٤-٣٦٧).

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١/٥٠-٨٠)، ومناهل العرفان (١/٣١٦-٣٢٣)، ومعجم علوم القرآن (ص ٢٠٧-٢١٢).

(٣) الظاهر أن الداني يقصد الحُسْنَ بمعناه اللغوي لا أنّه وقّف حسنً بالمعنى الاصطلاحيّ المشهور.

(٤) المكتفى (ص ٣١) والحديث أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود وأبو يعلى والدارقطني والبيهقي والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وله شاهد بإسناد صحيح على شرطهما عن أبي هريرة.

وغالبًا ما يكون الوقف على رأس الآية أو الفاصلة تامًّا أو كافيًّا؛ فمن التام الوقف على ﴿بِالْأَسْحَارِ﴾ من قوله تعالى: ﴿الْصَّادِقِينَ وَالْقُنُوتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]. ومن الكافي الوقف على ﴿يَقْتَرُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤].

وقد يكون هناك تعلق لفظي بين الآيتين؛ فلا يتم الوقف على فاصلة الأولى منهما؛ كما في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ * فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ [البقرة: ٢١٩-٢٢٠]. وهذا النوع من الآيات هو محل الإشكال في مبحث الوقف على رؤوس الآي، إذ إنَّ كلاً من الوقف التام والكافي يتأكد الوقف عليهما إن جاء أحدهما رأس آية؛ لاجتماع موافقة السنة مع تمام المعنى أو كفايته. أمَّا في الفواصل التي ترتبط بما بعدها ارتباطًا لفظيًا فقد اختلف فيها، فبعضهم اختار الوقف عليها اتباعًا للسنة والأثر، وبعضهم طلب التمام فوصل، وتعقب الحديث بأنه ليس فيه ما يدلُّ على أنَّ رسول الله ﷺ كان يقف على رؤوس الآي التي يشتدُّ تعلقها بما بعدها.

وأجمل السخاوي (ت ٦٤٣هـ) المسألة بقوله: «وأجاز جماعة من القراء الوقف على رؤوس الآي عملاً بالحديث، فيقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقولون: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، وهذا مذهب يؤيِّده الحديث والمعنى. فأما الحديث فقد ذكر^(١)، وأمَّا المعنى فإنَّ هذه الفواصل إنَّما أنزل القرآن بها ليوقف عليها، وتقابل أختها، وإلا فما المراد بها؟ ألا ترى أنَّ ﴿بِمُصْطَبِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] تقابل ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]، وكذلك: ﴿الْأَكْبَرُ﴾ [الغاشية: ٢٤] تماثل ﴿مَنْ قَوْلَى وَكَفَرَ﴾ [الغاشية: ٢٣]؟

إلا أنَّ من الفواصل ما لا يحسن الوقف عليه كقوله عز وجل: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]؛ لأنَّ المراد: فويل للساھين عن صلاتهم المُرَّاتين فيها، فلا يتمُّ هذا المعنى إلا بالوصل، وليس الوقف على قوله: ﴿وَالضُّحَى﴾ [الضحى: ١] كالوقف على ما جاء في الحديث، فاعلم هذا^(٢).

(١) يشير إلى حديث أم سلمة المتقدم.

(٢) جمال القراء (٥٥٣/٢).

وقد ألمح السخاوي إلى معنى دقيقٍ بقوله: «وأما الفواصل إنما أنزل القرآن بها ليوقف عليها وتقابل أختها، وإلا فما المراد منها؟». ولما كانت معرفة الآيات توقيفيةً، فلنا أن نقول: إن كانت الآيات معلومةً معدودةً مُحَدَّدةً الفواصل بتوقيفٍ؛ أفلا يكون ذلك مقصوداً مُراداً ليقف عليه القارئ؟

فأما كَوْنُ معرفة الآيات والفواصل توقيفيةً فهذا هو الصحيح الذي عليه جمهور العلماء؛ يقول السيوطي (ت ٩١١): «قال بعضهم: الصحيح أن الآية إنما تُعلم بتوقيفٍ من الشارع كمعرفة السورة، قال: فالآية طائفة من حروف القرآن عُلم بالتوقيف انقطاعها؛ يعني عن الكلام الذي بعدها في أول القرآن، وعن الكلام الذي قبلها في آخر القرآن، وعما قبلها وما بعدها في غيرهما، غير مشتمل على مثل ذلك^(١). قال: وبهذا القيد خرجت السورة. وقال الزمخشري: الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه، ولذلك عدوا ﴿المر﴾ آية حيث وقعت، و﴿المص﴾ [الأعراف: ١]، ولم يعدوا ﴿المر﴾ [الرعد: ١] و﴿الر﴾، وعدوا ﴿حم﴾ آية في سورها، و﴿طه﴾ [طه: ١]، و﴿يس﴾ [يس: ١]، ولم يعدوا ﴿طس﴾ [النمل: ١].

قلت [السيوطي]: ومما يدل على أنه توقيفي ما أخرجه أحمد... عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: أقرأني رسول الله سورة من الثلاثين من آل حم قال يعني الأحقاف قال وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين... الحديث.

وقال ابن العربي (ت ٥٤٣هـ): ذكر النبي ﷺ أن الفاتحة سبع آيات، وسورة الملك ثلاثون آية، وصحَّ أنه قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران. قال: وتعدد الآي من معضلات القرآن، ومن آياته طويل وقصير، ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام، ومنه ما يكون في أثناؤه.

وقال غيره: سبب اختلاف السلف في عدد الآي أن النبي كان يقف على رؤوس الآي

(١) يعني لا تحتوي عما هو مثلها في انقطاعه عما قبله وعما بعده من القرآن، بعبارة أخرى: لا يمكن تجزئتها إلى أقل منها مما يمكن أن يقال له: آية. وقد خرجت السورة بهذا القيد، لأنها - وإن كانت منقطعة عما قبلها وعما بعدها من القرآن - اشتملت على ما يمكن قطعه عما قبله وعما بعده وهي الآية.

للتوقيف فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة^(١). والقول بأنّه ﷺ كان يقف على رءوس الآي للتوقيف فإذا عَلِمَ محلُّها وَصَلَ للتمام؛ هذا القول فيه نظر؛ لأنَّ كثيراً من الآيات المتعلّقة بما بعدها تعلّقاً لفظياً لم يرد خلافٌ في عدّها فهي فواصلٌ باتّفاقٍ، ومن أشهرها قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]؛ فإنها معدودة اتّفاقاً، في الوقت الذي اختلَف فيه في عدِّ ﴿يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: ٦]، في السورة نفسها، فلو كان السبب كما قالوا فإنَّ مَنْ لم يعدِّ ﴿يُرَاءُونَ﴾ ما كان ليعدِّ ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾. فلما كان ذلك كذلك؛ يبقى السؤال قائماً: إن كانت الآيات معلومةً معدودةً محدّدة الفواصل بتوقيفٍ؛ أفلا يكون ذلك مقصوداً مُراداً ليقف عليه القارئ؟ وهل يمكن أن يكون هناك أغراضٌ دلاليّةٌ لوقوف القارئ على الفواصل التي لم يتم عليها المعنى؟ يقول الدكتور النيرباني: «يؤتى بالوقف عند تمام المعنى، وقد يؤتى به قبل ذلك لأغراض دلالية، وهي كثيرة غير منحصرة نذكر بعضها....

[فمنها] توجيه النظر: كأن يوقف قبل كلمة مُتَّصِلَةٍ احتفاءً بها؛ تُفرد بالذكر للدلالة على ما لها من فضل ومزية في أداء المعنى؛ نحو ما رواه أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ قلنا: بلى يا رسول الله؟ قال: الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدِينَ... وكان متكئاً فجلس، فقال: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ... فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت».

فالوقف دون المعطوف الثاني: (وقول الزور) يُفرده بالذكر، فيلقى من انصراف الذهن إليه ما لا يلقاه إذا نسق على غيره.....

ومنه أيضاً الوقف دون ﴿وَرُحْرُقًا﴾ [الزخرف: ٣٥] في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ * وَرُحْرُقًا﴾ [الزخرف: ٣٣ - ٣٥] جاءت الفاصلة قبل ﴿وَرُحْرُقًا﴾ لتستأثر هذه الكلمة بلب السامع، ويتوقف عندها ملياً؛ فيدرك أنَّ كلَّ ما يتمتع به الكافرون في الحياة

(١) الإِتقان (ص ١٩٩، ٩٢). وانظر مناهل العرفان (٣٢٠/١ - ٣٢٢).

الدنيا ليس شيئاً في مقابل ما أعد الله للمتقين في الآخرة، وهو ما صرحت به الآية الكريمة بعد: ﴿وَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥]. وكأن هذه السورة لما كانت كلمة (الزخرف) فيها مفتاحاً لفهم كثير من مقاصدها عُرِفَتْ بها.

ومن هذا القبيل أيضاً أن يُجزأ الكلام بالوقف لينبه به أن كل جزء منه حقيق بالتوقف عنده والتأمل فيه، نحو الوقف على ﴿يُسْحَبُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذْ الْأَعْلَالُ فِي أَغْنَقِيهِمْ وَالسَّكْسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١ - ٧٢]. فإن هذا الوقف يلفت النظر إلى أن عذاب هؤلاء الذي يخبر به القرآن ها هنا إنما هو عذابان: السحب بالسلاسل، وأنه في الحميم وهو ما قد يُغفل عنه في حال الوصل؛ فضلاً عما في الوقف على ﴿يُسْحَبُونَ﴾ من الابتداء بـ ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾، وفي هذا الابتداء من التخويف بافتتاح الكلام بذكر الجحيم ما فيه ^(١).

ومن هذه الأغراض الدلالية للوقف التشويق: نحو قوله تعالى: ﴿عَلَيْتِ الرُّومُ * فِي أَذْنِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ ۖ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٢ - ٥].

فإن السامع لقوله تعالى: ﴿عَلَيْتِ الرُّومُ﴾ يتساءل: أين وقع هذا؟ فيأتيه الجواب: ﴿فِي أَذْنِ الْأَرْضِ﴾، وإذا سمع: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾؛ تساءل: ومتى ذاك؟ فيأتيه الجواب: ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ ۖ﴾، وإذا سمع: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ تساءل: بم؟ فيأتيه الجواب: ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ﴾.

فكان القارئ بوقفه على نحو هذا يدخل السامع في حوار مع ما يقرأ، فيزداد لأجل ذلك إقباله على ما يسمع. وأما إن كانت تلقى عليه الأحداث قبل أن يجد في نفسه تلهفاً إليها فإنه لن يكثر كثيرًا لها ^(٢).

ويمكن أن يُحمل على التشويق؛ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ

(١) يُنظر: التحرير والتنوير (٧٦/١).

(٢) ينظر الوقف في العربية (ص ١٨٥، ١٨٦).

الْفَيْمَةُ لَا ذَلِكَ هُوَ الْحَسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبُدُونَ فَاتَّقُونَ * وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أَفْئِدَةُ الْأَلْبَابِ ﴿الزمر: ١٥-١٨﴾.

فلما داخل النفوس الروغ بما ذكر في مُستهولِ صفة عذاب الخاسرين؛ ازداد الروغ بتخويف الله عباده، فلطف وقّع البشرى على نفوسهم، وأمنهم من خوفهم، غير أن هذه البشرى مُتحققة للعباد، الذين يُذكرون في السياق للمرة الثالثة، وعندها لا يملك السامع نفسه أن يسأل: ومن هؤلاء العباد الذين استحقوا شرف الإضافة إلى الله عزَّ وجلَّ، وشرف البشارة؟ جاءت الإجابة: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾. وفي الكلام على هذا الفصل من التشويق ما قد لا يجده الواصل.

يقول ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): «إنَّ بلاغة الكلام لا تنحصر في أحوال تراكيبه اللفظية، بل تتجاوز إلى الكيفيات التي تؤدي بها تلك التراكيب. فإن سكوت المتكلم البليغ في جملة سكوتاً خفيفاً قد يفيد من التشويق إلى ما يأتي بعده ما يفيد إبهام بعض كلامه ثم تعقيبه ببيانه، فإذا كان من مواقع البلاغة نحو الإتيان بلفظ الاستئناف البياني، فإن السكوت عند كلمة وتعقيبها بما بعدها يجعل ما بعدها بمنزلة الاستئناف البياني، وإن لم يكن عنه، مثاله قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْأَوَّلِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: ١٥-١٦] فإن الوقف على قوله ﴿مُوسَى﴾ يُحدث في نفس السامع ترقباً لما يبين حديث موسى، فإذا جاء بعده ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾... إلخ؛ حصل البيان مع ما يحصل عند الوقف على كلمة ﴿مُوسَى﴾ من قرينة من قرائن الكلام؛ لأنَّه على سبعة الألف، مثل قوله ﴿طُوًى﴾، ﴿طَوًى﴾، ﴿تَرَكَّى﴾^(١).

وعلى إرادة التنبيه يُمكن أن يُحمل قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]، فإن الوقف عليها يثير في المتأمل تساؤلات الدهشة: كيف يوعد المُصلي بالويل؟ فإن استحالت حواسه كلها آذاناً صاغية؛ جاءت الإجابة: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾ [الماعون: ٥].

فَعِنْدَهَا يَعْرِفُ أَنَّ مُجَرَّدَ اتِّصَافِهِ بِالْمُصَلِّي - الَّذِي قَدْ يَخْلَعُهُ عَلَيْهِ أَدَاؤُهُ لِلصَّلَاةِ كَيْفَمَا اتَّفَقَ لَهُ ذَلِكَ - يَعْرِفُ أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ لَنْ يَشْفَعَ لَهُ، بَلِ الْمَقْصُودُ أَنْ يَرَعَاهَا وَيَتَعَاهَدَهَا عَلَى مَوَاقِيْتِهَا وَمَأْثُورِ صِفَتِهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَالْأَغْرَاضُ الدَّلَالِيَّةُ لِلْفَوَاصِلِ غَيْرُ التَّامَّةِ كَثِيرَةٌ: كَتَوْجِيهِ النَّظَرِ، وَالتَّشْوِيقِ، وَحُسْنِ تَقْسِيمِ الْكَلَامِ، وَالتَّفْصِيلِ بَعْدَ الْإِجْمَالِ... وَغَيْرَ ذَلِكَ؛ مِمَّا هُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يُفْرَدَ بِبَحْثٍ مُسْتَقِلٍّ.

وَعَلَى هَذَا؛ فَإِنَّ الْوَقْفَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ فَوَاصِلُهَا لَفْظِيًّا بِمَا بَعْدَهَا يُعَدُّ مِنْ وَقْفِ الْبَيَانِ، وَقَدْ تَحَقَّقَ فِيهِ الضَّابِطَانِ الرَّئِيسَانِ: الْأَوَّلُ: وَهُوَ التَّعَلُّقُ اللَّفْظِيُّ، وَالثَّانِي: وَهُوَ وَجُودُ مَعْنَى مُعْتَبَرٍ لِلْوَقْفِ؛ وَأَيُّ مَعْنَى هُوَ أَوْلَى بِالْإِعْتِبَارِ مِنَ التَّوْقِيفِ الْإِلَهِيِّ عَلَى هَذِهِ الْفَوَاصِلِ؟

الفواصل المبنية على السكت:

المبني على السكت من الفواصل سبعة: ستة منها في سورة الحاقة؛ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ بِرَبِّهِمْ فَيَقُولُ هَآؤُمْ أَقْرَأْ وَأَكْتَبْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّتَنِي لَأَوْتَى كِتَابِيَّةٍ * وَلَوْ أَدْرَمَ حِسَابِيَّةٍ * يَلَيِّتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٍ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩]. والموضع السابع في سورة القارعة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ﴾ [القارعة: ١٠].

فَالْهَاءُ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ تَفِيدُ بِنَاءَ الْكَلَامِ عَلَى السَّكْتِ، لِذَلِكَ فَإِنَّ الْقُرَّاءَ مُتَّفِقُونَ عَلَى الْوَقْفِ عَلَيْهِ بِالْهَاءِ، وَأَمَّا فِي الْوَصْلِ فَحَمْزَةٌ وَيَعْقُوبُ يَحْذِفَانَهَا مِنْ ﴿مَالِيَّةٍ﴾، ﴿سُلْطَانِيَّةٍ﴾، ﴿مَا هِيَّةٍ﴾، وَانْفَرَدَ يَعْقُوبُ بِحَذْفِهَا مِنْ ﴿كِتَابِيَّةٍ﴾، ﴿حِسَابِيَّةٍ﴾.

وَعَلَّةَ هَذَا الْحَذْفِ وَاضِحَةٌ ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْهَاءَ لَمَّا كَانَتْ لِلْسَّكْتِ كَانَ مَنْطِقِيًّا أَنْ تُحْذَفَ فِي الْوَصْلِ. وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَحْذِفْهَا فَإِنَّهُ أَجْرَى الْوَصْلِ مَجْرَى الْوَقْفِ^(١).

وَالْوَقْفَ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ كَافٍ كَالْوَقْفِ عَلَى ﴿مَا هِيَّةٍ﴾، وَقَسَمَ آخَرُ مِنْ هَذِهِ

(١) ينظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢٦٩/١).

الكلمات يوقف عليها وقفًا حسنًا. والأولى أن يوقف على هذه الكلمات وقف بيان لأنَّ هناك سببين يعضدانه؛ الأول: وجود كلمة مبنية على السكت بدلالة الهاء، والثاني: وقوع تلك الكلمة رأس آية. وكل منهما سبب كافٍ لاعتبار ذلك، فكيف باجتماعهما؟ وإلى ذلك أشار ابن الفرخان، فالوقف الناقص عنده يحسُن لضربٍ من البيان بأمور؛ ذكر منها: أن يكون على رأس الآي، أو أن يكون الكلام مبنياً على الوقف^(١).

المطلب السادس: علاقة وقف البيان بالوقف الاختباري

الوقف الاختباري: هو توقيف القارئ اختباراً وتعليماً على كلمةٍ لبيان رسمها. ولما كانت موافقة الرسم العثماني أحد ثلاثة شروطٍ لصحة القراءة؛ فإنَّ العلم بالرسم يصير واجباً على من يروم الإتقان والمهارة بتلاوة القرآن، وخصوصاً من المُجيزين والمُجازين. لذلك فإنَّ المشايخ المُعتبرين لا يُجيزون أحداً إلا بعد التأكد من إلمامه برسم المصحف، فيوقفونه اختباراً على بعض المواضع؛ إذ يجبُ معرفة ما رُسمَ مقطوعاً مما له نظائرٌ موصولةٌ، وما رُسمَ بالتاء المفتوحة مما حقُّه أن يُرسم بالهاء المربوطة الدالة على التأنيث، وكذلك معرفة باب ياءات الزوائد ومواضع حذفها وإثباتها... إلى آخر مسائل الباب.

وغالبُ مسائل مرسوم الخطِّ لا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتفسير، والكلام عن وجود إشاراتٍ بيانيةٍ في ظواهر الرسم العثماني؛ لا تعدو كونها اجتهاداتٍ غير منضبطةٍ - في غالبها - بقواعدِ البحث العلميِّ الرصين.

غير أننا إن تكلمنا عن الوقف الاختباري من وجهة نظر المُتعلِّم؛ ففيه بيانٌ وإعلامٌ له بكيفية رسم الكلمة في المصحف. فالوقف الاختباري أحاط القارئ ببعض ما يجب عليه تحصيله، وإن لم يُضف إليه - غالباً - شيئاً يتعلَّق بالتفسير. فكان بياناً من هذا الوجه.

ومن جهة أخرى؛ فعلى ما سبق تقريره في تحرير المصطلح؛ فإنَّ الوقف على مرسوم الخطِّ لا يُعدُّ اصطلاحاً من (وقف البيان)، إذ إنَّه على الرغم من أنَّ الواقف على مرسوم

(١) ينظر: المستوفى في النحو (٢٨٣/٢-٢٨٤).

الخطّ يتعمّد ذلك للإشارة إلى رسم الكلمة في المصحف؛ إلا إنّه لا يجوز له الاستئناف بما بعدها، بل يجب عليه العود إلى موضع صالح للاستئناف. ولمّا كان ذلك كذلك، ولم يكن للوقف على مرسوم الخطّ دلالة تفسيرية؛ فالأفضل أن يستقلّ مصطلح (الوقف على مرسوم الخطّ) بالمواضع التي يُوقَفُ عليها الطالب للاختبار أو للإعلام بكيفية رسمها ونحو ذلك مما يُلحَقُ بالباب.

وقد استخدم الأشموني تعبير (وقف البيان) في تعليقه على قول الله تعالى: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]. قال: «وأبو عمرو يقف على (ما) وقف بيان إذ لا يوقف على لام الجرّ دون مجرورها...»^(١).

والظاهر أنّ استخدام الأشموني لهذا التعبير فيه نوعٌ من الحكاية اللغوية الوصفية لا بقصد التنصيص على المصطلح، ولكن بقصد التوضيح. والله أعلم.

(١) منار الهدى (ص ٢١٨).

المبحث الخامس

ضمانم وقف البيان^(١)

مصطلح (وقف البيان) نفسه مصطلح مركّب من مصطلحي (الوقف) مضافاً إلى مصطلح (البيان)، فالضميّة في هذه الحالة كأنها تركيبٌ للمركّب.

فأمّا من طريق الإضافة فقد استُخدم تعبير وقف بيان الفواصل^(٢)، وهو يعني الوقف على كلمةٍ لبيان أنّها فاصلةٌ أو رأس آيةٍ، وليست له قوّة اصطلاحية، ويمكنُ أن يُجعل هذا التعبير اصطلاحاً على رؤوس الآي التي لها تعلُّقٌ لفظيٌّ بما بعدها، كما سبق بيانه في مبحث العلاقات، عند الحديث عن العلاقة بين وقف البيان والوقف على رؤوس الآي.

وأما وقف بيان الرّسم فتعبيراً عن الوقف الاختباري لبيان كيفية رسم بعض الكلمات، ولا يُعدُّ مشتقّاً دلاليّاً من مصطلح وقف البيان، فليس من ضمانمه على الحقيقة.

وأما من طريق الوصف فقد سبق اقتراح أن يُستخدم مُصطلحاً وقف البيان التام، ووقف البيان الكافي كمرادفين للوقف اللازم الذي إن وُصل طرفاه فقد يُوهّم معنى غير مراد، ويبقى مُصطلح وقف البيان المجرّد عن الوصف دالّاً على ما يكون منه في التّاقص.

ومما سبق يكون لوقف البيان ثلاث ضمانم؛ واحدة من طريق الإضافة: وقف بيان الفواصل، واثنان من طريق الوصف: وقف البيان التام، ووقف البيان الكافي.

(١) تتضمن الضمانم كلّ مركّبٍ مُصطلحيٍّ مُكوّنٍ من لفظ المُصطلح المدروس مضمومًا إلى غيره أو مضمومًا إليه غيره، لتفيد الضميّة المركب في النهاية مفهومًا خاصًا مقيّدًا ضمن المفهوم العام المطلق للمصطلح المدروس. فكأنّ المصطلح بضمانمه ينمو ويتشعّب مفهوميّاً من داخله. ينظر: دراسات مصطلحية (ص ٢٧٠).

(٢) سبق إيرادُه في النصوص عن القسطلانيّ. ينظر: لطائف الإشارات (١/٢٥٢-٢٥٣).

المبحث السادس

مشتقات وقف البيان

تتضمن المشتقات كل لفظ اصطلاحي ينتمي لغويًا ومفهومياً إلى الجذر الذي ينتمي إليه المصطلح المدروس، والمصطلح بمشتقاته من حوله كأنما ينمو ويمتد مفهوميًا من خارجه^(١).

ولأنَّ مصطلح (وقف البيان) مصطلح مُركَّب، مُبتدأه الوقف ومداره ومرجعه على البيان، فإنَّ مُشتقات المصطلح تشمل ما اشتقَّ صرفيًا من لفظٍ منهما مضمومًا إلى اللفظ الآخر. ولما كانت النصوص ذات القوة المُصطلحيَّة المتعلقة بمصطلحنا قليلة، فإنَّ الوقوف على مشتقاته ذات القوة الاصطلاحية مُتَعَسِّرٌ.

ولكن؛ هل يمكن تفكيك عنصري المصطلح وإعادة بنائهما في صورٍ أخرى تصلح كمُشتقات تُثري مصطلحات باب الوقف والابتداء، وتُضيف إليه وتُسهم في حلِّ بعض إشكالاته؟ هذا ما سنحاوله بإذن الله وتوفيقه.

والتفكيك الأولي لمصطلح (وقف البيان) يعطينا ركنين: أمَّا الركن الأول وهو (الوقف) فوثيق الصلة - مفهوميًا - بمصطلحات: الوصل، والابتداء، والسكت. فالوصل عكس الوقف، والابتداء تابع للوقف، والسكت نوعٌ مخصوصٌ منه، فكلُّها مشتقات مفهوميَّة للوقف، وإن لم تكن مشتقات لغويَّة صرفيَّة، إن أُضيفت إلى الركن الثاني: البيان - الذي هو مرجع دلالة المصطلح - تحصل لنا ما يمكن أن نُسَمِّيَه مشتقات لمصطلح (وقف البيان)، هذه المشتقات هي: الابتداء البياني، السكت البياني (سكت البيان)، الوصل البياني (وصل البيان).

وفيما يأتي تفصيل لما نعينه بهذه المصطلحات.

المطلب الأول: الابتداء أو الاستئناف البياني

لما كان الابتداء مُتعلِّقًا بالوقف، فقد يُقال: هل نُسَمَّى الابتداء بالكلمة التي تلي

(١) دراسات مصطلحية (ص ٢٧٠).

الكلمة الموقوف عليها وقفًا بيانيًا: الابتداء البياني؟ والجواب: نعم. لأنَّ هذا الابتداء مُتَمِّمٌ للبيان الذي من أجله وقف القارئُ وقفًا بيانيًا، فلا يكْمُلُ البيان بالوقف وحده؛ بل لابدَّ من الابتداء بما بعده كما سبق توضيحه في التعريف؛ لأنَّ القارئَ إن وقف وقفًا بيانيًا ثم استأنف بالعَوْدِ، فلن يعدوَ - من وجهة نظر السامع - أن يكون وَقَفَ وقفًا حسنًا - بالاصطلاح المشهور - أو وقف مُضْطَرًا ثم عاد لِيُسَوِّغَ المعنى.

ويمكن أن يكون لهذا المصطلح (الابتداء البياني) مجال آخر من الاستخدام، ألا وهو الابتداء الاختباري التعليمي، وهو الابتداء بكلمة اختبارًا وتعليمًا لإظهار كيفية الابتداء بها، وأكثر ما يكون في بيان كيفية الابتداء بهمزة الوصل نحو: ﴿أَمْشُوا﴾، ﴿أَدْخُلُوا﴾، ﴿الْأَسْمُ﴾، وكلمة ﴿الْأُولَى﴾ من قوله تعالى: ﴿عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٠]، وللقراء فيها مذاهبٌ مختلفةٌ... إلى غير ذلك من الكلمات التي قد يخفى على المتعلِّم وجه الابتداء بها. والأولى أن يختصَّ باب الوقف والابتداء الاختباري بمصطلحاته؛ لأنَّ البيان المقصود به بيانٌ تعليميٌّ لا تفسيريٌّ.

المطلب الثاني: سكت البيان أو السكت البياني

السكتُ في اللغة: خلاف الكلام، وأمَّا في الاصطلاح فمن أوفى التعريفات له تعريف ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)؛ يقول: «والسكت: هو عبارة عن قطع الصوت زمانًا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس»^(١). وهو يأتي على أنواع:

الأول: السكت على الساكن قبل الهمز في نحو ﴿الْأَنْصُ﴾ و﴿الْأَسْمَاءُ﴾ و﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾، والسكت على الياء من ﴿شَيْءٍ﴾ و﴿شَيْئًا﴾... وغير ذلك. وهو مرويٌّ عن حمزة وغيره بتفصيلات تراجع في مظانِّها من كتب القراءات.

وعلة هذا النوع من السكت: الاستعانة على إخراج الهمزة لصعوبتها وبُعد مخرجها. وعِلَّةُ اختصاصه بالساكن تأهله للوقف عليه دون غيره^(٢).

(١) النشر (١٩٠/١).

(٢) يُنظر: اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة (٢٨٧/١).

الثاني: السكت بين السورتين لبعض القراء؛ قال أبو عمرو (ت ٤٤٤هـ): «ويختار في مذهب ورش وأبي عمرو وابن عامر السكت بين السورتين من غير قطع، وابن مجاهد يرى وصل السورة بالسورة وتبيين الإعراب، ويرى السكت أيضًا...»^(١).

والعلة في هذا السكت الإيذان بانقضاء السورة وابتداء التي تليها إذ إنَّ هؤلاء المذكورين لا يعدُّون البسمة آيةً فلا يأتون بها بين السورتين على تفصيلات ومذاهب تراجع في مظانها^(٢).

الثالث: هو ما يمكن أن نطلق عليه السكت البياني أو الدلالي، ويمكن أن ينقسم من حيث مأخذه إلى قسمين:

القسم الأول: ما سبيله الرواية، فهو سكتٌ توقيفيٌّ، ومثاله: سكتات حفص الأربع.

القسم الثاني: ما ليس سبيله الرواية؛ بل هو اجتهادٌ قال به بعض علماء الوقف والابتداء.

وفيما يأتي تفصيل القول فيهما:

القسم الأول: ما سبيله الرواية (سكتات حفص الأربع):

انفرد حفص عن عاصم من بعض طرقه كالشاطبية؛ بأربع سكتات، أشار إليها الإمام الشاطبي (٥٩٠هـ) بقوله^(٣):

وسكتة حفص دون قطع لطيفةً على ألف التنوين من عوجاً بلا

وفي نون من راقٍ ومرقدنا ولا م بل ران والباقون لا سكتٌ موصلاً

ووجه السكت: «أنَّه قصد في بعضها بيان المعنى، وفي بعضها بيان اللفظ. فما قصد به بيان المعنى: ﴿عَوْجًا﴾، و﴿مَرَقِدْنَا﴾، وذلك أنَّه إذا وقف على ﴿عَوْجًا﴾ بيَّن ذلك أنَّ ﴿قِيَمًا﴾ ليس مُتَّصلاً بما قبله في الإعراب، وهو الوجه؛ لأنَّ الوجه أن ينتصب بفعل

(١) التيسير (ص ٤٣).

(٢) ينظر: فتح الوصيد في شرح القصيد (١٣٠/١-١٣٧)، واللالئ الفريدة (١٥٠/١-١٦٣).

(٣) حرز الأماني ووجه التهاني (البيتان ٨٣٠، ٨٣١).

مُضْمَرٌ تَقْدِيرُهُ: أَنْزَلَهُ قِيَمًا، فَيَكُونُ حَالًا مِنْ الْهَاءِ فِي أَنْزَلَهُ [الْمَقْدَرُ]، وَلَا يَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ «الْكِتَبِ»؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: «وَلَمْ يَجْعَلْ» مُعْطُوفٌ عَلَى «أَنْزَلَ» فَهُوَ دَاخِلٌ فِي حُكْمِ الصَّلَاةِ، فَجَعَلَهُ حَالًا مِنْ «الْكِتَبِ» فَاصِلٌ بَيْنَ الْحَالِ وَذِي الْحَالِ بَعْضُ الصَّلَاةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ رُجُوعًا» جُمْلَةً حَالِيَةً، وَأَنْ يَكُونَ «قِيَمًا» حَالًا مِنْ الْهَاءِ فِي «لَهُ رُجُوعًا»، وَلَا فَصْلَ عَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ، غَيْرَ أَنَّ فِي الْوَصْلِ اِحْتِمَالَ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ وَاحْتِمَالَ الْوَجْهِ الْأَوَّلِ، فَكَانَ الْوَقْفُ لِمَنْ قَصَدَ بَيَانَ الْمَعْنَى أَوَّلَى. وَإِذَا وَقَفَ عَلَى «مَرْقَدِنَا» بَيَّنَّ أَنَّ كَلَامَ الْكُفَّارِ انْقَضَى قَبْلَهُ، وَأَنَّ قَوْلَهُ: «هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ» لَيْسَ مِنْ كَلَامِهِمْ، قَالَ الْمَفْسُورُونَ: هُوَ مِنْ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ مِنْ كَلَامِ الْمُؤْمِنِينَ. وَأَيْضًا إِذَا وَصَلَهُ بِمَا قَبْلَهُ أَلْبَسَ أَنْ يَكُونَ «هَذَا» صِفَةً لـ «مَرْقَدِنَا» لِأَنَّ أَسْمَاءَ الْإِشَارَةِ يُوصَفُ بِهَا، فَيَتَنَاقَضُ الْكَلَامُ وَيَخْتَلُ..... وَمَا قُصِدَ بِهِ بَيَانُ اللَّفْظِ: «مَنْ رَاقٍ» [الْقِيَامَةُ: ٢٧]، «بَلَّ رَانَ» [الْمُطْفَفِينَ: ١٤]، وَذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ إِذَا وَقَفَ عَلَى «مَنْ»، وَ«بَلَّ» بَيَّنَّ لَفْظَ النُّونِ وَاللَّامِ، وَإِذَا أَدْغَمَ أَذْهَبَ لَفْظُهُمَا؛ لِأَنَّ النُّونَ وَاللَّامَ يَذْهَبُ لَفْظُهُمَا بِالْإِدْغَامِ وَيَصِيرُ الْمَلْفُوظُ كَلِمَةً وَاحِدَةً: (مَرَّاقٍ)، (وَبَرَّانٍ)»^(١)

إِنَّ الْإِصْطِلَاحَ عَلَى سَكَنَاتٍ حَفِصٍ بِمِصْطَلَحِ (سَكَنَاتِ الْبَيَانِ) يُخَصِّصُهَا دَاخِلَ حَيْزِ الْمِصْطَلَحِ الْعَامِّ: (السَّكَنَاتِ) مِنْ وَجْهِ الدَّلَالَةِ، فَالسَّكَنَاتُ عِنْدَ إِطْلَاقِهِ يَدْخُلُ فِيهِ سَكَنَاتُ حَمْزَةٍ وَغَيْرِهِ عَلَى السَّاكِنِ قَبْلَ الْهَمْزَةِ، وَسَكَنَاتُ السَّاكِنَيْنِ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ لَهُ مَعْنَى دَلَالِيٌّ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ تَفْسِيرُ الْآيَةِ، إِذْ تَخْتَصُّ سَكَنَاتُ حَفِصٍ بِذَلِكَ، فَحُسْنُ تَخْصِيصِهَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْبَيَانِ: سَكَنَاتُ الْبَيَانِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

القسم الثاني: ما ليس سبيله الرواية؛ بل هو اجتهادٌ من علماء الأداء والمُصنِّفِينَ فِي الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «قَالَ النَّارُ مَثُوكُمْ خَلْدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ» [الْأَنْعَامُ: ١٢٨]. قَالَ الْأَشْمُونِيُّ: «وَفِي السَّجَاوَنْدِيِّ (ت ٥٦٠ هـ) يَسْكُتُ عَلَى «قَالَ» ثُمَّ يَبْتَدِئُ بِقُوَّةِ الصَّوْتِ: «النَّارُ»؛

(١) اللَّالِيُّ الْفَرِيدَةُ فِي شَرْحِ الْقَصِيدَةِ (١١٢/٣) بِتَصْرُفٍ يَسِيرٍ. وَيُنْظَرُ: الْكَشْفُ عَنْ وَجْهِ الْقُرْآنِ السَّعِي (٥٥/٢).

إشارة إلى أَنَّ ﴿النَّارُ﴾ مبتدأ بعد القول وليست فاعلة بـ ﴿قَالَ﴾ إيماء لأنه واقف واصل، وَأَنَّ ﴿قَالَ﴾ مُنفصلٌ عمَّا بعده لفظاً^(١).

والذي في علل وقوف السجاوندي هو: «يغلظ الصوت على ﴿النَّارُ﴾ إشارة إلى أَنَّ ﴿النَّارُ﴾ مبتدأ بعد القول وليست فاعلة ﴿قَالَ﴾»^(٢).

ثم نجد أَنَّ السجاوندي قد ضَعَّفَ القول بالسكت في نظير هذا الموضع بسورة (يوسف) عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦].

قال السجاوندي: «قال بعضهم: يسكتُ بين ﴿قَالَ﴾ واسم الله؛ لأن المعنى: قال يعقوب: الله على ما نقول وكيل. غير أَنَّ السكته تفصل بين القول والمقول، وذلك لا يجوز. فالأحسن أن يفرق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النعمة اسم الله»^(٣).

وأمَّا الأشموني فقال: «قال السجاوندي: وقف بعضهم بين ﴿قَالَ﴾ وبين ﴿اللَّهُ﴾ في قوله: ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ وقفة لطيفة؛ لأن المعنى: (قال يعقوب: الله على ما نقول وكيل). غير أَنَّ السكته تفصل بين القول والمقول، فالأحسن أن يفرق بينهما بقوة الصوت إشارة إلى أَنَّ ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ بعد القول، وليس فاعلاً بـ ﴿قَالَ﴾ كما تقدم في الأنعام في: ﴿قَالَ النَّارُ﴾، إذ الوقف لا يكون إلا لمعنى مقصود؛ وإلا كان لا معنى له لشدة التعلُّق، وكان النص عليه مع ذلك كالعدم، وكان الأولى وصله. ويمكن أن يقال: إِنَّ له معنى، وهو كون الجملة بعد ﴿قَالَ﴾ ليست من مقول الله، وليس لفظ الجلالة فاعلاً به، بل الفاعل ضمير يعقوب و﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ و﴿وَكِيلٌ﴾ الخبر، والجملة في محل نصب مقول قول يعقوب»^(٤).

ومهما يكن من أمر؛ فإنَّ الواضح أن السجاوندي يُضَعِّفُ مثل هذا السكت البياني، أمَّا الأشموني فيميل إليه. وهذان النصَّان عن السجاوندي عزيزان في إثبات أَنَّ علماء الأداء قد تنبَّهوا إلى مسألة (التنغيم) وأنَّها لم تكن غائبة عن أذهانهم.

(١) منار الهدى (ص ٢٨٤).

(٢) علل الوقوف (٤٨٨/٢).

(٣) علل الوقوف (٦٠٣/٢).

(٤) منار الهدى (ص ٣٩٥).

وقد أجاز بعض العلماء السكت على رءوس الآي، وخصوصاً فيما تعلّق بما بعده تعلّقاً لفظياً ومعنوياً، والأوّل أن يُقيّد السكت بما جاءت به الرواية والسماع، يقول ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «الصحيح أن السكت مقيد بالسماع والنقل، فلا يجوز إلا فيما صحت الرواية به لمعنى مقصود بذاته، وذهب ابن سعدان فيما حكاه عن أبي عمرو وأبو بكر بن مجاهد فيما حكاه عنه أبو الفضل الخزاعي إلى أنه جائز في رءوس الآي مطلقاً حالة الوصل لقصد البيان، وحمل بعضهم الحديث الوارد على ذلك، وإذا صح حمل ذلك جاز، والله أعلم»^(١).

فابن الجزريّ يربطه بصحة الرواية، وهذا هو الأوجه؛ لأنّ باب السكت توقيفيٌّ، على عكس باب الوقف؛ فهو اجتهاديٌّ توقيفيٌّ.

وعليه؛ يمكن الاصطلاح على هذا القسم من السكت؛ بالسكت التعسّفي؛ لأنّه لا اعتبار بما خالف الرواية، وإن كان بقصد دفع الالتباس الدلالي. ويكون تعريفه: تعمّد السكت على ما لم تصحّ به الرواية. والله أعلم.

المطلب الثالث: وصل البيان أو الوصل البياني

رأينا علاقة وقف البيان بالوقف اللازم، وما ترتّب عن توصيف هذه العلاقة ورسم حدودها من مقترحاتٍ بمصطلحاتٍ جديدة. ولمّا كان (الوقف اللازم) هو ضدّ ما يُعرف بالوقف الممتنع؛ فقد كان من المنطقيّ أن تُبحث علاقة الوقف الممتنع بوقف البيان في باب (وصل البيان).

والوقف الممتنع هو الوقف الذي يُوهّم خلاف المعنى أو نقيضه، لذلك كان على القارئ أن يتجنّب، فسمّي ممتنعاً، أي يمتنع القارئ عنه امتناعاً صناعياً لا شرعياً. ومثاله: قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَسَأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَءً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣]. فالوقف على قوله تعالى ﴿لَا يَسْبِتُونَ﴾ يُحوّل المعنى إلى النقيض؛ إذ يصير المعنى بهذا الوقف: أنّ الحيتان تأتيهم في يوم

السبت وفي يوم لا يسبتون، أي تأتيتهم كل يوم، وهذا نقيض المعنى المراد، فصار من البيان أن يصل القارئ هذا الموضع.

ولمّا كان الاعتراض على مُصطلح (الوقف اللازم)، وما فيه من إيجاء بإرادة اللزوم الشرعي، مُنسحباً على مصطلح (الوقف الممتنع) وما قد يُشعرُ به من الامتناع الشرعي، ولمّا كان المقصود من هذا المصطلح: عدم الوقف - الذي هو الوصل - لبيان المعنى على وجهه المراد، فإنّنا نقترح أن يُستبدل مصطلح (وصل البيان) بمصطلح (الوقف الممتنع).

ويكون تعريف (وصل البيان): هو وصل ما لو وَقَفَ عليه لبانَ المعنى على غير المراد. ومن جهةٍ أخرى؛ فإنّ وصل البيان أو الوصل البياني هو ما يمكن أن نسمّيه: الوصل الاختباري، وهو من المسمّيات التي لم أقف على أحدٍ حرّرها بالاصطلاح، وإن كان المُسمّى معروفاً للقرّاء والمُقرئين. فالوصل الاختباري هو: وصل بعض الكلمات اختباراً وتعليماً؛ لتوقيف الطالب على كيفية وصلها. ويحسّن هذا النوع من الوصل فيما لم يشتهر وصله وغلب على ظنّ المُقرئ أنّ الطالب قد يخفى عليه كيفية وصلها. ومثال ذلك كلمة ﴿أُخْرَ﴾ من: ﴿فَعَدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فقد لوحظ أنّ كثيراً من الطلاب إن طُلبَ منه وصلها فإنه يكسرها مُنَوَّنةً، إذ يخفى عليه أنّها ممنوعةٌ من الصرف. ومن ذلك أيضاً معظم آيات سورة القمر، لذلك فإنّ كثيراً من المشايخ يُقرئونها وصلّاً؛ حتى يتبيّن للطالب وجهُ وصلٍ كلّ كلمة فيها.

وحقّي يكون هناك تخصّص اصطلاحي؛ فالأوّل أن يُعتمد مُصطلحا (الوصل الاختباري) و(الابتداء الاختباري) كمتّمين لباب الوقف الاختباري التعليمي، والأوّل كذلك الاقتصارُ عليهما؛ فلا يُذكر الوصل البياني أو الابتداء البياني في هذا الباب؛ لثلاثة أسباب:

الأول: طلباً للتخصّص المصطلحي وعدم التشقيق والتفريع بالمرادفات.

الثاني: حتى يختصّ مصطلح الابتداء البياني باب (وقف البيان)، فلا يخلط بينه وبين الابتداء الاختباري.

الثالث: للعلّة المذكورة آنفاً عند الحديث عن علاقة وقف البيان بالوقف الاختباري، وأن لزوم العود في الوقف الاختباري يُخرجه من باب وقف البيان، فالمنطقي أن يخرج هو ومشتقاته، ويُصبح لدينا بابان متميزان:

الأول: باب البيان، وفيه: وقف البيان بأقسامه، ووصل البيان، وسكت البيان، والابتداء البياني. وهو مُتعلّق بالتفسير، وعليه قد يتوقّف فهم المعنى على مُراد.

والثاني: باب الاختبار، وفيه: الوقف الاختباري والوصل الاختباري والابتداء الاختباري. وهو مُتعلّق برسم المصحف، وبالقوانين والظواهر الصوتية، ونحو ذلك مما لا يتعلّق بالتفسير تعلّقاً مُباشراً، ولا يتوقّف عليه فهم المعنى. وإذا ضمّنا الوقف الانتظاريّ إلى مصطلحات الاختبار تلك حَسُنَ أن يُصطلح على الجميع بمصطلح (الوقف والابتداء التعليمي) أو نحو ذلك من المصطلحات.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا هو ربُّ البريات، وأنَّ محمدًا ﷺ المبعوث بالرسالات، والمؤيد بالآيات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيههم بإحسان، وسلّم تسليمًا كثيرًا، وبعد، فقد جاءت هذه الدراسةُ كمحاولةٍ لتحريرِ مُصطلح (وقف البيان)، وهو أحد المصطلحات التي لم تحظَ بالتحليل الوافي والبيان الشافي.

وقد تمثّلت أهمُّ نتائج الدراسة في النقاط الآتية:

تتبّع أهمّ النصوص التي ذُكر فيها وقف البيان مُصطلحًا ومفهومًا من خلال المُصنّفات التي وصلتنا.

تحرير مُصطلح وقف البيان، وقد خلّص الباحث إلى أنَّ وقف البيان هو: الوقف على كلمة لها تعلُّق لفظيٍّ بما بعدها؛ للإشارة إلى معنىٍ مُعتبر قد لا يُفهم إلا بالوقف، ثمَّ الاستئناف بما بعدها.

الحديث عن صفات وقف البيان المُصنّفة والميَّنة، وقد نوّه الباحث من خلالها بمنزلة وقف البيان من مُصطلحات باب الوقف والابتداء، وأَنَّهُ حقيقٌ - إن وُضع في رتبته اللائقة - بأن يصير أحد ثلاثة أقسامٍ تنتظم باب الوقف والابتداء. مع التسليم بأنَّ القوة الاصطلاحية لمُصطلح (وقف البيان) تحلّفت عمّا كان يمكن أن يكون. للبحث في وقف البيان ومعرفة مواضعه ثمراتٌ عديدة، لما له من تعلُّقٍ بتفسير القرآن وتدبره، ولما له من دلالات بلاغية وبيانية في كثير من مواضعه.

المعاني الدلالية لوقف البيان متعدّدة، ولكنَّ هذا لا يحول دون وضع شرطين إجماليين لاعتبار وقف البيان؛ الأول: وجود التعلُّق اللفظي بين طرفي الوقف، والثاني: أن يكون المعنى المراد بالوقف معنىً مُعتبرًا.

وقف البيان ليس مُرادفًا للوقف التعسُّفي؛ وقد جعلهما بعض الباحثين مُترادفين، وإنّما كان ذلك بسبب أنَّ وقف البيان لم يحظَ بالتحليل الكافي والدراسة الوافية.

هناك علاقة وثيقة بين وقف البيان والوقف اللازم؛ فعلتاهما متقاربتان؛ غير أنَّ وقف البيان يختصُّ بما تعلّق بما بعده لفظياً، أمّا الوقف اللازم فيكون فيما لا تعلّق له بما بعده في اللفظ.

يقترح الباحث استبدال مُصطلحي (وقف البيان التام) و(وقف البيان الكافي) بمُصطلح (الوقف اللازم)؛ طلباً للتخصيص من جهة، ولَمّا في مُصطلح الوقف اللازم من إحياء بإرادة اللزوم الشرعيّ من جهة ثانية. ويكون هذان المصطلحان من ضمائم وقف البيان بطريق الوصف.

تناول البحث العلاقة بين وقف البيان والوقف على رؤوس الآي التي لها تعلّق لفظيٍّ ومعنويٍّ بما بعدها. ولأنّ لهذه الفواصل أغراضاً دلاليةً لا تخفى عند التأمل؛ فإنّ الوقف عليها مجملٌ ويحسُن، فضلاً عمّا فيه من اتّباعٍ للسنة. ويقترح الباحث الاصطلاح على هذا النوع من الوقوف بمُصطلح (وقف بيان الفواصل)؛ فيكون من ضمائم مصطلح (وقف البيان) بطريق الإضافة.

أوضح البحث الفارق بين مُصطلح (وقف البيان)، ومُصطلح (الموصول لفظاً المفصول معنيّ)، ويذهب الباحث إلى أنّ بينهما عمومًا وخصوصًا؛ فكلُّ وقف بيانٍ هو من الموصول لفظاً المفصول معنيّ، ولا عكس.

هذا؛ وما كان في هذا العمل من توفيقٍ وصوابٍ فمن الله عزَّ وجلَّ مُبتداه ومُنتهاه، وأسأله أن أكون فيه من المخلصين المقبولين. وأمّا ما كان من خطأٍ أو وهمٍ أو نسيانٍ؛ فمن نفسي وبذني. والله أسأل أن يسترنا، وأن يغفر ذنوبنا، وأن يُبصِّرنا بعيوبنا، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

١. أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، أبو السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي (ت ٩٨٢هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطاء، مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠١هـ.
٣. أساس البلاغة، أبو القاسم جبار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، طبعة دار عالم الفوائد، بإشراف الشيخ بكر عبد الله أبي زيد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
٥. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٢٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي؛ القاهرة - مؤسسة الكتب الثقافية؛ بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٦. الإيضاح في القراءات العشر، أحمد بن أبي عمر الأندراي (ت بعد ٥٠٠هـ)، مخطوط خاص بالشيخ أبي يوسف محمد توفيق حديد الكفراوي.
٧. البارع في اللغة، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق: هاشم الطعان، مكتبة النهضة ببغداد - دار الحضارة العربية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.
٨. البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٩. بدائع الفوائد، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قِيمَ الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٠. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
١١. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٢. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٣. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٤. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الشهير بالخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٥. تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٦. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: سعد كريم الفقي، دار اليقين، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٧. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
١٨. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٩. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٠. التفسير الكبير (تفسير الرازي)، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، المطبعة البهية المصرية، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.
٢١. التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢هـ.
٢٢. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، دار وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، ٢٠٠٠م.
٢٣. التمهيد في معرفة التجويد، أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني العطار، تحقيق أ.د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
٢٤. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٤: ١٣٨٧هـ - ١٩٦٤: ١٩٦٧م.
٢٥. التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد بيومي، دار الغد الجديد، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢٦. ثمرات الأوراق، تقي الدين أبو بكر بن علي بن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٨. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢٩. جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٣٠. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٣١. جهود الشيخ علي بن محمد الضباع في علم القراءات، د. محمد بن فوزان العمر، دار العاصمة، ٢٠٠٦م.
٣٢. حق التلاوة، حسني شيخ عثمان، دار طيبة الخضراء، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٣٣. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٣٤. دراسات مصطلحية، أ.د. الشاهد البوشيخي، دار السلام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٣٥. درة الغوَّاص في أوهام الخواصّ، أبو محمد القاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦هـ)، مطبعة الجوائب بالقسطنطينية، الطبعة الأولى، ١٢٩٩هـ.
٣٦. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٠هـ.
٣٧. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعي، دار البيان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٨. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩هـ)، تحقيق وتعليق: د. محمد الأحمد أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م.
٣٩. ذيل طبقات الحنابلة، أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

٤٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي)، شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٤١. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٤٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي ابن أحمد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق وتعليق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٤٣. شرح القصيدة الخاقانية، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: غازي بنيدر العمري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ.
٤٤. شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٨٢هـ)، تحقيق عبد العزيز أحمد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
٤٥. الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.
٤٦. الصلة، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكّوال (ت ٥٧٨هـ)، تحقيق: إبراهيم الإيباري، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
٤٧. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٤٨. طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي (ت ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٩. علل الوقوف، أبو عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي (ت ٥٦٠هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمد بن عبد الله العيدي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٥٠. غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٥١. غيث النفع في القراءات السبع، علي النوري الصفاقي (ت ١١١٧هـ)، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة بطنطا، مصر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٥٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار التقوى للتراث بالقاهرة، ٢٠٠٠م.
٥٣. فتح الوصيد في شرح القصيد، علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، دار الصحابة، طنطا، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٥٤. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الواحدة والثلاثون، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٥٥. في علمي العروض والقافية، د. أمين علي السيد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.
٥٦. القطع والائتناف، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٥٧. الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق جمال السيد رفاعي، مؤسسة سما، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٥٨. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي - د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.

٥٩. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الكشف)، أبو القاسم محمود بن عمر الرمحشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود- الشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٦٠. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٦١. اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الفاسي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق الشيخ: عبد الرازق بن علي بن إبراهيم موسى، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٦٢. لسان العرب، أبو الفضل بن منظور، عناية وترتيب مجموعة من المحققين، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣-٢٠٠٣م.
٦٣. لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، تحقيق: الشيخ عامر السيد عثمان - د. عبد الصبور شاهين، مطبوعات لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٦٤. اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.
٦٥. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٦٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، أبو محمد عبد الحق ابن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٦٧. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ)،

تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٦٨. المرشد في الوقف والابتداء، أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد العماني، (الرسالة الأولى: من أوّل الكتاب إلى آخر سورة النساء)، دراسة وتحقيق: هند بنت منصور العبدلي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.

٦٩. المرشد في الوقف والابتداء، أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد العماني، (الرسالة الثانية: من أوّل سورة المائدة إلى آخر سورة الناس)، دراسة وتحقيق: محمد بن حمود ابن محمد الأزوري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.

٧٠. المستوفى في النحو، كمال الدين أبو سعد علي بن مسعود بن محمود بن الحكم الفرخان، تحقيق: د. محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٧١. معالم الاهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء، الشيخ محمود خليل الحصري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٧٢. معالم التنزيل (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٧٣. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ)، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧٤. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٧٥. المعجم التجويدي لأشهر ألفاظ علم التجويد، د. عمر خليفة الشايجي، دار الصديق، المملكة السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٧٦. معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٧٧. معجم المطبوعات العربية والمعرية، يوسف اليان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ.
٧٨. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٧٩. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٨٠. معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجري، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٨١. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٨٢. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٨٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: أ.د. صلاح عبد العزيز علي السيد، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٨٤. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، د. محمد سالم محيسن، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٨٥. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٨٦. المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء، أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، مطبوع بهامش كتاب: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
٨٧. المكثف في الوقف والابتداء، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني (ت ٤٤٤هـ)، دار الصحابة، طنطا، مصر، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٨٨. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
٨٩. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ.
٩٠. الموصول لفظاً المفصول معنى في القرآن الكريم، خلود شاكر فهد العبدلي، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
٩١. النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦.
٩٢. الهادي في معرفة المقاطع والمبادي، أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ)، دراسة وتحقيق: سلمان بن حمد الصقري، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤١١هـ.
٩٣. هداية الحيران فيما قيل ليس له مفهوم مخالف من القرآن، د. علي بن جريد بن هلال العنزي، بحث منشور بمجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد التاسع؛ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ.
٩٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٩٥. الوقف في العربية على ضوء اللسانيات، د. عبد البديع النيرباني، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٩٦. الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، أ.د. عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٩٧. الوقف والابتداء، أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الغزال (ت ٥١٦هـ)، مخطوط مكتبة الأسد الوطنية، دمشق (أوقاف حلب)، الرقم في مصدر التصوير: ١٣٣٤.
٩٨. وقوف القرآن وأثرها في التفسير، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٣١هـ.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١٥٩	مُلَخَّصُ الْبَحْثِ
١٦٠	المقدمة
١٦٧	تمهيد: في الوقف والبيان
١٦٧	المطلب الأول: معنى الوقف في اللغة والاصطلاح
١٧٠	المطلب الثاني: أهمية علم الوقف والابتداء وبيان منزلته من علوم القرآن
١٧٢	المطلب الثالث: ضوابط تحديد أنواع الوقوف ودرجاتها
١٧٤	المطلب الرابع: في معنى البيان
١٧٧	المطلب الخامس: البيان أهمُّ دواعي الوقف
١٨٤	المبحث الأول: تحرير مصطلح وقف البيان
١٨٤	المطلب الأول: النصوص
١٩٧	المطلب الثاني: ملحوظات وتعليقات عامة على النصوص
٢٠١	المطلب الثالث: تعريف مصطلح وقف البيان
٢٠١	أولاً: التعريف المختار لمصطلح وقف البيان
٢٠١	ثانياً: تعليقات وتوضيحات على التعريف
٢٠٢	ثالثاً: أمثلة تطبيقية توضيحية للمصطلح
٢٠٨	المبحث الثاني: صفات وقف البيان
٢٠٨	أولاً: الصفات المُصَنَّفَة
٢٠٩	ثانياً: الصفات المُبَيَّنَة
٢١٠	المبحث الثالث: قضايا وقف البيان
٢١٠	المطلب الأول: وقف البيان بين الإثبات والنفي

الصفحة	الموضوع
٢١٣	المطلب الثاني: ضوابط اعتبار وقف البيان
٢٢٦	المطلب الثالث: ثمرات البحث في وقف البيان ومعرفة مواضعه
٢٢٨	المبحث الرابع: علاقات وقف البيان
٢٢٨	المطلب الأول: البيان والتميز
٢٢٨	المطلب الثاني: علاقة وقف البيان بالوقف اللازم
٢٣٣	المطلب الثالث: علاقة وقف البيان بالوقف التعسفي
٢٤٠	المطلب الرابع: علاقة وقف البيان بالموصل لفظًا المفصول معنيً
	المطلب الخامس: علاقة وقف البيان بالوقف على رؤوس الآي المتعلقة لفظيًا
٢٤٣	بما بعدها
٢٥٠	المطلب السادس: علاقة وقف البيان بالوقف الاختباري
٢٥٢	المبحث الخامس: ضائم وقف البيان
٢٥٣	المبحث السادس: مشتقات وقف البيان
٢٥٣	المطلب الأول: الابتداء أو الاستئناف البياني
٢٥٤	المطلب الثاني: سكت البيان أو السكت البياني
٢٥٨	المطلب الثالث: وصل البيان أو الوصل البياني
٢٦١	الخاتمة
٢٦٣	المراجع
٢٧٤	فهرس الموضوعات



ذَخِيرَةُ الْإِخْوَانِ الْمُخْتَصَرِ مِنْ كِتَابِ الاسْتِغْنَاءِ بِالْقُرْآنِ

دِرَاسَةٌ وَتَحْقِيقٌ

د. مَن سَالم هَبْسان (*)

مُخْتَصَرُ الْبَحْثِ

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فإن القرآن الكريم خير كتاب أنزل على خير نبي أرسل، والاشتغال به عن غيره من العلوم؛ قربة من القربات، بل ومن أفضل الأعمال، كما أن السُّنَّةَ النبوية مُبَيَّنَّةٌ وشارحة له، وموضحة مراده، فالقرآن أحوج لها.

فعلى القارئ أن يستغني بالقرآن عن غيره من الكتب الأخرى، ويشتغل بتعلُّمه وتعليمه قراءةً وإقراءً، مع الاهتمام بتحسين صوته وهو الأقرب للخشوع، ومع اشتغال القارئ بقراءة القرآن، عليه أن يشتغل - أيضاً - بما يعين على فهم معانيه من التفسير، والحديث، والأثر، واستنباط العلوم منه؛ لأن العلم كله في القرآن، بعيداً عن الآراء التي لا تستند إلى حجة، وهو ما فصله العلامة محمد بن عمر بحرق الحضرمي (ت: ٩٣٠هـ) في كتابه هذا (ذخيرة الإخوان المختصر من كتاب الاستغناء بالقرآن).

وقد قدّمت بين يدي النّص دراسة عن حياة المؤلّف، مع تعريفٍ بالمخطوطات التي اعتمدت عليها في تحقيق النّص، والله الموفق والمعين.

(*) أستاذ الدراسات القرآنية المساعد في كلية التربية بحفر الباطن - جامعة الدمام.

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا.

أما بعد:

فإن من أعظم نعم الله على عباده إنزال القرآن الكريم، ذلك الكتاب الذي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وقد تعهد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بحفظه، ولم يعهد بذلك إلى أحدٍ سواه. فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

كما أن خدمة كتاب الله تبارك وتعالى، سواء كان تعلماً وتعليماً، علماً وعملاً، تدبراً وتفهماً، لهي قربة من أعظم القربات، وعمل من أفضل الأعمال؛ «لأن القرآن العزيز أشرف العلوم، لذلك كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم، وشرف العلم بشرف المعلوم»^(١).

ومما لا شك فيه، أن السُّنة النبوية هي البيان النبوي للبلاغ القرآني، والموضحة للمراد منه، وهي التطبيق العملي للآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

والله تعالى ألزم العباد كافة قبول ما أتى به الرسول ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. ومن باب الاشتغال بالقرآن الكريم وعلومه فقد أكرمني الله تعالى - بفضله ومته - بالحصول على هذا الكتاب (ذخيرة الإخوان المختصر من كتاب الاستغناء بالقرآن)

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٢٤/٤) بتصرف.

للعلامة محمد بن عمر بحرق الحضرمي (ت: ٩٣٠هـ)، وهو كتاب قيّم في بابه، فقد تطرق فيه مؤلفه إلى موضوعات عدة في القرآن الكريم، والاشتغال بقراءته، وتعليمه، وتفسيره، وتحسين الصوت به، وردّ على بعض الشبهات دفاعاً عن القرآن؛ ومنها: النهي عن معارضة السنة بما يفهم من ظاهر القرآن، كما يفعله أهل الزيغ والطغيان، وغير ذلك مما جاء في هذا المخطوط القيّم.

وقد وفقني الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وله الحمد والشكر أولاً وآخراً، إلى خدمة هذا المخطوط وتحقيقه وإخراجه بالصورة المرجوة؛ لينتفع به المهتمون في الدراسات القرآنية وغيرهم، مسبوقاً بتقديم دراسةٍ عن المؤلّف، وتعريفٍ بالكتاب.

وقبل ختام هذه المقدمة أشكر أخي وزميلي الشيخ محمد بن سعيد بكران الحضرمي الباحث بجامعة الملك سعود - الذي دلّني على نسخ هذا المخطوط وأماكن حفظه، وقد أهداني - مشكوراً - نسخة جامعة أم القرى، جزاه الله خيراً، وجعل ذلك في موازين حسناته.

كما أتوجه بالشكر لشيخنا الدكتور عبد العزيز بن عبد الله العَمَّار - وكيل وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية - على مساعدته لي في الحصول على نسخة مصورة من مخطوط (ذخيرة الإخوان)، في مكتبة جامعة الملك سعود - جامعة الرياض سابقاً - فجزاه الله خيراً، ووفقّه لعمل الخير دائماً.

وختاماً أسأل المولى - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بمنّته وكرمه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وخدمة لكتابه العظيم، إنه أكرم مسؤول، وأرجى مأمول، والحمد لله رب العالمين.

القسم الأول دراسة المؤلف المبحث الأول التعريف بالمؤلف

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه:

اسمه ونسبه:

هو الشيخ العلامة، الإمام البارع، اللغويّ النحويّ الأديب؛ القاضي: جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بن عبد الله بن عليّ، الحميريّ، الحضرميّ، الشافعي، المكنى بأبي عبد الله، المعروف بـ (بَحْرَق) ^(١).

لقبه:

و(بَحْرَق): - بفتح الباء وسكون الحاء المهملة وفتح الراء- هو لقبه الذي اشتهر به. وقيل: إن (بَحْرَقاً) كلمة مركبة من كلمتين (بحر) و(القاف)، فهو لسعة علمه كالبحر، وزيدت عليه القاف وزيادتها لا تغير شيئاً فيه ^(٢).

المطلب الثاني: مولده، ونشأته، وطلبه للعلم، ووفاته:

مولده، ونشأته:

ولد الإمام بَحْرَقُ في ليلة التّصف من شعبان، سنة تسع وستين وثمان مئة في

(١) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (٢٥٣/٨)، والنور السافر عن أخبار القرن العاشر للعيدروس (ص٢٠٢)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (١٧٦/٨)، وإيضاح المكنون في ذيل كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي (٧٦/١)، وهدية العارفين للبغدادي (٢٣٠/٦)، وظفر الواله لمحمد المكي الآصفي (١١٨/١)، وتاج العروس من جواهر القاموس (٣٣/٢٥)، والأعلام للزركلي (٢٠٧/٧)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٨٩/١١)، والجامع لمحمد بامطرف (٤٠٣/٤).

(٢) تاريخ الشعراء الحضرميين: لعبد الله السقاف (١٥١/١).

حضر موت. ونشأ بها نشأةً صالحة، فحفظ القرآن الكريم، وجملة من المتون العلمية، وبدأ حياته العلمية بالحضور على جماعة من فقهاء حضر موت^(١). وكان مُلِمّاً بكثير من العلوم الأخرى كالحديث والتصوف والنحو والصرف والأدب والطب والحساب والفلك^(٢).

طلبه للعلم:

بدأ الإمام بحرق بطلب العلم في سن مبكرة، وقد لازم مجالس العلم منذ صباه، فاشتغل بالفقه والأصول، والعربية وفنونها، والسيرة النبوية الشريفة.

ثم ارتحل إلى عدن ولازم الإمام عبد الله بن أحمد باخرمة^(٣)، وتلمذ عليه، وأخذ عنه الفقه والأصول والعربية، وانتقل بعد ذلك إلى زبيد، وأخذ عن علمائها، فقرأ الحديث والأصول، والتفسير والتصوّف، ولزم الجد والاجتهاد في العلم والعمل، وأقبل على نفع الناس، إقرأء وإفتاءً وتصنيفاً^(٤).

وفاته:

عاش -رَحِمَهُ اللَّهُ- إحدى وستين سنة، وانتقل إلى جوار ربه في ولاية (كُجَرَات) في الهند، وتحديدًا في ليلة العشرين من شهر شعبان سنة ثلاثين وتسعمائة. وقيل: إنه مات بالسُّمِّ في الولاية المذكورة من بعض حُسَّاده، وسبب ذلك أنه حظي عند السلطان إلى الغاية، فحسده الوزراء على ذلك^(٥).

(١) الضوء اللامع (٢٥٣/٨)، والنور السافر (ص ٢٠٥)، وشذرات الذهب (١٧٦/٨)، والأعلام (٢٠٧/٧)، ومعجم المؤلفين (٨٩/١١).

(٢) انظر: الضوء اللامع (٢٥٣/٤)، والنور السافر (ص ٢٠٥)، وشذرات الذهب (١٧٦/٨)، وظفر الواله (١١٨/١).

(٣) هو: أبو الطيب عبد الله بن أحمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم باخرمة، ولد سنة (٨٣٣هـ)، بالهجرين من حضر موت، وكان عالماً بالفقه، والفرائض والحساب والتفسير، والحديث والنحو، واللغة وعلم المعاني والبيان، والفلك وغيرها.. له من التصانيف: «أمنية الطامع»، و«شرح ملحّة الإعراب»، و«نكت على الألفية» و«كتاب الفتاوى»، توفي سنة (٩٠٣هـ) بعدن. انظر: الضوء اللامع (٨/٥)، والنور السافر (ص ٢٠٥)، وشذرات الذهب (٢٠/٨).

(٤) انظر: النور السافر (ص ٢٠٦)، وظفر الواله (١١٩/١).

(٥) انظر: النور السافر (ص ٢١١)، وشذرات الذهب (١٧٦/٨)، وكشف الظنون (١٠٣١/٢)، والأعلام (٢٠٧/٧).

المطلب الثالث: شيوخه وتلامذته:

أولاً: شيوخه:

أخذ الإمام بحرق - رَحِمَهُ اللَّهُ - العلم عن علماء اليمن الأجلاء، وغيرهم ممن التقى بهم في رحلاته؛ نذكر منهم^(١):

١. باجر فيل: هو العلامة محمد بن أحمد باجر فيل الدَّوْعِي (ت: ٨٨٩هـ)، من فقهاء حضرموت، أخذ بحرق عنه الفقه والتصوف^(٢).
٢. السخاوي: هو الإمام العلامة المحدث، والمؤرخ، محمد بن عبد الرحمن بن شمس الدين السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، أخذ عنه الحديث بمكة لما قصد الحجاز للحج^(٣).
٣. باخرمة: عبد الله بن أحمد بن علي بن إبراهيم باخرمة (ت: ٩٠٣هـ)^(٤).
٤. بافضل: الإمام العلامة، جمال الدين محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بافضل (ت: ٩٠٣هـ)، أخذ عنه الفقه والحديث وعلوم العربية^(٥).
٥. العيدروس: العلامة الكبير أبو بكر بن عبد الله العيدروس (ت: ٩١٤هـ)، أخذ عنه العلم وانتفع به^(٦).
٦. الناشري: العلامة حمزة بن عبد الله بن محمد الناشري، أبو العباس اليمني الشافعي (ت: ٩٢٦هـ)، وأخذ عنه الفقه، والحديث، وعلوم العربية، وقد صاهره بتزويجه ابنته^(٧).

- (١) انظر: الضوء اللامع (٢٥٣/٨)، والنور السافر (ص ٢٠٦)، وشذرات الذهب (١٥/٨) وما بعدها، وإيضاح المكنون (٧٦/١)، وهدية العارفين (٢٣٠/٦)، والأعلام للزركلي (٢٠٧/٧)، ومعجم المؤلفين (٨٩/١١).
- (٢) انظر: النور السافر (ص ٢٠٦)، والفكر والثقافة في التاريخ الحضري لبازيز (ص ١٤٣-١٤٤).
- (٣) انظر: الضوء اللامع (٢/٨)، والنور السافر (ص ٢٠٦)، وشذرات الذهب (١٥/٨).
- (٤) سبق ترجمته.
- (٥) انظر: الضوء اللامع (١٤/٧)، والنور السافر (ص ٢٠٤)، وشذرات الذهب (١٩/٨)، وهدية العارفين (٢٢٢/٢)، ومعجم المؤلفين (٢٨٣/٨).
- (٦) انظر: النور السافر (ص ٢٠٦)، وشذرات الذهب (٦٢/٨)، وإيضاح المكنون (٣٦١/١).
- (٧) انظر: الضوء اللامع (٣/١٦٥-١٦٥)، والنور السافر (ص ٢٠٧)، والأعلام (٢٧٨/٢)، ومعجم المؤلفين (٧٨/٤).

ثانياً: تلاميذه:

برغم كثرة ترحال العلامة بحرق لطلب العلم والتعلم، إلا أنه لم تذكر كتب التراجم من تتلمذ عليه وأخذ عنه العلم غير واحد ذكره السقاف في كتابه تاريخ الشعراء الحَضْرَمِيِّين؛ وهو تلميذه العلامة أحمد بن أبي بكر بن عبد الله العيدروس العلوي (ت: ٩٢٢هـ) ابن شيخه^(١).

وهناك إشارات عابرة مُجْمَلَةٌ تشير إلى أَنَّ بَحْرَقاً قد قصده كثيرٌ مِنْ طلابِ الْعِلْمِ مِنَ البلادِ الْيَمَنِيَّةِ^(٢)، وَأَنَّهُ كَانَ محسناً إلى الطلبة، غاية في الكرم، مؤثراً محبباً لأهل الخير^(٣).

المطلب الرابع: مؤلفاته:

يعتبر العلامة بحرق - رَحْمَةُ اللَّهِ - من أكثر علماء حضرموت تأليفاً، بل هو «من الأئمة المتبحرين في المنطوق والمفهوم والمنثور والمنظوم، وصنّف كثيراً»^(٤) في الأدب، والنحو، والتفسير وعلوم القرآن، وعلم القراءات والتجويد، والفقه، والحديث، والسيرة، وفي التوحيد، وغيرها، وقد تلقّاها النَّاسُ بالقبول؛ نذكر منها:

أولاً: مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن والقراءات:

١. تحفة القاري والمقري شرح مقدمة ابن الجزري^(٥).
٢. تفسير آية الكرسي^(٦).
٣. ترجمة المستفيد لمعاني مقدمة التجويد. وهو شرح المقدمة الجزرية^(٧).

- (١) تاريخ الشعراء الحَضْرَمِيِّين (١٢٣/١)، وانظر: النور السافر (ص ٢٠٦).
- (٢) انظر: رسالة ماجستير: محمد بن عمر الحضرمي للدكتور جمال حديجان (ص ١٨).
- (٣) ظفر الواله (١١٩/١)، والنور السافر (ص ٢٠٦)، وانظر: محمد بن عمر الحضرمي (ص ١٨).
- (٤) ظفر الواله (١١٨/١).
- (٥) رسالة ماجستير، نوقشت بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بتحقيق الشيخ عبد الله سالم عبد الله باحارث، سنة ١٤٣٣هـ.
- (٦) مخطوط. انظر: النور السافر (ص ٢٠٧)، والأعلام (٧/ ٢٠٧)، ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن للحبشي (ص ٣٠).

- (٧) مطبوع، دراسة وتحقيق: عادل محمد الشنداح، مطبعة أنوار دجلة - العراق، سنة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٤. ذخيرة الإخوان (المختصر من كتاب الاستغناء بالقرآن). وهو كتابنا هذا، الذي نتشرف بإخراجه وتحقيقه.

٥. مختصر من كتاب (التبيان في آداب حملة القرآن)^(١).

٦. مختصر الهداية في روايتي قالون والدوري^(٢).

٧. مختصر كتاب التعريف والأعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام^(٣).

ثانياً: مؤلفاته في علوم العربية وآدابها:

١. تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب في شرح «ملحة الأعراب»^(٤).

٢. شرح الهمزية^(٥).

٣. شرح منظومة في العروض^(٦).

٤. فتح الأقفال شرح أبنية الأفعال^(٧).

٥. مختصر شرح لامية العجم، للصفي^(٨).

ثالثاً: مؤلفاته في الحديث والفقه:

١. الأسرار النبوية في اختصار الأذكار النبوية^(٩).

(١) بتحقيقنا. وهو بحث محكم ومنشور بمجلة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، إصدار خاص سنة ٢٠١٣م.

(٢) في قيد التحقيق للشيخ محمد بن سعيد بكران - الباحث بجامعة الملك سعود.

(٣) تحقيق: الدكتور جميل عبد الله عويضة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م. (ملف وورد) على شبكة الإنترنت.

(٤) دراسة وتحقيق: بشير عبد الله المساري - كلية الشريعة - جامعة القرويين، المغرب، برقم / ١٥٥٧ ب.ت، وطبعت بدار ابن حزم - ومكتبة الإرشاد.

(٥) مخطوط. انظر: فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء (ص ٧٧٦).

(٦) مخطوط. انظر: فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء (ص ٧٧٦).

(٧) رسالة دكتوراه «مخطوط» للباحث/ يعقوب أحمد محمد السامرائي بكلية التربية - قسم اللغة العربية - جامعة تكريت - نوقشت سنة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

(٨) مطبوع، طبعة دار المنهاج بجدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

(٩) مطبوع طبعة دار المنهاج بجدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢. مختصر الترغيب والترهيب للمنذري^(١).
 ٣. مختصر المقاصد الحسنة للسخاوي^(٢).
 ٤. حلية البنات والبنين فيما يحتاج إليه من أمر الدين^(٣).
 ٥. المطالب السني في أهم العلوم الدينية^(٤).
- خامساً: مؤلفاته في السيرة النبوية:
١. حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، المسمى بـ «تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بسيرة الحضرة النبوية الأحمدية»^(٥).
- سادساً: مؤلفاته في العقيدة:
١. الحسام المسلول على منتقضي أصحاب الرسول ﷺ^(٦).
 ٢. العقيدة الشافعية في شرح القصيدة الياقينية^(٧).
 ٣. عقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر^(٨).
-
- (١) مخطوط، انظر: النور السافر (ص ٢٠٧)، وشذرات الذهب (١٧٧/٨)، ومعجم المؤلفين (٩٠/١١)، وتاريخ الشعراء الحضرميين (١٢٢/١).
 - (٢) مخطوط، انظر: النور السافر (ص ٢٠٧)، وهدية العارفين (٢٣٠/٢)، وشذرات الذهب (١٧٧/٨)، وتاريخ الشعراء الحضرميين (١٢٢/١).
 - (٣) مخطوط بجامعة الملك سعود - برقم ١١٨، رقم المصنف ٢١٨ ح ب، نسخت سنة ١٢٧٦ هـ.
 - (٤) مخطوط بمكتبة الأحقاف للمخطوطات بترميم حضرموت - ضمن مجاميع الرباط (٣٤٧) برقم (١٨٨١) و (٣٠٩٧).
 - (٥) مطبوع طبعة دار المنهاج بجدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م. اعتنى به محمد غسان نصح عزقول.
 - (٦) مطبوع بمطبعة المدني بمصر - القاهرة، بتحقيق: حسنين محمد مخلوف، نشر سنة ١٣٨٦ هـ، وحقق أيضاً بتحقيق الشيخ/ أكرم مبارك عصبان، حضرموت - طبعة سنة ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
 - (٧) مخطوط، انظر: طفر الواله (١١٩/١)، والنور السافر (ص ٢٠٧)، وهدية العارفين (٢٣٠/٢)، وتاريخ الشعراء الحضرميين (١٢٣/١).
 - (٨) مخطوط بمكتبة الأحقاف للمخطوطات بترميم حضرموت ضمن المجاميع العامة برقم (٦٦)، وانظر: النور السافر (ص ٢٠٧)، وشذرات الذهب (١٧٧/٨)، وتاريخ الشعراء الحضرميين (١٢٣/١).

سابعاً: مؤلفاته في التصوف:

١. العروة الوثيقة في الشريعة والطريقة والحقيقة^(١).
٢. الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة^(٢).
٣. متعة الأسماع بأحكام السماع^(٣).

هذه بعض من المصنّفات، وبعضها مفقودة، وبقي منها اسمها فقط، وبعضها لا تزال حبيسة الرفوف وفي عداد المخطوطات، سواء بمكتبات المخطوطات العامة والخاصة بحضرموت أو مكتبات جامعات بعض الدول العربية. بل ولا زال طلبة العلم يحققون بعضها رسائل علمية في كثير من الجامعات، وبالجملة: فجميع مؤلفاته رائقة حسنة، محرّرة منقّبة مستحسنة^(٤).

(١) مخطوط، انظر: النور السافر (ص ٢٠٧)، وهدية العارفين (٢٣٠/٢)، وتاريخ الشعراء الحضرميين (١٢٣/١). وصفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٤٣.

(٢) مطبوع، طبع في دار الحاوي للطباعة بصنعاء - الطبعة الثانية، سنة ١٤١٥هـ وطبع بمكتبة المدينة، سنة ٢٠١٣م.

(٣) مخطوط ولدى الباحث نسخة منه، انظر: النور السافر (ص ٢٠٧)، وشذرات الذهب (١٧٧/٨)، وهدية العارفين (٢٣٠/٢)، وتاريخ الشعراء الحضرميين (١٢٣/١).

(٤) انظر: مؤلفات العلامة بحرق بتوسع في: النور السافر (ص ٢٠٦-٢٠٧)، وفي رسالة ماجستير بعنوان: محمد ابن عمر الحضرمي بحرق (ت ٩٣٠هـ) دراسة نحوية صرفية: للدكتور جمال رمضان حديجان (ص ٢٠)، رسالة ماجستير «مخطوط» بكلية التربية - جامعة بغداد نوقشت سنة ١٩٩٩م. (نسخة الباحث).

المبحث الثاني التعريف بالكتاب

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: موضوع الكتاب:

هو الاشتغال بالقرآن الكريم، قراءةً وتعلماً وتعليماً، وهو أفضل الأعمال، وأن كل العلوم موجودة في القرآن.

ويُعَدُّ هذا الموضوع من أهم الموضوعات التي تبرز الاهتمام بالاشتغال بالقرآن الكريم عن غيره من العلوم، وقد تحدث العلامة بحرق في هذا الموضوع في ثمانية فصول مع الاستدلال على ذلك - في كل فصل - بالأحاديث والآثار الصحيحة والحسنة، وخلاصتها والمقصد منها:

أن يستغني القارئ بالقرآن عن غيره من الكتب الأخرى، أو القصص والأخبار وغيرها مما لا يعين على فهمه.

ذكر الأمر بعرض القرآن على السُّنَّة و تفسيره بها؛ لأن السُّنَّة شارحة للقرآن ومُبيِّنة له وموضحة مراده؛ فيلزم اتباعها والرجوع إليها.

الاهتمام بتفسير القرآن رواية ودراية بعيداً عن مجرد الرأي والظن من غير دليل.

تأثير القرآن في صلاح القلوب والأعمال.

تحسين الصوت بالقرآن لما في ذلك من الفضل، وهو أدعى للخشوع.

وغيرها من الموضوعات التي فصلها المؤلف في كتابه.

المطلب الثاني: نسبته للمؤلف:

أثبتت كتب التراجم أن كتاب (ذخيرة الإخوان) منسوب للعلامة محمد بن عمر بحرق الحضرمي، وواحد من مصنفاته^(١).

(١) انظر: النور السافر (ص ٢٠٧)، وهدية العارفين (٢/٢٣٠)، ونزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر لعبد الحي اللكنوي (٤/٣٠٩)، وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/١٢٣)، وصفحات من التاريخ الحضرمي لبازير (ص ١٤٣)، ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن للحبشي (ص ٣٠).

كذلك ما ورد في مكتبة مخطوطات جامعة الملك سعود وجامعة أم القرى بوجود نسخة محفوظة من كتاب (ذخيرة الإخوان) فيهما، وورد من التصريح في أول كل نسخة - من المخطوط - باسم مؤلفه العلامة محمد بَجَرَق الحَضْرِي. فما أثبتته كتب التراجم، مع ما ورد في مكتبات مخطوطات بعض الجامعات هو دليل أكيد على صحة نسبة الكتاب إلى العلامة بمجرق، وهو ما دعاني لتصويره وتحقيقه وخدمته.

المطلب الثالث: الدراسات السابقة لأصل هذا المخطوط:

أصل هذا المخطوط (ذخيرة الإخوان المختصر من كتاب الاستغناء بالقرآن) هو اختصار وتلخيص مرتّب لكتاب (الاستغناء بالقرآن في تحصيل العلم والإيمان) لحافظ عصره العلامة المحقق ابن رجب الحنبلي الدمشقي^(١) - رحمه الله تعالى -.

وقد صرّح بذلك العلامة بَجَرَق (ت: ٩٣٠هـ) في مقدمة مختصره (ذخيرة الإخوان)، وتصريحه هذا دلالة على أمانته العلمية في النقل والعزو والتصرّف.

وكتاب ابن رجب الحنبلي - رَحِمَهُ اللهُ - المذكور مفقود ولا يُعلم عنه شيء، إلّا أن الحافظ العلامة يوسف بن حسن بن عبد الهادي^(٢) الحنبلي المعروف بابن المِبْرَد (ت: ٩٠٩هـ) - رَحِمَهُ اللهُ - بنى كتاباً له سَمَّاهُ (هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن)^(٣)، أعاد فيه ترتيب وتنظيم كتاب ابن رجب الحنبلي، وجعله على طريقة

(١) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السّلامي، الملقّب زين الدين، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، الإمام الحافظ، المحدث، الفقيه، ولد في بغداد سنة (٥٧٣٦هـ)، له مصنفات عديدة؛ منها: «شرح الترمذي»، و«طبقات الحنابلة»، و«جامع العلوم والحكم» شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، وغيرها كثير، توفي بدمشق سنة (٧٩٥هـ). انظر: شذرات الذهب (٣٣٩/٦)، والدرر الكامنة لابن حجر (٢٩٦/١).

(٢) هو: يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي بن محمد بن قدامة بن مُقْدَام بن نصر القرشي، العدويّ، العُمرِيّ، الدمشقي، مقدسي الأصل، حنبلي المذهب، المعروف بـ(ابن المِبْرَد)، ينتهي نسبه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. مولده سنة (٨٤٠هـ)، قال عنه السخاوي: «كان ديناً خيراً، صالحاً، قانعاً، متعففاً من بيت صلاح وعلم ورواية»، وقال عنه الزركلي: «علامة متفنن، من فقهاء الحنابلة»، مؤلفاته كثيرة غير أنها لم تحظ بالتحقيق والطباعة، توفي سنة (٩٠٩هـ). انظر: الضوء اللامع (٣٠٨/١٠)، و(٢٧٢/١)، وشذرات الذهب (٤٣/٨) والأعلام (٢٤٥/٨)، ومعجم المؤلفين (١٥٣/٤).

(٣) انظر: معجم المؤلفين (١٥٣/٤)، والإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي وأثره في الفقه الإسلامي، =

المحدثين، بإيراد الأحاديث بالأسانيد المتصلة منه إلى النبي ﷺ. ورتبه على أبواب محصورة، ومعان مقصورة، حتى بلغ ترتيب الكتاب مائة باب^(١).

المطلب الرابع: وصف نسختي المخطوط:

بعد البحث على نسخ المخطوط للمقارنة بينها - بحسب اطلاعي على فهارس المخطوطات - تبين لي أن هناك نسختين فقط؛ هما:

١- نسخة مخطوطة جامعة أم القرى:

وهي نسخة كاملة ضمن مجموع، غير مرقم الصفحات، وتقع في (٦) ورقات، في كل ورقة صفحتان، تبدأ صفحة العنوان في آخر ثلاثة أسطر من مخطوطة أخرى ضمن المجموع، وخطه كبير بارز، متوسط عدد سطور كل صفحة (٣١) سطراً، أو (٣٣) سطراً، وهي مكتوبة بخط نسخ معتاد، خالٍ من النقط في كثير من الألفاظ، وخالي من الشكل، وتاريخ نسخها سنة (١١٥٧هـ)، ولم يذكر فيها اسم ناسخها في آخرها.

والمخطوطة محفوظة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى، برقم (١٠٢٠)، وهي مصورة من النسخة الأصلية من مكتبة امبروزيانا بإيطاليا: برقم [E٤٣٣]، ورمزت لها بالرمز (ق) نسبة لأم القرى.

٢- نسخة مخطوطة جامعة الملك سعود:

وهي نسخة ناقصة ثلاثة صفحات منها؛ (ص٣٦-٣٧، وص٤٦)، ضمن مجموع، كتبه مصطفى الحكيم الشافعي سنة ١٣١٩هـ، وتقع في الصفحات [ص٢٦-٤٦] من المجموع، متوسط عدد سطور كل صفحة (٢١) سطراً، وقياسها: ١٦×٢٣ سم، وهي مكتوبة بخط جيد

= للدكتور / محمد عثمان بشير (ص١٠٧)، ويوسف بن عبد الهادي وأثره في الأصول مع تحقيق ودراسة كتابه (غاية السؤل إلى علم الأصول) للشيخ ضيف الله العمري.

(١) الكتاب لا يزال مخطوطاً لم يطبع: ومصدر المخطوطة: نسخة واحدة بخط مؤلفه في المكتبة الظاهرية بدمشق (ع.ق) ٣٤٨/٢ - ٣٤٩، ومنها نسخة مصورة بالجامعة الإسلامية في مجلدين: المجلد الأول: ويضم (٢٩٧) ورقة، برقم (٥٣٠) ورقم (١٧٦٢) وميكروفيلم برقم (٢٢٠٦)، والمجلد الثاني: يضم (٣٢٣) ورقة، برقم (٤٥٤)، ورقم (١٧٦٥)، وميكروفيلم برقم (٥٠٥٣). وقد حُقِّق أجزاء من الكتاب في رسائل علمية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وبعض أجزاء منه حُقِّقت في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بالسودان وهي لا تزال مخطوطة لم تطبع بعد.

معتاد، ومنقوطة الأحرف، وكثيراً ما أستعين بها عند إشكال كلمة لوضوحها، وجاءت كلمة (فصل) بالأحمر، وبعض الكلمات فوقها خط بالحمرة.

والمخطوطة محفوظة بمكتبة المخطوطات بالجامعة، برقم ٨٦ / ٢١٧، وهي نسخة مصورة، ورقم الفيلم: ٤٣، وتاريخ التصوير ١٣٩٥ / ٩ / ٥ هـ. ورمزت لها بالرمز (س) نسبة لجامعة الملك سعود.

المطلب الخامس: منهج التحقيق:

اتخذت من نسخة جامعة أم القرى أصلاً اعتمدت عليه في إخراج نص الكتاب - لقدمها ووضوح خطها ولأنها كاملة الصفحات -، وأثبتت ما خالفت فيه نسخة مكتبة جامعة الملك سعود الذي اعتمدت عليه في حواشي التحقيق، ويتلخص عملي في تحقيق نص الكتاب فيما يلي:

١. قمتُ بنسخ الكتاب حسب قواعد الإملاء المعروفة اليوم.
٢. خرّجت النصوص من مصادرها.
٣. رقت الآيات القرآنية، وعزوتها إلى سورها.
٤. خرّجت الأحاديث النبوية والآثار من مصادرها، مع الحكم عليها من أقوال أئمة الشأن ما أمكن ذلك.
٥. ترجمتُ الأعلام، عند أول موضع يرد فيه العلم.
٦. عرفت بالمصطلحات والألفاظ الواردة من مصادرها.
٧. علّقت على ما رأيت أنه يستحق التعليق.
٨. صنعت فهرس فنية تساعد على الكشف على مضامين المخطوط؛ وهي: فهرس الآيات، وفهرس الأحاديث والآثار، وفهرس الأعلام، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

والحمد لله الذي بنعمته وتوفيقه تتمّ الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

النص المحقق

المقدمة

الحمد لله الذي مَنَّ على المؤمنين، إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المهادين المهتدين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن كتاب الله تعالى هو الهدى والنور وشفاء ما في الصدور، أودعه من بديع^(١) الحكم، ما يغني عن حكمه [كل]^(٢) حكيم، وعلمه من اصطفاه من عباده وفوق كل ذي علمٍ عليم، وشرح به الصدور، وبَيَّن به أحوال البعث والنشور، وجعله المعجزة الكبرى التي^(٣) أوضح بها الدلالة، وأقام به براهين التوحيد والرسالة، وما^(٤) يجب له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من صفات الكمال والجلال والجمال، وما يستحيل عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الصاحبة والولد، وكل نقص وَحَال، وذَكَر به وَحْدَر، وبَشَّر به^(٥) وأَنْذَر بأحوال الأمم السالفة، وإنَّ العاقبة للمتقين، والدائرة على الظالمين، وغير ذلك مِمَّا لا يحيط بعلمه إلَّا منزله الحكيم العليم^(٦)، والله أعلم بما ينزل، ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٧٨].

وقد وَقَفْتُ على كتاب الفقيه البارِع المحقق عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - الذي سَمَّاهُ (الاستغناء بالقرآن في تحصيل العلم والإيمان) فوجدته كتاباً جامعاً، وسُفْراً نافِعاً، فجردتُ مقاصده في هذه الفصول الثمانية المشتملة على بضع وأربعين حديثاً صحيحة وحسنة منسوبة إلى مَنْ عزا تخريجها إليه من الأئمة؛

(١) في نسخة (س): (من بدائع الحكم).

(٢) زيادة في (س)، وبها يستقيم السياق.

(٣) في (س): (الذي).

(٤) في (س): (وما يحمله يجب له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) بزيادة (يحملة)، وبدونها يستقيم المعنى.

(٥) في (س): (دون ضمير المفرد الغائب المذكور (به)).

(٦) في (س): (العليم الحكيم).

وهي هذه:

فصل في ذِكْرِ أَنَّ الْعِلْمَ كُلَّهُ فِي الْقُرْآنِ.

فصل في ذِكْرِ أَنَّ الْقُرْآنَ اشْتَمَلَ عَلَى مَا لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ السَّالِفَةِ.

فصل في ذِكْرِ النَّهْيِ عَنِ التَّشَاغُلِ عَنِ الْقُرْآنِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْقَصَصِ وَالْأَخْبَارِ وَغَيْرِهَا مِمَّا لَا يَبِينُ عَلَى فَهْمِهِ.

فصل في ذِكْرِ النَّهْيِ عَنْ أَنْ يَضْرِبَ كِتَابُ اللَّهِ بَعْضُهُ بَعْضًا.

فصل في ذِكْرِ النَّهْيِ عَنْ مَعَارِضَةِ السَّنَةِ بِمَا يَفْهَمُ مِنْ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ كَمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ الزَّيْغِ وَالطَّغْيَانِ.

فصل في ذِكْرِ النَّهْيِ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِمَجْرَدِ الرَّأْيِ وَالظَّنِّ مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى حُجَّةٍ.

فصل في ذِكْرِ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ الْعَمَالِ، وَأَنَّ الْإِشْتَغَالَ بِهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ.

فصل في ذِكْرِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، وَتَأْثِيرِ الْقُرْآنِ فِي قَلْبٍ مِنْ أَصْغَى إِلَيْهِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

وفي ضمنها من تفسير لغاتها الغريبة ومعانيها المشككة، والاستشهاد بآياتٍ مِنْ^(١) كِتَابِ اللَّهِ، وَآثَارٍ عَنِ السَّلَفِ جَمْلَةٌ صَالِحَةٌ، جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ خَالِصاً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَمَقْرَباً مِنْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

(١) في (س): (والاستشهاد بآيات في كتاب الله).

فَصْلٌ

في ذكر أن العلم كله في القرآن

وفيه أربعة أحاديث:

الأول: عن ابن عباس^(١) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: (مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ^(٢))^(٣)، رواه البخاري^(٤).

الثاني: عن أبي جُحَيْفَةَ^(٥) بضم الجيم وفتح الحاء المهملة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: سَأَلْنَا عَلِيًّا^(٦) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْءٌ بَعْدَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: (لَا). وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِلَّا فَهْمٌ يُؤْتِيهِ^(٧) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ) والحديث رواه

(١) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو العباس ابن عم رسول الله ﷺ - قرأ القرآن على أبي بن كعب، وقرأ عليه مجاهد وسعيد بن جبير، دعا له النبي ﷺ - بقوله: (اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمُهُ التَّأْوِيلَ)، توفي سنة (٦٨هـ). انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (٤٥/١)، وغاية النهاية لابن الجزري (٤٢٥/١)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٦٢/٣).

(٢) الدَفْتَيْنِ: بِأَلْفَاءٍ تَثْنِيَّةٍ دَفَّةٌ يَفْتَحُ أَوَّلُهُ وَهُوَ اللَّوْحُ، وَوَقَعَ فِي رَوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ: «بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ» انظر: فتح الباري (٥/٢)، وجاء في لسان العرب لابن منظور (٢٧٥/٥): «الدَّفْتَيْنِ: الدف والدفة الجنب من كل شيء بالفتح لا غير، ودفتا الرحل والسرّج والمصحف: جانباه وضامتاه من جانبيه».

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: من قال: لم يترك النبي ﷺ - إلا ما بين الدفتين (١٩١٧/٤) رقم (٤٧٣١)، وأحمد بن حنبل في المسند (٢٢٠/١).

(٤) هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو عبد الله، إمام أهل الحديث والمقتدى به فيه، صنّف كتابه الصحيح وقال: «جعلته حجة فيما بيني وبين الله»، له من المصنفات: «الجامع الصحيح»، «والتاريخ الكبير والتاريخ الصغير» وغيرها، توفي سنة (٢٥٦هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤/٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٩١/١٢)، وتقريب التهذيب لابن حجر (ص ٤١٨).

(٥) هو: وَهْبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّوَّائِي الكوفي من صغار الصحابة، وهو من أَسَنَانِ ابن عباس وكان صاحب شُرْطَةِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَحَدَّثَ عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - وَعَنْ عَلِيٍّ، وَالْبَرَاءِ، توفي سنة (٧٤هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٦٣/٦)، وأسد الغابة لابن الأثير (٩٥/٥).

(٦) هو: علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي يُكْنَى أبا الحسن، كان أول من آمن بالله وبرسوله محمد - ﷺ -، وشهد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بدرًا وهو ابن خمس عشرة سنة، وتوفي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سنة (٤٠هـ). انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٩٧/٣)، وتجريد أسماء الصحابة للذهبي (٣٩٢/١)، وأسد الغابة (٩١/٤).

(٧) في (س): (إِلَّا فَهْمٌ يُؤْفِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ).

أحمد^(١) والبخاري^(٢).

قال العلماء:

والمعنى أن النبي ﷺ لم يترك بعده سوى القرآن، فأما السُّنَّةُ فهي مُفسَّرة له وموضحة مُرادَه^(٣).

ولهذا قال الإمام الشافعي^(٤): «كُلُّ مَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَهُوَ مِمَّا فَهِمَهُ مِنَ الْقُرْآنِ»^(٥).

وكان ابن مسعود^(٦) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يقول: «إِذَا حَدَّثَكُمْ [بِحَدِيثِ] أَنْبَاءِكُمْ بِمِصْدَاقِ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ [تَعَالَى]»^(٨)^(٩).

(١) هو: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، أبو عبد الله المروزي الشيباني البغدادي، شيخ السنة، المجتهد، الزاهد، صاحب المذهب، وصنف المسند، توفي سنة (٢٤١هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٣٥٤/٧)، وتاريخ بغداد (٤١٢/٤)، وسير أعلام النبلاء (١٧٧/١).

(٢) الحديث رواه أحمد بن حنبل في المسند (٧٩/١)، وأخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: فكاك الأسير (١١٠/٣)، رقم (٢٨٨٢)، والترمذي في كتاب الدِّيَاتِ، باب: ما جاء لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ (٢٤/٤)، رقم (١٤١٢)، وقال الترمذي: حَدِيثٌ عَلَيَّ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير «المقدمة» (٥٧/١)، وجاء فيها: «ولهذا قال ابن عباس: وإنما ترك ما بَيَّنَّ الدَّقَّتَيْنِ يعني القرآن، والسُّنَّةُ مُفسَّرة له ومبيَّنة ومُوضحة له، فهي تابعة له». وانظر كذلك: فضائل القرآن لابن كثير (ص ٩٨).

(٤) هو: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب أبو عبد الله، إمام المذهب المحدث الفقيه، شيخ الإسلام، المجتهد، وهو أول من أظهر علم أصول الفقه ودَوَّنَه وله مؤلفات؛ منها: «الأم» و«الرسالة» «المسند في الحديث» وغيرها، توفي سنة (٢٠٤هـ). انظر: مرآة الجنان للياضي (١٣/٢)، والوافي بالوفيات للصفدي (١٧١/٢).

(٥) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: (ص ٩٣) [فصل: في أحسن طرق التفسير]، وانظر: الإِتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٩٠٦/٥) [في العلوم المستنبطة من القرآن].

(٦) هو: عبد الله بن غافل بن حبيب، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي، كان من السابقين الأولين، شهد بدرًا، وكان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله - ﷺ - وأقرأه وتفقه به خلق كثير، توفي سنة (٣٢هـ). انظر: الاستيعاب (١١٠/٣)، وغاية النهاية (٤٥٨/١)، ومعرفة القراء الكبار (٣٢/١).

(٧) زيادة في (س) لم ترد في (ق).

(٨) زيادة في (س) لم ترد في (ق).

(٩) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٦٦/٩)، رقم (٩١٤٤)، والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، سورة الملائكة (٤٢٥/٢)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وقال سعيد بن جبیر^(١): (قُلْ مَا بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا وَجَدْتُ مَصْدَاقَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى)^(٢).

فتبين بهذا أن العلم كُلُّهُ في القرآن وإنما السُّنَّةُ شارحة له.

الثالث: عن علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أتاني جبريل - عليه السلام - فقال: يا محمد إن أمتك مختلفة بعدك، فقلت: فأين المخرج يا جبريل، قال: كتاب الله، به يَقْصُمُ الله كل جَبَّارٍ، مَنْ اعتصم به نجا، ومن تركه هلك، قولٌ فصل وليس بالهزل، [لَا تَخْتَلِفُهُ الْأَلْسُنُ]^(٣)، ولا تنفى عجائبه، فيه نبأ من كان قبلكم، وفصلٌ ما بينكم، وخبر ما هو كائنٌ بعدكم) رواه أحمد^(٤).

الرابع: عن علي^(٥) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ألا إنها ستكون فتنة، فقلت ما المخرج منها يا رسول الله، قال: كتاب الله هو حَبْلُ الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، من ابتغى الهدى أو قال العلم في غيره أضله الله، ومن تركه من جبار قصمه الله، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ^(٦) به الألسنة، وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ^(٧)،

(١) هو: سعيد بن جبیر بن هشام، الإمام العلم، أبو عبد الله الأسدي، مولاهم الكوفي، قرأ على ابن عباس، وقرأ عليه أبو عمرو، وكان يقال: السعيد بن جبیر جهيد العلماء، وكان من سادة التابعين علماً وفضلاً وصدقاً وعبادة، توفي سنة (٩٥هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٢٥٦/٦)، وثقات ابن حبان (٢٧٥/٤)، ومعرفة القراء الكبار (٦٨/١).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم الرازي (٢٠١٥/٦)، رقم (١٠٧٦٩)، وانظر: الإتيقان في علوم القرآن (١٩٠٧/٥) [في العلوم المستنبطة من القرآن].

(٣) ورد في نسختي (ق) و(س): (لا تُخْلَفُهُ الْأَلْسُنُ)، وما أثبتته هو الذي في مسند الإمام أحمد.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند (٩١/١)، رقم (٧٠٤)، وفيه الحارث بن الأعور، وهو ضعيف، ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢٥٨/٤) رقم (١٧٧٦)، وقال: «وهذا إسناد ضعيف جداً».

(٥) في نسختي (ق) و(س): عن عمر بن الخطاب، وهو خطأ، والمثبت هو الصواب كما في رواية الترمذي في هذا الحديث.

(٦) في (س): (ولا تلبس به الألسنة).

(٧) قوله: (وَلَا يَخْلُقُ): بفتح الباء وضم اللام، وبضم الباء وكسر اللام من خلق الثوب إذا بلى وكذلك أخلق، (عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ): أي لا تنزل لذة قراءته وطراوة تلاوته واستماع أذكاره وأخباره من كثرة تكراره وترداده. و«عن» على بابها، أي: لا يصدر الخلق من كثرة تكراره كما هو شأن كلام غيره تعالى، انظر: تحفة الأحوزي للمباركفوري (١٧٧/٨)، ومروقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري (٢١٥/٧).

وهو الذي لم تنته ^(١) الجنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ^(٢) رواه الترمذي ^(٣).

ومعنى حَبْلُ اللَّهِ: سَبِيْهُ الْمَوْصَلِ إِلَيْهِ ^(٤).

وَلَا يَخْلُقُ: يَفْتَحُ الْبَيَاءَ وَضَمَّ اللَّامَ وَفَتْحَهَا.

(١) في (س): (لم ينته الجن) بالياء.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل القرآن (١٧٢/٥)، رقم (٢٩٠٦)، وقال: إسناده مجهول، وفي الحارث مقال، وأخرجه ابن أبي شيبة في كتاب فضائل القرآن، باب: التمسك بالقرآن (١٨٢/١٠) رقم (١٠٠٥٦) كلاهما عن علي بن أبي طالب.

(٣) هو: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى، السلمي، الحافظ، العلم الإمام البارع الضريع، مصنف الجامع والعلل، ارتحل فسمع بخراسان والعراق والحرمين، وكان أبو عيسى يضرب به المثل في الحفظ، توفي سنة (٢٧٩هـ). انظر: وفيات الأعيان (٢٧٨/٤)، وسير أعلام النبلاء (٢٧٠/١٣)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٢٧٨).

(٤) انظر: لسان العرب (٢٢/٤)، والنهاية في غريب الحديث (٣٣٤/١) مادة (حبل).

فَصْلٌ

في ذكر أن القرآن اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من كتب الله السالفة وفيه خمسة أحاديث:

الأول: عن واثلة بن الأسقع^(١) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال: (أُعْطِيَ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ الطُّوَالَ، وَأُعْطِيَ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمِثْنَيْنِ أَوْ قَالَ: الْمِثْنَيْنِ^(٢))، وَأُعْطِيَ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِثْنَيْنِ أَوْ قَالَ: الْمِثْنَيْنِ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ^(٣)) رواه أحمد^(٤).
والطُّوَال: بضم الطاء جمع طولى^(٥).

الثاني: عن عقبة بن عامر^(٦) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال لي رسول الله ﷺ: (أَلَا أَعْلَمُكَ

(١) هو: واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر، وقيل: واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل الليثي، من أصحاب الصفة، أسلم سنة تسع وشهد تبوك، طال عمره، مات سنة خمس وثمانين وله ثمان وتسعون سنة. انظر: أسد الغابة (٥/٤٢٨)، وسير أعلام النبلاء (٣/٣٨٣)، والإصابة لابن حجر (٥٩١/٦).

(٢) ورد رسمها في (ق): هكذا (المأين)، وفي (س): هكذا (المأين) والمثبت هو المتجه.

(٣) قسم العلماء سور القرآن إلى أربعة أقسام: وهي: الطوال والمئين والمثاني والمفصل: السبع الطوال: هي البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، واختلفوا في السابعة؛ فقيل: يونس، وقيل: التوبة (أو التوبة والأنفال معا)، وقيل: الكهف.

والمئنون: هي ما ولي السبع الطوال، وهي السور التي تزيد آياتها على مائة آية أو تقاربها. والمثاني: هي السور التي تلي المئين في عدد الآيات. وقيل: هي السور التي آياتها أقل من مائة آية؛ لأنها تتثنى أي تكرر أكثر مما تتثنى الطوال والمئنون. وقد تطلق المثاني على القرآن كله.

والمفصل: هو ما ولي المثاني من قصار السور، وسمي بذلك لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة. وآخره سورة (الناس)، واختلفوا في تعيين أوله، فقيل: أوله (ق)، وقيل: (الحجرات).

والمفصل ثلاثة أقسام: طوال وأواسط وقصار: فطواله إلى سورة (عم يتساءلون)، وأواسطه منها إلى سورة (الضحى)، وقصاره منها إلى آخر القرآن. انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٢٤٤)، والإتقان في علوم القرآن (٤/١٥١)، ومناهل العرفان للزرقاني (١/٣٥٢).

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٤/١٠٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/٧٥) برقم (١٨٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٤٦٧) وقال: رواه أحمد، وفيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات.

(٥) انظر: لسان العرب (٩/١٩٣)، والنهاية في غريب الحديث (٤/١٤٤) مادة (طول).

(٦) هو: عقبة بن عامر أبو عمرو الجهني، المصري، صاحب النبي ﷺ - كان عالماً مقرئاً فصيحاً فقيهاً فريضاً =

سُورًا مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلُهُنَّ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، فَلَا تَأْتِيَنَّ ^(١) عَلَيْكَ لَيْلَةٌ إِلَّا قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا) رواه أحمد ^(٢).

وَأَعْلَمُكَ: بسكون العين.

الثالث: عن أبي ذر ^(٣) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ: (أُعْطِيَتْ خَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي) رواه أحمد ^(٤).

الرابع: عن أبي بن كعب ^(٥) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ: (ما أُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ مِثْلَ أَمِّ الْقُرْآنِ) رواه أحمد، والنسائي، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح ^(٦).

الخامس: عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: بينما جبريل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: (هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُحِ الْيَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ

- شاعراً، كبير الشأن، وهو كان البريد إلى عمر بفتح دمشق، وشهد صفين مع معاوية، وشهد فتح مصر، توفي سنة (٥٨هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٣٤٣/٤)، وأسد الغابة (٥٣/٤)، والإصابة (٥٢٠/٤).

(١) في (س): (فَلَا يَأْتِيَنَّ) بالياء.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (١٤٤/٤) وأبو داود في كتاب الصلاة، باب: في المعوذتين (٦٣٥/٢)، رقم (١٤٦٢)، والنسائي في كتاب الاستعاذة (٢٥٣/٨)، رقم (٥٤٣٧).

(٣) هو: أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، أحد السابقين الأولين من نجباء أصحاب محمد - ﷺ - وكان خامس خمسة في الإسلام، وكان يفتي في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وشهد فتح بيت المقدس مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، توفي سنة (٣٢هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٢١٩/٤)، وأسد الغابة (٩٩/٦)، وسير أعلام النبلاء (٤٦/٢).

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (١٨٠/٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٢/٦)، وقال: رواه أحمد بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح.

(٥) هو: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن النجار، شهد العقبة الثانية وبايع النبي - ﷺ - ثم شهد بدرًا، وكان أقرأ الصحابة لكتاب الله وكان - أبي بن كعب - ممن كتب لرسول الله - ﷺ - الوحي قبل زيد بن ثابت، توفي سنة (٣٢هـ). انظر: الاستيعاب (١٦١/١)، وتجريد أسماء الصحابة (٤/١)، والإصابة (٢٧/١).

(٦) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (١١٤/٥)، والنسائي في سننه، كتاب الافتتاح، باب: تأويل قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مَبْرُورَاتٍ الْفُرْقَانِ وَالْعَظِيمِ﴾ (١٣٩/٢)، رقم (٩١٤)، والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحجر (٢٩٧/٥)، رقم (٣١٢٥) وقال: حسن صحيح.

إِلَّا الْيَوْمَ، [فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ وَلَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ] ^(١)، فَسَلَّمَ فَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُوْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ، فَاتْحَةَ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ ^(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ ^(٣).
وَالنَّقِيضُ - بِالْقَافِ وَالضَّادِ الْمَعْجَمَةُ -: صَرِيرُ الْبَابِ إِذَا فَتَحَ ^(٤).

قال العلماء:

وهذا تنبيهٌ من الله تعالى لرسوله ﷺ على فضل الفاتحة وخواتيم البقرة، أكرم الله هذا الملك أن يبشّر نبيّه بهما بعد أن نزل بهما جبريل - عليه السلام - في أوقاتها، فإن الفاتحة مكيّة اتفاقاً ^(٥)، والبقرة مدنيّة اتفاقاً ^(٦)، وتوهّم بعض العلماء أن الفاتحة نزلت مرتين ^(٧).

(١) زيادة في (ق) لم ترد في (س).

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة (٥٥٤/١)، برقم (٨٠٦).

(٣) هو: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ثقة حافظ، إمام مصنف، عالم بالفقه صاحب «الصحيح» وكتاب «الطبقات»، والكنى والأسماء، قال الذهبي: «هو الإمام الكبير الحافظ المجود الحجة الصادق أبو الحسين»، توفي سنة (٢٦١هـ). انظر: الجرح والتعديل للرازي (١٨٢/٨)، ووفيات الأعيان (١٩٤/٥)، وسير أعلام النبلاء (٥٥٧/١٢).

(٤) انظر: لسان العرب (٣٤٠/١٤) مادة (نقض).

(٥) وهذا قول أكثر أهل العلم وليس اتفاقاً، قال البغوي في تفسيره «معالم التنزيل» (٤٩/١): «وَهِيَ مَكِّيَّةٌ عَلَى قَوْلِ الْأَكْثَرِينَ» وانظر: التبيان في معرفة تنزيل القرآن واختلاف عدد آيات القرآن على أقاويل القراء أهل البلدان لأبي حفص العطار (ص ١٣٤)، والتبيان في عدّ آي القرآن للداني (ص ١٣٩).

(٦) قال أبو مظفر السمعاني في تفسيره (٤٠/١): «اعلم أن سورة البقرة مدنية باتفاق الأئمة». وانظر: التبيان في معرفة تنزيل القرآن (ص ١٣٨).

(٧) تفسير البغوي (٤٩/١)، وانظر: الإتيان في علوم القرآن (٦٠/١) [فصل: في تحرير السور المختلف فيها].

فَصْلٌ

في ذِكْرِ النهي عن التشاغل عن القرآن بغيره من القصص والأخبار وغيرهما إلا ما كان معيناً على فهمه

أجمع العلماء على أن الاشتغال عن القرآن ولو بالحديث وغيره من العلوم الشرعية حتى ينسى أو يترك بسبب ذلك تدبره والتفقه فيه وفهم معانيه وأوامره ونواهيه مذموم، وأن المحمود ما كان عليه السلف من الاهتمام بحفظ القرآن، والاشتغال بما يعين على فهم معانيه من التفسير، والحديث، والأثر، واستنباط العلوم منه؛ لما سبق أن العلم كله في القرآن، وقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، وقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿كَتَبْنَا أَنْزِلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَرَكًا لِيَذَّبَ رُءُوسَ الَّذِينَ وَلِيَ الَّذِينَ وَلُوا أَلْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وسبق قوله ﷺ: (وَمَنْ ابْتَغَى الْعِلْمَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ) ^(١).

وفي الفصل ستة أحاديث:

الأول: عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أنه قال: (كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، وَكِتَابُكُمْ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ - ﷺ - أَحَدُثَ الْأَخْبَارِ، تَقْرَؤُونَهُ مُحْضًا لَمْ يُشَبَّ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ اللَّهُ فِي كِتَابِكُمْ أَنَّهُمْ قَدْ غَيَّرُوا كِتَابَ اللَّهِ وَبَدَّلُوهُ، وَكَتَبُوا الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ وَقَالُوا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَلَا يَنْهَاكُمُ الْعِلْمُ الَّذِي جَاءَكُمْ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ، لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ) ^(٢) رواه البخاري ^(٣).

الثاني: عن جابر ^(٤) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أتى النبي ﷺ بكتاب

(١) سبق تخريجه (ص ٢٧ - ٢٨).

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٢٣): «يلعلم أن أكثر ما يتحدثون به - يعني أهل الكتاب - غالبه كذب وبهتان؛ لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل، وما أقل الصدق فيه، ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحاً». وقد بَوَّبَ البخاري «باب لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء».

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي - ﷺ -: (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء): (٢٦٧٩/٦)، رقم (٦٩٢٩).

(٤) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن سلمة، الإمام الكبير المجتهد الحافظ =

أصابه من بعض أهل الكتاب، وفي رواية من بعض بني قريظة^(١) ليزداد به علماً فَعَضِبَ رسول الله ﷺ فقال: (والذي نفسي بيده لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيَضَاءً نَقِيَّةً، والذي نفسي بيده لو كان موسى حياً ما وَسَّعَهُ إِلَّا أَنْ يَتْبَعَنِي) رواه أحمد^(٢)، والنسائي^(٣).

الثالث: عن أبي سعيد^(٤) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (لَا تَكْتُبُوا عَنِي شَيْئاً إِلَّا الْقُرْآنَ، فَمَنْ كَتَبَ عَنِي شَيْئاً سِوَى الْقُرْآنِ فَلِيْمَحْه) رواه أحمد، ومسلم^(٥).

الرابع: عن أبي هريرة^(٦) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا خَطَبَ عَامَ الْفَتْحِ^(٧))، وَذَكَرَ

= أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن، الأنصاري الخزرجي، الفقيه، من أهل بيعة الرضوان روى علماً كثيراً عن النبي - ﷺ - وعن بعض الصحابة، توفي سنة (٥٧٨هـ). انظر: الاستيعاب (٢٩٣/١)، وأسد الغابة (٢٥٦/١)، والإصابة (٤٣٤/١).

(١) قريظة جهينة قبيلة من يهود خيبر، وكذلك بنو النضير، وقد دخلوا في العرب على نسبهم إلى هارون أخي موسى صلوات الله عليهما وعلى نبيينا - ﷺ -، منهم محمد بن كعب القرظي وغيره، وأما قريظة فإنهم أُبِيدُوا لِنَقْضِهِمُ الْعَهْدَ وَمَظَاهِرَتِهِمُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَمْرٌ بِقَتْلِ مَقَاتِلِهِمْ وَسَبْيِ ذُرَارِيهِمْ وَاسْتِفَاءِ مَالِهِمْ، وَذَلِكَ فِي الْعَامِ الْخَامِسِ مِنَ الْهَجْرَةِ. انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (٩٨/٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (١٧٦/٤).

(٢) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٣٨٧/٣)، وابن أبي شيبة في كتاب الأدب، باب: من كره النظر في كتب أهل الكتاب (٤٧/٩)، رقم (٦٤٧٢)، وعبد الرزاق في كتاب أهل الكتاب، باب: مسألة أهل الكتاب (١١٣/٦)، رقم (١٠١٦٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٧/١)، رقم (٥٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٨٠٥/٢)، رقم (١٤٩٧). والحديث حسنه الشيخ ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل في تخرج أحاديث منار السبيل (٣٤/٦) رقم (١٥٨٩).

(٣) لم أجد في مظانه عند النسائي.

(٤) هو: أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن عوف بن الحارث بن الخزرج، الإمام المجاهد، مفتي المدينة، شهيد الخندق وبيعة الرضوان، توفي سنة (٥٧٤هـ). انظر: أسد الغابة (٢٨٩/٢) والوافي بالوفيات (١٤٨/١٥)، وسير أعلام النبلاء (١٦٨/٣).

(٥) رواه أحمد بن حنبل في المسند (٣٩/٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب: التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم (٢٢٩٨/٤)، رقم (٣٠٠٤).

(٦) هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الحافظ، قرأ القرآن على أبي بن كعب، وقرأ عليه غير واحد، وكان إماماً مفتياً فقيهاً صالحاً، حسن الأخلاق، وكان كثير العبادة والذكر، توفي سنة (٥٥٨هـ). انظر: أسد الغابة (٣١٨/٦)، ومعرفة القراء الكبار (٤٣/١)، وغاية النهاية (٣٧١/١).

(٧) عام الفتح أي فتح مكة - شرفها الله تعالى - وكان سبب ذلك أن قريشاً نقضوا العهد الذي وقع بالحديبية فبلغ ذلك النبي - ﷺ - فغزاهم، وكان في الشرط: من أحب أن يدخل في عقد رسول الله - ﷺ - وعهده فليدخل، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل، فدخلت بنو بكر أي ابن عبد مناة بن كنانة في عهد قريش =

حرمة مكة^(١)، قام رجل يقال له: أبو شاه^(٢) قال: اكتبوا لي يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: اكتبوا لأبي شاه) رواه البخاري ومسلم^(٣).

الخامس: عن الزهري^(٤) عن سالم^(٥) بن عبد الله بن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - عن أبيه^(٦) قال: (كان رسول الله ﷺ قد كتب الصدقة وما فيها من نصاب^(٧) المواشي ومقدار الواجب فيها^(٨))

= ودخلت خزاعة في عهد رسول الله - ﷺ - وكان بين بني بكر وخزاعة حروب وقتلى في الجاهلية فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الإسلام، فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلي من بني بكر في بني الديلي حتى بيت خزاعة على ماء لهم يقال له الوتر، فأصاب منهم رجلاً يقال له منبه، واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال، وأمدت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل بعضهم معهم ليلاً في خفية فلما انقضت الحرب خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله - ﷺ - وهو جالس في المسجد فقال له رسول الله - ﷺ -: «نصرت يا عمرو بن سالم» فتح الباري (٥١٩/٧-٥٢٠) بتصرف.

(١) مكة: بيت الله الحرام، وقيل: مكة اسم المدينة، وبكة: اسم البيت، وقال آخرون: مكة هي بكة والميم بدل الباء. معجم البلدان لياقوت الحموي (٢١٠/٥).

(٢) هو: أبو شاه اليماني، يقال: إنه كلبى، ويقال: إنه فارسي من الأبناء الذين قدموا اليمن في نصره سيف بن ذي يزن، وهو بالفارسي معناه الملك، وقال ابن عبد البر: نصر خطبة رسول الله ﷺ فقال اكتبها لي يا رسول الله. انظر: الاستيعاب (٢٤٩/٤)، وأسد الغابة (١٦٢/٦)، والإصابة (٢٠٢/٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب: من قتل له قتيل فهو بخير النظرين (٢٥٢٢/٦)، رقم (٦٤٨٦)، ومسلم كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلالها وشرها (٩٨٨/٢)، رقم (١٣٥٥).

(٤) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة، أبو بكر القرشي، قال عنه ابن حجر الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه، توفي سنة (١٢٥هـ). انظر: طبقات القراء (٢٦٢/٢)، وتقريب التهذيب (ص ٥٠٦) رقم (٦٢٩٦).

(٥) هو: سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب الإمام الزاهد الحافظ مفتي المدينة أبو عمر القرشي العدوي المدني، كان ثقة كثير الحديث عالماً من الرجال ورعاً، وقال ابن الجزري: «وردت عنه الرواية في حروف القرآن»، توفي سنة (١٠٨هـ). طبقات ابن سعد (١٩٥/٥)، وغاية النهاية (٣٠١/١)، ووفيات الأعيان (٣٤٩/٢).

(٦) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير ولم يبلغ الحلم، أول مشاهده الخندق، وكان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لأنار رسول الله - ﷺ - شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، توفي سنة (٧٣هـ). انظر: الاستيعاب (٨٠/٣)، وتجريد أسماء الصحابة (٣٢٥/١)، وسير أعلام النبلاء (٢٠٣/٣).

(٧) في (س): (وُنُصِبَ المواشي).

(٨) نصاب المواشي ومقدار الواجب فيها: جاء في نص الحديث عند أحمد وغيره «كان فيه في خمس من الإبل شاة، وفي عشرة شاتان، وفي خمس عشرة ثلاث شياه، وفي عشرين أربع شياه، وفي خمس وعشرين بنت مخاض إلى خمس وثلاثين، فإذا زادت ففيها ابنة لبون إلى خمس وأربعين، فإذا زادت ففيها حقة إلى ستين، فإذا زادت =

ولم يخرجها إلى عُمَّالِهِ حتى توفي، فأخرجها أبو بكر^(١) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - من بعده) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي^(٢).

قال العلماء في الجمع بين هذه الأحاديث:

كان النبي ﷺ ينهى [في أول الإسلام]^(٣) عن كتابة غير القرآن لئلا يلتبس بغيره كما دلَّ عليه حديث أبي سعيد، ثم نسخ ذلك بقوله وفعله ﷺ لما تميز القرآن عن غيره واشتهر وكثر حفاظه، كما دلَّ عليه حديث أبي هريرة وابن عمر فلا تعارض بين الأحاديث^(٤).

السادس: عن أبي موسى^(٥) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ الْأَرْضَ وَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا نَاسًا

- ففيها ابتنا لبون إلى تسعين، فإذا زادت ففيها حقتان إلى عشرين ومائة، فإذا زادت على عشرين ومائة ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين ابنة لبون، وفي الشاء في كل أربعين شاة شاة إلى عشرين ومائة، فإذا زادت على ثلاثمائة شاة ففي كل مائة شاة شاة، ثم ليس فيها شيء حتى تبلغ أربعمائة، ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع مخافة الصدقة، وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسوية ولا يؤخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عيب» عون المعبود شرح سنن أبي داود (٤/٤٣٨).

(١) هو: عبد الله بن عثمان التيمي القرشي، لُقِّبَ بالصدِّيق، وهو أول الخلفاء الراشدين، شهد بدرًا بعد مهاجرته مع رسول الله - ﷺ - من مكة إلى المدينة، وكان مؤسس النبي - ﷺ - في الغار واستخلفه رسول الله - ﷺ - على أمته من بعده بما أظهره من الدلائل البينة على محبته في ذلك، وتوفي سنة (١٣هـ). انظر: الاستيعاب (٣/٩١)، وأسد الغابة (٦/٣٧)، والإصابة (٤/١٦٩).

(٢) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٢/١٥)، وأبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب: في زكاة السائمة (٢/٦٧٧)، رقم (١٥٦٨) والترمذي في كتاب الزكاة، باب: ما جاء في زكاة الذهب والورق (٣/٨)، رقم (٦٢١)، وقال الترمذي: حديث ابن عمر حديث حسن.

(٣) زيادة في (س)، لم ترد في (ق).

(٤) في (س): (فلا تعارض للأحاديث).

(٥) هو: أبو موسى عبد الله بن قيس بن مسلم الأشعري البماني - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حفظ القرآن والعلم، وكان من أطيب الناس صوتًا، سمع النبي - ﷺ - قراءته فقال «لقد أوتي هذا مزمراً من مزامير آل داود»، ومحاسنه كثيرة، توفي سنة (٤٤هـ). انظر: أسد الغابة (٣/٣٦٧)، ومعرفة القراء الكبار (١/٣٩)، وغاية النهاية (١/٤٤٢).

فَشَرِبُوا وَزَرَعُوا وَسَقَوْا وَأَصَابَ طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمَسِّكُ^(١) مَاءً^(٢) وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ اللَّهُ بِمَا بَعَثَنِي^(٣) بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) رواه أحمد والبخاري ومسلم^(٤).

- والكلأ: - محرکاً، مقصور -: المرعى رطباً ويابساً^(٥).

- والعشب: الرطب منه^(٦).

- والأجاذب - بالجيم والذال المهملة -: الصلبة^(٧).

- وفَقَّهه: بضم القاف وكسرهما وفتحها.

وفي الحديث المدح والثناء لمن تفقه في الدين؛ وذلك بفهم كتاب الله وتدبر معانيه، والذم لمن أعرض عن ذلك، وقد قال الله تعالى - فيمن لم يتذكر كلامه وكلام رسوله - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا﴾ أي قبل الآن^(٨)، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

(١) في نسختي (ق) و(س): (لَا يُمَسِّكُ) بالياء، والمثبت هو المتجه.

(٢) لفظ (ماء) سقطت في (س).

(٣) في (س): (بِمَا بَعَثَنِي وَنَفَعَهُ)، بزيادة (ونفع).

(٤) الحديث رواه أحمد بن حنبل في المسند (٣٩٩/٤)، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: فضل من عليم وعلم (٤٢/١)، برقم (٧٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ - من الهدى والعلم (٢٢٨٨/٤) رقم (٢٢٨٢).

(٥) انظر: لسان العرب (٩٥/١٣) مادة (كلأ).

(٦) انظر: لسان العرب (١٥٥/١٠) مادة (عشب).

(٧) انظر: لسان العرب (٨٧/٣) مادة (جذب).

(٨) انظر: تفسير الطبري (٥٠/٢٦)، وتفسير ابن كثير (٢٩٧/٧).

فَصْلٌ

فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ عَنْ أَنْ يُضْرَبَ كِتَابُ اللَّهِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ

وفيه ثلاثة أحاديث:

الأول: عن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو ^(١) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - عن أبيه ^(٢) عن جده ^(٣) قال: سمع رسول الله ﷺ قوماً يتنازعون في شيء من القرآن، فقال: (إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا ضَرَبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَإِنَّمَا نَزَلَ كِتَابُ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، فَمَا عَلِمْتُمْ فَقُولُوا، وَمَا جَهِلْتُمْ فَكَلِمَةُ إِلَى عَالِمِهِ) رواه الإمام أحمد ^(٤).

الثاني: عن عائشة ^(٥) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت: قرأ النبي ﷺ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ الآية [آل عمران: ٦٧]، فقال ﷺ: (إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ

(١) هو: عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل، الإمام المحدث أبو عبد الله القرشي السهمي الحجازي، فقيه أهل الطائف ومحدثهم، حدث عن أبيه فأكثر، قال العجلي والنسائي وابن عدي: ثقة، وروى عنه أئمة الناس وثقاتهم، توفي سنة (١١٨هـ). انظر: الجرح والتعديل (٢٣٨/٦)، تهذيب الكمال (٦٤/٢٢)، سير أعلام النبلاء (١٦٥/٥).

(٢) هو شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي الحجازي، والد عمرو بن شعيب، روى عن عبادة بن الصامت، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: صدوق. انظر: ثقات ابن حبان (٣٥٧/٤)، وتهذيب الكمال للمزي (٥٣٤/١٢)، وتقريب التهذيب (ص ٢٦٧) رقم (٢٨٠٦).

(٣) هو: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو، الإمام الحبر العابد، صاحب رسول الله ﷺ - وحمل عنه علماً جماً، أسلم قبل أبيه، وله مناقب وفضائل ومقام راسخ في العلم والعمل، توفي سنة (٥٦٣هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٣٧٣/٢)، وأسد الغاية (٣٤٩/٣)، والإصابة (١٩٤/٤).

(٤) رواه أحمد بن حنبل في المسند (١٨٥/٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن (٢٠٥٣/٤) رقم (٢٦٦٦).

(٥) هي: عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبي ﷺ - تزوجها رسول الله ﷺ - بمكة قبل الهجرة بسنتين وابتنى بها بالمدينة، ولم ينكح رسول ﷺ - بكرةً غيرها، قال ابن حجر عنها: أفقه النساء مطلقاً، توفيت سنة (٥٧هـ). انظر: الاستيعاب (٤٣٥/٤)، وأسد الغاية (١٨٨/٧)، وتقريب التهذيب (ص ٧٥٠) رقم (٨٦٣٣).

فَهُمُ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ فَأَحْذَرُوهُمْ) رواه البخاري ومسلم وأحمد واللفظ له^(١).

الثالث: عن أبي أمامة^(٢) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ..﴾ [آل عمران: ٧]، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦] (هم الخوارج) رواه أحمد^(٣).

قال العلماء^(٤):

المراد بالمحكم هنا: ما ظهر المراد منه، [بما يجب اعتقاده أو يجب العمل به]^(٥)، وبالتشابه: ما لا يظهر المراد منه مما وصف الله به نفسه، أو وصفته به رسله، فيجب الإيمان بأنه من عند الله، وبأن له معنى لا ثقاً بجلال الله لا يعلمه إلا الله، أو^(٦) من أظلمه الله عليه من الراسخين في العلم كما حكى الله عنهم في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فعلى هذا التشابه هنا مأخوذ من قولك: اشتبه عليّ الأمر، أي: أشكل عليّ معرفة المراد منه، ومنه: ﴿إِنَّ الْبَقْرَةَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠]، أي أشكل علينا معرفة البقرة التي أمرنا الله بذبحها، فهذا التشابه نوع من القرآن يقابل المحكم السابق، وقد يرد المحكم بمعنى الثابت المتفق الصنعة، والمتشابه بمعنى المتماثل، قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود: ١] أي أثبتت في أماكنها^(٧)، وقال تعالى:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: سورة آل عمران (١٦٥٥/٤) رقم (٤٢٧٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن (٢٠٥٣/٤) رقم (٢٦٦٥)، وأحمد بن حنبل في المسند (٤٨/٦).

(٢) هو: أبو أمامة الباهلي صدي بن عجلان بن وهب بن عريب بن وهب بن رباح بن الحارث ابن معن بن مالك ابن أعصر، صاحب رسول الله ﷺ - ونزيل حمص، روى علماً كثيراً، وحدث عن بعض الصحابة، وكان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ممن بايع تحت الشجرة، توفي سنة ٨٦ هـ. انظر: أسد الغابة (١٦/٣)، وطبقات ابن سعد (٤١١/٧)، وسير أعلام النبلاء (٣٥٩/٣).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٥٦/٥).

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١٣٣٥/٤).

(٥) هكذا في (س) وهي أدق في السياق، وفي (ق): (ما يجب اعتقاده ويجب العمل به).

(٦) في (س): (ومن أظلمه الله بالوهم).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٧٠/٦) سورة آل عمران، الآية (٧)، وتفسير ابن كثير (٨/٢) سورة آل عمران، الآية (٧).

﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٣٩]، فعلى هذا يعم الإحكام والتشابه^(١) القرآن كله.

ومعنى التماثل في القرآن:

توافق آياته في تصديق بعضها لبعض كما سبق في الحديث، وقد يُفسَّر^(٢) المحكم بما لم ينسخ حكمه، وكذلك ابتغاء التأويل المذموم إنما هو طلب تأويل المتشابه بمجرد الرأي لا ابتغاء الفتنة وإفساد العقائد السُّنِّيَّة كما هو شأن أهل البدع والأهواء، لا لأجل العلم والاهتداء فإنه محمود؛ ولهذا دعا رسول الله ﷺ لابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بأن يعلمه الله التأويل، ومعنى التأويل لغة وشرعاً: معرفة ما يؤول إليه الأمر، ومنه قول يوسف - عليه السلام -: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وكذا قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي وجود حقيقة للخبر به في الخارج^(٣).

(١) في (س): (والمتشابه).

(٢) في (س): (وقد يخفى).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧٠/٦)، وتفسير ابن كثير (٥/٢).

فَصْلٌ

في ذكر النهي عن معارضة السُّنَّةِ بما يفهم من ظاهر القرآن

وأن ترد السُّنَّةُ الثابتة من أجل ذلك؛ لأن السُّنَّةَ هي المبينة للقرآن الموضحة للمراد منه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وفيه أربعة أحاديث:

الأول: عن أبي رافع ^(١) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ:

(لا أعرفنَّ الرَّجُلَ يأتِيهِ الأَمْرُ من أَمْرِي مما أَمَرْتُ به ونَهَيْتُ عنه فيقول: ما أدري ما هذا، وعندنا كتاب الله ليس هذا فيه) ^(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ^(٣).

الثاني: عن أبي بكر الصديق - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ خَطَبَ، فَقَالَ: (إِنَّكُمْ تَقْرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَا وَضَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيَكُمُ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ، فَلَمْ يُنْكِرُوهُ، يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ) رواه أحمد ^(٤).

(١) هو: أبو رافع مولى رسول الله - ﷺ - من قبط مصر، يقال: اسمه إبراهيم، كان عبداً للعباس فوهبه للنبي - ﷺ - روى عدة أحاديث، روى عنه ولده عبيد الله بن أبي رافع، شهد غزوة أحد والخندق، وكان ذا علم وفضل، توفي في خلافة علي سنة أربعين. انظر: الاستيعاب (٢١٩/٤)، وأسد الغابة (٥٢/١)، والإصابة (١٣٥/٧).

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب: في لزوم السنة (١٩٧٣/٤) رقم (٤٦٠٥)، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب: ما نهى عنه أن يقال: عند حديث النبي - ﷺ - (٣٧/٥) رقم (٢٦٦٣)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في سننه، كتاب المقدمة، باب: تعظيم حديث رسول الله - ﷺ - (٦/١) رقم (١٣)، والحاكم في المستدرک، كتاب العلم، باب: إنما حرم رسول الله - ﷺ - ما حرم الله (١٠٨/١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وأحمد بن حنبل في المسند (٨/٦).

(٣) هو: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، الحافظ الكبير، الحجة المفسر، مصنف السنن والتاريخ والتفسير، وحافظ قزوين في عصره، قال الذهبي: كان ابن ماجه حافظاً ناكداً صادقاً واسع العلم، وقال أبو يعلى: «هو ثقة كبير متفق عليه محتج به، له معرفة بالحديث وحفظه»، توفي سنة (٥٢٧٣هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٢٢٠/٥)، وسير أعلام النبلاء (٢٧٧/١٣)، وطبقات المفسرين للداودي (٢٧٢/٢).

(٤) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٥/١)، وابن أبي شيبه في كتاب الفتن، باب ما ذكر في فتنة الدجال (١٧٥/١٥) رقم (١٩٤٢٩)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٤٤/١) رقم (٥٨)، والحديث أخرجه أيضا أبو داود في كتاب الملاحم، باب: الأمر والنهي (١٨٥٤/٤) رقم (٤٣٣٨)، والترمذي في كتاب الفتن، باب: =

ويوشك - بكسر الشين-: مضارع أوشك بمعنى قرب^(١).

الثالث: عن علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: (إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ، ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١١])، وإن رسول الله - ﷺ - قضى بالدين قبل الوصية) رواه أحمد، والترمذي وابن ماجه^(٢).

قالت العلماء:

لما كانت الآية الأولى في حديث أبي بكر تقتضي عدم وجوب النهي عن المنكر مطلقاً، نبههم أبو بكر أن السُّنَّة قَيَّدَت الآية؛ لعدم القدرة على ذلك، وأن بيان السُّنَّة هو مراد الله تعالى^(٣).

ولما كانت الآية الثانية تقتضي مساواة الوصية للدين أو تقديمها، نبههم على أن السُّنَّة قضت بتأخيرها عنه^(٤).

الرابع: عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ: (ستأتيكم عني أحاديث مختلفة، فما جاءكم موافقاً لكتاب الله ولسنتي فهو مني، وما جاءكم مخالفاً لكتاب الله ولسنتي فليس مني)^(٥) رواه الدارقطني^(٦).

- ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر (٤٠٦/٤) رقم (٢١٦٨)، وقال: حسن صحيح، بلفظ: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه».

(١) انظر: لسان العرب (٢١٩/١٥)، والنهاية في غريب الحديث (١٨٩/٥)، مادة (وشك).

(٢) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (١٣١/١)، والترمذي في سننه، كتاب الفرائض، باب: ما جاء في ميراث الإخوة من الأب والأم (٤١٦/٤) رقم (٢٠٩٤)، والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم، وابن ماجه في سننه، كتاب الوصايا، باب: الدين قبل الوصية (٩٠٦/٢) رقم (٢٧١٥).

(٣) انظر: ما قاله العلماء في تأويل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ لَا يَصُدُّونَ مَنْ صَلَّى إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ مع بيان السُّنَّة في ذلك في: تفسير الطبري (١٣٨/١١)، وتفسير القرطبي (١٧٧/٢ - ١٧٨)، وفتح القدير للشوكاني (١٤٢/٢).

(٤) انظر: ما قاله العلماء في تأويل قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ ووجه تقديم الوصية على الدين مع كونه مقدماً عليها بالإجماع في: تفسير الطبري (٤٦/٦)، وتفسير البغوي (١٧٧/٢ - ١٧٨)، وفتح القدير للشوكاني (٦٢٦/١).

(٥) الحديث أخرجه الدارقطني في كتاب الأحباس، باب: كتاب عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إلى أبي موسى الأشعري (٢٠٨/٤) رقم (١٧)، وقال الدارقطني: فيه صالح بن موسى ضعيف لا يحتج بحديثه.

(٦) هو: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي، الإمام الحافظ، =

وروى الإمام البيهقي^(١) عن الإمام الشافعي أنه قال في تفسير هذا الحديث ما معناه:
«أن السُّنَّةَ لا تخالف القرآن قط؛ ولهذا جمع بينهما في الحديث، وإنما

حذَّره من إدخال أهل الأهواء فيها ما ليس منها.

قال: والقرآن متضمن لجميع السُّنَّةِ ولكن دلالة على أكثره فيها غموض، فيلزم
النَّاسُ اتِّبَاعَ ما ثبت عنه ﷺ، وردَّ ما لم يثبت؛ لأنه ﷺ أعلم بما أنزل الله عليه من
خصوص أو عموم، أو ناسخ أو منسوخ. انتهى^(٢).

واتفق علماء السُّنَّةِ أن السُّنَّةَ مبيَّنة للقرآن، ولهذا قال مَكْحُولٌ^(٣): «الْقُرْآنُ أَحْوَجُ^(٤)
إِلَى السُّنَّةِ مِنَ السُّنَّةِ إِلَى الْقُرْآنِ»^(٥).

وقال يحيى بن أبي كثير^(٦):

- المجود، شيخ الإسلام، المقرئ المحدث، من أهل محلة دار القطن ببغداد، انتهى إليه الحفظ ومعرفة علل
الحديث ورجاله مع التقدم في القراءات وطرقها وقوة المشاركة في الفقه والاختلاف والمغازي وأيام الناس،
توفي سنة (٣٨٥ هـ). انظر: تاريخ بغداد (٣٤/١٢)، وطبقات الشافعية للسبكي (٤٦٢/٣)، وغاية النهاية (٥٥٨/١).

(١) هو: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، وبيهق عدة قرى من أعمال نيسابور، وهو حافظ، علامة، ثبت،
فقيه، شيخ الإسلام، صنف التصانيف النافعة، وكان من أصحاب الدين والورع، من كبار أصحاب الحاكم، توفي
سنة (٤٥٨ هـ). انظر: وفيات الأعيان (٧٥/١)، والوافي بالوفيات (٣٥٤/٦)، والنجوم الزاهرة للأتابكي (٧٧/٥).

(٢) انظر الرسالة للإمام الشافعي (ص ١٤٦) [فصل الناسخ والمنسوخ الذي تدل عليه السنة والإجماع].

(٣) هو: أبو عبد الله الشامي الدمشقي الفقيه روى عن النبي -ﷺ- مراسلاً وأبي بن كعب ولم يدركه، قال العجلي:
«تابعي ثقة»، وقال أبو حاتم: «ما أعلم بالشام أفقه من مكحول» وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي:
«فقيه الشام»، وقال ابن زر: «ثقة فقيه كثير الإرسال مشهور». انظر: ثقات ابن حبان (٤٤٦/٥)، وثقات العجلي
(ص ٤٣٩) رقم (١٦٢٨)، وتهذيب الكمال (٤٦٤/٢٨).

(٤) كان المسلمون في حاجة إلى معرفة بيان رسول الله مع حاجتهم إلى معرفة كتاب الله ولا يمكن أن يفهم
القرآن على حقيقته وأن يعلم مراد الله من كثير من آيات الأحكام فيه إلا بالرجوع إلى رسول الله -ﷺ-
الذي أنزل الله عليه الكتاب ليبين للناس ما نزل إليهم من ربه. انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي
لمصطفى السباعي (ص ٣٧٦) فصل في مرتبة السنة مع الكتاب.

(٥) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص ٧٤) [باب تخصيص السنن لعموم محكم القرآن].

(٦) هو: يحيى بن أبي كثير أبو نصر واسم أبي كثير صالح بن المتوكل الطائي، روى عن سليمان بن يسار، وروى عنه
علي بن المبارك، قال العجلي: «كان يعد من أصحاب الحديث»، وقال أبو حاتم: «إمام لا يحدث إلا عن ثقة»،
وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي: «أحد الأعلام الأثبات»، وقال ابن حجر: «ثقة ثبت لكنه يدلس» =

«السُّنَّةُ قَاضِيَةٌ»^(١) عَلَى الْكِتَابِ، وَلَيْسَ الْكِتَابُ قَاضِيًا عَلَى السُّنَّةِ»^(٢).

وقال عمران بن الحصين^(٣) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «لَوْ لَا بَيَانُ السُّنَّةِ، مِنْ أَيْنَ كُنَّا نَعْلَمُ مِنَ الْقُرْآنِ أَنَّ صَلَاةَ الصُّبْحِ رَكَعَتَانِ»^(٤)، وَالْمَغْرِبُ ثَلَاثٌ، وَالظُّهْرُ وَالْعَصْرُ وَالْعِشَاءُ أَرْبَعٌ، وَأَنَّ وَقْتَ كُلِّ صَلَاةٍ فِي وَقْتٍ كَذَا، وَأَنَّ الْمَوْقِفَ بِعَرَفَةَ، وَرَمَى الْجِمَارِ كَذَا، وَأَنَّ الْيَدَ هَلْ يَقْطَعُ مِنَ الْمَنْكَبِ أَوْ مِنَ الْمَرْفِقِ أَوْ مِنْ مَفْصَلِ الْكَفِّ وَغَيْرَ ذَلِكَ؟»^(٥).

وقال عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «سَيَأْتِي أَنْاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٦)، وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ - أَيْضًا - مِثْلَ ذَلِكَ^(٧).
وقال الأوزاعي^(٨): «قَالَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ^(٩): إِذَا حَدَّثْتُ الرَّجُلَ بِالسُّنَّةِ فَقَالَ لَكَ:

= ويرسل»، توفي سنة (١١٣٢هـ). انظر: ثقات العجلي (ص ٤٧٥) رقم (١٨٢٣)، وثقات ابن حبان (٥٩١/٧)، وميزان الاعتدال للذهبي (٤٠٢/٤).

(١) السنة قاضية على الكتاب: روى عن بعض العلماء من أن السنة قاضية على الكتاب إذ هي تبين مجمله وتُفَقِّدُ مطلقه، وتخصص عامه فيرجع إليها وينزل ظاهر الكتاب، وقد يحتمل نص الكتاب أمرين فأكثر، فتعين السنة أحدهما فيعمل بها ويترك مقتضى الكتاب. انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ٣٧٨) [فصل في مرتبة السنة مع الكتاب].

(٢) الكفاية في علم الرواية (ص ٤٧) [باب: تخصيص السنن لعموم محكم القرآن]، والبحر المحيط للزركشي (٣٢٩/٣)، مسألة [حاجة الكتاب إلى السنة].

(٣) هو: عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف صاحب رسول الله - ﷺ - أبو نجيد، القدوة الإمام، أسلم هو وأبوه وأبو هريرة سنة سبع، روى عدة أحاديث، وولي قضاء البصرة، وكان عمر قد بعثه إلى أهل البصرة ليفقههم. توفي سنة (٥٥٢هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٢٨٧/٤)، وأسد الغابة (٢٨١/٤).

(٤) في (س): (أن صلاة في وقت الصبح ركعتان).

(٥) الكفاية في علم الرواية (ص ٤٨) [باب: تخصيص السنن لعموم محكم القرآن].

(٦) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب: التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة (٦٢/١) رقم (١١٨)، واللالكائي (٧٠/١)، رقم (٢٠٢) باب: سياق ما روي عن النبي - ﷺ - في النهي عن مناظرة أهل البدع وجدالهم.

(٧) أخرجه اللالكائي (٧٠/١)، رقم (٢٠٣) باب: سياق ما روي عن النبي - ﷺ - في النهي عن مناظرة أهل البدع وجدالهم.

(٨) هو: عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمرو، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، كان يسكن محلة الأوزاع، قال مالك: «الأوزاعي إمام ثقة يقتدى به»، توفي سنة (١٥١هـ). انظر: المعرفة والتاريخ للفسوي (٣٩٠/٢)، وتذكرة الحفاظ (١٧٨/١)، وسير أعلام النبلاء (١٠٧/٧).

(٩) هو: أبو بكر بن أبي تيممة، الإمام الحافظ سيد العلماء مولاهم البصري، عدوه في صفار التابعين، قال النسائي: ثقة ثبت، وقال ابن سعد: «كان ثقة ثبتاً في الحديث جامعاً كثير العلم حجة عدلاً»، توفي سنة (١٣١هـ). =

دعنا من هذا، وحدثنا بالقرآن، فاعلم أنه ضال مضل^(١).

قال الأوزاعي^(٢): لأن الله تعالى ألزم العباد كافة قبول ما أتى به الرسول ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

- انظر: طبقات ابن سعد (٢٤٦/٧)، والجرح والتعديل (٢٤٢/٢)، وسير أعلام النبلاء (١٥/٦).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٨٤/٧)، ومعرفة علوم الحديث للحاكم (٦٥/١).

(٢) الكفاية في علم الرواية (ص ٧٣) باب: تخصيص السنن لعموم محكم القرآن.

فَصْلٌ

فِي ذِكْرِ التَّهْيِ عَنِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِمَجْرَدِ الرَّأْيِ وَالظَّنِّ مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى حُجَّةٍ

وَفِيهِ خَمْسَةُ أَحَادِيثَ:

الأول: عن عبد الله بن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا^(١) يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ؛ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا^(٢) جُهَالًا^(٣) فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا) رواه البخاري^(٤).

الثاني: عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، - وَفِي رَوَايَةٍ: بِرَأْيِهِ - فَلْيَتَّبِعُوا^(٥) مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) رواه أحمد وأبو داود^(٦) والنسائي والترمذي، وقال: حديث حسن^(٧).

(١) قال ابن حجر في فتح الباري (١٩٥/١): «لا يقبض العلم انتزاعاً: أي محواً من الصدور، ومحو العلم من الصدور جائز في القدرة».

وقال العيني في عمدة القارئ شرح البخاري (٩٠/١): «أي أن الله لا يقبض العلم من بين الناس على سبيل أن يرفعه من بينهم إلى السماء أو يمحوه من صدورهم بل يقبضه بقبض أرواح العلماء وموت حملته».

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري (١٩٥/١)، «قال النووي: ضبطناه بضم الهمزة والتنوين جمع رأس، وفي هذا الحديث: الحث على حفظ العلم والتحذير من ترئيس الجهلة، وفيه أن الفتوى هي الرئاسة الحقيقية، وذم من يقدم عليها بغير علم».

(٣) قال الإمام العيني في عمدة القارئ شرح صحيح البخاري (٩٠/١) قوله: «جُهَالًا»: المراد بهذا الجهل البسيط، وهو عدم العلم بالشيء لا مع اعتقاد العلم به، أما الجهل المركب: وهو عدم العلم بالشيء مع اعتقاد العلم به.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم (٥٠/١) رقم (١٠٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضه (٢٠٥٨/٤) رقم (٢٦٧٣).

(٥) وقوله: «فَلْيَتَّبِعُوا»، قال العيني - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «بكسر اللام هو الأصل وبالسكون هو المشهور وهو أمر من التبوء وهو اتخاذ المباءة أي المنزل، يقال: تبوأ الرجل المكان، إذا اتخذ موطئاً لمقامه» عمدة القاري (٢٦٦/١)، وانظر: لسان العرب (١٧٦/٢)، والنهاية في غريب الحديث (١٥٩/٢) مادة (بوأ).

(٦) لم أجد الحديث في مظانه عند أبي داود.

(٧) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٢٣٣/١)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب فضائل القرآن، باب: من قال في القرآن بغير علم (٣١/٥)، رقم (٨٠٨٥)، والترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب: ما جاء في الذي يفسر =

الثالث: عن جندب^(١) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ) رواه أبو داود والنسائي والترمذي^(٢).

الرابع: عن عقبة بن عامر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ: (أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْقُرْآنَ وَاللَّبْنَ، يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ فَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُجَادِلُونَ النَّاسَ بِهِ، وَيُحِبُّونَ اللَّبْنَ، فَيَبْدُونَ، وَيَتْرَكُونَ الْجَمَاعَاتِ وَالْجُمُعَاتِ، وَيَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ، وَيَتْرَكُونَ الصَّلَوَاتِ)^(٣) رواه أحمد^(٤).
ويبدون: أي يسكنون البادية^(٥).

الخامس: عن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ ثَلَاثَ رِجَالٍ يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، وَزَلَّةُ عَالِمٍ يَقْتَدِي بِهِمَا جَاهِلٌ، وَمَا يُفْتَحُ عَلَيْهِمْ مِنَ الدُّنْيَا)^(٦) رواه الطبراني^(٧)،

= القرآن برأيه (١٩٩/٥) رقم (٢٩٥٠) وقال: حسن صحيح، والطبراني في المعجم الكبير (٣٥/١٢) رقم (١٢٣٩٢).
والبيهقي في الشعب (٢٢٧٥)، وأبو يعلى (٢٣٣٨)، والخطيب في الجامع (١٥٨٤).
(١) هو: جندب بن عبد الله بن سفيان، الإمام أبو عبد الله البجلي صاحب النبي - ﷺ - نزل الكوفة والبصرة، وله عدة أحاديث، وتوفي سنة (٧٠هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٣٥/٦)، وأسد الغابة (٣٠٤/١)، وسير أعلام النبلاء (١٧٤/٣).

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب: الكلام في كتاب الله بغير علم (١٥٨٠/٣) رقم (٣٦٥٢)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب فضائل القرآن، باب: من قال في القرآن بغير علم (٣١/٥) رقم (٨٠٨٦)، والترمذي في كتاب التفسير، باب: في الذي يفسر القرآن (١٨٣/٥)، رقم (٢٩٥٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٦٣/٢) رقم (١٦٧٢)، وأبو يعلى في المسند (٩٠/٣) رقم (١٥٢٠).

(٣) قال ابن عبد البر - رَحِمَهُ اللَّهُ - في جامع بيان العلم (٣٧١/٢): بعد أن بَوَّبَ لهذا الحديث بقوله: بَابُ فِي مَنْ تَأَوَّلَ الْقُرْآنَ وَتَدَبَّرَهُ وَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ: «أهل البدع أجمع أضربوا عن السنة، وتأولوا الكتاب على غير ما بيّنت السُّنَّةُ، فضلوا وأضلوا، ونعوذ بالله من الخذلان، ونسأله التوفيق والعصمة برحمته».

فتبين: أن هلاك الأمة باللبن: يعني تعلقهم بالدنيا، فيتبعون الشهوات ويتركون الصلوات.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٥٥/٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٩٥/١٧) رقم (٨١٥).

(٥) انظر: لسان العرب (٤٣/٢)، والنهاية في غريب الحديث (١٠٨/١) مادة (بدا).

(٦) رواه الطبراني في الكبير (١٣٩/٢٠) برقم (٢٨٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٧/١)، وقال: «رواه الطبراني في الثلاثة، وفيه عبد الحكيم بن منصور وهو متروك الحديث».

(٧) هو: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، الإمام الحافظ الثقة الرحال، محدث الإسلام، صاحب =

كذا أبو داود في مراسيله^(١)، والأصح أنه موقوف^(٢).

وسُئِلَ أبو بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْكَافِرِينَ﴾ [عبس: ٣١] فقال: «أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي، إِنَّ أَنَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ»^(٣).

وعن إبراهيم التيمي^(٤) قال: «أنكر عمر كيف تختلف هذه الأمة، ونبيها واحد، وملئها واحدة؟ فسأل ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فقال: يا أمير المؤمنين، إِنَّا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ فَقَرَأْنَاهُ، وَعَلِمْنَا فِيهِمَا أَنْزَلَ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدَنَا أَقْوَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَلَا يَدْرُونَ فِيهِمَا أَنْزَلَ، فَتَخْتَلِفُ آرَأُؤُهُمْ، فَعَرَفَ عَمْرُ قَوْلَهُ وَأَعْجَبَهُ»^(٥).

= المعاجم الثلاثة، جمع وصَّفَ وعمَّر دهرًا طويلاً، توفي سنة (٣٦٠هـ). انظر: ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني (٣٣٥/١)، ومروءة الجنان (٣٧٢/٢)، وسير أعلام النبلاء (١١٩/١٦).

(١) أبو داود في المراسيل، كتاب الأدب، باب في البدع (ص ١٩٣) رقم (٤٨٤).

(٢) الحديث الموقوف: هو الحديث المروي عن الصحابة قولاً لهم أو فعلاً أو نحوه، متصلاً كان أو منقطعاً، ويستعمل في غيرهم مقيداً، فيقال: وقفه فلان على الزهري ونحوه. انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي (١٨٤/١) [النوع السابع: الموقوف].

(٣) الأثر أخرجه ابن أبي شيبه، كتاب فضائل القرآن، باب: من كره أن يفسر القرآن (٥١٢/١٠) رقم (١٠١٥٢).

(٤) هو: ابن يزيد التيمي، أبو أسماء، الإمام القدوة الفقيه، عابد الكوفة، كان شاباً صالحاً قانتاً عالماً فقيهاً، كبير القدر واعظاً، توفي سنة (٥٩٢هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٢٨٥/٦)، والتاريخ الكبير للبخاري (٣٣٣/١)، وطبقات القراء (٢٩/١).

(٥) الأثر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٢٥/٢)، رقم (٢٢٨٣) باب: في تعظيم القرآن، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣٣٣/٢) رقم (٤١٦٧) مطولاً.

فَصْلٌ

في ذكرِ أن أهل القرآن أفضلُ العمال، وأن الاشتغال به أفضلُ الأعمال

وفيه عشرة أحاديث:

الأول: عَنْ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرَجَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ؛ كَمَثَلِ الثَّمَرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ^(١)؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ^(٢) لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ) رواه البخاري ومسلم^(٣).

والأُتْرَجَةُ: بضم الهمزة مخففة الجيم، واحده الأترج، وهو ثمر شجر معروف، وقد تشدد جيمه^(٤).

الثاني: عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ (بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: سَلُوهُ لَأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: لَأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَخْبِرُوهُ: أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يُحِبُّهُ) رواه البخاري ومسلم^(٥).

(١) كل بقلة طيبة الريح، وهو ما يستراح إليه. وقيل: هي كل نبت طيب الريح من أنواع المشوم. انظر: فتح الباري (٥٥٥/٩)، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام.

(٢) نبات ثمرته في حجم البرتقالة ولونها، فيها لب شديد المرارة، ويمتد على الأرض كالبطيخ وثمره يشبه ثمر البطيخ، لكنه أصغر منه جداً، ويضرب المثل بمرارته. انظر: فتح الباري (٥٥٥/٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب: ذكر الطعام ٢٠٧/٥ رقم (٥١١١)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب: فضيلة حافظ القرآن ٥٤٩/١ رقم (٧٩٧).

(٤) ثمر شبه التفاحة، وهي بضم الهمزة والراء بينهما مثناة ساكنة وآخره جيم ثقيلة، وَقَدْ تُخَفَّفُ. وَيُزَادُ قَبْلُهَا نُونٌ سَاكِنَةٌ، وَيُقَالُ: يَحْذِفُ الْأَلِفَ مَعَ الْوُجْهِينِ فَيَتْلُكَ أَرْبَعَ لَفَاتٍ وَتُبْلَغُ مَعَ التَّخْفِيفِ إِلَى ثَمَانِيَةٍ. وهي من أحسن الشمار الشجرية وأنفسها عند العرب. انظر: فتح الباري (٥٥٥/٩).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي - ﷺ - أمته إلى توحيد الله (٢٦٨٦/٦)، رقم (٦٩٤٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة قل هو الله أحد (٥٥٧/١) رقم

(٨١٣)، والنسائي في كتاب الافتتاح، باب: الفضل في قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١٧١/٢) رقم ٩٩٣.

الثالث: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ^(١) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ أَفْضَلَكُمْ - فِي رَوَايَةٍ ^(٢) - خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) ^(٣) رواه البخاري ^(٤).

الرابع: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا) رواه الترمذي ^(٥)، وقال: حديث حسن صحيح ^(٦).

الخامس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) رواه أبو داود ^(٧) بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم.

السادس: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: (مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذَكَرَنِي عَنْ مَسْأَلَتِي، أُعْطِيَتْهُ أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ، وَفُضِّلَ كَلَامُ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ) رواه الترمذي ^(٨).

(١) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي أبا عبد الله، ولد في السنة السادسة بعد عام الفيل، رَوَّاهُ الرُّسُولُ - ﷺ - ابنته رقية ثم أم كلثوم، وقتل يوم الجمعة سنة (٣٨هـ). انظر: الاستيعاب (١٥٥/٣)، وأسد الغابة (٥٨٤/٣)، وتجرید أسماء الصحابة (٣٧٤/١).

(٢) في (س): (ورواية: خيركم من تعلم.. دون حرف الجر) (في).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ (١٩١٩/٤) رقم (٤٧٣٩، ٤٧٤٠) وأحمد بن حنبل في مسنده (٦٩/١).

(٤) جاء في نسخة (ق): (رواه البخاري ومسلم) بزيادة (مسلم) وهو خطأ ولا يؤخذ بها، بل ولم يذكر مسلم هذا الحديث البتة؛ ولعل هذه الزيادة من الناسخ.

(٥) رواه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر (١٧٥/٥)، رقم (٢٩١٠) وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والبخاري في التاريخ الكبير (٢١٦/١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٢/٢) باب: في تعظيم القرآن.

(٦) في (س): (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن).

(٧) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن (٦٣١/٢)، رقم (١٤٥٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (٢٠٧٤/٤)، رقم (٢٦٩٩)، والترمذي في كتاب القراءات، باب ١٢، (١٧٩/٥)، رقم (٢٩٤٥)، وابن ماجه في كتاب المقدمة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم (٨٢/١) رقم (٢٢٥).

(٨) رواه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب ٢٥، (١٨٤/٥)، رقم (٢٩٢٦)، وقال: حديث حسن غريب. =

السابع: عن أبي أُمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ، يَعْنِي الْقُرْآنَ) رواه أحمد، والترمذي^(١).

الثامن: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْقُ وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي^(٢).

التاسع: عن بريدة الأسلمي^(٣) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يُعْطَى صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُلْكُ بِمِيزَانِهِ، وَالْخُلْدُ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يَقُومُ لَهُمَا [أَهْلُ] الدُّنْيَا^(٤))، فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيَقَالُ لَهُمَا: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنِ^(٥) رواه أحمد^(٦).

- والبزار في مسنده كما في فضائل القرآن لابن كثير (ص ٢٧٤).

(١) الحديث رواه أحمد بن حنبل في المسند (٢٦٨/٥)، والترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب ١٧، (١٧٦/٥)، رقم (٢٩١١)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والخطيب في تاريخ بغداد (٨٨/٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣٥٠/٢)، باب: يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل، وعزاه المنذري للترمذي وقال: حسن غريب.

(٢) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (١٩٢/٢)، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب: استحباب الترتيل في القراءة (٦٣٢/٢)، رقم (١٤٦٤)، والنسائي في الكبرى، كتاب فضائل القرآن، باب: الترتيل (٢٢/٥)، رقم (٨٠٥٦)، والترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب ١٨، (١٦٣/٥)، رقم (٢٩١٤)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب: قراءة القرآن (٤٣/٣)، رقم (٧٦٦)، والحاكم في المستدرک (٥٥٢/١)، وقال الذهبي: صحيح، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٦٣/٤)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٤٩/٦) برقم (٧٩٧٨).

(٣) هو: بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث أبو الحصيب الأسلمي، أسلم عام الهجرة، وشهد غزوة خيبر والفتح وكان معه اللواء، واستعمله النبي - ﷺ - على صدقة قومه، وتوفي سنة (٦٣هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٢٤/٤)، وأسد الغابة (٢٠٩/١)، والإصابة (٢٨٦/١).

(٤) لفظ (أهل) سقطت من (ق) و (س).

(٥) لفظ (الدنيا) سقطت من (س).

(٦) قوله: (لَا يَقُومُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا): بتشديد الواو مع كسرهما، قال الساعاتي: «أي لا يمكن أهل الدنيا تحديد قيمتهما». انظر: بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني: (٣٠٤٢/٣)، ح/رقم (٨٤٨٢).

(٧) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٣٤٨/٥)، والدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب: في فضل سورة البقرة وآل عمران (٥٤٣/٢)، رقم (٣٣٩١)، وابن أبي شيبه في مصنفه (٤٩٢/١٠).

العاشر: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ^(١) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَهْلُ الْقُرْآنِ، هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه ^(٢).

وروى ابن رجب الحنبلي بسنده إلى عبد الله ^(٣) بن أحمد بن حنبل، قال: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: «رَأَيْتُ رَبَّ الْعِزَّةِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي النَّوْمِ ^(٤)، فَقُلْتُ: يَا رَبَّ مَا أَفْضَلُ مَا تَقَرَّبَ الْمُتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: كَلَامِي، فَقُلْتُ: يَا رَبَّ بِفَهْمٍ أَوْ بغيرِ فَهْمٍ، قَالَ: بِفَهْمٍ وَبغيرِ فَهْمٍ» ^(٥).

وروى ^(٦) - أيضاً - بسنده إلى المقرئ حمزة الزيات ^(٧)، قال: «رَأَيْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى

(١) هو: أنس مالك بن النضر بن مضمض بن زيد بن حرام الأنصاري الخزرجي البصري خادم رسول الله ﷺ - يَكْنَى أبا حمزة، كان آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله ﷺ -، توفي سنة (٩١هـ). انظر: الاستيعاب (١٩٨/١)، وأسد الغابة (١٥١/١)، وتجريد أسماء الصحابة (٣١/١).

(٢) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (١٢٧/٣)، والنسائي في الكبرى، كتاب فضائل القرآن، باب: أهل القرآن (١٧/٥)، رقم (٨٠٣١)، وابن ماجه في كتاب المقدمة، باب: فضل من تعلم القرآن وعلمه، (٧٨/١)، رقم (٢١٥)، والدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب: فضل من قرأ القرآن، (٥٢٥/٢)، رقم (٣٣٢٦)، وذكره البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٩/١) وقال: هذا إسناد صحيح رجاله موثقون.

(٣) هو: عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، الإمام الحافظ الناقد، محدث بغداد، أبو عبد الرحمن ابن شيخ العصر أبي عبد الله المروزي الشيباني، روى عن أبيه شيئاً كثيراً، وروى عنه النسائي، قال الخطيب: «كان ثقة ثباتاً فهماً وكان صينياً ديناً صادقاً»، توفي سنة (٢٩٠هـ). انظر: الجرح والتعديل (٧/٥)، وتاريخ بغداد (٣٧٥/٩)، وطبقات القراء (٤٠٨/١).

(٤) اختلف أهل العلم في رؤية الله تعالى في المنام بين الجواز وعدمه: فذهب جمهور منهم إلى الجواز. انظر تفصيل ذلك في: إكمال المعلم للقاضي عياض (٢٢٠/٧)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥١/٥)، وشرح العقيدة الطحاوية (ج ١/ص ٤٣٤)، وفتح الباري (٤٦٩/١٩) [كتاب التعبير]، وسير أعلام النبلاء (١٤٦/٣).

وذهب آخرون إلى عدم جواز ذلك. انظر: كلام الشيخ سفر الحوالي في شرح العقيدة الطحاوية (١٨٦٩/١)، والطبقات السنية في تراجم الحنفية (١٥٤/١)، والسيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (١٤٢/٢).

(٥) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٤٧) في ترجمة أحمد بن حنبل الإمام.

(٦) ابن رجب الحنبلي.

(٧) هو: حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل التيمي الزيات، أبو عمار الكوفي مولى آل عكرمة بن ربعي أحد القراء السبعة، تصدر للإقراء مدة، وقرأ عليه عدد كثير، وكان إماماً حجة حافظاً للحديث، بصيراً بالفرائض =

فِي مَنَامِي، فَقَالَ لِي: اقْرَأْ يَا حَمِزَةُ كَمَا عَلَّمْتُكَ؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَهْلَ الْقُرْآنِ، فَقَرَأْتُ، فَلَمَّا أَتَمَمْتُ قِرَاءَتِي، قَالَ لِي: كَذَا قَرَأْتُ^(١).

= والعربية، عابداً خاشعاً قانتاً لله، توفي سنة (١٥٦هـ). انظر: وفيات الأعيان (٢/٢١٦)، ومعرفة القراء الكبار (١/١١١)، وغاية النهاية (١/٢٦١)،

(١) تهذيب الكمال (٧/٣٢١)، وطبقات القراء (١/١٢٠). وقد اطلع الإمام الذهبي على متن هذا المنام فشكك في إسناده واعتبره منكراً حيث قال في معرفة القراء الكبار (١/٢٦٠): «قد بلغنا أنه رأى رب العزة في المنام، ولم يثبت إسناده ذلك وهو منكراً جداً». كما وقف الذهبي في أكثر من علة على إسناده هذا المنام حتى انتهى بعد تفنيد صحة السند إلى قوله: «فلم يثبت المنام أصلاً» ميزان الاعتدال (٦/٣٥٥) رقم (٨٢٦٤) وانظر - أيضاً - ما أورده في سير أعلام النبلاء (٧/١٩٧). وقد ذكر هذه الرؤيا وقصتها وأوضح سندها تحليلياً الدكتور عمر يوسف حمدان في بحثه (ظاهرة المنامات في كتب القراءات وتراجم القراء): (ص ٢٨٠ - ٢٨٤) بمجلة معهد الإمام الشاطبي، فليُنظر إليه.

فَصْلٌ

في ذكرِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، وتأثيرِ الْقُرْآنِ في قلبٍ من أصغى إليه بقلبٍ سليم وفيه عشرة أحاديث:

الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا أَذِنَ اللَّهُ لَشَيْءٍ - أَيِ اسْتَمَعَ - كَأَذْنِهِ لِرَجُلٍ حَسَنَ التَّرْتِمِ بِالْقُرْآنِ) رواه أحمد والبخاري ومسلم^(١).

الثاني: عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ^(٢) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ التَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (اللَّهُ تَعَالَى أَشَدُّ أَذْنًا - أَيِ اسْتِمَاعًا - إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ) رواه أحمد^(٣).

وَالْقَيْنَةُ: الْمَغْنِيَةُ^(٤).

الثالث: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ^(٥) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (زَيِّنُوا أَصَوَاتَكُمْ

(١) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٢٧١/١)، والبخاري في كتاب فضائل القرآن (١٩١٨/٤)، رقم (٤٧٣٦)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن (٤٥٤/١)، رقم (٧٩٢)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب: استحباب الترتيل في القراءة (٦٣٩/٢) والنسائي في كتاب الافتتاح، باب: تزيين القرآن بالصوت (١٨٠/٢).

(٢) هو: فضالة بن عبيد بن نافذة بن قيس بن صهيب بن أصرم، القاضي الفقيه أبو محمد الأنصاري الأوسي، صاحب رسول الله - ﷺ -، من أهل بيعة الرضوان، ثم ولي قضاء دمشق، وكان ينوب عن معاوية في الإمارة إذا غاب، له عدة أحاديث وكان من كبار القُرَّاء، توفي سنة (٥٢٩هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٤٠١/٧)، وأسد الغابة (١٨٤/٤)، وسير أعلام النبلاء (١١٣/٣).

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (١٩/٦)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب: في حسن الصوت بالقرآن (٤٢٥/١) رقم (١٣٤٠)، والحاكم في المستدرک، كتاب فضائل القرآن، باب: زينوا القرآن بأصواتكم (٥٧١/١)، وصححه الحاكم، وذكره البوصيري في مصباح الزجاجة (٤٣٦/١) وقال: هذا إسناد حسن.

(٤) الْقَيْنَةُ: هي الأُمة غنت أو لم تغن والماشطة وكثيراً ما تطلق على المغنية من الإماء وجمعها قينات. انظر: لسان العرب (٢٣٨/١٢)، والنهاية في غريب الحديث (١٣٥/٤). مادة (قین).

(٥) هو: البراء بن عازب بن الحارث، الفقيه الكبير، أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني، نزيل الكوفة، من أعيان الصحابة، شهد غزوات كثيرة مع النبي - ﷺ -، واستصغره يوم بدر. توفي سنة (٥٧١هـ). انظر: الاستيعاب (٢٣٩/١)، والوافي بالوفيات (١٠٤/١٠)، وسير أعلام النبلاء (١٩٤/٣).

بِالْقُرْآنِ - وفي رواية: - حَسَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ ^(١) يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه ^(٢).

الرابع: عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أيضاً- قال: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ «وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ»، فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ) ^(٣).

الخامس: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ^(٤) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ) رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود وابن ماجه ^(٥).

ومعنى (يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ):

يترنم به من غير إفراط في المد وإشباع الحركات، حتى يتولد منه حروف؛ فذلك

(١) قال العلماء - رحمهم الله تعالى -: «فيستحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها ما لم يخرج عن حدِّ القراءة بالتعطيط» التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي (ص ١٢٨).

(٢) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٢٨٣/٤)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب: استحباب الترتيل في القراءة (٦٣٧/٢)، رقم (١٤٦٨)، والنسائي في كتاب الافتتاح، باب: تزيين القرآن بالصوت (١٧٩/٢)، رقم (١٠١٥)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب: في حسن الصوت بالقرآن (٤٢٦/١)، رقم (١٣٤٢)، والدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب: التغني بالقرآن (٥٦٥/٢)، رقم (٣٥٠٠)، وابن حبان في صحيحه (٨٩/٢)، باب: ذكر إباحتها تحسين المرء صوته بالقرآن.

(٣) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب: الجهر في العشاء (٢٦٦/١) رقم (٧٣٣)، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب: القراءة في العشاء (٣٣٩/١)، رقم (٤٦٤).

(٤) هو: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، واسم أبي وقاص: مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، الأمير أبو إسحاق القرشي والزهرري المكي، أحد العشرة، وأحد السابقين الأولين وأحد من شهد بدرًا والحديبية، توفي سنة (٥٥هـ). انظر: الاستيعاب (١٧١/٢)، وطبقات القراء (٣٠٤/١)، وأسد الغابة (٣٦٦/٢).

(٥) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (١٧٩/١)، والبخاري في صحيحه عن أبي هريرة، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٢٧٣٧/٦) رقم (٧٠٨٩)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب: استحباب الترتيل في القراءة (٦٣٨/٢)، رقم (١٤٦٩)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب: في حسن الصوت بالقرآن (٤٢٤/١) رقم (١٣٣٧)، والدارمي في كتاب الصلاة، باب: التغني بالقرآن (١٤١٧/١)، رقم (١٤٩٠)، وابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، باب: ذكر الزجر عن أن لا يتغنى المرء بما أوتي من كتاب الله، والحاكم في كتاب فضائل القرآن، باب: من قرأ القرآن (٥٦٩/١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

حرام^(١). بهذا فسرهُ جمهور العلماء^(٢).

وأما تأويل سفيان بن عيينة^(٣) أن المراد: من لم يَسْتَعْنِ بالقرآن عن غيره^(٤)، فقد ردّه

الشافعي^(٥)

(١) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي (ص ١٢٨).

(٢) قال العلماء في معنى (يَتَعَنَّى بِالْقُرْآنِ): عدة أقوال:

الأول: تحسين الصوت. وهو اختيار المؤلف العلامة بحرق بقوله: «يترنم به» أي يحسن به صوته.
الثاني: الاستغناء به.

الثالث: التحزن. قاله الشافعي.

الرابع: التشاغل به. تقول العرب تغن بالمكان أقام به.

خامساً: التلذذ والاستجمال له، كما يستلذ أهل الطرب بالغناء فأطلق عليه تغنياً من حيث إنه يفعل عنده ما يفعل عند الغناء.

سادساً: أن يجعله هجيراً كما يجعل المسافر والفارغ هجيراً الغناء.

الخلاصة:

يمكن الجمع بين أكثر التأويلات المذكورة: وهو أنه يحسن به صوته جاهراً به مترنماً على طريق التحزن مستغنياً به عن غيره من الأخبار طالباً به غنى النفس راجياً به غنى اليد. انظر: فتح الباري (٧٢/٩)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٥١٣/٣٣).

والراجع من هذه الأقوال في المراد بالتغني:

هو القول الأول وهو تحسين الصوت، وهو الصحيح المشهور ويُؤيِّدُهُ الرواية الأخرى في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبيٍّ يتغنى بالقرآن يجهُرُ به» صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن (١٩١٨/٤)، رقم (٤٧٣٦) والفتح (٦٨/٩)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن (٤٥٤/١)، رقم (٧٩٢)، وانظر للتفصيل في مسألة التغني بالقرآن في: التبيان في آداب حملة القرآن (ص ١٢٧-١٢٨) [فصل: استحباب تحسين الصوت بالقرآن]، وسنن القراء ومناهج المجودين للدكتور عبد العزيز القارئ (ص ٧٦-٩٢) [فصل: سنة التغني بالقرآن]، والأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر لابن الكيال (ص ٥٨-٦١).

(٣) هو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، حافظ العصر شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي الكوفي المكي، طلب الحديث وهو حَدَّثٌ، ولقي الكبار وحمل عنهم علماً جماً، وجمع وصنّف، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، توفي سنة (٩٨هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٤٩٧/٥)، والعقد الثمين للفاسي (٥٩١/٤)، وطبقات المفسرين (١٩٠/١).

(٤) انظر: زاد المعاد لابن القيم الجوزية (٤٨٩/١) [فصل في هديه - ﷺ - في قراءة القرآن أو استماعه وخشوعه وبكائه عند قراءته وسماعه وتحسين صوته به].

(٥) قال الإمام الشافعي: «نحن أعلم بهذا من ابن عيينة، لو أراد الاستغناء لقال: من لم يستغن، ولكن لما قال: =

وغيره^(١) من جهة اللغة^(٢)، ومن جهة المعنى^(٣).

السادس: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ لِي^(٤) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَقْرَأْ عَلَيَّ مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ، فَقُلْتُ: أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ، قَالَ: إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَاكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] فَسَأَلْتُ عَيْنَاهُ)^(٥) رواه أحمد والبخاري ومسلم^(٦).

- = «مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» علمنا أنه أراد به التغني» زاد المعاد (٤٨٩/١).
- (١) أ- قال الطبري: «إن قول سفيان بن عيينة مردود عليه بما روي من قول رسول الله ﷺ - ﷺ: «ما أذن الله لشيء، ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»، إذ لو كان المراد (بالتغني بالقرآن)، كما قال ابن عيينة، لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى، والمعروف في كلام العرب أن التغني إنما هو الغناء، الذي هو حسن الصوت». زاد المعاد (٤٨٨/١)، والمغني (١٦٦/١٤) فصل في قراءة القرآن بالألحان.
- ب- قال عمر بن أبي شبة: «ذكرت لأبي عاصم النبيل تأويل ابن عيينة هذا، فقال: ما يصنع ابن عيينة شيئاً، فقد روي أنه كانت لداود عَالِيَةُ السَّلَامِ معزفة يتغنى عليها، يبكي ويبكي»، وقال ابن عباس: «إنه كان يقرأ الزبور بسبعين لحناً يكون فيهن، ويقرأ قراءة يطرب منها الجموع». المغني (١٦٦/١٤)، وزاد المعاد (٤٨٩/١).
- (٢) أ- قال ابن رشد: «معنى (كَيْسٌ مِمَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ) ليس منا من لم يلتدِّ بسماع قراءة القرآن، لركة قلبه وشوقه إلى ما عند ربه، كما يلتدِّ أهل الغواني بسماع غوانيهن. تأول بعض العلماء معنى (التغني بالقرآن) بتأويلات أخرى، إذ قيل: إن المراد به: يستغني به عن أخبار الأمم الماضية والكتب المتقدمة، وقيل: إن معناه التشاغل به والتغني، أو هو من الاستغناء الذي هو ضد الفقر، وقيل: إن معنى الحديث: من لم يغنه القرآن ولم ينفعه في إيمانه، ولم يصدق بما جاء فيه من وعد ووعد فليس منا». المقدمات المهدات (٤٦٣/٣) [فصل في قراءة القرآن بالألحان].
- ب- قال الإمام الغزالي: «إن تفسير (التغني): بالترنم وترديد الألحان، هو أقرب عند أهل اللغة» إحياء علوم الدين (٢٧٨/١). [باب ظاهر آداب التلاوة].
- (٣) قال ابن قدامة: «إن حمل (التغني) على الاستغناء لا يصح، لأن معنى (أذن) في قوله - ﷺ: - (ما أذن الله لشيء، ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به) أي استمع، وإنما يستمع للقراءة، وقوله في الحديث: (يجهر به)، الجهر صفة القراءة لا صفة الاستغناء». المغني (١٦٨/١٤).
- (٤) في (س): (قال: رسول الله) دون لفظ (لي).
- (٥) في هذا الحديث فوائد - ذكرها الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم (٨٨/٦) - منها: استحباب استماع القراءة والإصغاء لها، والبكاء عندها، وتدبرها، واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه، وفيه تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم.
- (٦) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٣٨٠/١)، والبخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: البكاء عند قراءة القرآن (١٩٢٧/٤)، رقم (٤٧٦٨)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل القرآن =

السابع: عن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: (خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ أَسْلَمَ، أَتَعَرَّضُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدْتُهُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُمْتُ خَلْفَهُ، فَاسْتَفْتَحَ سُورَةَ الْحَاقَّةِ، فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ^(١))، ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ شَاعِرٌ، فَقَرَأَ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١]، فَقُلْتُ: لَعَلَّهُ كَاهِنٌ، فَقَرَأَ: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٢-٤٣]، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ^(٢)، قَالَ: فَوَقَعَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِي كُلِّ مَوْقِعٍ (رواه أحمد^(٣)).

الثامن: عن جبير بن مطعم^(٤) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: (جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ بَدْرٍ، فِي فِدَاءِ رِجَالٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يُصَلِّي الْمَغْرِبَ، يَقْرَأُ بِالطُّورِ، فَكَأَنَّمَا صَدَعَ عَنِّي قَلْبِي^(٥) حِينَ سَمِعْتُ الْقُرْآنَ) (رواه أحمد^(٦)).

التاسع: عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: (كَانَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَجُلًا

- (٥٥١/١)، رقم (٨٠٠)، وأبو داود في كتاب العلم، باب: في القصص (١٥٨٧/٣)، رقم (٣٦٦٨)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب: سورة النساء (٢٣٨/٥)، رقم (٣٠٢٥).

(١) في (س): (أَتَعَرَّضُ لِرَسُولِ اللَّهِ...)

(٢) المقصود بتأليف القرآن: قال السندي في حاشيته على مسند الإمام أحمد (٩٣/١): «ولا يخفى أن تأليف القرآن لا يشبه تأليف الشعر بالبداهة فكيف اشتبه عليه؟ إلا أن يقال قصده الخلاف لبس عليه أو يقال: تأليف سورة الحاقة له نوع مناسبة تأليف الشعر».

(٣) هكذا في نسخة (س)، ورد ذكر باقي نص الحديث في (ق)، هكذا: «فَقَرَأَ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * فَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ»، حيث اختصر ذكر الآيات وباقي نص الحديث مما أخل بمضمون الحديث وفحواه.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٧/١).

(٥) هو: جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، شيخ قریش في زمانه أبو محمد. من الطلقاء والذين حسن إسلامهم، وقد قدم المدينة في فداء الأسارى من قومه، وكان شريفاً مطاعاً وله رواية أحاديث، توفي سنة (٥٥٩هـ). انظر: أسد الغابة (٣٢٣/١)، وشذرات الذهب (٦٤/١)، وسير أعلام النبلاء (٩٥/٣).

(٦) ذكره السندي في حاشيته على مسند أحمد (٤٩٩/٩)، وقال قوله: «صَدَعَ» على بناء المفعول أي: شق. وقال الشيخ البنا في الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل (٢٢٥/٣): «قدم على النبي ﷺ - في وفد أسارى بدر، فسمعهم يقرأ بالطور، قال: فكان ذلك أول ما دخل الإيمان في قلبي».

(٧) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٨٣/٤)، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب صفة الصلاة، باب: الجهر في المغرب (٢٦٥/١)، رقم (٧٣١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب: القراءة في الصحيح (٣٣٨/١)، رقم (٤٦٣)، ولفظه: سمعت رسول الله ﷺ - يقرأ بالطور في المغرب.

بَكَاءٍ^(١)؛ لَا يَمْلِكُ عَيْنَهُ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ) رواه البخاري^(٢).

العاشر: عَنْهَا^(٣) أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ: (مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ النَّاسَ^(٤))، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ^(٥) الحديث رواه البخاري ومسلم^(٦).

عَنْ قَتَادَةَ^(٧) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ»^(٨). وعن نافع^(٩) قال: «مَا^(١٠) قَرَأَ ابْنُ عُمَرَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَتُخْشَوْنَ مِمَّا يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] إِلَّا بَكَى، ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا لِإِحْصَاءٍ شَدِيدٍ»^(١١) رواه أحمد^(١٢).

- (١) (رَجُلًا بَكَاءً) «أي رقيق القلب لكثرة الحزن وورقة القلب» عمدة القارئ شرح صحيح البخاري (٣٨١/٤).
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجماعة والإمامة، باب: أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (٢٤١/١)، رقم (٦٥٠).
- (٣) هكذا ورد في (ق) و(س). أي: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أيضا.
- (٤) قال المناوي في فيض القدير (٥٥٠/١٠): «للحديث فوائد لا تكاد تحصى؛ منها: أن الأفقه يقدم على الأقرأ في الإمامة؛ لأنه كان ثمة من هو أقرأ من أبي بكر لا أعلم».
- (٥) قوله: (لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ): هو رجل رقيق القلب، مثير الحزن والبكاء لا يملك عينيه. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٣٨٣/٤).
- (٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجماعة والإمامة، باب: أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (٢٤٠/١)، رقم (٦٤٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر (٣١١/١)، رقم (٤١٨).
- (٧) هو: قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز، حافظ العصر وقدة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي البصري الضرب، روى عنه أئمة الإسلام أيوب السخيتاني، وكان قتادة من أوعية العلم وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، توفي سنة (١١٨هـ). انظر: وفيات الأعيان (٨٥/٤)، وسير أعلام النبلاء (٢٦٩/٥)، وطبقات القراء (٢٥/٢).
- (٨) وتمامه: (وَكَانَ نَبِيُّكُمْ - ﷺ - حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ)، رواه الترمذي في الشمائل، باب ما جاء في قراءة رسول الله - ﷺ - بقرم (٣٢٠): (ص ١٨١).
- (٩) هو: أبو عبد الله القرشي العدوي العمري، مولى ابن عمر وراويته، الإمام المفتي الثبت، عالم المدينة، روى عن ابن عمر وعائشة وأبي هريرة، وروى عنه الزهري، كان نافع ثقة نبيل، قال محمد بن سور: «كان ثقة كثير الحديث»، توفي سنة (١١٩هـ). انظر: مرآة الجنان (٢٥١/٢)، وفيات الأعيان (٣٦٧/٥)، وسير أعلام النبلاء (٩٥/٥).
- (١٠) هكذا في (ق) وهي أثبت، وفي نسخة (س): (ما) محذوفة، وب حذفها يتغير المعنى.
- (١١) في نسخة (س): (إن هذا الإحصاء شديد).
- (١٢) أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد (١٢٤/٢) باب: زهد عبد الله بن عمر، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٠٥/١)، وفي معرفة الصحابة (١٧٠٨/٣).

وعنه^(١) قال: (قرأ ابن عمر في صلاة) ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، فلما بلغ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١-٦]، بكى حتى سقط، ولم يقدر على إتمام السورة^(٢).

وعن يحيى بن أيوب^(٣) «إن فتى كان عمر يعجب به، فقرأ ذلك الفتى ليلة آية فشقق^(٤) شهقة خرجت فيها^(٥) نفسه، فلما دُفن، وقف عمر على قبره، فناداه: يا فلان، ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٦) [الرحمن: ٤٦]، فأجابه الفتى من داخل القبر مرتين أو ثلاثاً: قد أعطانيهما ربي يا عمر) رواه ابن أبي الدنيا^(٧).

والله سبحانه أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، صلاة دائمة إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبَّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفافات: ١٨٠

- ١٨٢].

إن الفراغ من رسم هذا الكراس آخر نهار السبت لإحدى وعشرين خلت من شهر ذي الحجة ١١٥٧هـ.

(١) هكذا ورد في النسختين. أي: عن نافع - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أيضاً.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد (١٢٤/٢) باب زهد عبد الله بن عمر، وأبو نعيم في الحلية (٣٠٥/١).

(٣) هو: يحيى بن أيوب أبو العباس الغافقي المصري، الإمام المحدث العالم الشهير، قال يحيى بن معين: «ثقة»، وقال النسائي: «ليس به بأس»، وقال أبو سعيد بن يونس: «كان أحد طالبي العلم»، حدث عن أهل مكة والمدينة ومصر والعراق، واحتج به الأئمة الستة في كتبهم، توفي سنة (١٩٨هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٥١٦/٧)، وتذكرة الحفاظ (٢٧٧/١)، وسير أعلام النبلاء (٥/٨).

(٤) شقق يشقق إذا تنفس تنفساً. لسان العرب (١٥٦/٨).

(٥) في (س): (خرجت فيه نفسه).

(٦) عند هذه الآية انتهت نسخة المخطوطة (س).

(٧) الحديث لم أجده في الكتب المطبوعة لابن أبي الدنيا، فلعله في الكتب المفقودة له، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٦٨/١)، رقم (٧٣٦) باب: الخوف من الله، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٨٤/١٠)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٤٧/٦)، في سورة الرحمن وعزاه للبيهقي في شعب الإيمان.

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿إِنَّ الْبَقَرَ شَبَهُ عَلِيًّا﴾	٧٠	٣١٠
﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	٣٢	٢٩٥
﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْتَحْضَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ...﴾	٢٨٤	٣٣٠
سورة آل عمران		
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ...﴾	٧	٣١٠، ٣٠٩
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ...﴾	١٠٦	٣١٠
سورة النساء		
﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دِينَ﴾	١١	٣١٣
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَاكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾	٤١	٣٢٨
﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾	٨٠	٣١٦، ٢٧٧
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾	٨٧	٣٠٤
سورة المائدة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾	١٠٥	٣١٣، ٣١٢
سورة الأعراف		
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾	٥٣	٣١١
سورة هود		
﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾	١	٣١٠

الآية	رقمها	الصفحة
سورة يوسف		
﴿نَحْنُ نُقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾	٣	٣٠٤
﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاكَ مِنْ قَبْلُ﴾	١٠٠	٣١١
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩	٢٧٧
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْأَمْثَالِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾	٨٧	٣٠٢
سورة النحل		
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...﴾	٤٤	٣١٢
سورة الصافات		
﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	١٨٠	٣٣١
﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾	١٨١	٣٣١
﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١٨٢	٣٣١
سورة ص		
﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِّذِكْرٍ وَعَاءِ لِقَائِهِ﴾	٢٩	٣٠٤
سورة الزمر		
﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾	٢٣	٣٠٤
﴿كِتَابًا مُّتَشَدِّدًا﴾	٢٣	٣١١
سورة محمد		
﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾	١٦	٣٠٨
سورة الرحمن		
﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾	٤٦	٣٣١

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الحشر		
﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾	٧	٣١٦، ٢٧٧
سورة الملك		
﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	١٣	٣٢٦
سورة الحاقة		
﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾	٤٠	٣٢٩
﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تَقُولُونَ﴾	٤١	٣٢٩
﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾	٤٢	٣٢٩
﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٤٣	٣٢٩
سورة عبس		
﴿وَفَكَهَةً وَأَنَا﴾	٣١	٣١٩
سورة المطففين		
﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾	١	٣٣١
﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٦	٣٣١
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	١	٣٢٠

فهرس الأحادیث والآثار

الصفحة	الحديث أو الأثر
٣٣١	بكى حتى سقط
٣٢٦	حَسَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ
٣٢٩	خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ أَسْلَمَ، أَتَعَرَّضَ رَسُولُ اللَّهِ
٣٢١	خَيْرَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ
٣٢٣	رَأَيْتُ رَبَّ الْعِزَّةِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي النَّوْمِ
٣٢٣	رَأَيْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي مَنْامِي
٣٢٥	زَيَّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ
٣١٣	سَتَأْتِيَكُمْ عَنِّي أَحَادِيثُ مُخْتَلِفَةٌ
٣١٥	السُّنَّةُ قَاضِيَةٌ عَلَى الْكِتَابِ، وَلَيْسَ الْكِتَابُ قَاضِيًا عَلَى السُّنَّةِ
٣٢٦	سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ
٣١٥	سَيَأْتِي أَنَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ
٣٣١	فَشَقَّ شَهْقَةً خَرَجَتْ فِيهَا نَفْسُهُ
٣٢٩	فَكَأَنَّمَا صَدَعَ قَلْبِي حِينَ سَمِعْتُ الْقُرْآنَ
٣٢٩	فَوْقَ الْإِسْلَامِ فِي قَلْبِي كُلِّ مَوْقِعٍ
٣٠٦	قَدْ كَتَبَ الصَّدَقَةُ وَمَا فِيهَا مِنْ نَصَابِ الْمَوَاشِي
٣١٤	الْقُرْآنُ أَحْوَجُ إِلَى السُّنَّةِ مِنَ السُّنَّةِ إِلَى الْقُرْآنِ
٢٩٩	قُلْ مَا بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
٣٢٩	كَانَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَجُلًا بَكَّاءً
٣٠٤	كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ
٢٩٧	لَا . وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ
٣١٢	لَا أَعْرِفَنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي
٣٠٥	لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا إِلَّا الْقُرْآنَ
٣٢٥	اللَّهُ تَعَالَى أَشَدُّ أَدْنًا إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ

الصفحة	الحديث أو الأثر
٣١٥	لولا بيان السُّنَّة من أين كنا نعلم من القرآن أن صلاة الصبح ركعتان
٣٢٦	لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ
٣٢١	مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ
٣٢٥	مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ كَأَذْنِهِ لرجل حَسَنَ التَّرْتِمِ بِالْقُرْآنِ
٣٠٢	ما أنزل الله تعالى في التَّوْرَةِ ولا في الإنجيل
٣٣٠	ما بعث الله نبياً إِلَّا حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ
٢٩٧	مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفَتَيْنِ
٣٢٢	مَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ، يَغْنِي الْقُرْآنَ
٣٢٠	مِثْلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ الْأُثْرَجَةِ
٣٣٠	مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ
٣٢١	مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذَكَرِي عَنْ مَسْأَلَتِي
٣١٧	مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ يَغِيرَ عِلْمَ
٣١٨	مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللَّهِ يَرَأِيهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ
٣٢١	مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ
٣٠٢	هذا بابٌ من السماء فُتِحَ اليومَ
٣١٣	وإن رسول الله قضى بالدين قبل الوصية
٣٠٥	والذي نفسي بيده لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيَضَاءَ نَقِيَّةٍ
٣٠٤	ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله
٢٩٩	يا محمد إِنَّ أَمْتِكَ مَخْتَلِفَةٌ بَعْدَكَ
٣٢٢	يُعْطَى صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمِثْلَكَ يَمِينَهُ
٣٢٢	يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْقُ وَرَتِّلْ

فهرس الأعلام

الصفحة	العلم
٣١٩	إبراهيم التيمي
٢٩٨	أحمد بن حنبل
٣١٠	أبو أمامة الباهلي
٣٢٣	أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ
٣١٥	الأوزاعي، عبد الرحمن بن عمرو
٣١٥	أيوب السختياني
٢٨١	باجر فيل، محمد بن أحمد
٢٨١	بافضل، محمد بن أحمد
٢٨٠	باخرمة، عبد الله بن أحمد
٢٩٧	البخاري
٣٢٥	البراء بن عازب
٣٢٢	بريدة الأسلمي
٣٠٧	أبو بكر الصديق
٣٠٢	أبي بن كعب
٣١٤	البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين
٣٠٠	الترمذي، محمد بن عيسى
٣٠٤	جابر بن عبد الله بن عمرو
٣٢٩	جبير بن مطعم
٢٩٧	أبو جَحِيفَةَ، وهب بن عبد الله
٣١٨	جندب بن عبد الله

العلم	الصفحة
حمزة بن حبيب الزيات	٣٢٣
الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر	٣١٣
أبو ذر، جندب بن جنادة	٣٠٢
أبو رافع مولى رسول الله	٣١٢
ابن رجب الحنبلي	٢٨٧
الزهري، محمد بن مسلم	٣٠٦
سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب	٣٠٦
السخاوي، محمد بن عبد الرحمن	٢٨١
سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ	٣٢٦
أبو سعيد الخدري	٣٠٥
سعيد بن جبیر	٢٩٩
سفيان بن عيينة	٣٢٧
الشافعي، محمد بن إدريس	٢٩٨
أبو شاه اليماني	٣٠٦
شعيب بن محمد بن عبد الله بن العاص	٣٠٩
الطبراني، سليمان بن أحمد	٣١٨
عائشة بنت أبي بكر الصديق	٣٠٩
ابن عباس	٢٩٧
عبد الله بن أحمد بن حنبل	٣٢٣
عبد الله بن عمر بن الخطاب	٣٠٦
عبد الله بن عمرو بن العاص	٣٠٩
عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ	٣٢١
عقبة بن عامر	٣٠١

الصفحة	العلم
٢٩٧	علي بن أبي طالب
٣١٥	عمران بن الحصين
٣٠٩	عمرو بن شعيب بن العاص
٢٨١	العيدروس، أبو بكر بن عبد الله
٣٢٥	فَضَّالَةٌ بَنُ عُبَيْدٍ
٣٣٠	قتادة بن دعامة السدوسي
٣١٢	ابن ماجه، محمد بن يزيد
٢٩٨	ابن مسعود
٣٠٣	مسلم بن الحجاج
٣١٤	مكحول، أبو عبد الله الشامي
٣٠٧	أبو موسى الأشعري
٢٨١	الناشري، حمزة بن عبد الله
٣٣٠	نافع، أبو عبد الله القرشي العدوي
٣٠٥	أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر
٣٠١	واثلة بن الأسقع
٣١٤	يحيى بن أبي كثير
٣٣١	يحيى بن أيوب
٢٨٧	يوسف بن حسن بن عبد الهادي

ثبت المصادر والمراجع

١. الإِتقان في علوم القرآن، للحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ.
٢. الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما، للعلامة ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي (ت: ٦٤٣هـ)، طبعة مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٣. إحياء علوم الدين، للإمام شيخ الإسلام محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) طبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.
٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة، للإمام المحدث عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي ابن محمد الجزري (ت: ٦٣٠هـ)، طبعة دار الشعب، دون تاريخ طبع.
٦. الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة دار نهضة مصر - القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٧٠م.
٧. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين محمود بن محمد علي بن فارس الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.
٨. الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر لزين الدين أبي البركات محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن الكيال (ت: ٩٢٩هـ)، دراسة وتحقيق: د. عيسى ابن ناصر الدُّرَيْبِي، دار الحضارة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٩. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب الفنون، للعلامة

- إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي (ت: ١٣٣٩هـ)، نسخة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي.
١٠. البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، حققه وضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد تامر، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١١. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للقاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٤٨هـ.
١٢. البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.
١٣. البيان في عدّ أي القرآن، لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد - منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١٤. تاج العروس، للإمام السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، الناشر دار ليبيا للنشر والتوزيع - بنغازي. دون تاريخ.
١٥. تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
١٦. تاريخ الشعراء الحضر ميين، للعلامة عبد الله بن محمد بن حامد السقاف، مكتبة المعارف - السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.
١٧. التاريخ الكبير، للحافظ الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
١٨. تاريخ بغداد أو مدينة السلام، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت. دون تاريخ.
١٩. التبيان في آداب حملة القرآن، للإمام العلامة محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، عني به محمد شادي مصطفى عربش، طبعة دار المنهاج بمكة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢٠. التبيان في معرفة تنزيل القرآن واختلاف عدد آيات القرآن على أقاويل القراء أهل البلدان لأبي حفص عمر بن محمد بن أبي الفتح العطار (ت: ٤٣٢هـ)، دراسة وتحقيق: د. الشريف هاشم بن هزاع الشنبري، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، طبعة سنة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٢١. تجريد أسماء الصحابة، للإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تصحيح: صالحة عبد الحكيم شرف الدين، طبعة بومباي - الهند، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
٢٢. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٤١٤هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت. دون تاريخ.
٢٣. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، طبعة دار إحياء السنة النبوية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٤. تذكرة الحفاظ، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، طبعة دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ.
٢٥. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق: د. أحمد سمير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.
٢٦. الترغيب والترهيب، للإمام زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذري (ت: ٦٥٦هـ) - تحقيق: مصطفى محمد عمار، طبعة دار الحديث - القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٧. تفسير ابن أبي حاتم الرازي، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - الرياض - الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٨. تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل عماد الدين بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ)، طبعة دار الشعب - القاهرة، دون تاريخ.

٢٩. تفسير القرآن للسمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣٠. تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، طبعة دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
٣١. تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للعلامة محمد ابن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليميني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٣٢. تقريب التهذيب، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة- طبعة دار الرشيد- سوريا، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٣٣. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (ت: ٧٤٢هـ)، تحقيق: د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٤. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، للإمام أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٣٥. ثقات العجلي، للإمام أحمد بن عبد الله بن صالح بن الحسن العجلي (ت: ٢٦١هـ)، بترتيب: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، وتضمنيات ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: د.عبد المعطي قلعي، طبعة دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
٣٦. الثقات، للإمام محمد بن حبان البستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحت مراقبة د. محمد عيد المعيد خان، طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٣٧. جامع بيان العلم وفضله، للمحدث الإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣هـ) تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٣٨. الجامع، لمحمد عبد القادر بامطرف، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية، ١٩٨١م.
٣٩. الجرح والتعديل، للإمام الحافظ شيخ الإسلام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي (ت: ٣٢٧هـ) - طبعة مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد الدكن - الهند.
٤٠. حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، للعلامة أبي الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي (ت: ١١٣٨هـ)، تحقيق: نور الدين طالب، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
٤١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٤٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، طبعة دار المعرفة ودار الفكر - بيروت، ١٩٩٣م.
٤٣. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لشيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، طبعة مكتبة المدني - القاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.
٤٤. ذكر أخبار أصبهان، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تصوير على نسخة ليدن بمطابع الفاروق الحديثة - مصر، الطبعة الأولى، ١٩٣٤م.
٤٥. الرسالة، للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة مكتبة دار التراث - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٦. زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت: ٧٥١هـ) - طبعة مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الخامسة عشر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤٧. الزهد، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: د. محمد جلال شرف، طبعة دار النهضة العربية - بيروت، ١٩٨١م.
٤٨. السُّنَّةُ ومكانتها في التشريع الإسلامي، تأليف الدكتور. مصطفى السباعي، طبعة المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٤٩. السُّنَّةُ، للحافظ الإمام أبي بكر عمرو بن عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (ت: ٢٨٧هـ)، طبعة المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٥٠. سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
٥١. سنن أبي داود، للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: د. سيد محمد سيد وزميلة، طبعة دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٥٢. سنن الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٥٣. سنن الدارقطني، للإمام علي بن عمر الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ)، إعداد: محمد سليم إبراهيم سمارة وزملاؤه- طبعة عالم الكتب- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٥٤. سنن الدارمي، للإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: فؤاد أحمد زمري، وخالد السبع العلمي، دار الريان للتراث- القاهرة، ودار الكتاب العربي- بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٥٥. سنن القرأء ومناهج المجودين، للدكتور عبد العزيز القارئ عبد الفتاح القارئ، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٥٦. السنن الكبرى، للحافظ الإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، طبعة دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٥٧. سنن النسائي، للحافظ الإمام أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب - الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م.
٥٨. سير أعلام النبلاء، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - طبعة مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.
٥٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للمؤرخ الفقيه أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، طبعة دار الفكر بيروت. دون تاريخ.
٦٠. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، للحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (ت: ٤١٨هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.
٦١. شعب الإيمان، للحافظ الإمام أبي بكر محمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، طبعة دار الكتب العلمي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م.
٦٢. شمائل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، للإمام المحدث أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: ماهر ياسين فحل، طبعة دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م.
٦٣. صحيح ابن حبان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان)، للحافظ أبي حاتم محمد ابن حبان البستي (ت: ٣٥٤هـ) - بترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.
٦٤. صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م.

٦٥. صحيح مسلم، للإمام الحافظ أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، ١٩١٨م.
٦٦. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للإمام محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، عني به محمد جمال القاسمي، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، طبعة مصورة عن نشرة القاسمي سنة (١٣١٣هـ) دار الجيل، لبنان.
٦٧. طبقات ابن سعد، للإمام الحافظ محمد بن سعد بن منيع (ت: ٢٣٠هـ)، دار صادر - بيروت، دون تاريخ طبع.
٦٨. طبقات الحفاظ للإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد علي، ط مكتبة وهبة ومطبعة الاستقلال الكبرى، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٦٩. طبقات الشافعية الكبرى، للإمام تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، طبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
٧٠. طبقات القراء، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق الدكتور أحمد خان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٧١. طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي الداودي (ت: ٩٤٥هـ)، تحقيق: علي محمد عمر - مطبعة الاستقلال، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ.
٧٢. ظاهرة المنامات في كتب القراءات وتراجم القراء، للأستاذ الدكتور عمر يوسف حمدان، بحث منشور بمجلة معهد الإمام الشاطبي، المملكة العربية السعودية - جدة، العدد الرابع، ذو الحجة ١٤٢٨هـ.
٧٣. ظفر الواله بمظفر وآله، تأليف عبد الله محمد بن عمر المكي الآصفي الغخاني، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل سنة ١٩١٩م.

٧٤. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، للإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني الفاسي المكي (ت: ٨٣٢هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٧٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود ابن أحمد العيني (ت: ٨٥٥هـ)، طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٧٦. عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي (ت: ١٢٧٣هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان - طبعة مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٧٧. غاية النهاية في طبقات القراء، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، غني بنشره: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٧٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، طبعة دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
٧٩. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، طبعة دار الشهاب، القاهرة.
٨٠. فضائل القرآن، للإمام الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، دون تاريخ.
٨١. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام العلامة عبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٣١هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٨٢. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للعلامة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الشهير بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٨٣. الكفاية في علم الرواية، للإمام الحافظ المحدث أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تقديم محمد الحافظ، ومراجعة عبد الحليم محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب الحديثة.
٨٤. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للعلامة علاء الدين المتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ)، طبعة مكتبة التراث الإسلامي والمطبعة العربية-حلب، تحقيق: حسن رزوق والشيخ صفوة السقا، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
٨٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، طبعة دار الريان للتراث- القاهرة، ودار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٨٦. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، للإمام أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان الياضي (ت: ٧٦٨هـ)، طبعة دار الكتاب الإسلامي، دار الفاروق الحديثة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٨٧. المراسيل، للإمام الحافظ داود بن سليمان بن أشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، مراجعة د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، طبعة دار المعرفة-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٨٨. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٨٩. المستدرك على الصحيحين، للإمام ابن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، بإشراف عبد الرحمن المرعشلي، طبعة دار المعرفة، بيروت. ١٤٠٦هـ.
٩٠. مسند أبي يعلى الموصلي، للإمام أحمد بن علي بن المثنى، أبو يعلى الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، طبعة دار المأمون للتراث- دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
٩١. المسند، للإمام شيخ الإسلام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٩٢. مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، تأليف الأستاذ الباحثة عبد الله محمد الحبشي، المجمع الثقافي - أبوظبي، ٢٠٠٤م.
٩٣. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، للإمام أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت: ٨٤٠هـ)، تحقيق: موسى محمد علي، ود. عزت علي، طبعة مطبعة حسان، القاهرة، ١٩٨٣م.
٩٤. المصنف في الأحاديث والآثار، للحافظ المحدث الإمام عبد الله بن محمد بن أبي شيبه (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني - طبعة حيدر آباد، الدكن - الهند.
٩٥. المصنف، للإمام أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي - بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٩٦. معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، حققه محمد النمر ورفاقه، دار طيبة - الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٩٧. المعجم الأوسط، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله ومحسن الحسيني، طبعة دار الحرمين - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٩٨. معجم البلدان، للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادى (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٩٩. المعجم الكبير، للحافظ الإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دهوك - العراق، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
١٠٠. معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية، تأليف عمر رضا كحالة، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
١٠١. معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزاوي، دار الوطن للنشر - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٠٢. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٤هـ.
١٠٣. معرفة علوم الحديث، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، اعتنى بنشره وتصحيحه: د: السيد معظم حسين، طبعة دار الكتب العلمية وإدارة جمعية دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد الدكن- الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.
١٠٤. المعرفة والتاريخ، للإمام الحافظ أبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت: ٢٧٧هـ)، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري- طبعة مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ١٤١٠هـ.
١٠٥. المغني، للإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي (ت: ٦٢٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، طبعة دار هجر- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
١٠٦. المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمّهات مسائلها المشكلات. للإمام الفقيه أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت: ٥٢٠هـ) تحقيق: د. محمد حجي، طبعة دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
١٠٧. مقدمة في أصول التفسير: لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور عدنان زررور، دار الرسالة، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، طبعة ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
١٠٨. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
١٠٩. المنهاج شرح صحيح مسلم، للإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي (ت: ٦٧٦هـ) راجعه: الشيخ خليل الميس، طبعة دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٤٩هـ.

١١٠. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للإمام الحافظ شمس الدين أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
١١١. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، للمؤرخ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت: ٨٧٤هـ)، دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
١١٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
١١٣. النور السافر عن أخبار القرن العاشر، للعلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس الحسيني الحضرمي (ت: ١٠٣٨هـ)، تحقيق: د. أحمد حالو، محمود الأرنؤوط، أكرم البوشي، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
١١٤. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، للعلامة إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي (ت: ١٣٣٩هـ)، الطبعة الأولى، ١٣٦٤هـ، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية - بيروت.
١١٥. الوافي بالوفيات، للإمام العلامة صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (ت: ٧٦٤هـ) اعتناء هلموت ريتز، طبعة دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن - ألمانيا، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.
١١٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان للإمام أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلكان (ت: ٦٨١هـ) تحقيق: د. إحسان عباس، طبعة دار صادر بيروت، سنة ١٩٦٨م.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢٧٧	مُلَخَّصُ الْبَحْثِ
٢٧٨	مقدمة الباحث
٢٨٠	القسم الأول: دراسة المؤلف
٢٨٠	المبحث الأول: التعريف بالمؤلف
٢٨٧	المبحث الثاني: التعريف بالكتاب
٢٩١	النص المحقق
٢٩٢	نماذج من المخطوط
٢٩٥	مقدمة المؤلف
٢٩٧	فصل في ذكر أن العلم كله في القرآن
٣٠١	فصل في ذكر أن القرآن اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره
٣٠٤	فصل في ذكر النهي عن التشاغل عن القرآن بغيره
٣٠٩	فصل في ذكر النهي عن أن يضرب كتاب الله بعضه ببعض
٣١٢	فصل في ذكر النهي عن معارضة السُّنَّة بما يفهم من ظاهر القرآن
٣١٧	فصل في ذكر النهي عن تفسير القرآن لمجرد الرأي والظن
٣٢٠	فصل في ذكر أن أهل القرآن أفضل العمال
٣٢٥	فصل في ذكر تحسين الصوت بالقرآن
٣٣٢	الفهارس
٣٣٥	فهرس الأحاديث والآثار
٣٣٨	فهرس الأعلام
٣٤١	ثبت المصادر والمراجع
٣٥٥	فهرس الموضوعات

أخبار المجمع

- يتابع الباحثون في مركز الدراسات القرآنية العمل في صياغة «المعجم الميسر لموضوعات القرآن الكريم»، وقد قطع الباحثون فيه شوطاً طيباً، ويأملون في الشروع في مراجعته. ومن المتوقع أن يُدفع الكتاب للصفّ الحاسوبي والإعداد للطباعة في نهاية عام ١٤٣٦هـ. وسوف يحتل مكاناً مميزاً في مكتبة الدراسات القرآنية.
- تُشرف إدارة الشؤون العلمية في المجمع على إعداد بحوث ندوة «طباعة القرآن الكريم ونشره بين الواقع والمأمول» التي سيعقدها المجمع بتاريخ ٣-٥/٢/١٤٣٦هـ، الموافق ٢٥-٢٧/١١/٢٠١٤م. وقد بلغ عدد البحوث (٥٨) بحثاً، وطُبعت في ستة مجلدات.
- صدر كتاب «المنتهى» لأبي الفضل الخزاعي المتوفى سنة ٤٠٨هـ، تحقيق د/ محمد شفاعت رباني.
- صدرت بحوث ندوة «ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل» التي عقدت في ١٠/٢/١٤٢٣هـ وذلك في ستة مجلدات.
- صدرت بحوث ندوة «عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية» التي عقدت في ١٥/٣/١٤٢٥هـ، وذلك في عشرة مجلدات.
- كما صدر فهرس مخطوطات التفسير وعلوم القرآن في مكتبات المدينة المنورة، من إعداد الباحثين في المركز في خمسة مجلدات.
- دفع مركز الدراسات القرآنية المصنفات التالية للطباعة بعد أن فرغ من مراجعتها:
 ١. سراج القاري لابن القاصح، المتوفى سنة ٨٠١هـ.
 ٢. شرح طيبة النشر لابن الناظم، المتوفى سنة ٨٣٥هـ.
 ٣. الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة - لأبي عمرو الداني المتوفى ٤٤٤هـ.

□ شرعت إدارة الشؤون العلمية في الصفّ الحاسوبي لكتاب «معجم كُتّاب المصحف الشريف» تمهيداً لمراجعته وإعداده للطباعة.

□ الترجمات الكاملة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغات الآتية قيد الطبع :

١. الأمازيغية بالحرف اللاتيني.

٢. البشتو.

٣. البنغالية.

٤. التغالوغ.

٥. الداغبانية.

٦. الدنمركية.

٧. السواحلية.

٨. الطاجكية.

٩. الفرنسية برواية ورش.

١٠. الفلّانية بالحرف اللاتيني.

١١. الكندية.

١٢. الملايو.

١٣. النيبالية.

□ ومن الترجمات الكاملة لمعاني القرآن الكريم التي هي قيد المراجعة والتقويم ما يأتي:

١. البولندية.

٢. التشامية.

٣. الدارية.

٤. العبرية.

٥. العفّرية.

٦. الكردية (الكرمانجية).

٧. الملاغاشية.

٨. اليابانية.

□ ومن ترجمات معاني القرآن الكريم الجاهزة للتقديم إلى اللغات الآتية:

١. الترجمة الكمبودية.

□ ومن ترجمات معاني القرآن الكريم التي هي قيد الإعداد ما يأتي:

١. الزولو.

٢. الهولندية.

□ أما الترجمات الكاملة لمعاني القرآن الكريم التي قيد الدراسة فهي:

١. الأمهرية (المكتوبة).

٢. البامون.

٣. التجرينية.

□ أشرف مركز الترجمات على ترجمة الكتب الآتية:

١. ترجمة كتاب «أصول الإيمان»:

ترجمته إلى اللغات الآتية، وهي قيد الطبع:

١. الأنكو.

٢. الأذرية.

٣. الفارسية.

٤. الكردية.

٢. ترجمة كتاب «الفقه الميسر»:

(أ) انتهت ترجمة كتاب «الفقه الميسر» إلى اللغات الآتية، وهي الآن قيد المراجعة:

١. الصينية.

٢. الفارسية.

٣. المليبارية.

٤. الهوسا.

(ب) تجري ترجمته إلى اللغات الآتية:

٥. الإندونيسية.

٦. الإنكليزية.

٧. البنغالية.

٨. التركية.

٩. السواحلية.

١٠. الفرنسية.

كما تم إعداد كتب علمية تخص ترجمات معاني القرآن الكريم، وهي:

١. «موسوعة الأعلام الغربية التي لها صلة بالقرآن الكريم»، وهي الآن قيد المراجعة.

٢. «دراسة بيبليوغرافية لترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغات السلافية»، وهي

قيد الإعداد وقد وصلنا ربعان منها.

أعدَّ مركز البحوث الرقمية لخدمة القرآن الكريم وعلومه كراسة للشروط

والمواصفات وجداول الكميات لعرض طلب إنتاج مشروع (المصحف المعلّم

الناطق) بقسميه:



أ. القلم القارئ البسيط.

ب. القلم القارئ المطوّر.

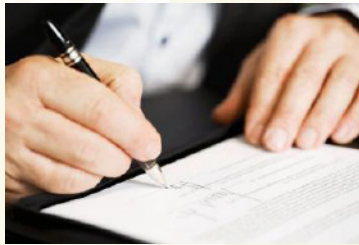
ومن ثم الارتباط بالقيمة على البند المختص، وذلك بعد طرح العملية في منافسة

عامة.

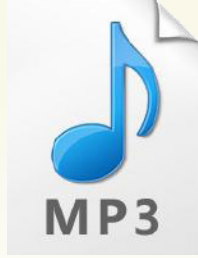
□ فرغ مركز البحوث الرقمية لخدمة القرآن الكريم وعلومه من مراجعة الإصدار الرابع من تفسير معاني القرآن الكريم بلغة الإشارة واعتماده، والجدير بالذكر أن هذا الإصدار قد تمّ رفعه على موقع المجمع، وسيتم إصداره على قرص (DVD).



□ وقّع مركز البحوث الرقمية لخدمة القرآن الكريم وعلومه عقداً مع إحدى شركات الإنتاج الإعلام الوثائقي لتصوير وإنتاج الإصدار الخامس من تفسير معاني القرآن الكريم بلغة الإشارة، وسيتم تصوير الإصدار باستخدام كاميرات عالية الجودة (إتش دي كام - HD CAM) المطابقة لمواصفات التصوير الفضائي العالي الجودة، كما ستم عمليات المونتاج بالطريقة الاحترافية للمونتاج الفضائي عالي الجودة (HD)، باستخدام أحدث البرامج الاحترافية لمعالجة الصورة، وإضفاء الرونق ومعالجة الألوان، واستخدام أعلى مواصفات التصميم الثلاثي الأبعاد للمقدمات والفواصل.



□ انتهى مركز البحوث الرقمية لخدمة القرآن الكريم وعلومه من مراجعة التسجيل الصوتي لمادتي (أسئلة التجويد والوقف والابتداء) المقطعة على صيغة (MP3-Mono) على مستوى الفقرة؛ للأغراض البرمجية.



□ وقع المركز اتفاقية عدم إفشاء المعلومات السريّة (NDA) مع المركز الوطني للتصديق الرّقمي التابع لوزارة الاتصالات وتقنية المعلومات، وذلك لإنشاء خدمة التصديق الرّقمي بمركز البحوث الرقمية لخدمة القرآن الكريم وعلومه، وسيقوم المركز من خلال هذه الخدمة بمنح شهادات المصادقة الرّقمية للتعاملات والمنتجات الإلكترونية.



□ أكمل المركز مراجعة قاعدة بيانات عدد الآي بين مصاحف الروايات المطبوعة التي أصدرها المجمع على المصاحف الخمسة: حفص، ورش، قالون، الدوري، شعبة.



□ تابع المركز حذف تطبيق محرّف للقرآن الكريم معروض للبيع وحجبه مع الجهات ذات الاختصاص، على متجر أبل (AppStore)، التابع لشركة (أبل) الأمريكية، التي تعمل على تصميم الإلكترونيات الاستهلاكية ومنتجات الحواسيب وتصنيعها، وهذا المتجر المذكور على شبكة الإنترنت تباع فيه الأجهزة والمنتجات البرمجية. والتطبيق المشار إليه معروض باسم (القرآن) ومسجّل باسم مطوره (A.S.H) اليهودي المقيم في تل أبيب، وهو موجّه للفئة العُمريّة التي فوق أربع سنوات.



□ تمت دراسة موقع المركز على الإنترنت بصورته الحالية، وتحليل نظامه البرمجي، وتقديم الحلول الذكية التي تتناسب مع تطور الويب في العصر الحديث.



□ تتابع إدارة الشؤون الفنية في المجمع المهام الآتية:

□ الإصدارات الجديدة التي تم التعميد بطباعتها وهي:

كتاب أصول الإيمان إلى اللغة الفارسية.

كتاب معجم كُتاب المصحف الشريف.
ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الداغبانية.
ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية (الحرف اللاتيني).
التجهيزات: □

١. متابعة تأمين نظام شفت الغبار والأوراق.
 ٢. متابعة تأمين نظام العزل الصوتي والمائي لآلة الروتومان.
 ٣. متابعة تأمين مقاطع ورق آلية.
 ٤. متابعة تأمين آلات تستيف وتلقيم.
 ٥. متابعة تأمين وحدات غراء للبرش.
 ٦. متابعة تأمين آلة قص الكرتون.
 ٧. متابعة تأمين آلة تذهيب الغلاف.
 ٨. متابعة تطوير آلة الطباعة Rotman.
 ٩. متابعة تأمين تجهيزات الطباعة بطريقة برايل.
 ١٠. متابعة تأمين تجهيز آلة الطباعة المسطحة Rapida، بنظام التذهيب البارد.
 ١١. متابعة تأمين تجهيزات عجانة الورق.
 ١٢. متابعة تأمين تجهيزات جديدة لآلة التجليد (الشك).
 ١٣. متابعة تطوير آلة الطباعة المسطحة Rapida 105.
 ١٤. متابعة تأمين توريد آلة طباعة مسطحة Rapida 106 مزودة بأنظمة المراقبة الشاملة.
 ١٥. متابعة تحديث شامل لأنظمة المراقبة وكشف الحريق والغاز.
 ١٦. متابعة تحديث وتطوير بعض تجهيزات وحدة التحضير.
 ١٧. متابعة تحديث وتطوير بعض برامج وحدة التحضير.
- الإنشاءات: □

١. متابعة مشروع إنشاء مكتبة متكاملة في المجمع على مساحة (٢٣,٢٠٠) وقد تم تعميم مكتب الخريجي الهندسي لإعداد المخططات وقد قطع شوطاً في ذلك.

٢. متابعة تنفيذ مستودع الإصدارات في المجمع مع المقاول والاستشاري بهذا الخصوص.

قامت إدارة العلاقات العامة باستقبال (٢٠٢٤٩٠) زائراً خلال مطلع العام، والشرح لهم عن المجمع، وبيان أهدافه وإنجازاته وتقديم إهداء مناسب لكل منهم، وكان من بينهم عدة وفود رسمية وهي:

١. ضيوف رعاية الشباب، لشباب الدول العربية في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة.

٢. ضيوف إدارة مكافحة المخدرات، مدير عام مكافحة المخدرات بماليزيا والوفد المرافق له.

٣. بعض المفكرين من النيجر.

٤. ضيوف الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم من داخل المملكة وخارجها.

٥. فرع الشؤون الدينية للقوات المسلحة بالمدينة المنورة.

٦. ضيوف الاستخبارات العامة.

٧. سمو الأمير/ فهد بن جلوي، مستشار الرئيس العام لرعاية الشباب.

٨. عضو مجلس الشورى أ.د/ فهد الجوير.

٩. القائد العام للجيش الباكستاني الفريق أول ركن/ راحيل شريف والوفد المرافق له.

١٠. مفتي جمهورية تاتارستان ورئيس الإدارة الدينية لمسلمي الجمهورية والوفد المرافق له.

١١. معالي وزير الشؤون الدينية والتنمية في ولاية سلاڤو بماليزيا، الدكتور/ صالحين يحيى.

١٢. وفد كلية القيادة والأركان للقوات المسلحة الدورة رقم (٤٠) لعدد من الدول العربية والإسلامية.

١٣. رئيس الحزب الجمهوري الشعبي في باكستان / فخر الدين كراوري وعائلته.

١٤. وفد أكاديمية ناصر العسكرية العليا المصرية.

١٥. رئيس كلية الزيتونة بيركلي - كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية/ حمزة يوسف هانسون والوفد المرافق له.

كما قامت الإدارة بتوثيق بعض الزيارات المهمة والرسمية بتصوير فيديو وفوتوغرافي، وإعداد أخبارٍ صحفية لتلك الزيارات وإرسالها إلى وكالة الأنباء السعودية (و.ا.س) والصحف المحلية، كما قامت بإعداد صور و(بسترات) لبعض أقسام المجمع ومراحل الإنتاج فيه لعرضها في المعارض التي يشارك المجمع فيها، كما قامت الإدارة بتزويد بعض وسائل الإعلام والإعلاميين والباحثين والجهات الحكومية بمواد إعلامية متنوعة.

□ تم قبول (٢٦) حافظاً للدورة التجويدية الخامسة عشرة التي بدأت مطلع هذا العام ١٤٣٥هـ.

كما شارك المجمع في عدد من المعارض المحلية والدولية مطلع هذا العام، وهي:

١	معرض مركز الأمير سلطان تقنية المعلومات (سايتك)	الخبر
٢	المعرض المصاحب للمؤتمر الدولي في (توظيف تقنية المعلومات لخدمة القرآن الكريم وعلومه) بجامعة طيبة	المدينة المنورة
٣	معرض الجنادرية	الرياض
٤	معرض الرياض الدولي للكتاب ٢٠١٤م	الرياض
٥	معرض الجامعة الإسلامية السنوي للكتاب ١٤٣٥هـ	المدينة المنورة

ثانياً: المعارض الدولية

٦	معرض القاهرة الدولي للكتاب	٩	معرض الدار البيضاء الدولي للكتاب
٧	معرض الدوحة الدولي للكتاب	١٠	معرض نيودلهي الدولي للكتاب
٨	معرض الكويت الدولي للكتاب	١١	معرض فيينا الدولي للكتاب

من إصدارات

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

الترجمة الكورية

المقاس: ٢١ × ١٤ سم
الرمز: د/٤٠٠٠ ٢٥



الترجمة الكورية - (جيب)

المقاس: ١٢ × ٨,٥ سم
الرمز: د/٤٠٠٠ ٢٥ غ



الترجمة الكورية - (بدون نص قرآني)

المقاس: ٢١ × ١٤ سم
الرمز: د/٤٠٠٠ ٢٥



الترجمة المليبارية

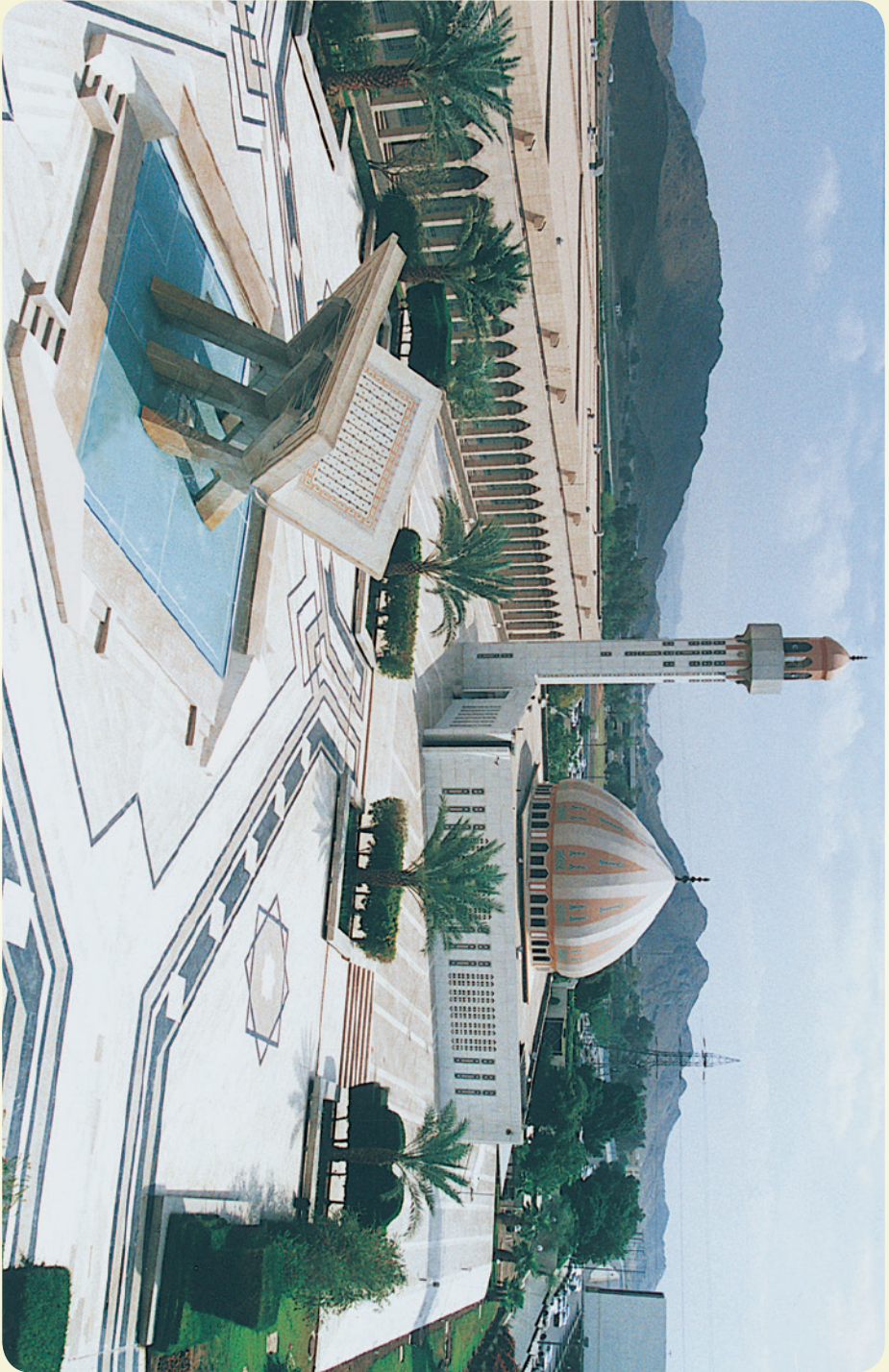
المقاس: ٢١ × ١٤ سم
الرمز: د/٤٠٠٠ ٢٣



ترجمة اليوربا

المقاس: ٢١ × ١٤ سم
الرمز: د/٤٠٠٠ ٢٨





Motives for Entering Hell Fire in the Light of the Qur'ān

By Dr. Abdul Rahmān bin Abdul Jabbār al-Hausūwī⁽¹⁾

Abstract

Since Allah is the true Owner of this dominion and the sole Creator, He thus has the sole right to the authority and ordinance just as He has the Creation. He said: 'His is the Creation and Commandment. Blessed is Allah, the Lord of the 'Alamin (mankind, jinn and all that exists' (al-A'rāf: 54). Allah has created mankind and jinn and assigned to them the task of worshiping Him and nothing more. He says: 'And I (Allah) created not the jinn and mankind except that they should worship Me (Alone). I seek not any provision from them (i.e. provision for themselves or for My creatures) nor do I ask that they should feed Me (i.e. feed themselves or My creatures). Verily, Allah is the All-Provider, Owner of Power, the Most Strong.' (al-Dharyāt: 56-58). Therefore, He made worshipping Him the foundation for entering Paradise or Hell Fire on the Day of Resurrection. So whoever obeys Him enters Paradise and whoever disobeys Him enters Hell Fire.

Although, this matter is as clear as the daylight in the Glorious Qur'ān, yet some Muslims, influenced by sufism spread around the world, argue over these incontrovertible realities. They create doubts about the worthiness of the unbeliever to end in Hell, especially the people of the Book, since they are a people of a divinely sent Book. They cite verses from the Glorious Qur'ān either maliciously or out of ignorance. This is in addition to their conviction about the unbeliever's positive impact on their lives, for being seen as the manufacturers of the various means of transportation, communication and even things that aid us in obeying Allah.

This paper is a Qur'ānic study of the reasons for which the non-believers, including the people of the Book, deserve to end up in Hell, '...so that those who were to be destroyed (for their rejecting the Faith) might be destroyed after a clear evidence, and those who were to live (i.e. believers) might live after a clear evidence. And surely, Allah is All-Hearer, All-Knower.' (al-Anfāl: 42), and a reply to the agitated sufis about their deserving to enter Hell Fire even with their positive impact on the human material life.

(1) H.O.D., department of Arabic and Islamic Studies, King Fahd University of Petroleum and Mineral Resources.

The paper, in its first chapter, presented approximate statistics for the Qur'ānic words that came in the seven forms (fa'āl, fi'āl, fa''āl, fā'il, fu'lān, fi'lān and mif'āl) in which al-Dāni stipulated the assertion of alif, with adherence to mentioning the words he excluded from them. The total of what was arrived at on these forms is about 2500 words.

In the second chapter are proofs from *al-Muqni'* and other original sources stating the assertion of alif by al-Dāni in the words he was silent over in his book *al-Muqni'*. These books *include among others*: *al-Wasīlah* by al-Sakhāwi, *al-Jumlah* by al-Ja'bari, *Talkhīs al-Fawā'id* by Ibn al-Qāṣiḥ etc from ancient works and *al-Muyassar fi 'Ilm Rasm al-Muṣḥaf* by Dr. Ghanim Qaddūri al-Ḥamad from modern works.

The conclusion has in it important results the research reached at.

Regulation on the Alifs that Imām al-Dāni was Silent Over In His Book *al-Muqni*[‘]

By

Dr. Muḥammad Shafā‘at Rabbāni⁽¹⁾

Abstract

This paper discusses a subject in the science of Uthmanic Orthography. It explains one of its puzzles by providing answer to the question concerning the true opinion of Imām al-Dāni over the alifs that he passed over in silence without explicitly stating their regulation. This is a significant issue concerning those devoted to Muṣḥaf writing.

The research was able to come to a clear conclusion through evidences presented from al-Dāni's book *al-Muqni* and other original sources by prominent scholars. It has been set out in a preface, two chapters and a conclusion.

In the preface, the research presented a concise introduction to Imām Abū ‘Amr ‘Uthmān bin Sa‘id al-Dāni (d 444 AH) about whom al-Dhahabi has made his famous comment that “The reciters of the Qur’ān are all indebted to his literatures, confident of his transmissions in the Readings of the Qur’ān, Qur’ānic Writings, Tajwīd, waqf wa ibtidā’ and with to him ended the peak in accurate phrasing of the sciences of Qur’ānic readings and Maṣāḥif, with creativity in science of ḥadīth, tafsir, Arabic syntax etc. It also contained a brief introduction to his book “*al-Muqni‘ fi ma‘rifat marsūm maṣāḥif al-amṣār*”, which is considered as one of the most famous and significant books written on the science of Qur’ān Writing. It was specifically written for students of Qur’ānic readings and Qur’ān writers. This book has been able to retain its importance all through the past centuries and with many of its manuscripts spread all over private and public libraries of the world. It has numerous editions with the first in the year 1932 and the last in 2011.

(1) A researcher at the Qur’ānic Studies Centre, King Fahd Glorious Qur’ān Printing Complex.

Dhukhrat al-Ikhwān al-Mukhtaṣar min Kitāb al-Istighnā' bil-Qur'ān

Dr. Hasan Sālim 'Aṭwad Hisbān⁽¹⁾

Abstract

All thanks and praises are due to Allah, and may His peace be upon His selected servants.

The Glorious Qur'ān is the best of Books, revealed to the best of all the sent down Prophets. Devotion to its sciences is a pious act and, indeed, one of the noblest deeds. And just as the noble sunnah of the Prophet ﷺ explains the Qur'ān, it is also required.

Anyone reading the Qur'ān should be satisfied with it and dispense of all other books. He should be devoted to its learning and teaching, both recitation and memorization, making better his tone in its recitation in a manner that would help in achieving humility.

However, as one gets devoted to the reading of the Glorious Qur'ān, he should also get engaged in what helps in understanding its meanings from tafsir, hadith etc., because all knowledge are in the Qur'ān devoid of baseless opinions. This is what the erudite scholar, Muhammad bin 'Umar Bahraq al-Ḥaḍramī (d 930 AH) detailed in this book of his' Dhukhrat al-Ikhwan al-Mukhtaṣar min Kitāb al-Istighnā' bil- Qur'ān'.

The study of the text of this book has been prefaced with study of the author's life and introduction to the manuscripts adopted in editing the text.

(1) Assistant Professor of Qur'ānic Studies, College of Education, University of Dammam.

Waqf al-Bayān in the Glorious Qur'ān

Dr. Mahmūd bin Abdul Jalīl Rūzin⁽¹⁾

Abstract

The terminology 'waqf al-Bayān' is one of the terms used in the field of waqf and ibtidā'. Despite its significance, it has not been given a befitting scholastic study and exploration, let alone isolating it with literature works like other terminologies of the subject.

In this study, the technical approach was used. All available text in which waqf al-bayān' was used verbatim or implicitly were gathered and then presented historically to ascertain the etymological development of the term and its meaning in both ancient and modern times. The most befitting definition for 'waqf al-Bayān', in the opinion of the researcher, was deduced, followed with examples and comments.

As being done in the technical methodology of study, the presentation was completed after the compilation and study of the term, with explanation of its categorizing and explanatory qualities. Then came after that its major issues and relationship with other terms of the subject. Its derivatives and supplements were also treated, with recommendation of numerous additional terms that will boost the study in the subject and draw its scope and dimensions practically and theoretically.

(1) Teacher of Science and Nutrition Technology, Damanhur University.

Linguists' Positive Handling of the Qur'ānic Readings

Dr. Mabruk Hamud Shajir al-Shayy (1)

Abstract

This paper highlights the endeavours of the scholars the Arabic Language, in the past and present, in the field of *qir'āāt* (the variant readings of the Qur'ān). It also highlights the close connection between the Arabic Sciences and the *qir'āāt*. It also brings out the continuity of scholarship between the ancient and modern scholars in this field.

The paper consists of the following two sections:

Section one: Ancient Linguists' Handling of this phenomenon. This includes:

1. Resorting to the readings of the Qur'ān in areas of syntactic differences.
2. Citing Qur'ānic readings right from the emergence of Arabic linguistics.
3. Preparing works dedicated to the study of the various readings of the the Qur'ān.
4. Study of the various *qir'āāt* possibilities of the readings of the Qur'ān.

Section Two: The Moderns Interaction with the readings of the Qur'ān:

1. Phonetic study of the readings of the Qur'ān.
2. Resorting to Qur'ānic readings for substantiating linguistic theories.
3. Preparinh special lexicons for Qur'ānic readings.
4. Syntactical explanation of the readings the Qur'ān through interactive websites.

The study results are but not limited to:

- It is false to accuse the Basri linguists of denying many of the of readings the Qur'ān.
- Most of the Arabic linguists, both ancient and modern, respect the Qur'ānic readings and have served them as well.

(1) An associate professor with the university of Hail.

people, researchers and government bodies with various news materials.

- Twenty-six applicants have been accepted for 15th Tajwid Course which commences at the beginning this year (1435 AH).
- The Directorate participated in a number of exhibitions and book fairs – both local and international- during this year. They are:
 1. Prince Sultan Centre exhibition (Information Technology).
 2. The exhibition accompanying the international conference on Applying Information Technology for the Service of the Glorious Qur'ān & Its Sciences held at Taibah University.
 3. Janadiriyyah Exhibition.
 4. International Book Fair, Riyadh (2014).
 5. Islamic University Annual Book Fair (1435 AH).
 6. Cairo International Book Faire.
 7. Casablanka International Book Fair
 8. Doha International Book Faire.
 9. New Delhi International Book Fair.
 10. Kuwait International Book Fair.
 11. Vienna International Book Fair.

2. Guests from the Directorate of Combatting Drugs, Director General of Combatting Drugs in Malaysia, and the delegation accompanying him.
 3. Some thinkers from Niger.
 4. Guests from the World Corporation for Qur'ān Memorization from within the Kingdom as well from outside.
 5. Guests from the Madinah Branch of the Department of Religious Affairs of the Armed Forces.
 6. Guests from General Intelligence Bureau.
 7. HH Prince Fahd ibn Jalawi, Consultant of the General President of Ri'āyat al-Shabab.
 8. Prof. Dr Fahd al-Juwair, member of Shura Council.
 9. The C-in-C of the Pakistani Army Lieutenant General Rahil Sharif and the accompanying delegation.
 10. Mufti of Tatarstan and the President of the Religious Department for the Muslims of the Republic, and the accompanying delegation.
 11. His Excellency Dr Salihin Yahya, the Minister of Religious affairs and Development in Selangor State, Malaysia.
 12. Delegation of the College of Commanders for the Armed Forces of a number of Arab & Islamic Countries (40th Secession).
 13. Mr Fakhruddin Karauri, President, National Peoples Party, Pakistan, and his family.
 14. Delegation from Nasser Higher Military of Academy of Egypt.
 15. Mr Hamzah Yusuf, President. Zaituna College, Berkley, California, USA, and the accompanying delegation.
- The Public Relations Directorate prepared videos, photos and news write-ups of some of the important official visits and sent them to SPA, and to local newspapers. It has prepared photos and posters of some sections of the Complex, and different stages of production to be displayed in fairs where the Complex participates.
 - The directorate also provided some media establishments, media

3. Automatic guillotines, forklifts and pallet lifts.
4. Stacking & feeding machines.
5. Units for glue.
6. Carton cutting machines.
7. Title guiding machine.
8. Enhancing Rotman Printer.
9. Braille printing equipment.
10. Cold foil sheet-fed printing equipment.
11. Paper recycling machine.
12. Binding equipment.
13. Upgrading sheet-fed printing machine Rapida 105.
14. Importing sheet-fed printing machine Rapida 106 equipped with complete control system.
15. Completely upgrading the control system and detection of smoke & gas.
16. Upgrading equipment in Pre-press Unit.
17. Upgrading some software item in Pre-press Unit.

Construction:

- Construction of an integrated library building in the Complex on area of 3200m². The al-Khreji Engineering Office has been commissioned to prepare the necessary blue prints, and the work is underway.
 - Construction of a warehouse for the copies of the publication in the Complex. The matter is being pursued with the contractor and the consultant.
- The Directorate of Public Relations received 202490 visitors since the beginning of the year. It explained to them the aims and objects of the Complex and its achievements. Suitable gifts were presented to them.
- There were a number of official delegations which included:
1. Guests from Ri'ayat al-Shabab (Youths from Arab Countries).

formation Technology with the aim of creating digital certification service in Digital Research Centre for the Service of the Glorious Qur'an & Its Sciences. Through this service the Centre will issue digital certification pertaining to electronic products.

- ❑ The Centre has completed revising the database pertaining to the number of ayat in the five maṣāḥif published by the Complex, viz the maṣāḥif according to the Readings of Ḥafṣ, Warsh, Qālūn, al-Dūrī and Shu'bah.
- ❑ The Centre pursued the omission of a distorted application of the Qur'an being offered for sale. This was done through AppStore of the American Company Apple. The above-mentioned application was offered for sale under the name of al-Qur'an, and registered under the name of its designer A.S.H., a Jew residing in Tel Aviv. The application is meant for children above the age of four.
- ❑ A study was carried out on the Centre's website in the Internet in its present status, with an analysis of its programming system. Smart solutions were presented to develop the website in the context of the present age.
- ❑ The Directorate of Technical Affairs in the Complex is pursuing the following:

The publication of the following works:

- The Persian translation of the Uṣūl al-Imān.
- Mu'jam Kuttāb al-Muṣḥaf al-Sharīf (The calligraphers of the Noble Qur'an).
- The Translation of the Glorious Qur'an into Dagbane.
- Translation of the Glorious Qur'an into Mamashek (in Latin character).

Equipment:

- ❑ The Directorate has been pursuing the procurement of the following:
 1. Dust-vacuuming machine.
 2. Sound and water insulating equipment for Rotman.

4. Turkish.
5. Swahili.
6. French.

- The following academic works have been commissioned:
 - Cyclopedia of European Writers With Connection With the Glorious Qur'ān. The book has been completed, and is being revised now.
 - A Bibliography of the Translations of the Glorious Qur'ān into Slavic Languages. Half of the book is now complete.
- Digital Research Centre for the Service of the Glorious Qur'ān & Its Sciences has laid down conditions, specifications, etc. for the order to manufacture the Speaking Qur'ān Teacher in its two versions:
 - The Simple Reader Pen.
 - The Advanced Reader Pen.
- The Centre has completed revising the fourth part of the exegesis of the Glorious Qur'ān in sign language, and has approved it. It is to be noted that this version has been uploaded in the Complex's website, and will be issued in DVDs.
- The Centre has signed contract with a firm dealing with the production of documentary films to film and produce the fifth part of the exegesis of Glorious Qur'ān in sign language. The filming of this part will be done using high precision cameras (HD Cam) compatible with high precision space photography, and the montage will be carried out in a professional manner used in space montage.
- The Centre has completed the revision of the recording of the following two books:
As'itat al-Tajwīd,
Al-Waqf wa l-Ibtidā'
- The recoding is distributed in MP3-Mono mode for the sake of programming.
- The Centre has signed the NDA agreement with National Centre For Digital Certification in the Ministry of Communication & In-

dian is ready to be submitted for publication:

- Translation of the meanings of the Glorious Qur'ān into the following languages are underway:

1. Zulu.
2. Dutch.

- Translations of the meanings of the Glorious Qur'ān into the following languages are under review:

1. Amharic
2. Bamun
3. Tigrinya

- The Translation Centre is supervising the translation of the following books:

1. **Uṣūl al-Imān**

It has been translated into the following languages, and they are in press:

1. Nko.
2. Azeri.
3. Persian.
4. Kurdish.

2. **Al-Fiqh al-Muyassar**

The book has been translated into the following languages, and they are being checked:

1. Chinese.
2. Persian.
3. Malayalam.
4. Hausa.

Its translation into the following languages are underway:

1. Indonesian.
2. English.
3. Bengali.

Abū 'Amr al-Dāni (d 444 AH).

- The Directorate of Scholarly Affairs has commenced digitalizing the book Dictionary of the Calligraphers of the Noble Qur'ān in preparation to submit it for publication.
- Complete translations of the meanings of the Glorious Qur'ān into the following languages are in press:
 1. Tamashek (in Latin character)
 2. Pushto
 3. Bengali
 4. Tagalog
 5. Dagbane
 6. Danish
 7. Swahili
 8. Tajik
 9. French (according to the Reading of Warsh)
 10. Fulani (in Latin character)
 11. Canarese
 12. Malay
 13. Nepali
- Complete translations of the meanings of the Glorious Qur'ān into the following languages are being revised:
 1. Plish.
 2. Cham.
 3. Dari.
 4. Hebrew.
 5. Afar.
 6. Kurdish (Kurmanji)
 7. Malagasy
 8. Japanese.
- Translation of the meanings of the Glorious Qur'ān into Cambo-

NEWS OF THE COMPLEX

- The Centre for Qur'ānic Studies continues to work on the project of compiling a dictionary of the topics mentioned in the Glorious Qur'ān. The work is expected to be digitalized and submitted for publication at the end of 1346 AH. It is expected to occupy a prominent position in the Qur'ānic Literature.
- The Directorate of Scholarly Affairs is scrutinizing the papers presented to the Symposium on the Printing & Publication of the Glorious Qur'ān: the Present Status & Future Aspirations to be held in the Complex on 3-5/2/1436 AH (25-27/11/2014 CE). The papers already scrutinized have been submitted for printing. The papers will be published in a number of volumes and will be arranged according to the topics of the Symposium.
- The following books have been published:
 1. Al-Muntahā by Abu l-Faḍl al-Khuzā'ī (d 408 AH), edited by Dr Shafā'at Rabbānī.
 2. Papers presented to the Symposium on the Translation of the meanings of the Glorious Qur'ān: Evaluation of the Past & Planning for the Future held on 23/2/1423 AH. The book is in ten volumes.
 3. Papers presented to the Symposium on Service of the Kingdom of Saudi Arabia to the Sunnah & the Sīrah held on 15/3/1425 AH. The book is in six volumes.
 4. Catalogue of Manuscripts on *Tafsīr* & Qur'ānic Sciences found in the libraries of Madinah prepared by researchers in the Centre for Qur'ānic Studies. The book is five volumes.
- The Centre for Qur'ānic Studies has submitted the following works for publication:
 1. Sirāj al-Qāri' by ibn al-Qāṣiḥ (d 801 AH).
 2. Sharḥ Ṭayyibat al-Nashr by ibn al-Nāẓim (d 835 AH).
 3. Al-Muwaddiḥ li Madhāhib al-Qurrā' fi l-Faṭḥ wa l-Imālah by

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

In the Name of Allah
the Most Beneficent, the Most Merciful

Journal of
**QUR'ĀNIC RESEARCH
AND STUDIES**

Issue 13 Volume 9 2014

Contents

News of the Complex	5
Abstracts of Arabic Articles	13

Notes for Authors

The **Journal of Qur'ānic Research and Studies** welcomes serious scholarly contributions in Arabic and English on the Glorious Qur'ān and its studies, the translation of the meanings of the Glorious Qur'ān and editing old manuscripts related to it.

Contributions should conform to the following:

- The length of contributions should normally be between 6000 and 12000 words.
- Three copies should be submitted, double-spaced with ample margins on one side of A4 sized paper.
- A soft copy of the contribution must be submitted. Text should be a Microsoft Word 2000 document (or a more recent version). Authors are welcome to send their contributions by e-mail, formatted as a Word attachment.
- A brief C.V. relevant to the scope of the journal should be submitted detailing the full contact information of the author and their institutional affiliation.
- An abstract of no more than 200 words should accompany the manuscript.
- Notes should appear page by page as they occur, i.e. in footnotes not endnotes. They should be numbered page by page.

The editorial board will consider original contributions set within sound theoretical or methodological frameworks, provided the material presented is rigorous. Submission of a contribution will be taken to imply that it has neither been published nor is being considered for publication elsewhere.

Contributors will be financially rewarded, receive five copies of the issue in which their contribution appears and twenty offprints of their contribution.

Transliteration System of Arabic Characters

ء	‘	ض	<i>d</i>
ا	<i>ā</i>	ط	<i>t</i>
ب	<i>b</i>	ظ	<i>ẓ</i>
ت	<i>t</i>	ع	<i>c</i>
ث	<i>th</i>	غ	<i>gh</i>
ج	<i>j</i>	ف	<i>f</i>
ح	<i>h</i>	ق	<i>q</i>
خ	<i>kh</i>	ك	<i>k</i>
د	<i>d</i>	ل	<i>l</i>
ذ	<i>dh</i>	م	<i>m</i>
ر	<i>r</i>	ن	<i>n</i>
ز	<i>ẓ</i>	ه	<i>h</i>
س	<i>s</i>	و ي	<i>w</i> as a consonant and <i>ū</i> as a vowel
ش	<i>sh</i>		
ص	<i>ṣ</i>		<i>y</i> as a consonant and <i>ī</i> as a vowel

Short vowels are to be transliterated as follows:

a for *fathah* (َ), *i* for *kasrah* (ِ) and *u* for *dammah* (ُ).

ة : is transliterated as *h*, but *t* when *mudâf*.

ال : is transliterated as *al* whether *shamsiyyah* or *qamariyyah*.

The **Journal of Qur'ānic Research and Studies** encourages scholarly research and promotes publication in the field of the Glorious Qur'an and its studies with a view to enriching the Qur'ānic studies library further and bringing specialists to get involved together in this field of study.

To achieve its aims, the journal welcomes contributions in the following areas: Qur'ānic studies, editing of related old manuscripts and studies concerning the translation of the meanings of the Glorious Qur'an.

Editorial Board

Supervisor General

His Excellency Shaikh Ṣāliḥ bin 'Abdul-'Azīz bin Muḥammad Āl al-Shaikh Minister of Islamic Affairs, Endowments, Da'wah and Guidance Supervisor General of the Complex

Editor in Chief

Professor Muḥammad Ṣālim bin Shudayyid al-'Awfi
Secretary-General of King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex

Deputy Editor in Chief

Professor 'Alī bin Muḥammad bin Nāṣir Faqīhī
Director of Scholarly Affairs at King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex

Editor

Dr. 'Abd al-Ghafūr 'Abd al-Ḥaqq al-Bulūshi

Members

Professor Aḥmad bin Muḥammad al-Kharrāt
Professor 'Imād bin Zuhayr Ḥāfiẓ
Dr. Hāzim bin Sa'īd Ḥaydar
Dr. Muṣṭafā bin 'Umar Ḥalabī

Editor in Chief

Journal of Qur'ānic Research and Studies

King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex
Madinah, P.O. Box 6262
Kingdom of Saudi Arabia
Telephone/Fax: 00966 (04) 8615600 Ext. 1810
journal@qurancomplex.org
www.qurancomplex.org

ISSN 1658-2624

©All rights reserved for King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex

King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex in Brief

Inauguration

In response to the increasing need of Muslims the world over for copies of the Glorious Qur'an, assuming the pioneering role of the Kingdom of Saudi Arabia in serving Islam and Muslims, and realizing the importance of serving the Glorious Qur'an and the Prophet's Sunnah, the late Custodian of the Two Holy Mosques, King Fahd Ibn 'Abdul-'Aziz, laid the foundation stone of King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex in Madinah in 1982 and inaugurated it in 1984 as a body dedicated to carrying out this honourable task. On laying the foundation stone he said:

In the Name of Allah, the Most Beneficent, the Most Merciful. With the blessing of Allah, the Exalted, the Able [do I lay this stone].... We pray that this project will be a blessing for the service of the Glorious Qur'an, firstly, and Islam and Muslims, secondly. I pray to Allah, the Exalted, the Able, to grant us help and success in our religious and worldly affairs, and to make this project successful in fulfilling what it has been set up for, namely, the Glorious Qur'an, so that Muslims may benefit from it and ponder on its meanings.

Aims of the Complex

Prominent among the aims of the Complex are: printing the Glorious Qur'an and recording it on audio media in the modes of reading well-known in the Muslim world, translating its meanings, furthering tafsir and Qur'anic studies, serving the Prophet's Sunnah and biography, undertaking Islamic research and studies, and catering for the needs of Muslims, inside and outside the Kingdom, for the different publications of the Complex and making them available on the internet.

Supervision of the Complex

The Ministry of Islamic Affairs, Endowments, Da'wah and Guidance supervizes the Complex. His Excellency Shaikh Šalih Ibn 'Abdul-'Aziz Ibn Muhammad Āl al-Shaikh is the Supervisor-General of the Complex and the head of its higher committee. The implementation of the Complex's policies and the achievement of its aims are overseen by a General-Secretariat headed by the Secretary-General of the Complex, Prof. Muhammad Šalim Ibn Shudayyid al-'Awfi.

The Higher Committee

The higher committee of the Complex sets its general policies and aims, oversees their implementation, and endorses the rules and regulations of the Complex.

The Scholarly Board

The scholarly board of the Complex looks into scholarly matters in line with the Complex's aims and suggests ways to advance them. It also considers research and issues of scholarly nature, and reviews the reports presented by specialized centres within the Complex.

Figures and Achievements

- The Complex comprises an integral line of production including the scholarly bodies, which work on preparing and producing its publications, and state-of-the-art printing, CD and audio-tape recording equipment.
- The Complex stands out with its advanced quality control system, applied rigorously at all production stages. There are almost 700 personnel in the quality control department responsible for ensuring that publications are free from defects.
- The Complex produced more than 300 important titles in the fields with which it is concerned, 62 of which are translations of the meanings of the Qur'an in different languages. Work is on-going on producing more useful publications.
- The annual output of the Complex has reached 13 million copies. The total number of copies printed in the Complex since its inception topped 286 million.
- The Complex distributed tens of millions of its publications all over the world as a present from the Kingdom of Saudi Arabia. About 2 millions copies are distributed annually as part of the Custodian of the Two Holy Mosques' Gift to Pilgrims.

Support of the Complex

The Complex receives constant support from the Custodian of the Two Holy Mosques, King 'Abdullah ibn 'Abdul-'Aziz, his Crown Prince, Deputy Premiere and Minister of Defence, HRH Salman ibn 'Abdul-'Aziz, , and the Deputy Crown Prince, HRH Prince Muqrin ibn 'Abdul-'Aziz - May Allah keep and preserve them.



Kingdom of Saudi Arabia

Ministry of Islamic Affairs,
Endowments, Da'wah and Guidance

King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex

General Secretariat

Journal of
**QUR'ANIC RESEARCH
AND STUDIES**

A Refereed Journal Specializing
in the Glorious Qur'an and its Studies

Issue 13 • Volume 9 • 2014